

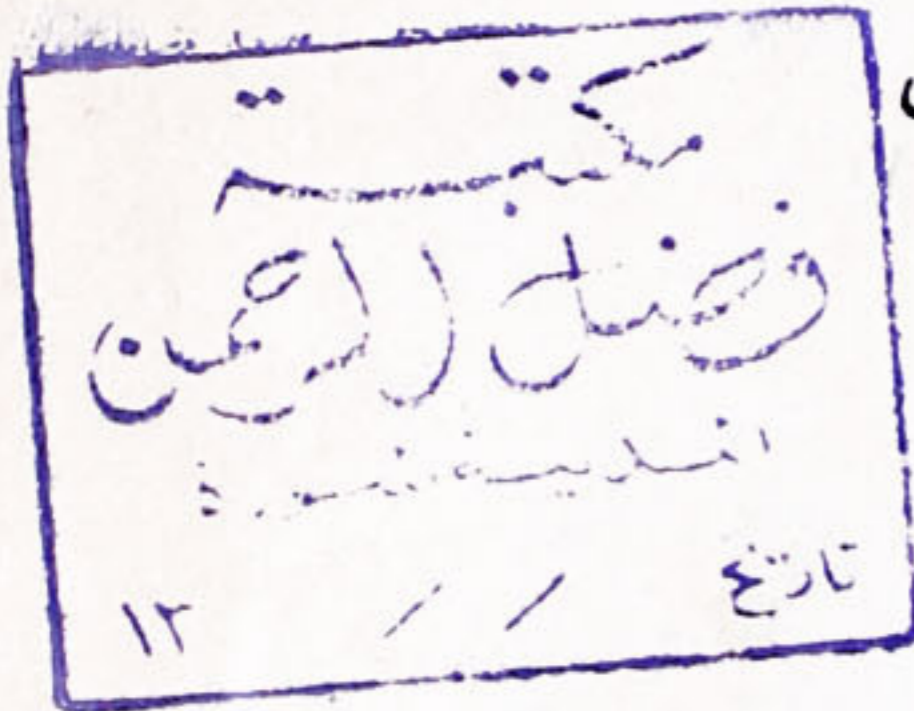
3145

الْحَاوِي لِلْفَنَائِي

في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب
وسائر الفنون

لعالم مصر ومفتيها ومحدثها في عصره

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة



حقق أصوله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ مُحَمَّدِي الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَمِيدُ

عفا الله تعالى عنه ا

الجزء الثاني

يطلب من
المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي، بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

الطبعة الثالثة : مزيدة ومنقحة
في ذي الحجة ١٣٧٨ هـ - يونيو ١٩٥٩ م

جميع حق الطبع محفوظ لمحققه

مطبعة السعادة بمصر

١٩٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مسألة : في قوله صلى الله عليه وسلم ، وشرَّفَ وكرم : « حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ وَمَوْتِي خَيْرٌ لَكُمْ » فقد أشكل من جهة تنزيل المقصود منه على القواعد النحوية ، بناء على أن أفعال التفضيل يُوصَلُ بمن عند تجرُّده ، ووَصَلَهُ بها غير متأتَّ بحسب الظاهر ؛ إذ بصير الكلام : حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ مَمَاتِي وَمَمَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حَيَاتِي ، وهو مشكل ؟ .

الجواب : إنما حصل الإشكال من ظَنِّ أن خيراً هنا أفعال تفضيل ، وليس كذلك ، فإن لفظة « خير » لها استعمالان :

أحدها : أن يُراد بها معنى التفضيل لا الأفضلية ، وضدها الشر ، وهي كلمة باقية على أصلها لم يحذف منها شيء .

والثاني : أن يراد بها معنى الأفضلية ، وهي التي توصل بمن ، وهذه أصلها أخير حذفت همزتها تخفيفاً ، ويقابلها شر التي أصلها أشر ، قال في الصحاح : الخير ضد الشر ، قال الشاعر :

فَمَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ مَخَامِرَةٌ وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرِّ بِأَشْرَارِ

وتأنيث هذه خَيْرَةٌ ، وجمعها خَيْرَاتٌ ، وهي الفاضلات من كل شيء ، قال تعالى : (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ^(١)) (وأولئك لهم الخَيْرَاتُ^(٢)) ولم يريدوا به معنى أفعال ، فلو أردت معنى التفضيل قلت : فلانة خير الناس ، ولم تقل خيرة ، ولا تثني ولا تجمع ؛ لأنه في معنى أفعال ، انتهى كلام الصحاح .

وقال الراغب في مفردات القرآن : الخير والشر يقالان على وجهين :

أحدها : أن يكونا اسمين كقوله تعالى : (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ^(٣)) .

(١) من الآية ٧٠ من سورة الرحمن (٢) من الآية ٨٨ من سورة التوبة

(٣) من الآية ١٠٤ من سورة آل عمران

الثاني : أن يكونا وصفين ، وتقديرهما تقدير أفعالٍ من ، نحو « هذا خير من ذلك ، وأفضل » وقوله تعالى : (نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ^(١)) ويحتمل الاسمية والوصفية معاً قوله تعالى : ([وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ^(٢)]) .

وقال أبو حيان في تفسيره : الكثير في قوله تعالى : [ولو أنهم آمنوا واتقوا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ ^(٣)] [ليس خير هنا] أفعال تفضيل ، بل هي للتفضيل لا للأفضلية ، كما في قوله تعالى : (أَفَمَنْ يُدْتَمِرُ فِي النَّارِ خَيْرٌ ^(٤)) و (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا ^(٥)) وفي قول حسان : * فشر كما لخير كما الفداء * انتهى .

إذا عُرِفَ ذلك فخير في الحديث من القسم الأول ، وهي يراد بها التفضيل لا الأفضلية ، فلا توصلُ بمن ، وليست بمعنى أفعال ، وإنما المقصود أن في كل من حياته ومماته عليه الصلاة والسلام خير ، لا أن هذا خير من هذا ، ولا أن هذا خير من هذا .
مسألة :

ما ذا جوابُ إمام لا تَظِيرَ له في الحافظينِ على الإنسان إذ كَتَبَا وكاغِدِ يكتبا ما كان معَ قَلَمِ أُنَابِكُمْ رَبِكُمْ جَنَاتِهِ كَرَمًا
في العَصْرِ ، كَلَا ، ولا في سالف الدهر ؟ هل بالمداد وحبر عُدَّ للبشر ؟ أولا كذلك يا من ضاء كالقمر بجاه خير الوري المبعوث من مضر
الجواب :

اللهُ أَحْمَدُ حَمْدًا غير منحصِر مِدَادُهُ الرِيقُ فَمَا قَدَأْتِي ، ولسا وفي الصحيفة كَتَبْتُ ، والبطاقة جا
ثم الصلاة على المختار من مضر نُ الخلق أَقْلَامُهُمْ قَدْ جَاءَ فِي الأثر من غير تعيين جنس صح في الخبر

مسألة : هل الشمع كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام أو الصحابة أو التابعين ؟

- (١) من الآية ١٠٦ من سورة البقرة (٢) من الآية ١٨٤ من سورة البقرة
(٣) من الآية ١٠٣ من سورة البقرة (٤) من الآية ٤٠ من سورة فصلت
(٥) من الآية ٢٤ من سورة القرقان

وهل الاستضاءة به - مع أن غيره من الأدهان يقوم مقامه - تمدد إسرافاً ؟ .
 الجواب : الشمع كان موجوداً من قديم من زمن الجاهلية قبل البعثة ، وقد ذكر العسكري في الأوائل أن أول من أوقد له الشمع جزيمة بن مالك الأبرش ، وهو قبل البعثة النبوية بدهر ، وليس الاستصباح به إسرافاً ؛ لأنه لو كان كذلك لنهى عنه ؛ فإنه كان موجوداً في أيام النبي عليه الصلاة والسلام ، فلما لم ينه عنه دل على أنه مباح ، بل ورد في حديث أنه أوقد للنبي عليه الصلاة والسلام عند دفنه عبد الله ذا البجادين ، وقد ألفت في المسألة مؤلفاً سميته « مسامرة السموع ، في ضوء الشموع » .

قطف الثمر ، في موافقات عمر

سُئِلْتُ عن موافقات عمر رضى الله عنه ، فنظمت فيها هذه الأبيات :

بسم الله الرحمن الرحيم

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| الحمد لله ، وصلى الله | على نبيه الذى اجتباؤه |
| ياسائلى والحادثات تكثر | عن الذى وافق فيه عمر |
| وما يرى أنزل فى الكتاب | موافقاً لرأيه الصواب |
| خذا ما سألت عنه فى آيات | منظومة تأمن من شتمات |
| فى المقام وأسارى بدر | وآيتى تظاهر وستر |
| وذكر جبريل لأهل الغدر | وآيتين أنزلا فى الخمر |
| وآية الصيام فى حل الرفث | وقوله نساؤكم حرث بيت |
| وقوله لا يؤمنون حتى | يحكموك إذ بقتل أفتى |
| وآية فيها لبدر أوبه | ولا تصل آية فى التوبه |
| وآية فى النور هذا بهتان | وآية فيها بها الاستئذان |
| وفى ختام آية فى المؤمنين | تبارك الله بحفظ المتقين |

وثلّة من في صفات السابقين
 وعددوا من ذلك نسخ الرسم
 وقال قولاً هو في التوراة قد
 وفي الأذان الذكر للرسول
 وفي القرآن جاء بالتحقيق
 كقوله هو الذي يصلي
 وقوله في آخر المجادلة
 نظمت ما رأيته منقولاً
 والحمد لله على ما أولى

مسألة : حديث « الغناء يُنبتُ في القلب القسوة كما يُنبتُ الماء البقل »

هل ورد ؟ .

الجواب : أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الملاحى من حديث ابن مسعود مرفوعاً بلفظ « الغناء ينبتُ النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » وزعم بعضهم أن لفظة « الغنى » بالقصر ، وأن المراد غنى المال الذي هو ضد الفقر ، وصوّب بعض الحفاظ أنه بالمد ، وأن المراد به التّعنى .

ولهذا أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الملاحى ، واستدل لصحة هذا بأن ابن أبي الدنيا أخرج أيضاً من وجه آخر عن ابن مسعود موقوفاً قال : « الغناء ينبتُ النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ، والدُّكرُ ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع » فقابلة الغناء بالذكر تدل على أن المراد به التّعنى .

مسألة : في مجيء المهدي من الغرب ، هل ورد فيه أثر يعتمد عليه ؟ وهل للقول بأنه موجود الآن بالمغرب صحّة أولاً ؟ وهل مجيئه قبل نزول عيسى عليه السلام ؟ وهل نزول عيسى مؤقت بوقت ؟ وهل يقيم بالدنيا إذا نزل ويتزوج ويولد له ولدان يسمى أحدهما محمداً والآخر أباموسى ، ويدفن بإزاء النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وهل المقالة الحاصلة بين الناس أنه ينزل بالشام بالجامع الأموى ؟ وأن بغلة

تُشدُّ له كل جمعة انتظاراً لنزوله لها صحة أم لا ؟ وهل نزوله قبل يأجوج ومأجوج أو بعده ؟ وما طول يأجوج ومأجوج ؟ ومن أين خروجهم ؟ وما مقدار إقامتهم ؟ وما صفة الدابة التي تخرج في آخر الزمان ؟ ومن أين خروجها ؟ وأين تصل ؟ وهل ذلك قبل نزول عيسى أو بعده ؟ وهل الحور العين والملائكة يموتون أولاً ؟ ومن يتولّى قبض أرواحهم ؟^(١)

الجواب على سبيل الاختصار : الأحاديث في المهدي مختلفة ، وكذلك العلماء ؛ ففي بعضها « لا مهدي إلا عيسى ابن مريم » وأكثر الأحاديث على أنه غيره ، وأنه من أهل البيت ، ثم في بعضها أنه من ولد فاطمة ، وفي بعضها أنه من ولد العباس ، وبعض العلماء حمّله على المهدي ثالث خلفاء بني العباس الذي تولّى الخلافة في القرن الثاني ، والذي ترجّح عندي من أكثر الأحاديث أنه غيره ، وأنه خليفة يقوم في آخر الزمان ، وأنه من ولد فاطمة .

وقد ثبت في أحاديث أنه يخرج من قبل المشرق ، وأنه يبائع له بمكة بين الركن والمقام ، وأنه يدخل بيت المقدس ، وأنه يمكث سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً .

وفي بعض الروايات بسند ضعيف أن الناس يقتتلون على الملك فينادى مناد من السماء : أميركم فلان ، فيبايعون له ، ولم يقع شيء من ذلك إلى الآن ، فبطل قول من قال : إنه موجود الآن بالمغرب .

وفي الأحاديث أن عيسى عليه السلام ينزل في حياته فيسلم المهدي الأمر له . ونزول عيسى عليه السلام مؤقت بوقت - وهو خروج الدجال ، فإنه ينزل في أيامه ويقتله - وورد في الحديث أنه يمكث سبع سنين ، وفي رواية أربعين سنة ، وأنه يتزوج ، ويولد له ، ويحج ، ويدفن عند النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ترد تسمية ولده ، وفي الحديث أيضاً أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق .

(١) سيأتي للمصنف رسالة خاصة برواية أحاديث المهدي ، سماها « العرف الوردى ، في أخبار المهدي » .

وأما شدُّ البغلة كل جمعة فلا أصل له ، ونزوله قبل يأجوج ومأجوج فإنهم يخرجون في أواخر أيامه .

وأما طول يأجوج ومأجوج ففي أثرٍ أخرجه ابن المنذر عن ابن عباس موقوفاً أنهم شبر وشبران وثلاثة أشبار . وفي حديث ضعيف مرفوع أخرجه الطبراني أنهم أصناف : صنف منهم طول الأرز مائة وعشرون ذراعاً ، وصنف منهم يفتش بأذنه ويلتحف بالأخرى .

وأما خروجهم فمن خلف السد أقصى بلاد الترك ، وفي الحديث أن مقدمتهم بالشام وساققتهم بخراسان .

وأما مدة إقامتهم فيسيرة ؛ فإنهم يخرجون في زمن عيسى [عليه السلام] ، ويهلكون في زمنه .

وأما صفة الدابة فذات زغب وريش لها أربعة قوائم ، ومسافة ما بين أذنيها مسيرة فرسخ للراكب ، وخروجها من صدع في الصفا بمكة - وفي رواية من بعض أودية تهامة - فتدور الأرض بأسرها ، واختلفت الأحاديث هل خروجها قبل نزول عيسى أو بعده ؟ .

وأما الحور العين والولدان وزبانية النار فلا يموتون ، وهم ممن استثنى الله تعالى في قوله : (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) .

وأما الملائكة فيموتون بالنصوص والإجماع ، ويتولى قبض أرواحهم ملك الموت ، ويموت ملك الموت بلا ملك الموت .

هذا ما يتعلق بالأسئلة على وجه الاختصار ، وسرد الأدلة في ذلك والأحاديث يحتمل كراريس كثيرة ، والله أعلم .

مسألة : في الحديث أن الطاعون وخز إخوانكم من الجن ، فكيف يتصور وقوع هذا الأمر من الإخوان؟ وكيف سموا في هذا الحديث إخواناً وكذا في حديث العظم وليسوا من بني آدم؟ وهل ورد في الحديث بلفظ « وخز أعدائكم »؟ وكيف

يكون شهادة مع أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ منه؟ وهل وُجِدَتْ أدعيةٌ تمنع منه؟ وهل لقول من قال : إنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يؤلف صحة أم لا؟

الجواب : المحفوظ في الحديث « وَخَزَّ أَعْدَائِكُمْ مِنَ الْجِنِّ » هكذا أخرجه الإمام أحمد والبخاري وأبو يعلى في مسانيدهم والطبراني من حديث أبي موسى الأشعري ، وأخرجه الطبراني أيضاً من حديث ابن عمر ، وأخرجه أبو يعلى من حديث عائشة كلهم بلفظ « أعدائكم » ولم يقع في شيء من طرق الحديث بلفظ « إخوانكم » قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : يقع في ألسنة الناس بلفظ « إخوانكم » ولم أره في شيء من طرق الحديث ، بعد التتبع الطويل التام ، لا في الكتب المشهورة ولا في الأجزاء المنتشرة ، فزال الإشكال المذكور ؛ وأما تسميتهم إخواناً في حديث العظم فباعتبار الإيمان ، فإن الأخوة في الدين لا تستلزم الاتحاد في الجنس .

وأما قول السائل « إنه صلى الله عليه وسلم استعاذ منه » فليس كذلك ، ولا ورد في شيء من الأحاديث أنه استعاذ منه ، بل الوارد أنه صلى الله عليه وسلم دعاه به وطلبه لأتمته ؛ ففي الحديث عن أبي بكر الصديق قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم طعننا وطاعونا » أخرجه أبو يعلى .

وأخرج أحمد عن معاذ بن جبل قال : « إن الطاعون شهادة ورحمة ، ودعوة نبيكم » قال أبو قلابة : فعرفت الشهادة وعرفت الرحمة ، ولم أدر ما دعوة نبيكم حتى أنبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات ليلة يصلي إذ قال في دعائه « فحمتي إذن وطاعونا ، ثلاث مرات ، فلما أصبح قال له إنسان من أهله : يا رسول الله قد سمعتك الليلة تدعو بدعاء ؟ قال : وسمعتة ؟ قال : نعم ، إني سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنة ، فأعطانيها ، وسألت الله أن لا يسلط عليهم عدواً [من] غيرهم ، فأعطانيها ، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً ، ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فأبى علي ، فقلت : فحمتي إذن أو طاعونا ، ثلاث مرات . »

وأخرج أحمد والطبرانی عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم [اجعل] فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون » وللحديث طرق أخرى صريحة في أنه دعاء به ، لا أنه استعاذ منه ، ولم يرد دعاء يمنع منه ولا شيء أصلا ، ولم يرد حديث بأنه صلى الله عليه وسلم يؤلف تحت الأرض أو لا يؤلف .

مسألة : وردت نظماً

| | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| أظنّ الناسَ بالآثامِ باءوا | فكان جزاءهم هذا الوباء |
| أسيد من له قانون طب | بحيلة بُرئته يرجى الشفاء ؟ |
| آجال الوري متقاربات | بهذا الفصل أم فسد الهواء ؟ |
| أم الأفلاك أوجبت اتصالا | به في الناس قد عاث الفناء ؟ |
| أم استعداد أمزجة جفاها | جميل الطبع واختلف الغذاء ؟ |
| أم اقتربت على ما تقتضيه | عقائدنا ، فللزم انقضاء ؟ |
| أفدنا : ما حقيقة ما تراه ؟ | فما الأذهان أحرفها سواء |
| وقل ما صحّ عندك عن يقين | بحقّ لا يعارضه رياء |
| فإني غيرُ مُفْهِسٍ سِرّاً حَبْرٍ | من المشرعين به حياء |
| ولا تخل الأجابة من دعاء | فمنك اليوم يلتبس الدعاء |

الجواب :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| بحمد الله يحسن الابتداء | والمختار ينعطف الثناء |
| فما الطاعون أفلاكا ، ولا إذ | مِرَاجُ سَاءٍ أَوْ فسد الهواء |
| رسول الله أخبر أن هذا | بوخز الجن يطعننا العدا |
| يسلّطهم إلهُ الخلق لـ | بهم تَفْشُو المصاى والزنا |
| يكون شهادة في أهل خير | ورجساً الأولى بالشر باءوا |
| أتانا كل هذا في حديث | صحيح ما به ضعف وداء |

ومن يترك حديثاً عن نبي كما قال الفلاسفة الجفاء
فذلك ماله في العقل حظ ومن دين النبي هو البراءة
وناظمه ابن الأسيوطي يدعو بكشف الكرب إن نفع الدعاء

مسألة : في الحديث الذي ورد « لما أنزل الله (ثلة من الأولين ، وقليل من
الآخرين^(١)) بكى عمر ، وقال : يا رسول الله ، آمناً بك وصدقناك ومن ينجم منا قليل؟
فأنزل الله : (ثلة من الأولين ، وثلثة من الآخرين^(٢)) فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عمر
فقال : لقد أنزل الله فيما قلت ، فقال عمر : رضينا عن ربنا وتصديق نبينا ، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم : من آدم إلينا ثلة ، ومنى إلى يوم القيامة ثلة ، فلا يستمها
إلا سودان من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله .

الجواب : هذا الحديث أورده الواحدى في أسباب النزول مقطوعاً هكذا بلا
إسناد ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن عروة بن رويم مرفوعاً مرسلًا .
ووصله ابن عساكر في تاريخ دمشق ؛ فأخرجه من طريق هشام بن عمار عن
عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، قال : لما نزلت : (إذا وقعت الواقعة) ذكر فيها (ثلة من الأولين ، وقليل
من الآخرين^(١)) قال عمر : يا رسول الله ، ثلة من الأولين وقليل منا؟ قال : فأمسك
آخر السورة ، ثم نزل (ثلة من الأولين ، وثلثة من الآخرين^(٢)) فقال النبي صلى الله عليه والسلام
يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله (ثلة من الأولين ، وثلثة من الآخرين^(٣)) ألا وإن من
آدم إلى ثلة ، وأمتي ثلة ، ولن تستكمل ثلثتنا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل
ممن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له « فقلوه « بالسودان » هو جمع
أسود ، وكذلك قوله في السؤال « إلا سودان » هي التي للاستثناء ، وسودان :
جمع أسود ، وليس ثنية سود ، معرفاً كما ظن .

مسألة : فيما نقله الإمام الغزالي في « الدرة الفاخرة ، في كشف علوم الآخرة »

(١) الآيات ١٣ و ١٤ من سورة الواقعة (٢) الآيات ٣٩ و ٤٠ من سورة الواقعة

من فتنة الموت ، وذلك أن إبليس لعنه الله وَكَّلَ أَعْوَانَهُ واستعملهم بالميت فيأتونه على صفة أَبِيهِ عَلَى صفة اليهودية ، فيقولان له : مُتْ يهوديا ، فإن انصرف عنهم جاء أقوام آخرون على صفة النصارى ، حتى يعرض عليه عقائد كل مِلَّة ؛ فمن أراد الله هدايته أرسل إليه جبريل فيطرد الشيطان وجنده ، فيبتسم الميت ويقول : مَنْ أَنْتَ الَّذِي مَنَّْ اللهُ عَلَىَّ بِكَ فِي دَارِ غُرْبَتِي ؟ فيقول : أَنَا جَبْرِيْلُ ، وَهَؤُلَاءِ أَعْدَاؤُكَ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، مُتْ عَلَى الْمِلَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ وَالشَّرِيْعَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ ، فَمَا شِئْ أَحَبَّ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَفْرَحَ مِنْهُ بِذَلِكَ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (١) .

وقال رجل : الدرة الفاخرة موضوعة على الغزالي ، وليس لها محل من الإحياء ، وإن جبريل لم ينزل إلى الأرض بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتج له بحديث رواه عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا محمد ، ربك يقرئك السلام ، ويقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا أمين الله وجمعا ، مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ قال : مَلَكُ الْمَوْتِ ، وَهَذَا آخِرُ عَهْدِي بِالْدُنْيَا بِعَدِكَ وَآخِرُ عَهْدِكَ بِهَا ، وَلَنْ آسَى عَلَى شَيْءٍ هَالِكٍ مِنْ بَنِي آدَمَ بِعَدِكَ ، وَلَنْ أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِعَدِكَ لِأَحَدٍ أَبَدًا ؛ فَهَلِ الدَّرَةُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى الْغَزَالِيِّ أَمْ لَا ؟ وَهَلِ الْحَدِيثُ الْمَعَارِضُ لَهُ صَحِيحٌ أَمْ لَا ؟ وَهَلِ جَبْرِيْلُ يَنْزِلُ لِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ عِنْدَ نَزْوِهِ مِنَ السَّمَاءِ أَمْ لَا ؟ وَهَلِ يُرَدُّ كَلَامُ الْغَزَالِيِّ بِالْحَدِيثِ الْمَعَارِضِ أَمْ لَا ؟

الجواب : أما المذكور أولا من فتنة الموت إلى آخره فلم أقف عليه في الحديث هكذا ، وإنما ورد ما يقرب منه ، فأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَحْضَرُوا مَوْتَكُمْ ، وَلَقِّنُوهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَبَشِّرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ ؛ فَإِنَّ الْحَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَحَيَّرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ مِنْ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ » وأخرج الحارث

(١) من الآية ٨ من سورة آل عمران

ابن أبي أسامة في مُسْنَدِهِ من مرسل عطاء بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « معالجة مَلَكِ الموت أشدُّ من ألف ضربة بالسيف ، وما من مؤمن يموت إلا وَكَلَّ عرقٍ منه يألم على حِدَّةٍ ، وأقرب ما يكون عدو الله منه تلك الساعة »
مرسلاً جيد الإسناد ، وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت من طريق آخر مُرْسِلاً نحوه ؛ فهذا ما وقفتُ عليه من الأحاديث الدالة على حضور الشيطان عند الموت .
وأما حضور جبريل فأخرج الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت « قلت : يا رسول الله أينام الجنب ؟ قال : ما أحبُّ أن ينام حتى يتوضأ ، إني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل » دل هذا الحديث بمفهومه على أن جبريل عليه السلام يحضر الموتى خصوصاً مَنْ كان على طهارة ، واستفدنا منه أن طهارة الجنابة كافية في حضوره ، وأنه لا يشترط طهارة الحدث الأصغر ، وأن الجنب إذا توضأ رُجِيَ له الاكتفاء بذلك وحضوره .

وأما قول مَنْ قال « إن الدرة الفاخرة موضوعة على الغزالي » فليس كما قال ، فقد نسبها إليه الأكبر : منهم القرطبي في التذكرة ، وينقل منها الصفحة والورقة بحروفها ، ومنهم خاتمة الحفاظ أبو الفضل بن حجر في تخريج أحاديث الشرح الكبير ، نعم الدرة الموجودة الآن مشتملة على ألفاظ ركيكة ، وأشياء غير مستقيمة الإعراب ، والذي يظهر أن ذلك من تغيير النساخ ؛ لكثرة تداول أيدي العوام عليها ، فزادوا فيها ونقصوا وحرفوا وغيروا ، وقد نقل الحفاظ ابن حجر في التخريج عنها شيئاً ليس موجوداً فيها الآن ، فكأنه مما أسقطه النساخ ، وقد أمليتُ عليها تخريجاً في خمسين مجلساً في سنة أربع وسبعين حررت فيه ما وقع فيها من الأحاديث والآثار وبينت ماله أصل ومالا أصل له .

وأما حديث الوفاة وقول جبريل « هذا آخر وطئتي بالأرض » فضعيف جداً ، ولو صح لم يكن فيه معارضة ؛ لأنه يحمل على آخر عهده بإنزال الوحي .

وأما نزوله ليلة القدر مع الملائكة فذكره جماعة من المفسرين في قوله تعالى :

(تنزل الملائكة والروح فيها) قالوا : المراد بالروح جبريل ، وروى فيه من حديث أنس مرفوعاً « إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كِبْكَبَةٍ^(١) من السماء يُصَلِّونَ ويسلمون على كل قائم أو قاعد يذكر الله تعالى » .

وأما نزوله على عيسى عليه السلام فأخرج مسلم في صحيحه من حديث النوفاس ابن سَمْعَانَ قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، فذكر الحديث في قصة الدجال ونزول عيسى وقتله إياه ، قال : « فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجتُ عباداً لي لا يدان لأحد في قتالهم فخرز عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوج ومأجوج » الحديث ، فقوله « أوحى الله إلى عيسى » ظاهرٌ في نزول جبريل إليه .

وأما قوله « وهل يرد كلام الغزالي بالحديث المعارض » ؟ فقد تبين أنه لامعارضة لعدم صحة الحديث أصلاً ، ثم بحمله على ما ذكرناه كما تقدم .

مسألة : ما معنى قوله « ولا ينفع ذا الجدِّ منك الجدُّ » ؟

الجواب : الجدُّ - بفتح الجيم - على الصحيح المشهور ، ومعناه فيما ذكر الخطابي الغنى ، وفيما ذكر غيره الحظ ، قال الخطابي : و (من) هنا بمعنى البدل ، والمعنى لا ينفع صاحب الغنى غناه بذلك ، وقال الجوهري في الصحاح : (منك) هنا بمعنى عندك ، أي لا ينفع ذا الغنى عندك غناه ، إنما ينفعه العملُ الصالح ، وقال ابن التين : الصحيحُ عندي أنها ليست بمعنى البدل ، ولا بمعنى عند ، بل هو كما تقول : لا ينفعك مني شيء ، إن أنا أردتُك بسوء ، وأوضحه ابنُ دقيق العيد ، فقال : ينفع هنا قد ضمن معنى يمنع وما قاربه ، و (من) متعلق به بهذا الاعتبار ، ولا يجوز تعلقه بالجد ؛ لأنَّ الجد منه تعالى نافع ، انتهى ، وعلى هذا (فن) للتعدي ، أو لابتداء الناية ، ومن الغريب ما حكاه الراغب أن المراد بالجد هنا أبو الأب ، أي لا ينفع أحداً نسبه ، وأغربُ منه ما حكاه القرطبي عن أبي عمرو الشيباني أنه الجد -

(١) الككبكة هي بالضم وبالفتح : الجماعة المتضامة من الناس وغيرهم ، كما في النهاية .

بكسر الجيم - وأن معناه لا ينفع إذا الاجتهاد اجتهاده ، وأنكره الطبري ، ووجه القزاز إنكاره بأن الاجتهاد في العمل نافع ؛ لأن الله قد دعا الخلق إلى ذلك ، فكيف لا ينفع عنده ؟ قال : ويحتمل أن يكون المراد الاجتهاد في طلب الدنيا وتضييع أمر الآخرة ، وقال غيره : لعل المراد أنه لا ينفع بمجرد ما لم يقارنه القبول ، وذلك لا يكون إلا بفضل الله ورحمته ، كما ورد « لن يدخل أحدكم الجنة عمله » وقيل : المراد على رواية الكسر السعي التام في الحرص أو الإسراع في الهرب ، قال النووي : الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه بالفتح ، وهو الحظ في الدنيا بالمال أو الولد أو العظمة أو السلطان ، والمعنى لا ينجيه حظه منك ، وإنما ينجيه فضلك ورحمتك .

مسألة :

ماذا الجواب من البحر المفيد لنا
عند الحوادث إن قال الأكبر لا
في الكاس والطاس والساقى وشاربهم
أعني به العالم المعروف نسبتة
في سقيه من حميا كاس خمرته
وأهل مكة قالوا في سؤالهم
قبيل خلق السما والأرض أين ثوى
أجابهم في عماء كان وهو كذا
ومن توالد مختونا وعدتهم
بالفضل منك أجيب هذا السؤال بدا
بين الأكبر ، لكن لاجواب لهم
وحاز كل فخار بالعلوم ، وقد

في مشكل ، وإليه يهزغ البشر ؟
نفني ، وقصر منهم من له نظر ؟
وفي النديم وقول قاله عمر
لفارض قبره بالسحب منهم
ما الصفو ما سقيه ما الكاس ما الخمر ؟
بالحاشي المصطفى لما له حضروا
إليك الحق يا مختار ياطهر ؟
ما هو العماء ؟ وما معناه يا مهر ؟
في الأنبياء سوى طاه ؟ وهل حصروا ؟
قدماً تصويره بالنقل مشتهر
عليه ، يا عالماً ألفاظه درر
أضحت به مصر تزهو ثم تفتخر

الجواب : أما قول ولي الله الشيخ [العارف بالله تعالى] عمر بن الفارض

فلا تتكلم عليه ، بل مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَاهُ فَلْيَجْمَعْ جُوعَهُ وَيَسْهَرْ سَهْرَهُ
يعرف معناه .

وأما الحديث فهو من المتشابه الذي لا يُخَاضُ فِي مَعْنَاهُ ، قال أبو عبيد في غريب
الحديث : لا نَدْرِي كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ الْعَمَاءُ ، وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ أَمْرٍ لَا تَدْرِكُهُ عَقُولُ
بَنِي آدَمَ ، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَهُ الْوَصْفُ وَالْفُطْنُ ، وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : نَحْنُ نُوْمِنُ بِهِ
وَلَا نَكَيِّفُهُ بِصِفَةٍ .

وأما من خلق نختونا من الأنبياء فسبعة عشر : آدم ، وشيث ، وإدريس ،
ونوح ، وسام ، ولوط ، ويوسف ، وموسى ، وشعيب ، وسليمان ، وهود ، وصالح ،
وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وحنظلة بن صفوان ، وخاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مسألة : هل وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اللَّهُمَّ مَنْ دَعَاكَ
عَلَيْهِ بِشَيْءٍ أَوْ سَبَّبْتَهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَاجْعَلْهُ رَحْمَةً لَهُ » وما التوفيقُ بينه وبين قوله
صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقِ اللَّهُمَّ
عَلَيْهِ » فإنه ينفحل ويؤول إلى الدعاء لهم لا عليهم ، وهو لا يدعو لمن يؤذى المسلمين
ويشقى عليهم ؟!

الجواب : الحديث صحيحٌ أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ بِلَفْظِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ
عَهْدًا أَنْ لَا تُخَلِّفَنِيهِ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ آذَيْتَهُ أَوْ سَبَّبْتَهُ أَوْ لَعَنْتَهُ أَوْ جَلَدْتَهُ
فَجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَصَلَاةً وَقُرْبَةً تَقْرُبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ
بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ أَنَسٍ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ إِلَى حَفْصَةَ رَجُلًا
وَقَالَ : احْتَفِظِي بِهِ ، فَغَفَلْتُ عَنْهُ وَمَضَى ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ ، فَفَرَعْتَ ، فَقَالَ : إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيُّمَا إِنْسَانٍ مِنْ أُمَّتِي
دَعَاكَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنْ يَجْعَلَهَا لَهُ مَغْفِرَةً » قَالَ ابْنُ الْقَاصِ مِنْ أَصْحَابِنَا ، وَتَبِعَهُ إِمَامُ
الْحَرَمَيْنِ : مِنْ خِصَائِصِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَجُوزُ لَهُ الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ شَاءَ بِغَيْرِ سَبَبٍ ،
وَيَكُونُ فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ .

وبهذا يعرف أنه لا تنافي بين هذا الحديث والحديث المذكور في السؤال ؛ لأن الدعاء على الوالي إذا شقَّ ونحوه دعاء بسببٍ ، فلم يدخل في ذلك الحديث ، وأيضاً فالمقصودُ بالأول الدعاء على معين وهذا على مبهم .

مسألة : « أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ ، وَلَا تَنَامُوا عَلَيْهِ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ » هل هو واردٌ ؟ وقد ذكر الشيخ نجم الدين الكبرا أن الذكر يقطع لقيات الحرام ، هل له محمل ؟ وهل هو جارٍ على القواعد أم لا ؟

الجواب : الحديث المذكور واردٌ ، أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط ، وابن السني في عمل يوم وليلة ، من حديث عائشة مرفوعاً ، وما ذكره الشيخ نجم الدين الكبرا جارٍ على القواعد ، ومحملة على لقيات يسيرة ، كما أشار إليه الشيخ بقوله « لقيات » بالتصغير يأكلها الإنسان في وقت غلبة الحرام على الدنيا كما في زماننا هذا ؛ فإن ذلك يُباح له من حيث الشرع كما نص عليه ابن عبد السلام وغيره أنه لو عمَّ الحرامُ الدنيا جاز للمسلم أن يأكل منه قدرَ القوت كما يُباحُ للمضطر أكل الميتة ، وفي معناه قيل : لو كانت الدنيا دماً عبيطاً كان قوتُ المؤمن منها حلالاً ، ومع كونه مُباحاً من حيث الشرع فإنه يورث ظلمة في القلب (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ)^(١) ؛ فالذكر ينوره ويمحق تلك الظلمة ، كما أن الدَّواء يذهب الأخلط المتولدة من الغذاء المذموم ويقطعها (إن الحسنات يذهبن السيئات)^(٢) .

مسألة : حديث « مَرَّ بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَيْتَ عَلَيْهَا خَيْرًا ، فَقَالَ : وَجَبَتْ » إلى آخره ، هل هو صحيح يعمل بظاهره ؟ وهل يكون ثناء اثنين أو أكثر موجباً للجنة أو النار بحسب الثناء ، أو العبرة بثناء الأكثر ؟

الجواب : الحديث صحيح ، والعمل بظاهره بشرط أن يكون الثناء من عدلٍ خيرٍ صالحٍ للتزكية ، كذا حمل العلماء الحديث ، وليس ثناء من ذكر موجباً لذاته ،

(١) من الآية ١٠٠ من سورة المائدة (٢) من الآية ١١٤ من سورة هود

بل علامة على ما عند الله للعبد بإخبار الصادق المصدوق ، ولا يحتاج إلى ثناء الأكثر ، بل ثناء الاثنين كافٍ ، ورد به الحديث [وفي حفظي أنه ورد في بعض الطرق أنه يكفي ثناء الواحد أيضاً ، ولا يحضرني الآن من خَرَّجَه لأني كتبت هذه الأحرف على عَجَل] .

مسألة : فيما روى البيهقي عن أبي الضحى عن ابن عباس أنه قال في قوله تعالى : (وَمِنَ الْأَرْضِ مَثَلِينَ)^(١) قال : سبع أرضين ، في كل أرض نبي كنبيلكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيساكم ، ثم قال : إسنادُ هذا الحديث إلى ابن عباس صحيح ، إلا أني لا أعلم لأبي الضحى متابعا ، فإذا كان الأمر كذلك فهل هؤلاء المذكورون من البشر أو من الجن أو خلق آخر ؟ وهل كل واحد منهم كان مقارناً لمثله من أنبياء البشر في الزمان أم كيف الحال ؟

الجواب : هذا الحديث رواه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح الإسناد ، ورواه البيهقي في شعب الإيمان ، وقال : إسناده صحيح ، ولكنه شاذ بمرّة ، وهذا الكلام من البيهقي في غاية الحسن ؛ فإنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن كما تقرّر في علوم الحديث ؛ لاحتمال أن يصح الإسناد ، ويكون في المتن شذوذ أو علة تمنع صحته ، وإذا تبين ضعف الحديث أغنى ذلك عن تأويله ؛ لأن مثل هذا المقام لا تُقبَل فيه الأحاديث الضعيفة ، ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذُر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ، ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه .

مسألة : هل تنام الملائكة ؟

الجواب : ظاهر قوله تعالى : (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ)^(٢) أنهم لا ينامون ، ثم رأيت في الحديث ما يشهد لذلك ، قال ابن عساكر في تاريخه : أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين وأبو طاهر محمد بن الحسين قالا : أنا أبو علي

(١) من الآية ١٢ من سورة الطلاق (٢) من الآية ٢٠ من سورة الأنبياء

الأهوازي ثنا عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر ثنا أبو الفتح المظفر بن أحمد بن برهان المقرئ ثنا أبو بكر محمد بن أيوب الداراني ثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني ثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علق قال : سمعتُ عمرو بن رؤيم اللخمي يقول : حدثني أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة قالوا : رَبَّنَا خَلَقْتَنَا وَخَلَقْتَ بَنِي آدَمَ ؛ فَجَعَلْتَهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَشْرَبُونَ الشَّرَابَ وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ وَيَأْتُونَ النِّسَاءَ وَيَرْكَبُونَ الدُّوَابَّ وَيَنَامُونَ وَيَسْتَرِيحُونَ ، وَلَمْ تَجْعَلْ لَنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَاجْعَلْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةَ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : لَا أَجْعَلُ مَنْ خَلَقْتَهُ بِيَدَيَّ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي كَنْ قَاتَ لَهُ كَنْ فَكَانَ »

مسألة : هل ورد في الدعاء المأثور « اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك » .

الجواب : أخرج الطبراني عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عباس يدعو ، فذكره ، ولم أقف عليه مرفوعاً .

مسألة : هل ورد في تسريح اللحية شيء ؟ وهل يقرأ عند تسريحها شيئاً ؟ .

الجواب : ورد في تسريح اللحية أحاديث :

أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن سهل بن سعد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر [القناع ، يعني] التَّطْيِئُ ، ويكثر دهن رأسه ، ويسرح لحيته بالماء . وأخرج الترمذي في الشمائل من حديث أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته » .

وأخرج الخطيب في الجامع من حديث الحسن مرسلًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يسرح لحيته بالمشط »

وأما القراءة عند تسريحها فلم يرد في ذلك حديث ولا أثر .

مسألة : في حديث « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَفْظَةَ أَنْ

لا تكتب عليه سيئة ثلاثة أيام « هل ورد ؟ .
الجواب : لم أقف على هذا الحديث في شيء من الكتب المعتبرة .

إعمال الفكر ، في فضل الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : في الذكر والتسبيح والدعاء ، هل هو معادل للصدقة ويقوم مقامها في دفع البلاء ؟ .

الجواب : الأحاديث والآثار صريحة في ذلك ، وفي تفضيله على الصدقة ، وأما كونه سبباً لدفع البلاء ، فهو أمر لا مزية فيه ، فقد وردت أحاديث لا تحصى في أذكار مخصوصة من قالها عَصِمَ من البلاء ومن الشيطان ومن الضر ومن السم ومن لدغة العقرب ومن أن يصيبه شيء يكرهه ، وكتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي مشحون بذلك ، وكذا كتاب الدعاء للطبراني والبيهقي ؛ فلا معنى للاطالة بذلك ، وقد صح في « لا حول ولا قوة إلا بالله » أنها تدفع سبعين باباً من الضر أدناها الفقر ، وفي رواية « أدناها الهم » .

وأخرج الحاكم - وصححه - عن ثوبان مرفوعاً « لا يردُّ القدرَ إلا الدعاء » .
وأخرج الحاكم أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً « الدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيملاقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » وأخرج مثله من حديث ابن عمر .

وأخرج أبو داود وغيره عن ابن عباس مرفوعاً « مَنْ لَزِمَ الاستغفار جعل اللهُ له من كلِّ فرَجٍ ، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب » .
وأخرج ابن أبي شيبة عن سويد بن جميل قال : مَنْ قال بعد العصر لا إلهَ إلا اللهُ له الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قدير قاتلن عن قاتلن إلى مثلها من القدر .

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده من طريق الزهري قال : أتى أبو بكر الصديق بغير آب وافر الجناحين ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماصيد صيد ولا عضدت عضاه ولا قطعت وشيجة^(١) إلا بقلّة التسييح ، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة من طريق ابن عون بن مهران عن أبي بكر موقوفاً ، وأخرج أبو نعيم في الحلية مثله من حديث أبي هريرة ، وأبو الشيخ في العظمة نحوه من حديث أبي الدرداء مرفوعاً « ما أخذ طائرٌ ولا حوتٌ إلا بتضييع التسييح » ، ومن حديث أنس مرفوعاً « آجال البهائم كلها وخشاش الأرض في التسييح ، فإذا انقضى تسييحها قبض الله أرواحها » ومن حديث يزيد بن مرثد مرفوعاً « لا يُصاد شيء من الطير والحيتان إلا بما يضيع من تسييح الله » .

وأما تفضيل الذكر على الصدقة ففيه أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة :
 فمن الموقوفة ما أخرجه الحاكم والترمذي عن أبي الدرداء مرفوعاً « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله » .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سئل أيُّ العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذّاكرون الله كثيراً ، قلت : يا رسول الله ومن الغازی فی سبیل الله ؟ قال : لو ضربَ بسيفه فی الكفار والمشرکین حتی ینکسر ویختضب دماً لکان الذّاكرون الله أفضل منه درجة » .

وأخرج الحاكم عن البراء مرفوعاً « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، فهو كعتق نسمة » .

(١) الوشيجة - بالجيم - أصله ما التف من الشجر .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان من طريق أنس مرفوعاً « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله منذ صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحبُّ إلىَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل » ، ففي هذين عدل الذكر بالعتق وتفضيله عليه .

ومن الموقوفات : أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود قال : « لأن أسبِّح تسبيحات أحبُّ إلىَّ من أن أنفق بعدد دنانير في سبيل الله » .
وأخرج عنه قال : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحبُّ إلىَّ من أن أتصدق بعددها دنانير » .

وأخرج عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : « لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحبُّ إلىَّ من أن أحمل على عدتها من خيل بأرسانها » .

وأخرج عن ابن عمر قال : « ذكركم الله بالغداة والعشيَّ أعظمُ من حطم السيوف في سبيل الله وإعطاء المال سحاً » .

وأخرج عن أبي الدرداء قال : « لأن أسبِّح مائة تسبيحة أحبُّ إلىَّ من أن أتصدق بمائة دينارٍ على المساكين » .

وأخرج عن معاذ بن جبل قال : « لو أن رجلين أحدهما يحمل على الجياد في سبيل الله والآخر يذكر الله ، لكان الذكر أعظمَ وأفضل أجراً » .

وأخرج عنه قال : « لأن أذكر الله من غدوة حتى تطلع الشمس أحبُّ إلىَّ من [أن] أحمل على الجياد في سبيل الله » .

وأخرج عن عبادة بن الصامت مثله .

وأخرج عن سلمان الفارسي قال : « لو بات رجل يعطى القيان البيض ، وبات آخر يقرأ القرآن أو يذكر الله ، لرأيت أن ذاكر الله أفضل » .

وأخرج عن ابن عمرو قال : « لو أن رجلين أقبل أحدهما من المشرق والآخر من المغرب مع أحدهما ذهبٌ لا يضع منه شيئاً إلا في حق والآخر يذكر الله حتى

~~6676~~ 86276

يلتقيا في طريق كان الذي يذكر الله أفضلهما .

فهؤلاء سبع صحابة صرّحوا بتفضيل الذكر على الصدقة .

ومن أقوال غير الصحابة : أخرج ابن أبي شيبة عن أبي الأحوص قال :

« لتسبيحة في طلب حاجة خير من لقوح صفي^(١) في عام أزبة أولزبة^(٢) » .

وأخرج عن أبي بردة قال : « لو أن رجلين أحدهما في حجره دنانير يعطيها

والآخر يذكر الله كان ذاكر الله أفضل » .

والآثار في هذا المعنى كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

ومما استدلّ به على تفضيل الذكر على سائر العبادات أنه لم يرخص في تركه في

حال من الأحوال ، أخرج ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال : افترض الله ذكره

عند أشغل ما تكونوا^(٣) ، عند الضراب بالسيوف ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا إذا

لقيم فئة فائبتوا ، واذكروا الله كثيراً ، لعلكم تفلحون)^(٤) والله أعلم .

نتيجة الفكر ، في الجهر في الذكر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، سألت - أكرمك الله - عما

اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر ، والجهر به في المساجد ، ورفع الصوت بالتهليل

وهل ذلك مكروه أم لا ؟

الجواب : إنه لا كراهة في شيء من ذلك ، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب

الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به ، والجمع بينهما أن ذلك

(١) الصفي : الناقة الغزيرة اللبن ، وكذلك الشاة

(٢) أي : شدة وجذب ومحل ، كما في النهاية .

(٣) كذا ، ومن حق العربية « ماتكونون » .

(٤) من الآية ٤٥ من سورة الأنفال

يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن [والأحاديث] الواردة باستحباب الإسرار بها، وها أنا أبين ذلك فصلاً فصلاً .

ذكر الأحاديث الدالة على استحباب الجهر بالذكر تصريحاً أو التزاماً
الحديث الأول : أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهز .

الحديث الثاني : أخرج البزار والحاكم في المستدرک وصححه عن جابر قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أيها الناس ، إن لله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض ، قارنوا في رياض الجنة ، قالوا : وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ؛ فأغدوا وروحوا في ذكر الله . »
الحديث الثالث : أخرج مسلم والحاكم — واللفظ له — عن أبي هريرة قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إن لله ملائكة سائرة وفضلاء يلتمسون مجالس الذكر في الأرض ، فإذا أتوا على مجلس ذكر حَفَّ بعضهم بعضاً بأجنحتهم إلى السماء ، فيقول الله : من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك يسبحونك ويكبرونك ويمجدونك ويهللونك ويسألونك ويستجيرونك ، فيقول : ما يسألون ؟ وهو أعلم ، فيقولون : يسألونك الجنة ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا يا رب ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ثم يقول : ومم يستجيرونني ؟ وهو أعلم بهم ، فيقولون : من النار ، فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ثم يقول : اشهدوا أني قد غفرت لهم ، وأعطيتهم ما سألوني ، وأجرتهم مما استجاروني ، فيقولون : ربنا إن فيهم عبداً خطاء جلس إليهم وليس منهم ، فيقول : وهو أيضاً ، قد غفرت له ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم . »

الحديث الرابع : أخرج مسلم والترمذى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما قالا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « ما من قوم يذكرون الله إلا حَفَّتْهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده . »

الحديث الخامس : أخرج مسلم والترمذى عن معاوية « أن النبي عليه الصلاة والسلام خَرَجَ على حلقة من أصحابه ، فقال : ما يُجَلِّسُكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده ، فقال : إنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهى بكم الملائكة . »

الحديث السادس : أخرج الحاكم وصححه والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون . »

الحديث السابع : أخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن أبي الجوزاء رضى الله عنه ، قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون إنكم مرءون » مرسل .

ووجه الدلالة من هذا والذي قبله أن هذا إنما يقال عند الجهر دون الإسرار .
الحديث الثامن : أخرج البيهقى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا مررتُم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر . »

الحديث التاسع : أخرج بقى بن مخلد عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم « مرَّ بمجلسين أحدهما يجلسون يدعون الله ويرغبون إليه ، والآخر يعلمون العلم ، فقال : كلا المجلسين خير ، وأحدهما أفضل من الآخر . »

الحديث العاشر : أخرج البيهقى عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله إلا ناداهم من السماء : قوموا مغفوراً لكم ، قد بدت سيئاتكم حسنات . »

الحديث الحادى عشر : أخرج البيهقى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الربُّ تعالى يوم القيامة : سَيُعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ الْيَوْمَ مِنْ أَهْلِ الْكَرَمِ ، فَقِيلَ : وَمَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَجَالِسُ الذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ .

الحديث الثانى عشر : أخرج البيهقى عن ابن مسعود قال : إن الجبل لَيَنَادِي الْجَبَلَ بِاسْمِهِ : يَا فُلَانُ هَلْ مَرَّ بِكَ الْيَوْمَ اللَّهُ ذَاكِرًا ؟ فَإِنْ قَالَ نَعَمْ اسْتَبْشِرْ ، ثُمَّ قَرَأْ عَبْدَ اللَّهِ (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ) الْآيَةَ ، وَقَالَ : أَسْمَعُونَ الزُّورَ وَلَا يَسْمَعُونَ الْخَيْرَ .

الحديث الثالث عشر : أخرج ابن جرير فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) قَالَ : إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ بَكَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ الْمَوْضِعُ الَّذِى كَانَ يَصَلِّى فِيهِ وَيَذْكُرُ اللَّهَ فِيهِ .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى عبيد قال : إِنْ الْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ نَادَتْ بِقَاعُ الْأَرْضِ : عَبْدُ اللَّهِ الْمُؤْمِنُ مَاتَ ، فَتَبْكِي الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ ، فَيَقُولُ الرَّحْمَنُ : مَا يَبْكِيكَمَا عَلَى عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا لَمْ يَمْشِ فِي نَاحِيَةِ مَنَاقِطٍ إِلَّا وَهُوَ يَذْكُرُكَ .

وجه الدلالة من ذلك أن سماع الجبال والأرض للذكر لا يكون إلا عن الجهر به .

الحديث الرابع عشر : أخرج البزار والبيهقى بسند صحيح عن ابن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : عَبْدِي إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتِكَ خَالِيًا ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأْ ذَكَرْتِكَ فِي مَلَأْ خَيْرٍ مِنْهُمْ وَأَكْثَرُ » .

الحديث الخامس عشر : أخرج البيهقى عن زيد بن أسلم قال : قَالَ ابْنُ الْأَدْرِعِ « انْطَلَقْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً ، فَمَرَّ بِرَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ يَرْفَعُ صَوْتَهُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا مُرَائِيًا ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنَّهُ أَوَّاهٌ » .

وأخرج البيهقى عن عقبه بن عامر « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ يُقَالُ لَهُ ذُو الْبَجَادِينَ ^(۱) : إِنَّهُ أَوَّاهٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَذْكُرُ اللَّهَ » .

(۱) اسمه عبد الله بن عبد نهم

وأخرج البيهقي عن جابر بن عبد الله أن رجلا كان يرفع صوته بالذكر ، فقال رجل : لو أن هذا خَفَضَ من صوته ، فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « دَعَهُ فَإِنَّهُ أَوْاهٌ » .

الحديث السادس عشر : أخرج الحاكم عن شداد بن أوس قال : « إِنَّا لَمَعِنَدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ : ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، ففعلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ، ثُمَّ قَالَ : أَبَشِّرُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكُمْ » .

الحديث السابع عشر : أخرج البزار عن أنس عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إِنْ لَمْ يَسَيَّرْهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَطْلُبُونَ حَلَقَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ حَفُّوا بِهِمْ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : غَشُّوهُمْ بِرَحْمَتِي ؛ فَهَمَّ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » .

الحديث الثامن عشر : أخرج الطبراني وابن جرير عن عبد الرحمن بن سهل ابن حنيف قال : نَزَّاتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَعْضِ أَبِيَاتِهِ (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ^(١)) الْآيَةَ ، فَخَرَجَ يَلْتَمِسُهُمْ ، فَوَجَدَ قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى ، مِنْهُمْ ثَائِرُ الرَّأْسِ وَجَافُ الْجِلْدِ وَذُو الثَّوْبِ الْوَاحِدِ ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ جَلَسَ مَعَهُمْ ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرَنِي أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ » .

الحديث التاسع عشر : أخرج الإمام أحمد في الزهد عن ثابت قال : « كَانَ سَلْمَانٌ فِي عَصَابَةٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ، فَمَرَّ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَكَفُّوا ، فَقَالَ : مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ ؟ قُلْنَا : نَذْكُرُ اللَّهَ ، قَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ الرَّحْمَةَ تَنْزِلُ عَلَيْكُمْ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَشَارَكَكُمْ فِيهَا ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أَمَرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ » .

الحديث العشرون : أخرج الأصبهاني في الترغيب عن أبي رزين العقيلي

(١) مِنَ الْآيَةِ ٢٧ مِنْ سُورَةِ السَّكْفِ

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : ألا أدُلُّكَ على مِلاكِ الأمر الذي تصيب به خَيْرِي الدنيا والآخرة ؟ قال : بلى ، قال : عليك بمجالس الذكر ، وإذا خلوتَ فحرك لسانك بذكر الله . »

الحديث الحادى والعشرون : أخرج ابن أبي الدنيا والبيهقى والأصبهاني عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أجلسَ مع قومٍ يذكرون الله بعد صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس أحبُّ إلى مما طلعت عليه الشمس ، ولأن أجلس مع قومٍ يذكرون الله بعد العصر إلى أن تغيب الشمس أحبُّ إلى من الدنيا وما فيها . »

الحديث الثانى والعشرون : أخرج الشيخان عن ابن عباس قال : إن رَفَعَ الصوت بالذكر حين ينصرف الناسُ من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن عباس : كيف أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته

الحديث الثالث والعشرون : أخرج الحاكم عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مَنْ دخل السوقَ فقال لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير كَتَبَ اللهُ له ألف ألف حسنة ، ونَحَا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى له بيتا فى الجنة « وفى بعض طرقه « فنادى »

الحديث الرابع والعشرون : أخرج أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنسائى وابن ماجه عن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جاءنى جبريلُ فقال : مرُّ أصحابك يرفعوا أصواتهم بالتكبير »

الحديث الخامس والعشرون : أخرج المروزى فى كتاب العيدين عن مجاهد أن عبد الله بن عمر وأبا هريرة كانا يأتیان السوقَ أيام العشر فيكبران ، لا يأتیان السوقَ إلا لذلك .

وأخرج أيضاً عن عبيد بن عمير قال : كان عمر يكبر فى قبته ، فيكبر أهل المسجد ، فيكبر أهل السوق ، حتى ترَجَّجَ منى تكبيراً .

وأخرج أيضاً عن ميمون بن مهران قال : أدركتُ الناسَ وإنهم ليكبرون

في العشر حتى كنت أشبهها بالأمواج من كثرتها .
 فصل : إذا تأملت ما أوردنا من الأحاديث عرفت من جموعها أنه لا كراهة البتة
 في الجهر بالذكر ، بل فيه ما يدل على استحبابه ، إما صريحاً أو التزاماً كما أشرنا إليه .
 وأما معارضته بحديث « خير الذكر الخفي » فهو نظير معارضة أحاديث الجهر
 بالقرآن بحديث « المسرُّ بالقرآن كالمسرِّ بالصدقة » وقد جمع النووي بينهما بأن الإخفاء
 أفضل حيث خاف الرياء أو تأذى به مصلون أو نيام ، والجهر أفضل في غير ذلك ؛ لأن
 العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته تتعدى إلى السامعين ، ولأنه يوقظ قلب القارئ ،
 ويجمع همه إلى الفكر ، ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ، ويزيد في النشاط .
 وقال بعضهم : يستحب الجهر ببعض القراءة والإسراء ببعضها ؛ لأن المسر قد
 يمل فيأنس بالجهر ، والجاهر قد يكل فيسترىح بالإسراء ، انتهى .
 وكذلك نقول في الذكر على هذا التفصيل ، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث .
 فإن قلت : قال الله تعالى : (وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ، وَدُونَ
 الجهر من القول)^(١) .

قلت : الجواب عن هذه الآية من ثلاثة أوجه :

الأول : أنها مكية كآية الإسراء (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا)^(٢) وقد
 نزلت حين كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهرُ بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبُّون
 القرآن ومن أنزله ، فأمر بترك الجهر سداً للذريعة ، كما نهى عن سب الأصنام
 لذلك في قوله تعالى : (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ
 علم)^(٣) وقد زال هذا المعنى ، وأشار إلى ذلك ابن كثير في تفسيره .

الثاني : أن جماعة من المفسرين - منهم عبد الرحمن بن زيد بن أسلم شيخ
 مالك وابن جرير - حملوا الآية على الذكر حال قراءة القرآن وإنه أمر له بالذكر

(١) من الآية ٢٠٥ من سورة الأعراف (٢) من الآية ١١٠ من سورة الإسراء

(٣) من الآية ١٠٨ من سورة الأنعام

على هذه الصفة تعظيماً للقرآن أن تُرْفَعَ عنده الأصوات ، ويقويه اتصالها بقوله :
(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) ^(١) .

قلت : وكانه لما أمر بالإصنات خشي من ذلك الإخلادَ إلى البطالة ، فنبه على أنه وإن كان مأموراً بالسكوت باللسان إلا أن تكليف الذكر بالقلب باقٍ حتى لا يغفل عن ذكر الله ، ولذا ختم الآية بقوله : (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) ^(١) .

الثالث : ما ذكره الصوفية أن الأمر في الآية خاصٌ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الكامل المكمل ، وأما غيره ممن هو محل الوسوس والخواطر الرديئة فمأمورٌ بالجهر؛ لأنه أشد تأثيراً في دفعها .

قلت : ويؤيده من الحديث ما أخرجه البزار عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى مِنْكُمْ بِاللَّيْلِ فَلْيَجْهَرْ بِقِرَاءَتِهِ ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي بِصَلَاتِهِ وَتَسْمَعُ لِقِرَاءَتِهِ ، وَإِنْ مَثُومِي الْجَنِّ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي الْمَوَاءِ وَجِيرَانِهِ مَعَهُ فِي مَسْكَنِهِ يَصَلُونَ بِصَلَاتِهِ وَيَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَإِنَّهُ يَنْطَرِدُ بِجَهْرِهِ بِقِرَاءَتِهِ عَنْ دَارِهِ وَعَنِ الدُّورِ الَّتِي حَوْلَهُ فَسَاقُ الْجَنِّ وَمَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ » .

فإن قلت : فقد قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) ^(٢) وقد فسر الاعتداء بالجهر في الدعاء .

قلت : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أن الراجح في تفسيره أنه تجاوزُ الأمور به أو اختراعُ دعوةٍ لأصل لها في الشرع ، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه والحاكم في مستدرکه وصححه عن أبي نعامة رضي الله عنه أن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول : اللهم إني أسألك القصر الأبيضَ عن يمين الجنة ، فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون في هذه الأمة قوم يعتقدون في الدعاء ، فهذا تفسير صحابي ، وهو أعلم بالمراد .

الثاني : على تقدير التسليم فالآية في الدعاء لافي الذكر ، والدعاء بخصوصه

(١) من الآية ٢٠٤ من سورة الأعراف (٢) من الآية ٥٥ من سورة الأعراف

الأفضل فيه الإسرار ؛ لأنه أقرب إلى الإجابة ، ولذا قال تعالى : (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا^(١)) ومن ثم استحب الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقاً ؛ لأنها دعاء .
فإن قلت : فقد نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوماً يهتلون برفع الصوت في المسجد ، فقال : ما أراكم إلا مبتدعين ، حتى أخرجهم من المسجد .
قلت : هذا الأثر عن ابن مسعود يحتاج إلى بيان سنده ومن أخرجه من الأئمة الحُفَظ في كتبهم ، وعلى تقدير ثبوته فهو مُعارض بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة وهي مُقدّمة عليه عند التعارض ، ثم رأيت ما يقتضى إنكار ذلك عن ابن مسعود ، قال الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد : ثنا حسين بن محمد ثنا المسعودي عن عامر بن شقيق عن أبي وائل قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان ينهى عن الذكر ما جأستُ عبد الله مجلساً قط إلا ذكر الله فيه ، وأخرج أحمد في الزهد عن ثابت البناني قال : إن أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله ، وإن عليهم من الأئمة أمثال الجبال ، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء .

الدر المنظم ، في الاسم الأعظم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له الأسماء الحسنى والصفات العليا ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بالشفاعة العظمى ، وعلى آله وصحبه ذرى المقام الأسنى .
وبعد ، فقد سئلت عن الاسم الأعظم وما ورد فيه ، فأردت أن أتبع ماورد فيه من الأحاديث والآثار والأقوال ، فقلت : في الاسم الأعظم أقوال :
الأول : أنه لا وجود له ، بمعنى أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة ، لا يجوز تفضيل بعضها على بعض ، ذهب إلى ذلك قوم منهم أبو جعفر الطبري وأبو الحسن الأشعري وأبو حاتم بن حبان والقاضي أبو بكر الباقلاني ، ونحوه قول مالك وغيره : لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ، وحمّل هؤلاء ماورد من ذكر الاسم الأعظم على أن المراد به العظيم ،

(١) من الآية ٣ من سورة مريم

وعبارة الطبری : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم ، والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة ؛ إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ، ولا شيء أعظم منه ، فكانه تعالى يقول : كل اسم من أسماء يجوز وصفه بكونه أعظم ، فيرجع إلى معنى عظيم ، وقال ابن حبان : الأعظمية الواردة في الأخبار المراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك ، كما أطلق ذلك في القرآن ، والمراد به مزيد ثواب الداعي والقارىء .

القول الثاني : أنه مما استأثر الله بعلمه ، ولم يُطّلع عليه أحدا من خلقه ، كما قيل بذلك في ليلة القدر ، وفي ساعة الإجابة ، وفي الصلاة الوُسْطَى .

القول الثالث : أنه (هو) نقله الإمام فخر الدين عن بعض أهل الكشف ، واحتج له بأن مَنْ أراد أن يعبر عن كلام عظيم بحضرة لم يقل أنت قلت كذا وإنما يقول هو ، تأديبا معه .

القول الرابع : (الله) لأنه اسم لم يُطلق على غيره ، ولأنه الأصل في الأسماء الحسنى ، ومن ثم أضيفت إليه ، قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا الحسن بن محمد ابن الصباح حدثنا إسماعيل بن عليّة عن أبي رجاء حدثني رجل عن جابر بن عبد الله ابن زيد أنه قال : اسمُ الله الأعظم هو الله ، ألم تسمع أنه يقول : (هوَ الله الذي لا إلهَ إلا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم) وقال ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء : حدثنا إسحاق بن إسماعيل عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال : قال الشعبي : اسمُ الله الأعظم يا الله .

القول الخامس : (الله الرحمن الرحيم) قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : وأعلّ مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعلمها الاسمَ الأعظم ، فلم يفعل ، فصَلَّت ودَعَت : اللهم إني أدعوكَ الله ، وأدعوكَ الرحمن ، وأدعوكَ الرحيم ، وأدعوكَ بأسمائك الحسنى كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم — الحديث ، وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال لها : إنه لفي الأسماء التي دَعَوْتَ بها ، قال : وسنَدُه ضعيف ، وفي الاستدلال به نظر ، انتهى .

قلت : أقوى منه في الاستدلال ما أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس أن عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال : هو اسم من أسماء الله تعالى ، وما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب ، وفي مسند الفردوس للديلمي من حديث ابن عباس مرفوعاً اسمُ الله الأعظم في ستِّ آيات من آخر سورة الحشر .

القول السادس : (الرحمن الرحيم الحى القيوم) لحديث الترمذى وغيره عن أسماء بنت يزيد أنه عليه الصلاة والسلام قال : « اسمُ الله الأعظم في هاتين الآيتين (وإلهكم إلهٌ واحد ، لا إلهَ إلا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران (الله لا إلهَ إلا هو الحى القيوم) » .

القول السابع : (الحى القيوم) لحديث ابن ماجه والحاكم عن أبي أمامة رضى الله تعالى عنه رفعه : « الاسمُ الأعظم في ثلاث سور : البقرة ، وآل عمران ، وطه » قال القاسم الراوى عن أبي أمامة : التمسته فيها فعرفت أنه الحى القيوم ، وقوّاه الفخر الرازى ، واحتجَّ بأنهما يدلان على صفات العظمة والربوبية ما لا يدل على ذلك غيرهما كدلالتهما .

القول الثامن : (الحنان المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام) لحديث أحمد وأبي داود وابن حبان والحاكم عن أنس « أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً ورجلٌ يُصَلِّي ، ثم دعا : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلهَ إلا أنت الحنان المنان بديع السموات والأرض إذا جلال والإكرام يا حى يا قيوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لقد دَعَا الله باسمه العظيم الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى » .

القول التاسع : (بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام) أخرج أبو يعلى من طريق السرى بن يحيى عن رجل من طيء - وأثنى عليه خيرا - قال : كنت أسأل الله تعالى أن يرينى الاسمَ الأعظم ، فرأيت مكتوباً فى السكواكب فى السماء :
(٣ - الحاوى ٢)

يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام .

القول العاشر : (ذو الجلال والإكرام) لحديث الترمذى عن معاذ « سمع
النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : يا ذا الجلال والإكرام ، فقال : قد استجيب
لك فسَلْ » .

وأخرج ابن جرير فى تفسير سورة النمل عن مجاهد ، قال : الاسم الذى إذا
دعى به أجاب « يا ذا الجلال والإكرام » واحتج به الفخر بأنه يشمل جميع الصفات
المعتبرة فى الإلهية ؛ لأن فى الجلال إشارة إلى جميع السلوب ، وفى الإكرام إشارة
إلى جميع الإضافات

القول الحادى عشر : (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد) لحديث أبى داود والترمذى وابن حبان^(١) والحاكم عن
يربذة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأنى
أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفواً أحد ، فقال : لقد سألت الله بالاسم الذى إذا سئل به أعطى وإذا دعى به
أجاب » وفى لفظ عند أبى داود « لقد سألت الله باسمه الأعظم » قال الحافظ ابن
حجر : وهو أرَجَحُ من حيث السند من جميع ماورد فى ذلك .

القول الثانى عشر : (ربُّ ربِّ) أخرج الحاكم عن أبى الدرداء وابن عباس
قالا : اسمُ الله الأكبر ربُّ ربِّ .

وأخرج ابن أبى الدنيا عن عائشة مرفوعاً وموقوفاً إذا قال العبد : ياربُّ ياربُّ
قال الله تعالى : لبيك عبدي سلِّ تَعْطَ .

القول الثالث عشر - ولم أدر من ذكره - (مالك الملك) أخرج الطبرانى
فى الكبير بسندٍ ضعيفٍ عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسمُ
الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب فى هذه الآية من آل عمران (قل اللهم مالك

(١) فى بعض النسخ « وابن ماجه » بدل « ابن حبان »

الملكِ توتى الملكَ من تشاء) — إلى قوله : (وترزقُ من تشاء بغير حساب) .
القول الرابع عشر : « دعوة ذى النون » لحديث النسائي والحاكم عن فضالة
ابن عبيد رفعه « دعوة ذى النون فى بطن الحوت ، (لا إلهَ إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين^(١)) لم يدعُ بها رجل مسلم قط إلا استجاب الله له » .
وأخرج ابن جرير من حديث سعد مرفوعاً « اسمُ الله الذى إذا دعى به أجاب وإذا
سئل به أعطى دَعْوَةُ يونس بن مَتَّى » .

وأخرج الحاكم عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً « ألا أدلكم على اسم الله الأعظم ؟
دعاء يونس ، فقال رجل : هل كانت ليونس خاصة ؟ فقال : ألا تسمع قوله :
(ونجيناها من الغم ، وكذلك ننجي المؤمنين^(١)) » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن كثير بن معبد قال : سألت الحسن عن اسم الله
الأعظم ، فقال : أما تقرأ القرآن ؟ قولُ ذى النون (لا إلهَ إلا أنت سبحانك إني
كنت من الظالمين^(١)) .

القول الخامس عشر : كلمة التوحيد ، نقله عياض .

القول السادس عشر : نقل الفخر الرازى عن زين العابدين أنه سأل الله أن
يعلمه الاسمَ الأعظم ، فرأى فى النوم هو الله الله الذى لا إلهَ إلا هو ربُّ
العرش العظيم .

القول السابع عشر : هو مخفى فى الأسماء الحسنى ، ويؤيده حديث عائشة
المتقدم لما دعت ببعض الأسماء [وبالأسماء] الحسنى ، فقال [لها] : إنه لفي الأسماء
التي دعوتَ بها .

القول الثامن عشر : أنه كل اسمٍ من أسمائه تعالى دعا العبدُ به ربَّه
مستغرقاً ، بحيث لا يكون فى فكره حالته غير الله ؛ فإن من دعا الله تعالى بهذه
الحالة كان قريبَ الإجابة .

(١) من الآيتين ٨٨ من سورة الأنبياء

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن أبى يزيد البسطامى أنه سأله رجل عن الاسم الأعظم ، فقال : ليس له حد محدود ، إنما هو فراغُ قلبك لوحدانيتته ، فإذا كنت كذلك فافزعْ إلى أى أسم شئت فإنك تسير به إلى المشرق والمغرب .

وأخرج أبو نعيم أيضاً عن أبى سليمان الدارانى قال : سألت بعض المشايخ عن اسم الله الأعظم ، قال : تعرف قلبك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا رأيتَهُ قد أقبل ورقٌ فسل الله حاجتك ، فذاك اسم الله الأعظم .

وأخرج أبو نعيم أيضاً عن ابن الربيع السامح أن رجلاً قال له : علمنى الاسم الأعظم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم أطع الله يُطعك كلُّ شيء .
القول التاسع عشر : (اللَّهُمَّ) حكاه الزركشى فى شرح جمع الجوامع ، واستدلّ لذلك بأن الله دال على الذات ، والميم دالة على الصفات التسعة والتسعين ، ذكره ابن مظفر ، ولهذا قال الحسن البصرى : اللهم جمع الدعاء ، وقال النضر بن شميل : مَنْ قال « اللهم » فقد دعا الله بجميع أسمائه .

القول العشرون : (أَمْ) أخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال : أَمْ هو اسم الله الأعظم .

وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : أَمْ أَسْمٌ من أسماء الله الأعظم .
وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : أَمْ قَسْمٌ أقسم الله به ، وهو من أسمائه تعالى .

المنحة ، فى السبحة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد فقد طال السؤال عن السبحة ، هل لها أصل فى السنة ؟ فجمعتُ فيها هذا الجزء ، متتبعا فيه ما ورد فيها من الأحاديث والآثار ، والله المستعان .

أخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن ابن عمرو قال : « رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيحَ بيده » .
وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والترمذي والحاكم عن بسيرة — وكانت من المهاجرات — قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكِ بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلنِ فتنسينِ التوحيد ، واعقدنِ بالأنامل ؛ فإنهنِ مسئولاتٌ ومستنطقاتٌ » .

وأخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن صفية قالت : « دخل علي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبين يديَّ أربعةُ آلافِ نواةٍ أسبحُ بهن ، فقال : ما هذا يا بنتِ حَيٍّ ؟ قلت : أسبحُ بهن ، قال : قد سبحتُ منذُ قمتُ علي رأسك أ أكثر من هذا ، قلت : علمني يا رسول الله ، قال : قولي سبحان الله عدد ما خلقَ من شيءٍ » صحيح أيضاً .

وأخرج أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن سعد بن أبي وقاصٍ « أنه دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم على امرأةٍ وبين يديها نوى — أو حصى — تسبح ، فقال : أخبرك بما هو أسر عليك من هذا وأفضل ؟ قولي : سبحان الله عدد ما خلق في السماء ، سبحان الله عدد ما خلق في الأرض ، سبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، الله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ، ولا قوة إلا بالله مثل ذلك » .

وفي جزء هلال الحفار ومعجم الصحابة للبعوى وتاريخ ابن عساكر من طريق معتمر بن سليمان عن أبي بن كعب عن جده بقية عن أبي صفية مولى النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يوضع له نطم ، ويُجاء بزنبيل فيه حصى فيسبح به إلى نصف النهار ، ثم يرفع ، فإذا صلى الأولى أتى به فيسبح به حتى يمسي .

وأخرجه الإمام أحمد في الزهد ثنا عفان ثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس

ابن عبید عن أمه قالت : رأيتُ أبا صفية - رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان جارنا - قالت : فكان يسبح بالحصي .

وأخرج ابن سعد عن حكيم بن الديلمي أن سعد بن أبي وقاص كان يسبح بالحصي .

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مولاة لسعد أن سعداً كان يسبح بالحصي ، أو النوى .

وقال ابن سعد في الطبقات : أنا عبید الله بن موسى أنا إسرائيل عن جابر عن امرأة حدثته عن فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب أنها كانت تسبح بخيط معقود فيها .

وأخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد من طريق نعيم بن محرز بن أبي هريرة عن جده أبي هريرة أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة ، فلا ينাম حتى يسبح به .

وأخرج أحمد في الزهد ثنا مسكين بن نكير أنا ثابت بن عجلان عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : كان لأبي الدرداء نوى من العجوة في كيس ، فكان إذا صلى الغداة أخرجهن واحدة واحدة يسبح بهن حتى ينفدن .

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة أنه كان يُسَبِّح بالنوى المجزع .

وقال الديلمي في مسند الفردوس : أنا عبدوس بن عبد الله أنا أبو عبد الله الحسين ابن فتحويه الثقفي ثنا علي بن محمد بن نصرويه ثنا محمد بن هرون بن عيسى بن المنصور الهاشمي حدثني محمد بن علي بن حمزة العلوي حدثني عبد الصمد بن موسى حدثني زينب بنت سليمان بن علي حدثني أم الحسن بنت جعفر بن الحسن عن أبيها عن جدها عن علي مرفوعاً « نعم المذكر السبحة » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري أنه كان يسبح بالحصي .

وأخرج من طريق أبي نضرة عن رجل من الطفاوة قال : نزلت على إبراهيم
ومعه كيس فيه حصى - أو نوى - فيسبح به حتى ينفد .

وأخرج عن زاذان قال : أخذت من أم يعفور تسابيحَ لها ، فلما أتيت علياً
قال : أزددُ على أم يعفور تسابيحها .

ثم رأيت في كتاب تحفة العباد ومصنّف متأخر عاصرَ الجلال البلقيني فضلاً
حسناً في السبحة قال فيه مانصه : قال بعض العلماء : عقْدُ التسبيح بالأنامل أفضلُ
من السبحة ، لحديث ابن عمرو ، ولكن يقال : إن المسبح إن أمنَ من الغلط كان
عقْدُه بالأنامل أفضل ، وإلا فالسبحة أولى .

وقد اتخذ السبحة ساداتٌ يشار إليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتمد عليهم ، كأبي
هريرة رضي الله عنه ، كان له خَيْطٌ فيه ألفا عقدة فكان لا ينام حتى يسبح به ثلثي
عشرة ألف تسبيحة ، قاله عكرمة .

وفي سنن أبي داود من حديث أبي نضرة الغفاري قال : حدثني شيخ من
طفاوة قال : تَشَوَّيْتُ أبا هريرة بالمدينة ، فلم أرَ رجلاً أشد تشميراً ولا أقومَ على
ضيف منه ، قال : فبينما أنا عنده يوماً وهو على سرير له ومعه كيس فيه حصى أو
نوى وأسفل منه جارية سوداء وهو يسبح بها ، حتى إذا أنفد ما في الكيس فدفعته
إليه يسبح .

قوله « تَشَوَّيْتُ » أي تَضَيَّفْتَهُ ونزلت في منزله ، والمَثْوَى : المنزل .

وقيل : كان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح بالنَّوَى المجزَع ، يعنى الذى يَحُكُّ
بعضه حتى ابيضَ شيء منه وترك الباقي على لونه ، وكل ما فيه سواد وبياض فهو
مُجَزَّع ، قاله أهل اللغة .

وذكر الحافظ عبد الغنى في السكال في ترجمة أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه
أنه كان يسبح في اليوم مائة ألف تسبيحة ، وذكر أيضاً عن سلمة بن شبيب قال :
كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ ، فلما وضع

ليفسل جعل بأصبعه كذا يحركها - يعني بالتسبيح - ومن المعلوم المحقق أن المائة ألف ، بل والأربعين ألفاً وأقل من ذلك ، لا يحصر بالأنامل ، فقد صح بذلك وثبت أنهما كانا يعدّان بآلة ، والله أعلم .

وكان لأبي مسلم الخولاني رحمة الله عليه سبحة ، فقام ليلةً والشبحة في يده ، قال : فاستدارت السبحة فالتفت على ذراعه وجعات تسبيح ، فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول : سبحانك يا منبت النبات ، ويادائم الثبات ، قال : هلمي يا أمّ مسلم فانظري إلى أعجب الأعاجيب ، قال : فجاءت أمّ مسلم والسبحة تدور وتسبح ، فلما جلست سكنت ، ذكره أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبري في كتاب كرامات الأولياء .

وقال الشيخ الإمام العارف عمر البزار : كانت سبحة الشيخ أبي الوفا كاكيش - وبالمرابي عبد الرحمن - التي أعطاهها لسيدى الشيخ محبي الدين عبد القادر الكيلاني قدس الله أرواحهم إذا وضعت على الأرض تدور وخذها حبة حبة .
وذكر القاضي أبو العباس أحمد بن خلكان في وفيات الأعيان أنه رأى في يد أبي القاسم الجنيد بن محمد رحمه الله يوماً سبحة ، فقيل له : أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة ؟ قال : طريق وصلت به إلى ربي لا أفارقه ، قال : وقد رويت في ذلك حديثاً مسلسلاً - وهو ما أخبرني به شيخنا الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله من لفظه ، ورأيت في يده سبحة - قال : أنا الإمام أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن يوسف بن البانياسي بقراءتي عليه ورأيت في يده سبحة ، قال : أنا أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود الترمذي ورأيت في يده سبحة ، قال : قرأت على شيخنا أبي الثناء ورأيت في يده سبحة ، قال : [أنا عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر ورأيت في يده سبحة قال : ^(١)] أنا أبو محمد يوسف بن أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ورأيت في يده سبحة ، قال : أنا أبي ورأيت في يده سبحة ، قال :

(١) هذه الزيادة ساقطة من بعض النسخ

قرأت علي أبي الفضل بن ناصر ورأيت في يده سبحة ، قال : قرأت علي أبي محمد عبد الله ابن أحمد السمرقندي ورأيت في يده سبحة ، قلت له : سمعت أبا بكر محمد بن علي السلمى الحداد ورأيت في يده سبحة ؟ فقال : نعم ، قال : رأيت أبا نصر عبد الوهاب ابن عبد الله بن عمر المقرئ ورأيت في يده سبحة ، قال : رأيت أبا الحسن علي بن الحسن بن أبي القاسم المترفق الصوفي وفي يده سبحة ، قال : سمعت أبا الحسن المالكي يقول وقد رأيت في يده سبحة فقلت له : يا أستاذ وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال : كذلك رأيت أستاذي الجنيد وفي يده سبحة فقلت له : يا أستاذ وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ قال : كذلك رأيت أستاذي سري بن مغلس السقطي وفي يده سبحة فقلت : يا أستاذ أنت مع السبحة ؟ فقال : كذلك رأيت أستاذي معروف الكرخي وفي يده سبحة ، فسألته عما سألتني عنه فقال : كذلك رأيت [بشرا الحافي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال : كذلك رأيت]^(١) أستاذي عمر المالكي وفي يده سبحة فسألته عما سألتني عنه فقال : رأيت أستاذي الحسن البصري وفي يده سبحة فقلت : يا أستاذ مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال لي : شيء كنا استعملناه في البدايات ما كنا نتركه في النهايات ، أحب أن أذكر الله بقلبي وفي يدي ولساني . فلولم يكن في اتخاذ السبحة غير موافقة هؤلاء السادة ، والدخول في سلكهم ، والناس بركنهم ، لصارت بهذا الاعتبار [من أم الأمور]^(١) وآكدها ، فكيف بها وهي مذكرة بالله تعالى ؛ لأن الإنسان قل أن يراها إلا ويذكر الله ، وهذا من أعظم فوائدها ، وبذلك كان يسميها بعض السلف رحمه الله تعالى .

ومن فوائدها أيضاً الاستعانة على دوام الذكر ، كلما رآها ذكر أنها آلة للذكر ، فقاده ذلك إلى الذكر ، فياحبذا سبب موصل إلى دوام ذكر الله عز وجل ، وكان بعضهم يسميها حبل الوصل ، وبعضهم رابطة القلوب .

وقد أخبرني من أثق بقوله أنه كان مع قافلة في درب بيت المقدس ، فقام عليهم

(١) سقطت هذه الزيادة من بعض النسخ

سرية عرب ، وجرّدوا القافلة جميعهم وجرّدوني معهم ، فلما أخذوا عمّامتي سقطت مسبحة من رأسي ، فلما رأوها قالوا : هذا صاحب سبحة ، فردّوا عليّ ما كان أخذي ، وانصرفت سالماً منهم ، فانظر يا أخي إلى هذه الآلة المباركة الزاهرة ، وما جمع فيها من خيري الدنيا والآخرة ، ولم ينقل عن أحد من السلف ولا من الخلف المنع من جواز عد الذكر بالسبحة ، بل كان أكثرهم يعدّونه بها ، ولا يرون ذلك مكروهاً ، وقد روى بعضهم يعدّ تسبيحاً فقيل له : أتعدّ على الله ؟ فقال : لا ، ولكن أعدّ له ، والمقصود أن أكثرَ الذكر الممدود الذي جاءت به السنة الشريفة لا ينحصر بالأنامل غالباً ، ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يذهب الخشوع ، وهو المراد ، والله أعلم .

وأخرج ابن عسّاكر في تاريخه عن بكر بن خنيس عن رجل سماه قال : كان في يد أبي مسلم الخولاني سبحة يسبح بها ، قال : فقام والسبحة في يده فاستدارت السبحة ، فالتفت على ذراعه وجعلت تسبح ، فالتفت أبو مسلم والسبحة تدور في ذراعه وهي تقول : سبحانك يا منبت النبات ويا دائم الثبات ، فقال : هلم يا أم مسلم وانظري إلى أعجب الأعاجيب ، فجاءت أم مسلم والسبحة تدور تسبح ، فلما جلست سكنت .

وقال عماد الدين المناوي في سبحة :

ومنظومة الشَّمْلُ يخلو بها الـ
لميبُ فتجمع من همته

إذا ذكّر الله جلّ اسمه
عليها تفرّق من هيئته

مسألة : هل تداوى النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ثم من أنكر ذلك وقال : إنه

أمر بالتداوى ولم يتداو ؟

الجواب : نعم ، قال النووي في شرح مسلم في حديث «هم الذين لا يكتفون ،

ولا يسترّفون ، وعلى ربهم يتوكلون» : اختلف العلماء في معنى هذا الحديث ، فقال

الإمام أبو عبد الله المازري : احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوى مكروه

ومعظم العلماء على خلاف ذلك ، واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره

صلى الله عليه وسلم لمنافع الأدوية والأطعمة كالحبة السوداء والقسطِ والصبر وغير ذلك ،
وبأنه صلى الله عليه وسلم تداوى ، وبأخبار عائشة بكثرة تداويه ، ثم نقل عن القاضي
عياض أنه صلى الله عليه وسلم تطبَّبَ في نفسه وطبب غيره ، انتهى .

قلت : يشير بذلك إلى ما أخرجه ابن السنن وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي
من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال : قلت لعائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين
أعجب من بصرک بالطب ، قالت : يا ابن أختي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما طعنَ في السن سَقِمَ فوفدَتِ الوفود فنعمت ، فمن ثمَّ .

وأخرج أبو نعيم من طريق محمد بن عبد الرحمن المايكي قال : حدثني عروة بن الزبير
قال : قلت لعائشة : يا خالة إني لأفكر في أمرک وأتعجب أن وجدْتُكِ عالمة بالطب ،
فمن أين ؟ فقالت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرت أسقامه فكنا نعالج له .
وأخرج أبو نعيم من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة أنه قيل لها : من أين
تعلمت الطب ؟ قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً مسقماً ، وكان
يقدم عليه وفود العرب والعجم فنعمت له ، فتعلمت ذلك .

وأخرج البخاري ومسلم عن سهل بن سعد أنه سئل بأي شيء دُويَ جرح النبي
صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، فقال : كانت فاطمة تغسل الدم وعلى يسكب الماء
عليها ، فلما رأت فاطمة الدم لا يزيد إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقتمها حتى
إذا صارت رماداً ألصقته بالجرح فاستمسك الدم .

وأخرج أبو داود والحاكم وصحَّحَهُ عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم
استعط .

وأخرج ابن السنن عن ابن عباس قال : « اختجَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستعط .

وأخرج ابن السنن عن أبي هريرة « أنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يحتجم ، فقال : أي شيء هذا يا رسول الله ؟ فقال : الحجم ، قلت : وما الحجمُ

یا رسول الله ؟ قال : خَيْرُ ما تداوى به العرب .
 وأخرج الحاكم وصححه عن سمرة قال : « دخل أعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحتجم ، فقال : ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا الحجم وهو خير ما تداويتم به . »
 وأخرج ابن السني عن عبد الله بن جعفر قال : احتججتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قرنه بعد ماسم .
 وأخرج أبو داود وابن ماجه عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم على ورکه من وني كان به [یعنی من وَهَنٍ دُونَ الخلع والکسر] .
 وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم [وهو محرم على ظهر القدم من وجم كان به .]
 وأخرج أبو نعیم عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم احتجم [في رأسه من أذى كان به .]
 وأخرج أبو نعیم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم من وجم كان برأسه وهو مُحْرِم .
 وأخرج أبو نعیم عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزلَ عليه الوحي صدع فيظلف رأسه بالحناء .
 وأخرج أبو نعیم عن عبد الرحمن بن عثمان أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم تحت كتفه اليسرى من الشاة التي أكل يوم خيبر .
 وأخرج أبو نعیم عن علي قال : « لدغت النبي صلى الله عليه وسلم عقرب وهو يصلي ، فقال : لعنك الله لا تدعين نبياً ولا غيره ، ثم دعا بماء وملح فجعل يمسها عليها . »

أعذب المناهل ، في حديث « مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، سُئِلْتُ عَنْ حَدِيثِ « مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ » .

الجواب : هذا إِنَّمَا يُعْرَفُ مِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ ، عَلَى ضَعْفٍ فِي إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ ، وَيَحْيَى مِنْ صَفَارِ التَّابِعِينَ ، فَإِنَّهُ رَأَى أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَحْدَهُ ، وَقَدْ يُعَدُّ فِي أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ بِاعْتِبَارٍ أَنَّهُ لَمْ يَلْقَ غَيْرَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَلَا يَعْرِفُ لَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ رِوَايَةً مُتَّصِلَةً ، وَقَدْ وَهَمَ بَعْضُ الرُّوَاةِ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ وَجَدَ عَنْهُ الْجُزْمَ بِذَلِكَ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدِيثَ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ مِنْ طَرِيقِ لَيْثِ ابْنِ أَبِي سَلِيمٍ عَنْ مَجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَمْرِوٍ لِأَعْلَمَهُ إِلَّا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَهُ ، وَقَالَ الطَّبْرَانِيُّ : لَا يُرْوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ .

وهذا الحديث حكم عليه الحفاظ بالوهم في رفعه ، فإن لَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَلَى ضَعْفِهِ ، قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : مُضْطَرِبُ الْحَدِيثِ ، وَقَالَ : مَا رَأَيْتُ يَحْيَى بْنَ سَعِيدٍ أَسْوَأَ رَأْيًا فِي أَحَدٍ مِنْهُ فِي لَيْثٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَرُاجِعَهُ فِيهِ ، وَقَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ : ضَعِيفٌ ، وَقَالَ ابْنُ مَعِينٍ : لَيْثٌ أَوْضَعُفٌ مِنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ ، وَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : سَأَلْتُ جَرِيرًا عَنْ لَيْثٍ وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ وَعَنْ يَزِيدِ ابْنِ أَبِي زِيَادٍ ، فَقَالَ : كَانَ يَزِيدُ أَحْسَنَهُمْ اسْتِقَامَةً فِي الْحَدِيثِ ، ثُمَّ عَطَاءٌ ، وَكَانَ لَيْثٌ أَكْثَرَهُمْ تَخْلِيطًا ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ : وَسَأَلْتُ أَبِي عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : أَقُولُ كَمَا قَالَ جَرِيرٌ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقَطَّانِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَحْدُثُ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ : كَانَ يَحْيَى لَا يَحْدُثُ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ ، وَقَالَ أَبُو مَعْمَرٍ الْقَطَيْعِيُّ : كَانَ ابْنُ عَيْنَةَ يَضَعُفُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سَلِيمٍ ، وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ : قَلْتُ لِسَفِيَّانٍ : إِنْ لَيْثًا رَوَى عَنْ

طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ ، فأنكر ذلك سفيان وعجب منه أن يكون جد طاححة لقي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال علي بن محمد الطنافسي : سألت وكيعاً عن حديث من حديث ليث بن أبي سليم فقال : ليث ، ليث ، كان سفيان لا يسمي ليثاً ، وقال قبيصة : قال شعبة لليث بن أبي سليم : أين اجتمع لك عطاء وطاووس ومجاهد ؟ فقال : إذ أبوك يُضربُ بالخف ليلة عرسه ، فما زال شعبة مُتّقياً لليث مذ يومئذ ، وقال أبو حاتم : أقول في ليث كما قال جرير بن عبد الحميد ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت أبي وأبا زرعة يقولان : ليث لا يشتغل به ، وهو مضطرب الحديث ، وقال أبو زرعة أيضاً : ليث لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث ، وقال مؤمل بن الفضل : قلنا لعيسى بن يونس : لم تسمع من ليث بن أبي سليم ؟ قال : قد رأيتُه وكان قد اختلط وكان يصعد المنارة ارتفاعَ النهار فيؤذّن ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره .

هذا مجموع كلام أئمة الحديث في تحريمه ، والحاصل أنه كان في حال صحة عقله كثيرَ التخليطِ في حديثه بحيث جرح بسبب ذلك ، ثم طرأ له بعد ذلك الاختلاط في عقله فازداد حاله سوءاً ، وحكم المختلط الذي كان قبل اختلاطه من الثقات الحفاظ المحتج بهم أن ماروا به بعد اختلاطه يردُّ ، وكذا ما شك فيه هل رواه قبل الاختلاط أو بعده فإنه مردود ، فإذا كان هذا حكم من اختلط من الثقات الحفاظ الذين يحتجُّ بهم ، فكيف بمن اختلط من الضعفاء المجروحين الذين لا يحتجُّ بهم قبل طروء الاختلاط عليهم ؟

وقد جرت عادةُ الحفاظ إذا ترجموا أحداً ممن تكلم فيه أن يسردوا في ترجمته كثيراً من الأحاديث التي أنكرت عليه ، وإن كان له أحاديث سواها سالحة نبهوا على أن ما عدا ما سردوه من أحاديثه صالحٌ مقبول ، خصوصاً إذا كان ذلك الرجل ممن خرج له في أحد الصحيحين ، فإنهم يقولون : إن صاحب الصحيح لم يخرج من حديثه إلا ما صح عنده من طريق غيره ؛ فلا يلزم من ذلك قبول كل مارواه ، هكذا

نصوا عليه ، وهذا الرجل روى له مسلم مقرونا بأبي إسحاق الشيباني ؛ فالحجة في رواية أبي إسحاق ، والحديث الذي خرجه صحيح من طريق أبي إسحاق لامن طريق ليث بن أبي سليم ، ولما ترجمه ابن عدى في الكامل سرّدَ أحاديثه التي أنكرت عليه ، ثم قال : له أحاديث صالحة غير ما ذكرت ، وكذا صنع الحافظ الذهبي في الميزان سرّدَ له أكثر من عشرة أحاديث أنكرت عليه منها هذا الحديث الذي نحن فيه - أعنى حديث « مَنْ قَالَ أَنَا عَالِمٌ فَهُوَ جَاهِلٌ » - وحديث « مَنْ وَلَدَ لَهُ ثَلَاثَةَ أَوْلَادٍ فَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدَهُمْ مُحَمَّدًا فَقَدْ جَهَلَ » وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وحديث « كَانَ بِالْيَمَنِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ زُعَاقٌ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ مَاتَ ، فَلَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَاءُ أَسْلَمَ فَقَدْ أَسْلَمَ النَّاسُ ، فَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ حُمٌّ وَلَا يَمُوتُ » ، في أحاديث آخر ، على أن هذا الحديث الذي نحن فيه لم يجزم ليث برفعه ؛ لقوله فيما تقدم : لا أعلمه إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه صيغة تقال عند الشك .

ومما يؤيد بطلان هذا الحديث الذي نحن فيه من جهة المعنى ثبوتُ هذا اللفظ عن جماعة من الصحابة ، منهم علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ومعاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن عباس رضی الله عنهم ، وما كان هؤلاء ليقعوا في شيء ورّدَ فيه ذم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا ثبت مثل ذلك عن خلائق لا يُحْصَوْنَ من التابعين فمن بعدهم كما سُقَّتْ رواياتهم وألفاظهم في الكتاب المسمى بـ «الصواعق على النواعم» ولا شك أن مثل هؤلاء الأئمة لا يُطَبِّقُونَ على التلفظ بما ذم النبي صلى الله عليه وسلم التلفظ به ، وأبلغ من ذلك قول نبي الله يوسف عليه السلام فيما حكاه الله عنه في التنزيل (إِنِّي حَفِيفٌ عَلِيمٌ) .

فإن قلت : كيف حكم على الحديث بالإبطال وليث لم يتهم بكذب ؟ .
قلت : الموضوع قسمان ؛ قسم تَعَمَّدَ واضعُه وضعه ، وهذا شأن الكذابين ، وقسم وقع غلطا ، لا عن قصدٍ ، وهذا شأن الخاطئين والمضطر بين الحديث كما حكم

الحُفَاطُ بِالْوَضْعِ عَلَى الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ وَهُوَ « مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهَارِ » فَإِنَّهُمْ أَطْبَقُوا عَلَى أَنَّهُ مَوْضُوعٌ ، وَوَضَعَهُ لَمْ يَتَّعَمِدْ وَضَعَهُ ، وَقِصَّتُهُ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ ، وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ الْعِرَاقِيُّ فِي أَلْفِيَّتِهِ بِقَوْلِهِ :

* وَمِنْهُ نَوْعٌ وَضَعَهُ لَمْ يُقْصِدِ *

نَحْوُ حَدِيثِ ثَابِتٍ : مَنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ - الْحَدِيثُ وَهَلَةٌ سَرَتْ

وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الْوَضْعُ لِلْمُغْفَلِينَ وَالْمُخْلَطِينَ وَالسِّيِّئِ الْحِفْظِ ، بَعَزُوهِ كَلَامٌ غَيْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ ، إِمَّا كَلَامٌ تَابِعِيٌّ أَوْ حَكِيمٌ أَوْ أَثَرٌ إِسْرَائِيلِيٌّ ، كَمَا وَقَعَ فِي « الْمَعْدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ ، وَالْحِمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ » وَ« حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » وَغَيْرَ ذَلِكَ ، يَكُونُ مَعْرُوفًا بَعَزُوهِ إِلَى غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَلْتَبِسُ عَلَى الْمُخْلَطِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِ وَهَمًّا مِنْهُ ، فَيَعْمَدُ الْحِفَاطُ مَوْضُوعًا ، وَمَا تَرَكَ الْحِفَاطُ بِحَمْدِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا بَيْنُوهُ (إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) وَلَسْكَنَ يَحْتَاجُ إِلَى سَعَةِ النَّظَرِ ، وَطُولِ الْبَاعِ ، وَكَثْرَةِ الْإِطْلَاعِ .

وَقَدْ يَقَعُ الْوَضْعُ فِي لَفْظَةٍ مِنْ الْحَدِيثِ لَا فِي كَلِمَةٍ ، كَحَدِيثِ « لَا سَبْقَ إِلَّا فِي نَصْلِ أَوْ خَفِ أَوْ حَافِرٍ أَوْ جَنَاحٍ » فَإِنَّ الْحَدِيثَ صَدْرُهُ ثَابِتٌ ، وَقَوْلُهُ « أَوْ جَنَاحٍ » مَوْضُوعٌ تَعَمَّدَهُ وَاضِعٌ ، تَقَرَّبًا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ لَمَّا كَانَ مَشْغُوفًا بِاللَّعِبِ بِالْحَمَامِ ، وَقَدْ وَقَعَ نَظِيرُ ذَلِكَ لِلَيْثِ هَذَا صَاحِبُ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَإِنَّهُ رَوَى عَنْ مُجَاهِدٍ وَعَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الَّذِي وَقَعَ عَلَى أَهْلِهِ فِي رَمَضَانَ قَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَعْتَقَ رَقَبَةً ، قَالَ : لَا أَجِدُ ، قَالَ : أَهْدِ بَدَنَةً ، قَالَ : لَا أَجِدُ ، قَالَ الْحِفَاطُ : ذَكَرَ الْبَدَنَةَ فِيهِ مَنْكِرٌ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ لَيْثًا إِنَّمَا زَادَهَا غَفْلَةً وَتَخَايُطُ لَا عَن قَصْدٍ وَعَمْدٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

حَسَنُ الذَّمِّ ، فِي حَكْمِ التَّشْبِيهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ، قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ : « بَابُ

تشبيك الأصابع في المسجد وغيره » وأورد فيه حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضاً » ، وشبك بين أصابعه ، وحديث أبي هريرة « صَلَّى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشيِّ ، فصلى بنا ركعتين ثم سلم ، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ، ووضع يده اليمنى على اليسرى ، وشبك بين أصابعه » .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه : حديثُ أبي موسى دال على جواز التشبيك مطلقاً ، وحديث أبي هريرة دال على جوازه في المسجد ، فهو في غيره أجوزُ .

ووقع في بعض نسخ البخاري قبل هذين الحديثين حديثٌ آخر نصُّه : حدثنا حامد بن عمر ثنا عاصم ثنا واقد عن أبيه عن ابن عمر قال : شبك النبي صلى الله عليه وسلم أصابعه .

قال الحافظ مغلطاي : هذا الحديث ليس موجوداً في أكثر نسخ الصحيح ، وقال الحافظ ابن حجر : هو ثابت في رواية حماد بن شاكر عن البخاري ، قال ابن بطال : المقصود من هذه الترجمة معارضة ماورد في النهي عن التشبيك في المسجد ، وقد وردت فيه مرّاسيل ومسند من طرق غير ثابتة ، وقال ابن المنير : التحقيق أنه ليس بين الأحاديث تعارض ؛ إذ المنهى عنه فعله على وجه العبث ، وجمع الإسماعيلي بأن النهي مقيد بما إذا كان في الصلاة أو قاصداً إليها ؛ إذ منتظر الصلاة في حكم المصلي ، وقيل : إن حكمة النهي عنه لمنتظر الصلاة أن التشبيك يجلب النوم وهو من مظانّ الحدّث ، وقيل : إن صورته تشبه صورة الاختلاف ، فكره ذلك لمن هو في حكم الصلاة حتى لا يقع في المنهى عنه ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم للمصلين : « ولا تَحْتَلِفُوا فَتَحْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ » ، وقال الحافظ مغلطاي في شرح البخاري : زعم بعضهم أن هذه الأحاديث التي أوردها البخاري في هذا الباب معارضة لحديث النهي عن التشبيك ، وقال ابن بطال : إن حديث النهي ليس مساوياً لهذه الأحاديث في الصحة ، وقال الأكثر : إن حديث النهي مخصوص بالصلاة

وهو قول مالك ، روى عنه أنه قال : إنهم لينكروا تشبيك الأصابع في المسجد وما به من بأس ، وإنما يكره في الصلاة ، ورخص فيه ابن عمر وسالم أبنته ؛ فكانا يشبكان بين أصابعهما في الصلاة ، ثم قال مغلطى : والتحقيق أنه ليس بين حديث النهى عن التشبيك وبين تشبيكه صلى الله عليه وسلم بين أصابعه معارضة ؛ لأن النهى إنما ورد عن فعله في الصلاة أو في المضي إليها ، وفعله صلى الله عليه وسلم للتشبيك ليس في صلاة ولا في المضي إليها ، فلا معارضة إذن ، وبقي كل حديث على حياله ، انتهى .

قلت : ومن الأحاديث في تشبيكه صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخارى والبيهقى في شعب الإيمان عن ابن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبياً بيده هكذا ، زاد البيهقى : وشبك بين أصابعه .

وأخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كيف بكم وبزمان يغر بل الناس فيه غربلة ، تبقى حثالة من الناس قد مرّجت عهودهم وأماناتهم وأختلفوا فكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه » .

وأخرج البزار عن ثوبان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنتم في قوم مرّجت عهودهم وأيمانهم وأماناتهم وصاروا هكذا ؟ وشبك بين أصابعه » .

وأخرج الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة والسلام يوماً فقال : كيف ترؤن إذا أخرجتم في زمان حثالة من الناس قد مرّجت عهودهم وندورهم فاشتبكوا فكانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : تأخذون ما تعرفون وتدعون ما تنكرون ، ويقبل أحكم على خاصة نفسه ، ويذر أمر العامة » .

وأخرج الطبرانى عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنت إذا كنت في حثالة من الناس واختلفوا حتى يكونوا هكذا ،

وشبَّكَ بين أصابعه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : خُذْ ما تعرف ودَعْ ما تنكر .
وأخرج الشافعي وأحمد وأبو داود والنسائي بسندٍ صحيح على شرط مسلم عن
جُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ قَالَ : « لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى فِي بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ ، وَتَرَكَ بَنِي نَوْفَلٍ وَبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ،
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعِثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ حَتَّى أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَلْنَا :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَؤُلَاءِ بَنُو هَاشِمٍ لَا نُنْكِرُ فَضْلَهُمْ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعْتَ اللَّهُ بِهِ
مِنْهُمْ ، فَمَا بَالُ إِخْوَانِنَا بَنِي الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَنَا ، وَقَرَابَتُنَا وَاحِدَةٌ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا وَبَنِي الْمُطَّلِبِ لَا نَفْتَرِقُ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا فِي إِسْلَامٍ ، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ
شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . »

وأخرج البيهقي في الزهد عن أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« يَا إِبَادِ ذَرٍّ كَيْفَ أَنْتَ إِذَا كُنْتَ فِي حُثَالَةٍ ، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ؟
قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُنِي ؟ قَالَ : اصْبِرْ ، اصْبِرْ ، اصْبِرْ ، خَالِقُوا النَّاسَ
بِأَخْلَاقِهِمْ ، وَخَالَفُوهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ . »

وأخرج الترمذي عن أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إِذَا دُفِنَ الْعَبْدُ الْكَافِرُ يَقُولُ لَهُ الْقَبْرُ : لَا مَرَحِبًا وَلَا أَهْلًا ، ثُمَّ يَلْتَمِسُ عَلَيْهِ
حَتَّى تَلْتَقَى أَضْلَاعُهُ ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَصَابِعِ يَدَيْهِ فَشَبَّكَهَا . »

وأخرج مسلم وأبو داود عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : « قَامَ سُرَّاقَةُ بْنُ جَعْفَرٍ
فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ ؟ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَصَابِعَهُ فِي الْأُخْرَى ، وَقَالَ : دَخَلْتَ الْعِمْرَةَ فِي الْحَجِّ ، مَرَّتَيْنِ . »

وأخرج ابن عساکر عن أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : إِذَا اخْتَلَفُوا ،
وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ، وَأَبْصَرُهُمْ بِالْحَقِّ ، وَإِنْ كَانَ فِي عَمَلِهِ تَقْصِيرٌ ، وَإِنْ كَانَ
يَرْحَفُ زَحْفًا . »

ذکر الحدیث المسلسل بالتشبیك

أخبرني شيخنا الإمام تقي الدين الشمني بقراءتي عليه ، والجلال أبو المعالي القمصي ، وأبو العباس أحمد بن الجلال عبد الله بن علي الكناني - سماعا عليهما بالقاهرة ، وناصر الدين أبو الفرج ابن الإمام زين الدين أبي بكر المراغي بقراءتي عليه بمكة المشرفة ، والحافظ تقي الدين أبو الفضل بن فهد الهاشمي سماعا عليه مِنِّي ، وشَبَّكَ كل منهم بيدي ، قال الأول والثاني والثالث : أنا الجلال عبد الله بن علي الحنبلي ، وشبك بيد كل منا ، قال : أنا أبو الحسن علي بن أحمد العرضي وشبك بيدي ، وقال الرابع : أنا الشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري وشبك بيدي ، وقال : أنا أبو حفص عمر ابن حسن المزني وشبك بيدي ، قال هو والعرضي : أنا أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري وشبك بيد كل منا ، أنا عمر بن سعيد الحلبي وشبك بيدي ، أنا أبو الفرج يحيى بن محمود الثقفي وشبك بيدي ، أنا الحافظ إسماعيل بن محمد التيمي وشبك بيدي ، أنا الإمام أبو محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وشبك بيدي ، أنا أبو العباس جعفر ابن محمد المستغفري وشبك بيدي ، أنا أبو بكر أحمد بن عبد العزيز المسكي وشبك بيدي ، أنا أبو الحسين بن طالب وشبك بيدي ، أنا أبو عمر عبد العزيز بن الحسن ابن بكر بن عبد الله بن الشرود الصنعاني وشبك بيدي ، قال : شبك بيدي أبي ، ح وقال الخامس : أنا القاضي جمال الدين بن ظهيرة وشبك بيدي ، أنا البهاء عبد الله ابن محمد المسكي وشبك بيدي ، أنا الرضي الطبري وشبك بيدي ، أنا أبو الحسن ابن بنت الجيزي وشبك بيدي ، أنا الشرف بن أبي عصرون وشبك بيدي ، أنا القاضي أبو عبد الله بن نصر وشبك بيدي ، حدثنا أبو بكر الطريثي وشبك بيدي ، ثنا علي ابن أبي نصر وشبك بيدي ، حدثنا محمد بن علي بن هاشم وشبك بيدي ، حدثنا عبيد ابن إبراهيم الصنعاني وشبك بيدي ، ثنا بكر بن الشرود وشبك بيدي ، وقال : شبك بيدي ابن أبي يحيى ، وقال ابن أبي يحيى : شبك بيدي صفوان بن سليم ، وقال صفوان : شبك بيدي أيوب بن مالك الأنصاري ، وقال أيوب : شبك بيدي أبو القاسم

صلى الله عليه وسلم وقال : « خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يوم السبت ، والجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم يوم الجمعة » .

مسألة :

ماذا يقول إمام العصر مجتهد فيما روى عن رسول الله سيدنا بأنه قال للكفار حين رموا أهل القليب وجدنا وعَدَّ خالفنا فهل وجدتم حقيقةً وعَدَّ ربكم وقال : كَلِمَةَ خَيْرِ الخلق من مضر وأن أحمد خير الخلق قال له وأن تقولوا روى في قول خالفنا لا يسمع الميت ، ماذا القول فيه؟ وهل لازلت ترشد عبداً ضل في حلك ونلت أعلى مقام في النعيم غداً

الجواب :

ثم الصلاة على المبعوث خير نبي جاءت به عندنا الآثار في الكتب لا يقبلون ولا يصنعوا إلى أدب

الحمد لله حَمْدًا دَائِمًا الحقب سماع موتى كَلَامَ الخلق معتقد وآية النفي معناها سماعُ هُدَى

شد الأتواب ، في سد الأبواب

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . روى البخارى ومسلم والترمذى

والنسائی وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَمَجَّبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَبْدٍ خَيْرٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمَخِيرُ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمُنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ مِنْ أُمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامَ وَمَوَدَّةُ ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابَ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » وَفِي لَفْظِ « لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ » وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ ، وَفِي لَفْظِ « ثُمَّ هَبَّطَ عَنِ الْمَنْبَرِ ، فَمَا رَأَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ » أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالدَّارِمِيُّ ، وَهَذَا حَدِيثٌ مُتَوَاتِرٌ كَمَا سَأَشِيرُ إِلَى طَرَفِهِ .

قال النووي في شرح مسلم : فيه خصيصة لأبي بكر رضي الله عنه ، وقال ابن شاهين في السنة : تفرد أبو بكر رضي الله عنه بهذه الفضيلة .

وللأمر بسد الأبواب في المسجد النبوي طرق كثيرة تبلغ درجة التواتر . فأخرج البخاري والنسائي عن ابن عباس قال : « خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبًا رَأْسَهُ فِي خُرْقَةٍ ، فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَمَّنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبُو بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ خُلَّةَ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ ، سَدُّوا عَنِي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ » .

وأخرج ابن سعد من طريق الزهري : أخبرني أيوب بن بشير الأنصاري عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ فَاسْتَوَى عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَتَشَهَّدَ ، فَلَمَّا قَضَى تَشَهُدَهُ قَالَ : إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ رَبِّهِ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ رَبِّهِ » فَقَطَّنَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَوَّلَ النَّاسِ ، فَعَرَفَ أَنَّهَا يَرِيدُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ

صلى الله عليه وسلم : عَلَى رِسْلِكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، سَدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَمْرًا أَفْضَلَ عِنْدِي يَدَأُ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ .»

وأخرج الطبراني بسند حسن عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَابٍ مِنْ آبَارِشْتِي ، حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعْمَدَ إِلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ عَاصِبًا رَأْسَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ خَيْرٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَلَمْ يَفْهَمْهَا إِلَّا أَبُو بَكْرٍ ، فَبَكَى ، فَقَالَ : نَقَدَيْكَ يَا بَانْنَا وَأَمَهَاتْنَا وَأَبْنَانْنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلَى رِسْلِكَ ، أَفْضَلُ النَّاسِ عِنْدِي فِي الصَّحْبَةِ وَذَاتِ الْيَدِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ انظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّوَارِعَ فِي الْمَسْجِدِ فَسُدُّوْهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنِّي رَأَيْتُ عَلَيْهِ نُورًا .»

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَبُو بَكْرٍ صَاحِبِي وَمَوْئِسِي فِي الْغَارِ ، سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرِ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ .»

وأخرج أبو يعلى بسند رجاله ثقات عن بعض الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته « انظُرُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ اللَّاصِقَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَسُدُّوْهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَفْضَلَ عِنْدِي فِي الصَّحْبَةِ مِنْهُ .»

وأخرج البزار بسند حسن عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سُدُّوا عَنِّي كُلَّ بَابٍ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ .»

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عائشة قالت : « أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَدِّ الْأَبْوَابِ الَّتِي فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ .»

وأخرج الدارمي في مسنده عن عائشة قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم

فی مرضه : « صُوبُوا عَلِيَّ مِنْ سَبْعِ قَرَبٍ مِنْ سَبْعِ آبَارِ شَتَّى حَتَّى أُخْرَجَ إِلَى النَّاسِ فَأَعَاهَدَ إِلَيْهِمْ ، فَصَبَّبْنَا عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ فَصَعِدَ الْمَنبَرِ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا إِنَّ عِبَادَ اللَّهِ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : عَلِيٌّ رَسَلِكَ ، سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشُّوَارِعَ إِلَى الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ امْرَأً أَفْضَلَ عِنْدِي يَدَأُ فِي الصَّحْبَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ . »

وَأَخْرَجَ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِ رِجَالِهِ رِجَالَ الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا تُؤْذُونِي فِي صَاحِبِي ، وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ سَمَّاهُ صَاحِبًا لَاتَّخَذْتَهُ خَلِيلًا ، أَلَا فَسُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ . »

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ عَلِيٌّ مَنَّا فِي الصَّحْبَةِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَغْلِقُوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّارِعَةَ كُلَّهَا فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ نَاسٌ : أَغْلِقْ أَبْوَابَنَا وَتَرَكْ بَابَ خَلِيلِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَدْ بَلَغَنِي الَّذِي قَلَّمْتُ فِي بَابِ أَبِي بَكْرٍ ، وَإِنِّي أَرَى عَلِيَّ بَابَ أَبِي بَكْرٍ نُورًا ، وَأَرَى عَلِيَّ أَبْوَابَكُمْ ظِلْمَةً » مَرْسَلٌ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو طَاهِرٍ الْمَخْلَصُ فِي فَوَائِدِهِ ، وَابْنُ عَدَى فِي الْكَامِلِ ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ مَوْصُولًا مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ وَزَّادٍ « فَكَانَتْ الْآخِرَةُ أَعْظَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُولَى » قَالَ ابْنُ عَدَى : لَا أَعْلَمُ وَصَلَهُ عَنْ اللَّيْثِ غَيْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ بِدُونِ ذِكْرِ أَنَسٍ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي تَارِيخِهِ عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ حَكِيمِ بْنِ عَمِيرٍ الْعَنْسِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ - عِنْدَ مَا أَمَرَ بِهِ مِنْ سَدِّ [تِلْكَ] الْأَبْوَابِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ - وَقَالَ : « لَيْسَ مِنْهَا بَابٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ ظِلْمَةٌ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَابِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّ عَلَيْهِ نُورًا » .

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِي الْحَوِيثِ قَالَ : « لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم بالأبواب تُسدُّ إلا باب أبي بكر قال عمر : يا رسول الله دَعْنِي أَفْتَحْ كُوَّةَ أَنْظِرْ إِلَيْكَ حِينَ تَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا » .

وأخرج ابن سعد عن أبي البداح بن عاصم بن عدى قال : قال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال في المسجد؟ وما بالك سدّدت أبواب رجال في المسجد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ما فتحتُ عن أمرى ، ولا سدّدتُ عن أمرى .

فصل : وأخرج أحمد والنسائي والحاكم في المستدرک وصحّحه عن زيد بن أرقم قال : « كَانَ لِنَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبْوَابٌ شَارِعَةٌ فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَالَ يَوْمًا : سُدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ ، فَتَكَلَّمَ أَنْاسٌ فِي ذَلِكَ ، فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَمَا بَعْدَ فِإِنِّي أَمَرْتُ بِسُدِّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ غَيْرِ بَابِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ فِيهِ قَائِلُكُمْ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا سَدَدْتُ شَيْئًا وَلَا فَتَحْتُهُ ، وَلَكِنِّي أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فَاتَّبَعْتَهُ » .

وأخرج أحمد والنسائي وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط بسندٍ حسنٍ عن سعد بن أبي وقاص قال : « أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُدِّ الْأَبْوَابِ الشَّارِعَةِ فِي الْمَسْجِدِ وَتَرَكَ بَابَ عَلِيٍّ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ سَدَدْتَ أَبْوَابَنَا كُلَّهَا إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ ، قَالَ : مَا أَنَا سَدَدْتُ أَبْوَابَكُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ سَدَّهَا » .

وأخرج أحمد والترمذي والنسائي عن ابن عباس قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام بأبواب المسجد فسُدَّتْ إلا باب عليٍّ .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس نحوه ، وزاد « فَقَالَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ ، مَا أَمَرْتُ بِشَيْءٍ فَعَلْتَهُ ، إِنْ أَتَبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ » .

وأخرج البزار عن علي بن أبي طالب قال : « أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ سُدَّ بَابَكَ ، قَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً ، فَسَدَّ بَابَهُ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ ،

ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ، ثم قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :
ما أنا سدّدتُ أبوابكم وفتحت باب عليّ ، ولكن الله فتح باب عليّ وسد
أبوابكم .

وأخرج البزار عن عليّ قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أَنْطَلِقَ فَمَرُّهُمْ
فَلْيَسُدُّوا أَبْوَابَهُمْ ، فَاَنْطَلَقْتُ فَقُلْتُ لَهُمْ ، ففعلوا إلا حمزة ، فقلت : يا رسول الله قد
فعلوا إلا حمزة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل لحمزة فليحوّل بابيه ،
فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أن تحول بابك ، فحوّله .

وأخرج أحمد والنسائي عن ابن عباس قال : سدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبواب المسجد غير باب عليّ ، وكان يدخل المسجد وهو جنب ، وهو طريقه ، ليس له
طريق غيره .

وأخرج الطبراني عن جابر بن سمرة قال : أمر النبي عليه الصلاة والسلام
بسدّ الأبواب كلها غير باب عليّ ، فقال العباس : يا رسول الله قدر ما أدخل أنا
وحمدي وأخرج ، قال : ما أمرت بشيء من ذلك ، فسدّها كلها غير
باب عليّ .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عمر أنه سئل عن عليّ ، فقال : أنظر
إلى منزله من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه سدّ أبوابنا في المسجد
وأقرّ بابيه .

وأخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عمر قال : أُعْطِيَ عَلِيٌّ ثَلَاثَ خِصَالٍ :
زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بابنته وولدت له ، وسدّ الأبواب إلا بابيه في المسجد ،
وأعطاه الراية يوم خيبر .

فهذه أكثر من عشرين حديثاً في الأمر بسدّ الأبواب ، وبقيت أحاديث أخرى
تركتها كراهة الإطالة .

فصل : قال العلماء : لا معارضة بين الأحاديث المذكورة في الفصل الأول

من أنه سدّ الأبواب إلا باب أبي بكر وبين المذكورة في الفصل الثاني من أنه سدّ الأبواب إلا باب علي ؛ فإنهما قصتان إحداهما غير الأخرى ، فقصة علي كانت متقدمة وهي في سدّ الأبواب الشارعة وقد كان أذن لعلي أن يمرّ في المسجد وهو جنب ، وقصة أبي بكر متأخرة في مرض الوفاة في سدّ طاقات كانوا يستقر بون الدخول منها وهي الخوخ ، كذا جمع القاضي إسماعيل المالكي في أحكامه والكلاباذي في معانيه والطحاوي في مشكله ، وعبارة الكلاباذي : لا تعارض بين قصة علي وقصة أبي بكر ؛ لأن باب أبي بكر كان من جملة خوخت يطلع منها إلى المسجد وأبواب البيوت خارجة من المسجد ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسد تلك الخوخ ، فلم تبق تطلع منها إلى المسجد وتركت خوخة أبي بكر فقط ، وأما باب علي فكان داخل المسجد يخرج منه ويدخل منه .

وقال الحافظ ابن حجر : قصة علي في سدّ الأبواب ، وأما سدّ الخوخ فالمراد به طاقات كانت في المسجد يستقر بون الدخول منها ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته بسدها إلا خوخة أبي بكر ، وفي ذلك إشارة إلى استخلاف أبي بكر ؛ لأنه يحتاج إلى المسجد كثيراً دون غيره ، انتهى .

قلت : ويدل على تقدم قصة علي ذكر حمزة في قصته ؛ فإن حمزة قتل يوم أحد .

فصل : قد ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة - بل المتواترة - أنه صلى الله عليه وسلم منع من فتح باب شارع إلى مسجد ، ولم يأذن في ذلك لأحد ، ولا لعمه العباس ، ولا لأبي بكر ، إلا لعلي لمكان ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ومن فتح خوخة صغيرة أو طاقة أو كوة ، ولم يأذن في ذلك لأحد ولا لعمر ، إلا لأبي بكر خاصة ، لمكان الخلافة ، ولكونه أفضل الناس بدأ عنده كما أشار إلى التعليل به في الأحاديث المبتدأ بها ، وهذه خصيصة لا يشارك فيها غيره ، ولا يصح قياس أحد عليه إلى يوم القيامة ، فإن عمر استأذن في كوة فلم يؤذن له ، فمن ذا الذي

يقاس عليه ، وقد منع عمر ، واستأذن العباس في فتح باب صغير بقدر ما يخرج منه وحده فلم يؤذن له ، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فمن ذا الذي يُبَاحُ له ذلك وقد منع منه عمر والعباس ؟ ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام أسند ذلك إلى أمر الله به ، وأنه لم يسد ما سد ولم يفتح ما فتح إلا بأمره تعالى ، ثم إن ذلك كان في مرض الوفاة وفي آخر مجلس جلسه على المنبر ، وكان ذلك من جملة ما عهد به إلى أمته ، ومات عليه ، ولم يندسخه شيء ، وتقلد ذلك حملة الشريعة من أمته ، فوجب على من علمه أن يبينه عند الحاجة إليه ولا يكتمه .

فإن توهم متوهم أو زعم زاعم أن الأمر في ذلك منوطٌ برأي الإمام رُدَّ عليه بأن هذا حكم من الأحكام نصَّ النبي صلى الله عليه وسلم على منعه ، فلا رأي لأحدٍ في إباحته ، بل لو وقف رجل من آحاد الناس مسجداً وشَرَطَ فيه شيئاً اتبع شرطه ، فكيف بمسجدٍ وقفه النبي صلى الله عليه وسلم ونصَّ فيه على المنع من أمر ، وأسنده إلى الوحي ، وجعله من جملة عهده عند وفاته ؟ والرجوعُ إلى رأي الإمام إنما يكون في مساجدٍ لا تعرض في شروط واقفيها لمنع ولا لغيره ، على ما في ذلك أيضاً من توقف ونظر . وإن خطر ببال أحدٍ أن يقول : إن المسجد الشريف قد زالت معالمه وجُدُّره ووسَّع زيادته على ما كان في عهده عليه الصلاة والسلام ، فلا يُجَدِّيه هذا شيئاً ، فإن حرمة المسجد وأحكامه الثابتة له باقية إلى يوم القيامة ولو اتسع وأزيلت جُدُّره وأعيدت عادت على هذا الحكم من غير تغيير ، فإن الحكم المذكور منوط بالمسجد من حيث هو ، لا بذلك الجدار بعينه ، وقد بنى في زمن عمر ووسع في زمان عثمان وغيره في القرن الأول وبعده ولم يخرجوا عن هذا الحكم .

وإن قيل بجواز الفتح في الجدار الذي هو ملك الفاتح ، قلنا : إن كان مع إعادة حائط المسجد الشريف كما كانت بحيث يسد الباب والشبايك التي في الجدار فلا يستطرق منه ولا يطلع منها فلا كلام ، وإن كان مع إزالة حائط المسجد وبقاء الاستطراق والاطلاع فمآذ الله ؛ فإن هذه ذريعةٌ وحيلةٌ يتوصلُ بها إلى مخالفة

الأمر الشريف ، وإذا منع النبي عليه الصلاة والسلام عمر من فتح كوة ينظره منها حين يخرج إلى الصلاة فكيف يهدم الحائط جميعه ؟ بل أزيد على هذا وأقول : لو أعيد حائط المسجد وبني خلفه جدار أطول منه وفتح في أعلاه كوة يطلع منها إلى المسجد فينبغي المنع من ذلك احتياطاً للحديث ، وإن انضم إلى ذلك أن الشبايبك تصير معدة لمن يجلس فيها مرتفعاً والقبر الشريف تحته فهذا أشد وأشد ، والواجب على كل متحرر الاحتياط لدينه حيث علم أن هذا الحكم منصوص عليه من صاحب الشرع ، وأنه لا رأى لأحد فيه بعد نصه ، وأن حكم الحاكم بما يخالف النص يُنقض ، وفتوى المفتي بما يعارض تُرد ، والتوصل إلى خلافه بالحيل الفاسدة من باب قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

فصل : أعلم أن أكثر مفتي عصرنا أفتوا بجواز فتح الباب والكوة والشباك من دار بنيت ملاصقة للمسجد الشريف ، وكان ذلك منهم استرواحاً وعدم وقوف على مجموع الأحاديث الواردة في ذلك ، ثم روجع كل منهم في مستنده فيما أفتى به فأبدوا شُبهاً كلها مردودة ، ولولا جناب النبي صلى الله عليه وسلم وعظمتُه الراسخة في القلب لم أتكلم في شيء من ذلك ، وكنت إلى السكوت أميل ، لكن لأرى السكوت يسعني في ذلك ، فإن هذا عهد عهد النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته ؛ فوجب على كل من علمه أن يبينه ، ولا يراعى فيه صديقاً ولا حبيباً ولا بعيداً ولا قريباً . وأنا أذكر شُبّه المفتين وأردّها واحدة واحدة .

فمنهم من قال : لا نقل في هذه المسألة لأهل مذهبنا ، ونقول بالجواز استحساناً حيث لا ضرر ، وجواب هذا أنه لا استحسان مع النصوص النبوية . ومنهم من قال بالقياس على سائر المساجد ، حيث رأى الناظر ذلك ، وجواب هذا أن النص منع القياس ، ودلت الأحاديث على أن المسجد النبوي انفرد بهذه الخصوصية على سائر المساجد .

ومنهم من قال : الأمر في ذلك مَنُوط برأى الإمام ، وجواب هذا أنه لا رأى لأحدٍ مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهل لأحد من الأئمة أن يغير من الأمور المنصوصة في الشريعة شيئاً برأيه ؟ .

ومنهم من قال : الحديث الوارد في ذلك مخصوص بزمنه عليه السلام ، وهذا خطأ من وجوه ؛ أحدها : أنه لا دلائل على التخصيص ، وإنما يصار إلى تخصيص النصوص بدلائل ، ثانيها : أن القصة أمر بها النبي صلى الله عليه وسلم في مرض وفاته ، ولم يمش بعدها إلا دون عشرة أيام ، فدل على أنه أمر به شرعاً مستمراً إلى يوم القيامة ، ثالثها : أنه لو كان مخصوصاً بزمن لوجب على النبي صلى الله عليه وسلم أن يبينه ، وإلا لكان تأخيراً للبيان عن وقت الحاجة ، لاسيما وهي آخر جلسة جَنَسها للناس ، رابعها : أن الصحابة أستمروا إلى أن انقرضوا وهم باقون على هذا الحكم ، وهذا يدل على أنهم فهموه شرعاً مؤبداً ، خامسها : يقال لهذا الذي ادعى التخصيص : ما وَجَهُ منَع الصحابة في زمنه والإذن لمن جاء بعدهم والصحابة أشرفُ وأجلُّ وأحقُّ بكل خير ؟ وهل يتخيل متخيل أن يرخص لأهل القرن الأردل ما منع [منه] أشرف الأمة وخيارهم ؟ معاذ الله .

ومنهم من قال : المنعُ مخصوص بجدار النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا هُدم وأعيد غيره فإن المعاد ملك للمعيد فيفتح فيه ما شاء ولا يصير وقفاً حتى يوقفه ، وهذا الكلام مردود بوجوه ؛ الأول : أن سبب هذا القول فهم أن الحكم متعلق بالجدار ، وليس كذلك ، بل الحكم متعلق بالمسجد ، وقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يستطرق إلى مسجده من بابٍ في دارٍ تلاصقه ، ولا يطلع إليه من كوة في دارٍ تلاصقه ، فسواء في ذلك بقي الجدار الذي كان في عهده أو أزيل وأعيد غيره ؛ فإن المعاد يقوم مقام الجدار الأول في هذا الحكم ، الثاني : أن ترتيب الحكم على الوصف يشعر بالعلية كما تقرر في الأصول ، وقد رتَّب صلى الله عليه وسلم الحكم هنا على الوصف حيث قال : « انظروا هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها »

وفي لفظ « الشوارع إلى المسجد » فعلقَ الحكم بالشوارع ، فدل على أن العلة في سدّها كونها شارعة إلى المسجد ، أي طريقاً إليه من دارٍ ، فسد كل باب يشرع إلى المسجد من دارٍ سواء فتح في الجدار النبوي أم في الجدار الذي أعيد مكانه ، أم في جدار صاحب الدار ، الثالث : أن الجدار النبوي أزيل في عهد عمر وعثمان وبنو غيره ، وأبقى الصحابة هذا الحكم ، فدل على أنهم فهموا من الأمر الشريف تعلق ذلك بالمسجد لا بالجدار ، وإلا لكانوا يفتحون لهم أبواباً وكوآتٍ ويحتجون بأن الجدار النبوي أزيل وهذا الجدار ملك عمر أو عثمان ، وحاشاهم من ذلك ، وهم أتقى لله وأورعُ وأشدَّ خشية . وانظر إلى قول عمر رضي الله عنه : «لولا أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ينبغي أن يزداد في مسجدنا هذا ما زدت» أخرجه أحمد وأبو يعلى والبخاري في مسانيدهم ، فانظر إلى هذا التوقف من إحداث شيء في المسجد النبوي إلا بنص من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . الرابع : أن دعوى أن الجدار المعاد ملكٌ للمعيد يقال عليه أولاً : هدمُ الجدار الذي قبله لا يخلو إما أن يكون لمصلحة أولاً ، فإن كان لغیر مصلحة فإعادته واجبة على الهادم ، فإذا أعاده كان بدل متلف لا ملكاً له ، وإن كان لمصلحة فإعادته واجبة من مال وقف المسجد الشريف أو من مال بيت المال ، فإذا أعيد منهما كان وقفاً كما كان لا ملكاً ، وإن أعاده الإمام أو غيره من مال نفسه : على نية إعادته للمسجد فالأمر كذلك أيضاً ، أو على نية التملك فهذا لا يجوز ، وكيف يبني على نية التملك في أرض المسجد الشريف ؟ الخامس : أن هذا الجدار المعاد لا يخلو إما أن يمحض جداراً للمسجد الشريف أو يجعل جداراً للدار التي تبني ملاصقة ويكتفي به عن إعادة جدار المسجد أو يجعل جداراً لها ويعاد جدار المسجد كما كان ، فإن كان الثالث فهو المطلوب ، وإن كان الثاني لم يجز إهمال إعادة جدار المسجد ، بل يجب على الإمام الأعظم أو الحاكم الشافعي ناظر الحرم الشريف إعادة جدار المسجد ، ولا يتركه مهذوماً ، ويزيد ذلك تحريماً أن يبني على أرض المسجد ويجعل جداراً للدار ، فهذا فيه أخذ قطعة من المسجد وإدخالها

فی الدار ، وهو ممنوع ، وإن كان الأول وجب فضلُ الدار منه ، ولم یجز أن ینتفع
بجدار المسجد فی الدار ، السادس : أن قوله صلی الله علیه وسلم : «سُدُّوا الأبوابَ
اللاصقة فی المسجد» يدل علی أنه لم یخص الحکم بجداره بل عاقه باللصوق فی المسجد ،
أی کونه متصلاً به ، فیشمل ذلك کل باب لصق به من أی جدار كان ، السابع :
أن الحدیث الآتی — وهو قوله صلی الله علیه وسلم : «لو بنی مسجدی هذا إلی صنعاء
كان مسجدی» — دلّ علی استواء القدر الذی كان فی عهده مسجداً والذی یحدث
بعده فی الحکم ، فکذلك یستوی الجدار الذی كان فی عهده والذی یحدث بعده
فی الحکم ، الثامن : لو قدر — والعیاذ بالله — احتیاج بعض حیطان الکعبة إلی هدم
وإصلاح فهدّتها الإمام وأعادها فهل یقول قائل : إن الحائط الذی أعاده ملک له
یفتح فیهِ ما شاء ویصرف فیهِ کیف شاء ولا ینخرج عن ملکة حتی یوقفه ؟ فإن
قیل بذلك ففی غایة السقوط ، وإن لم یقل به فحائط المسجد النبوی كذلك ؟ إذ
الحرمَانِ الشریفانِ مستویان فی غالب الأحكام وقیاس الحرم النبوی علی الحرم المکی
أشبه من قیاسه علی سائر المساجد ؛ لما له من الخصوصیات لاسیما مع ما ورد فیهِ من
النصوص فی هذا الحکم بعینه ، التاسع : قد ذکر الأقفهسی أن الملك الظاهر بپیرس
هو الذی أحدث المقصورة حول الحجره الشریفه سنة ثمان وستین وستمائه ، وأنه فعلَ
ذلك ظناً منه أنه زیادة تعظیم وحرمة للحجره ، ثم أنکر الأقفهسی هذا الفعل ؛ لکونه
حَجَرًا طائفة من الروضة الشریفه عن صلاة الناس فیها ، وصار هذا القدر مأوی
النساء بأطفالهن أيام الموسم ، ونقل عن قاضی القضاة عز الدین بن جماعة أن ذلك ذکر
الملك الظاهر ، فسکت وما أجاب ، ثم قال : وهذا من أهم ما ینظر فیهِ ، انتهى .
فانظر إلی توقف العلماء فی هذا القدر مع أنه لم یرد فیهِ نص بمنع ، بل قصّد التعظیم
فیهِ والحرمة ظاهر ، فكیف بإحداث باب یشرعُ أو شبایبک یطعم منها أو یجلس فیها
الجالس مرتفعاً مع مُصَادمة ذلك للنصوص ؟ وإن لم یظهر لمن قال بذلك أطراد الحرمة فی
الجدار المعاد فلا أقل من التوقف والورع فی مثل هذا المحل الخطر ، العاشر : هل یظن

ظاناً أو يتوهم متوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم خص المنع بالجدار بُخلاً بجداره أو حرصاً عليه أو خشية أن يضعف الجدار ؟ كلا والله ، إنما أراد بذلك منع الاستطراق والاطلاع إلى مسجده ، مع قطع النظر عن الجدار بخصوصه حسب أمره الله وأوحى إليه . الحادى عشر : هل كان المنع لعمر وغيره من حيث الجدار حتى لو فتحوا من جدارهم حيث لا جدار للمسجد لجاز لهم ذلك ؟ الأحاديث تقتضى خلافه كما يفهمها من مر عليها . الثانى عشر : هذا المنع قد أسنده النبي صلى الله عليه وسلم إلى الوحي ولم يبين علة ، فإن أدرك له علة - وهو تعظيم المسجد - استمر ذلك إلى يوم القيامة فى كل جدار ، وإن لم يدرك له علة استمر أيضاً ؛ فإن التخصيص إذا لم ينص يكون عن قياس ، وما لا تدرك علة لا يدخله القياس كسائر الأمور التوقيفية والتعبدية ، وإن قال قائل « العلة اختصاصه بالجدار » قلنا : ليس هذا بعلة ، وإن قال « العلة خوف إضعافه » قلنا : هى علة ساقطة ؛ لأن الصحابة كانوا يلتزمون ببناءه كما وهى ، فدل على أنه إنما يعمل بتعظيم المسجد فيعم ، أو غير معلل بل هو حكم أمر الله نبيه أن يأمر به ولم يطلع على علة . الثالث عشر : قد وقع فى الأحاديث التصريح بأن هذا عهد عهد به صلى الله عليه وسلم عند وفاته ، وقد علم صلى الله عليه وسلم ما هو كائن فى أمته إلى أن تقوم الساعة ، وعلم من جملة ذلك أنه يقع فى خلافة عمر إزالة تلك الجدر الموجودة ، وذلك بعد وفاته بسنين قليلة ، فلو كان الحكم الذى عهد به مختصاً بتلك الجدر لبينه ، لعلمه بزوالها عن قريب . الرابع عشر : قد ورد عن عائشة أنها كانت تمنع أهل الدور المطيفة بالمسجد من دق الوتر فى الحائط ، وذلك بعد إزالة الجدر التى كانت فى عهده صلى الله عليه وسلم ، فدل على أن الجدر التى أعيدت لها حكم الجدار الأول . الخامس عشر : قوله صلى الله عليه وسلم « لا يبقين فى المسجد باب إلا سد » يدل على أن الحكم معلق بالمسجد ، ولم يقل لا يبقين فى الجدار . السادس عشر : ذكر عمر بن شبة فى أخبار المدينة أن دار أبى بكر التى

(٥ - الحاوى ٢)

أبقيت فيها الخوخة باعها أبو بكر في أمرٍ احتاج إليه ، فاشتريتها حَفْصَةَ أم المؤمنين بأربعة آلاف ، فلما وسع المسجد في زمن عثمان طلب منها أن تبيعها ليوسع بها المسجد، فامتنعت ، وقالت : كيف بطر يقي في المسجد ؟ فهذا يدل على أن الصحابة فهموا من الأمر الشريف الاختصاص بالمسجد لا بالجدار امتناع فتح الأبواب ونحوها ولو بعد توسعة المسجد وهدم الجدار النبوي . السابع عشر : أن ابن الصلاح سئل عن رباطٍ موقوفٍ على الصوفية اقتضت المصلحة أن يفتح فيه باب جديد مضافاً إلى بابه القديم فأجاب بالجواز بشروط ، واستدل بفعل عثمان رضي الله عنه حيث فتح في المسجد النبوي أبواباً زيادةً على ما كان ، وهذا من ابن الصلاح دليلٌ على أنه فهم أن الجدار المُعاد له حكم الجدار الأول ؛ لأن عثمان رضي الله عنه إنما فتح في جداره الذي بُناه هو بعد إزالة الجدر النبوية والجدر العمريّة ، فلو كان الحكم مختلفاً لم ينهض لابن الصلاح الاستدلالُ بذلك ؛ لأنه يقال له في الفرق : جدارُ الرباط جدارُ الواقف فلا يفتح فيه ، والجدارُ الذي فتح فيه عثمان ليس جدارَ الواقف ، بل هو جداره وملكه ، فيبطل الاستدلال ، وقد نقل السبكي كلامَ ابن الصلاح هذا في فتاويه ، وقال : إنه صحيح ، فهو تقرير لهذا الفهم . الثامن عشر : صرح العبادي والشيخ أبو محمد الجويني في كتاب موقف الإمام والمأموم بأنه لو التمس من الناس آلة ليبنى بها مسجداً ، فأعطوه الآلة ، فبنى بها ، فإنه يصير مسجداً بنفس البناء ، ولا يحتاج إلى إنشاء وقف كما لو أحيأ مَوَاتاً بنية جَمْعِهِ مسجداً فإنه يصير مسجداً بالنية ، ولا يحتاج إلى وقف ، نقله الزركشي في التكملة عن الجويني ، وابنُ العماد في أحكام المساجد عن العبادي ، وهذا يدفع القول بأن حائط المسجد الشريف إذا أعادها الإمامُ يكون ملكاً له ويحتاج إلى إنشاء وقف ؛ لأنه ما نوى بعمارتها إلا إعادة حائط المسجد ، والقرائنُ على هذه النية متضافرة منها كون البناء على أرض المسجد . التاسع عشر [والعشرون] قال الماوردي : إذا بنى مسجداً في مَوَاتٍ ونَوَى به

المسجد صار به مسجداً ، وَيُغْنِي الفعل مع النية عن القول ، قال : ويزول ملكه عن الآلة بعد استقرارها في مواضعها من البناء ، وهي قبل الاستقرار باقية على ملكه ، إلا أن يقول : انها للمسجد ؛ فيخرج عن ملكه ، نقله الزركشي في التكملة ، وصَدْرُ هذا الكلام والاستثناء الذي في آخره يبطلان القول بأن حائط المسجد الشريف إذا أعادها الإمام صارت ملكه ، ويحتاج الى وَقْفٍ . الحادي والعشرون : لم يُنْقَلْ عن عثمان رضي الله عنه أنه حين وَسَّعَ المسجدَ صَرَّحَ بوقفه ، ولا ذكر لفظاً ، ذكره الزركشي في التكملة . قلت : وكذلك لم ينقل عن عمر بن عبد العزيز ولا عن المهدي حين وَسَّعاه ، ولا عن أحد من الملوك الذين بَنَوْهُ بعد الحريق الأول أنهم صَرَّحُوا بوقفه ، ولا ذكروا لفظاً ، ولا نَبَّهَهُم أحدٌ من علماء عصرهم مع كثرتهم على أنه محتاج إلى ذلك ؛ فدلَّ على أنه لا يحتاج إليه ؛ لأن البناء المجدد تابع للمسجد القديم . الثاني والعشرون : قال الزركشي : أورد بعضهم على قول الأصحاب « لو بَنَى مسجداً وأذن في الصلاة فيه لم يصر مسجداً » أنه صلى الله عليه وسلم لم يُنْقَلْ عنه أنه حين بنى مسجده تلفظ بوقفه . قلت : وقد يجاب عنه بأنه صلى الله عليه وسلم بَنَاهُ بأمر الله تعالى وبالوحي ، فأغنى ذلك عن التصريح بوقفه ، فإن قوة الأحاديث والأخبار تعطي ذلك ، فيكون ذلك من خصائص مسجده ، وتستمر هذه الخصوصية فيه إلى يوم القيامة ؛ فلا يحتاج كل مَنْ جَدَّدَهُ إلى تصريح بوقفه . الثالث والعشرون : قال في الروضة وأصلها نقلاً عن الإمام : لا شكَّ في انقطاع تصرف الإمام عن بقاع المسجد ، فإن المساجد لله ، انتهى ، وهذا الكلامُ صريحٌ في منعه من أن يبني حائطاً على بقعة المسجد ويضم إليها زيادةً في البناء موصولة بها متملكاً ذلك ، ويتصرف في المجموع بفتح الشباييك أو غير ذلك . الرابع والعشرون : هل يجوز للإمام أو غيره إعادة حائط المسجد من مال نفسه على نية التملك والتصرف بما شاء مع وجود سهم المصالح الذي يجب عليه بناء المساجد منه

وإعادتها كما كانت ؟ هذا محل نظر ، وما أظن فقيهاً يسمح به إلا بشرط عدم نية التملك والتصرف ، وكذا مع وجود ربيع متحصل من وقف المسجد . الخامس والعشرون : قد صرح العلماء بأن ملك النبي صلى الله عليه وسلم ثابتٌ بعد موته لثبوت الحياة له ، ولهذا أنفق على زوجاته بعد وفاته من سهمه الذي كان يستحقه ، فكذلك يُبنى منه ما تهدم من مسجده ، ويعاد على وضعه وشروطه من غير تعدٍ ولا تصرف . السادس والعشرون : لا شك في أن جميع ما بأيدي الملوك الآن هو مال بيت المال ، وليس في أيديهم شيء يثبت أنه ملكهم بالطريق الشرعي ، وأي جهة فرضت فعنها الجواب الشافي ، فالخائض المعاد لم يبن بماله نفسه ، فلا ملك له فيه . السابع والعشرون : قد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم من حيث المعنى على قريش حيث تصرفوا في الكعبة لما بنتوها ، ولم يُعيدوها على بناء إبراهيم ، وسَدَّوا أحد بابيها ، وغيروا موضع الآخر ، وهمَّ بهدمها وإعادة البابين كما كانا لولا حدثان عهدم بالجاهلية ، فما منعه من ذلك إلا مصلحة التألف على الإسلام وخوف ارتدادهم إلى الكفر ، وهذا يدل على أن البناء المعاد له حكم ما كان قبل الهدم ، وإلا كان يقال : إن قريشا إنما تصرفت في بنائها الذي بنته من مالها ، وإن بناء إبراهيم قد ذهبت عينه وزال رسمه ، ولهذا قال السبكي فيما سيأتي نقله عنه : إن همَّ النبي صلى الله عليه وسلم بفتح الباب الثاني في الكعبة رد لما كانت عليه أولاً ، ولا فرق بين ما بناه إبراهيم صلى الله عليه وسلم بالوحي وبين ما بناه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بالوحي ، وإنما قد يُفرق بين ذلك وبين سائر المساجد التي بناها آحاد الناس إن سُمَّ الفرق ، وقد وقع في كلام ابن الصلاح قياس رباط الصوفية في إحداهن باب فيه على الكعبة . الثامن والعشرون : صرح ابن العماد في أحكام المساجد بأنه لو كانت المساجد متلاصقة فأراد الناظر رفع الجدار التي بينها وجعلها مسجداً واحداً لم يجوز له ذلك ؛ لأنه يؤدي إلى تغيير معالم الوقف ، وكذلك لا يجوز ترك جدار المسجد النبوي والاقصر على جدار واحد

يجعل للمدرسة التي تلاصقه مكتفياً به عن جدار المسجد ، على جهة الاختصاص بالمدرسة أو الاشتراك بينها وبين المسجد ، بل لا بدّ من جدارٍ للمسجد متميزٍ منفصل عن جدار غيره ، يختص به وتجري عليه أحكامه . التاسع والعشرون : هذه المدرسة إن لم تكن مسجداً - كما هو المعروف في المدارس والرُّبُطِ - فلا يجوز الاشتراك بينها وبين المسجد في الجدار ؛ إذ لا يتميز حينئذ جدار المسجد الذي حكمه حكم المسجد من جدار المسجد المدرسة الذي لا يُعطى حكم المسجد من وجوه ؛ منها تحريم مكث الجنب ، وصحة الاقتداء ، والاعتكاف ، وتحريم البصاق ، وتحمل الجذوع ، وإعادةه إذا هدم من مال الوقف أو مال بيت المال ، إلى غير ذلك ، وإن كانت مسجداً فينظر إلى ما أورده المفسرون من الأحاديث والآثار في آخر سورة براءة .

ومنهم من قال : المنعُ مخصوص بالقدر الذي كان في عهده صلى الله عليه وسلم ، فأما الزيادة التي وُسِّعَ بها فلا ، وهذا مردود بنص العلماء على أن المسجدين ولو وُسِّعا معا لم تختلف أحكامهما الثابتة لهما ، وقد وُسِّعَ في زمن عثمان وغيره واستمرَّ الصحابة على إبقاء الحكم المذكور ، وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو بُنيَ مسجدى هذا إلى صنمَاء كان مسجدي » وروى أيضا عن عمر بن الخطاب قال : لو مُدَّ مسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذى الحليفة لكان منه ؛ فهذا الحديث والأثر تصريح بأن أحكام المسجد ثابتة له ، ولو هدم عما كان في عهده صلى الله عليه وسلم وأعيد ، ولو وسع وامتدَّ ، وأيضاً فالتوسعة لا تمنع استمرار الحكم ؛ لأنه يلزم من الاستطراق إلى القدر المزيد الاستطراق إلى بقية المسجد ، وهو القدر الذي كان في عهده ؛ فالخذورُ باقٍ .

فصل : وقد تعرض جماعة من متأخري أصحابنا للمسألة وعمموها في سائر المساجد .

فَسُئِلَ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ عَنِ بَابِ فَتْحِ فِي سُورِ الْمَسْجِدِ ، هَلْ بَعْدَ فَتْحِهِ يَجُوزُ

الاستطراق منه إلى المسجد مثل الأبواب التي في المسجد الحرام ومثل شبك الطبرسية المجاورة للجامع الأزهر ، أم لا يجوز ذلك ، ويفرق بين أن يكون الجدار عريضا بحيث يحتاج إلى وضع القدم في وسطه أم لا ؟

فأجاب بأن هذه المسألة يتكلم فيها في موضعين ، أحدهما في جواز فتح الباب المذكور ، الذي يظهر على قواعد مذهب الشافعي أنه لا يجوز ، ولا يكاد الشافعية يرتابون في عدم إجازة ذلك ، فإنهم يحترزون عن تغيير الوقف جداً ، ولما فتح شبك الطبرسية في جدار الجامع الأزهر عظم ذلك على رأيتيه من المنكرات ، ولما فتح الشيخ علاء الدين في بيته في المدرسة الشريفة بالقاهرة شبكا لطيفا لأجل الضوء خشي الإنكار [عليه] فقال لي : إنه استند إلى كلام لابن الرفعة في المطلب شرح الوسيط ، ورأيت أنا ذلك الكلام عند قول الغزالي في تعليل الوجه القائل بأنه لا يجوز تزويج الجارية الموقوفة لأنه ينقص الوقف ويخالف غرض الواقف ، فقال ابن الرفعة : قوله « ويخالف غرض الواقف » يفهم أن أغراض الواقفين وإن لم يصرح بها ينظر إليها ، ولهذا كان شيخنا عماد الدين يقول : إذا اقتضت المصلحة تغيير بناء الوقف في صورته لزيادة ريعه جاز ذلك وإن لم ينص عليه الواقف بلفظه ؛ لأن دلالة الحال شاهدة بأن ذلك لو ذكره الواقف حالة الوقف لأثبتته في كتاب وقفه ، قال ابن الرفعة : وقلت ذلك لشيخ الإسلام في وقته وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وأن قاضي القضاة تاج الدين وولده قاضي القضاة صدر الدين عملا بذلك في بعض الوقف ، من تغيير باب من مكان إلى مكان ، فقال لي في جواب ذلك : كان والدي - يعني الشيخ مجد الدين - يقول : كان شيخنا المقدسي يقول بذلك ، وأكثر منه ، قال الشيخ تقي الدين : وناهيك بالمقدسي ، أو كما قال ، فأشعر ذلك كله برضاه ، فاغتبط ابن الرفعة بما استشعره من رضي الشيخ تقي الدين ، وكان قدوة زمانه في العلم والدين ، وكان بحيث يكتفي منه بأدنى من ذلك ، والمقدسي شيخ والده مالكي فقيه محدث قدوة أيضاً ، وقد قلت في شرح المنهاج : إن الذي أراه في ذلك الجواز

بشرطين ، أحدهما : أن يكون يسيراً لا يغير مسمى الوقف ، الثاني : أن لا يزيل شيئاً من عينه بأن ينقل بعضه من جانب إلى جانب ، فإن اقتضى زوال شيء من العين لم يجز ، فإذا وجد هذان الشرطان فلا بأس إذا كان في ذلك مصلحة للوقف ، فهذا شرط ثالث لا بد منه ، وهو مقصودى فى شرح المنهاج وإن لم أصرح به ، وفتح شبك الطيرسية لامصلحة للجامع الأزهر فيه ، فلا يجوز ، وكذلك فتح أبواب للحرم لاحاجة للحرم بها ، وإنما هى لمصلحة ساكنيها ، فهذا لا يجوز على مقتضى قواعد مذهب الإمام الشافعى ولا على مذهب غيره إذا لم يكن فيه مصلحة .

وفى فتاوى ابن الصلاح : رباطٌ موقوف على الصوفية اقتضت المصلحة لأهله أن يفتح فيه باب جديد مضافاً إلى بابه القديم فهل يجوز للنظر ذلك وليس فى شرط الواقف تعرض لذلك بمنع ولا إطلاق ؟

أجاب إن استلزم ذلك تغيير شيء من الموقوف عن هيئة كان عليها عند الوقف إلى هيئة أخرى غير مجانسة لها مثل أن يفتح الباب إلى أرض وقفت بستانا مثلاً فيستلزم تغيير محل الاستطراق منه وجعل ذلك انقدر طريقاً بعد أن كان أرض غرس وزراعة فهذا وشبهه غير جائز ، وإن لم يستلزم شيئاً من ذلك ولم يكن إلا مجرد فتح باب جديد فهذا لا بأس به عند اقتضاء المصلحة له ، وفى الحديث والأثر الصحيحين ما يدل على تسويغه ، الحديث « لولا حِدْثَانُ قَوْمِكَ بالكفر لجمعت للكعبة بابين » ولا فرق ، والأثر فعلُ عثمان بن عفان فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو إجماع .

قات : الذى قاله صحيح ، لكن فى استدلاله بالكعبة نظر ؛ لأن البابين كانا فى زمن إبراهيم ، ففتحُ الثانى ردٌّ لما كانت عليه فى الأول ، وأما فعل عثمان فكان لمصلحة عامة المسلمين ، فلا يلزم طرْدُهُ فى كل وقت ، ألا ترى أن ذلك هدم بالكلية ، ولو جئنا نفعل ذلك فى كل عصر فى كل الأوقات لم يجز .

وقال ابن الصلاح : لا بد أن يمان ذلك عن هدم شيء لأجل الفتح على وجه

لا يستعمل في موضع آخر من المسكان الموقوف ؛ فإن ذلك من الموقوف ، فلا يجوز إبطال الوقف فيه ببيع وغيره ، فإذا كان الفتح بانتراع حجارته - بأن تجعل في طرف آخر من المسكان - فلا بأس ، هذا كلام ابن الصلاح .

ويظهر من هذا أنه يجوز الفتح بهذه الشروط في باب جديد في الحرم إذا ضاقت أبوابه من ازدحام الحجيج ونحوهم ، فيفتح فيه باب آخر وأكثر ليتسعوا ، فهذا هو الذي نقول إنه جائز بالشرط المذكور ، أما غيره لغرض خاص من جيرانه أو غيرهم فلا .
الموضع الثاني - وهو جواز الاستطراق فيه بعد الفتح - ولا نقل عندي في مثله ، والذي أقوله : إنه حيث جاز الفتح جاز الاستطراق ولا إشكال ، وحيث لم يجز الفتح فقد خطر لي في نظري في ذلك في باب الكعبة الذي هو اليوم وهو الذي أخذتته قريش بدلا عن الباب التحتاني الذي كان في زمن إبراهيم عليه السلام وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم منه ، وخطر لي في الجواب عنه أن دخول الكعبة مشروع سنة ، وربما كان واجبا ، فلا يترك لفعل قريش ، ولم يكن تغيير ذلك الباب ممكنا لما قال صلى الله عليه وسلم : « لولا حدثان عهد قومك » فاجتمع في باب الكعبة أمران ، أحدهما جواز إبقائه في ذلك الوقت ، والثاني الحاجة إلى دخول الكعبة إقامة للشرع المسنون والواجب ، وهكذا الآن ، فإن الإجماع انعقد على جواز تغييرها معاً ، ويكفي تقرير النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً لجواز إبقاء ذلك الباب والدخول منه ودع^(١) يكون فتح على أي وجه كان ، وتقرير النبي صلى الله عليه وسلم ودخوله منه شرع مستقل ، ويكون أيضاً في أن الحجر من البيت ، وقد أفرده عنه ببناء لطيف فيه فتحتان شرقية وغربية في جربة^(١) متلاصقتان لجهة الكعبة والدخول فيه من إحدى الفتحتين أو من فوق جداره اللطيف ما أظن أحداً يمنع منه ، ولا أدري هل دخله النبي صلى الله عليه وسلم أولاً ، ولكن جاء في الترمذي أنه قال لعائشة « صلى فيه » والمعنى الذي قدمناه من تقرير النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً يكفي في مشروعية إبقائه

(١) في هذه العبارة قلق ، لكن المعنى ظاهر

والدخول فيه من تلك الفتحتين ، ومن التسوُّر على جداره ، وكيف كان فإن دعت الحاجة إلى الدخول فيه [جاز] الدخول منه كالدخول في الكعبة لاجتماع المعنيين وإن لم تدعُ الحاجة كان الجواز لأجل جواز الإبقاء للحديث المذكور وللتقرير ؟ وأما الأبواب المفتحة للحرم من أما كن لأصحابها فلا حاجة للمسلمين ولا للحرم بها ، فلا يجوز فتحها ، ولا يجوز إبقاؤها ، ولا حاجة إلى الدخول إلى الحرم منها ، فلم يوجد فيها شيء من المعنيين اللذين في الكعبة ، فيظهر أن لا يجوز لأمرين أحدهما معنى فإن شيخنا ابن الرفعة لما زينت القاهرة في سنة اثنتين وسبعمئة زينة عظيمة أفتى بتحريم النظر إليها ، قال : لأنها إنما تعمل لينظر إليها فهو العلة الغائية المطلوبة منها [ففي] تحريم النظر إليها حملٌ على تركها ، وهكذا إذا تواطأ الناس على عدم الدخول منه كان ذلك داعياً إلى سدِّه الواجب وما لا يتوصَّلُ إلى الواجب إلا به فهو واجب ، وترك الواجب حرام ، بل أقول : إن الدخول منه دعاية إلى الحرام ودوامه فيكون حراماً ، والثاني أن الوقف غير مملوك لنا ، وإنما جاز لنا التصرف فيه بإذن من الواقف شرطاً أو عرفاً على مقتضى الشرع ، فواقف الجامع والحرم وغيرها من المساجد ونحوها وقفه على صفةٍ ليس لنا أن نتصرف فيه إلا على تلك الصفة ، والدخول من ذلك المكان المفتوح لم يقتضه شرط الواقف ، فلا يكون مملوكاً لنا ، وأيضاً فمن ملك مكاناً ملك تحته إلى تحت تخوم الأرض وفوقه إلى السماء ، والهواء الذي فوقه مملوك له ؛ فالداخل من الباب متصرف في هواء غيره بما لم يؤذن له ، فلا يجوز مع ملاحظة هذين المعنيين ، فلا فرق بين أن تكون العتبة عريضة بحيث يضع قدمه عليها أولاً ، نعم إن كانت عريضة يتأكد المنع للتصرف في الهواء والقرار هذا هو الذي يترجح عندي في ذلك .

ويحتمل أيضاً أن يقال : المنع إنما كان لوجود الجدار ، وليس بمقصود في نفسه ، فإذا زال الجدار بأي طريق كان فلا يمتنع دخول المكان كما لو انهدم بنفسه ، واعتبار ملك الهواء - بحيث يقال ليس لهما العبور إذا انهدم بنفسه - لا تقتضيه قواعد

الفقه ولا العرف ، وهو مستنكر ، فالوَجْهُ أن يقال : إنما يتخيل التحريم من جهة أنها إعاقة على ظلم ، فإذا لم يكن إعاقة على ظلم فهو جائز ، وذلك حيث لا يفيد الامتناع من الدخول ، وإنما يفيد إذا كان الممتنع مطاعاً ، فيكون امتناعه سبباً لإنكار المنكر ، فيجب ، وإذا لم يكن بهذه المثابة فلا منع ، لاسيما قد يتفق أن يكون الشخص الذي لا قدرة له على التغيير ساكناً في جوار الحرم في مكان قد فتح منه باب كذلك وهو لا يقدر على سدّه ، فيحتمل جواز دخوله منه ، ويقوى ذلك إذا احتاج بأن يكون في الليل ونحوه وخاف على نفسه أو مامعه من الخروج فإننا نقطع في هذه الحالة بجواز دخوله قياساً على الكعبة للحاجة ، وأما السكن فيه فلا يمتنع - هذا كله كلام السبكي في فتاويه .

وقال الزركشي في كتابه أحكام المساجد : بَوَّبَ البخاري في صحيحه « باب الخوخة والممر في المسجد » وأدخل فيه حديث أبي سعيد أنه صلى الله عليه وسلم خطب وقال : « لا يَبْقَيْنَنَّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر » وظاهر الخبر المنع ، وخصوصية الصديق بذلك دون غيره ، هذه عبارته .

وأورد ابن العماد في كتابه أحكام المساجد كلام السبكي بحروفه ، ثم أورد على حديث الأمر بسد الأبواب إشكالا ، وهو غير وارد ، فقال : يلزم على الحديث إشكال وهو أن هذه الأبواب - يعني التي أمر بسدّها - إن كانت من أصل الوقف التي وضع المسجد عليها لزم عليه جواز تغيير معالم الوقف وخروجه عن الهيئة التي وضع عليها أولاً ، وإن كانت مُحدّثة لزم عليه جواز فتح باب في جدار المسجد وكوة يدخل منها الضوء وغير ذلك مما تقتضيه مصلحة حتى يجوز لأحد الرعية أن يفتح من داره المجاورة للمسجد باباً إلى المسجد في حائط المسجد ، وقد تقدم أنه ممنوع ، ويحتمل أن يقال : يجوز ذلك للواقف دون غيره ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي وقف المسجد ، وفيه إشكال من جهة انتقال الوقف وزواله عن ملكه إلى الله تعالى ، هذه عبارته . قلت : الإشكال ساقط ، فإن الفتح أولاً كان بأمر من الله ووَحْيٍ فكان جائزاً

ثم نسخ الله تعالى ذلك وأمر بالسد بوحى أيضاً كما تقدم في الأحاديث ، فهو من قبيل
الناسخ والمنسوخ من الأحكام الشرعية ، فلا إشكال ، وقد فهم من كلام السبكي
السابق أنه لا يجوز الفتح إلا بثلاثة شروط : أن يكون يسيراً لا يغير مسمى الوقف ،
وأن لا يزيل شيئاً من عينه ، وأن يكون في ذلك مصلحة للوقف أو لعامة المسلمين ،
ويزاد عليها شرط رابع من فتاوى ابن الصلاح ، وهو أن لا يكون في شرط الواقف
نص على منعه ، فإذا اجتمعت هذه الشروط الأربعة جاز الفتح ، وإن فقد شرط
منها لم يجز ، وقد فقد في مسجد المدينة شرطان الثالث والرابع ؛ فإنه لا مصلحة في
ذلك للمسجد ، بل للمدرسة المجاورة كما قاله السبكي في الطيبرسية مع الجامع الأزهر وفي
البيوت المجاورة للمسجد الحرام ، وأما الرابع فإن الواقف وهو صاحب الشرع صلى الله عليه
وسلم نص على منعه ، وأسند ذلك إلى الوحي الشريف ، فوجب القول بالمنع ولو قيل
بالجواز في بقية المساجد ، وقد بنى السلطان سقاية للشرب في رَحْبَةِ الجامع الطولوني
وفتح له شباكا في الجدار المحوط على الرحبة ليسهل شرب المارين منها ، وهذا الفتح
جائز هنا لوجود المصلحة العامة وعدم نص من الواقف على منعه ، ولو أراد السلطان
الآن الزيادة في عدة أبواب المسجد النبوي لجاز له ذلك ، بل يستحب لأمرين :
أحدهما وجود المصلحة العامة ، والثاني الرد إلى ما كان عليه أولاً ، فسيأتي أنه كان
له في زمن عمر بن عبد العزيز عشرون باباً .

فائدة نختتم بها الكتاب : قال النووي في شرح المهذب : فرع ، عن خارجه
ابن زيد بن ثابت آخر فقهاء المدينة السبعة ، قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسجده سبعين ذراعاً في ستين ذراعاً أو يزيد ، قال أهل السير : جعل عثمان بن عفان
طول المسجد مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ، وجعل أبوابه ستة كما كانت
في زمن عمر ، وزاد فيه الوليد بن عبد الملك فجعل طوله مائتي ذراع وعرضه في مقدمته
مائتين وفي مؤخره مائة وثمانين ، ثم زاد فيه المهدي مائة ذراع من جهة الشام فقط
دون الجهات الثلاث ؛ هذا ما في شرح المهذب .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن الزهري قال : بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موضع المسجد ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مِرْبَدًا لَسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ — غلامين يتيمين من الأنصار — وكانا في حِجْرِ أَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلامين فساوَمَهُمَا بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا : بل نَهَبَهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما ، فابتاعه بعشرة دنانير ، وأمر أبا بكر أن يعطيها ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل الذي في الحديقة وبالفرقد الذي فيه أن يقطع ، وأمر بِاللَّيْنِ فَضْرَبَ ، وكان في المربد قبور جاهلية ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنُبِشَتْ ، وأمر بالعظام أن تغيب ، وكان في المربد ماء مستحل فسيروه حتى ذهب وأسسوا المسجد ، فجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي هذين الجانبين مثل ذلك ، فهو مربع ، ويقال : كان أقل من المائة ، وجعلوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، ثم بنوه بِاللَّيْنِ ، وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فَأَغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِ
وجعل يقول :

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

وجعل له ثلاثة أبواب : باباً في مؤخره ، وباباً يقال له باب الرحمة وهو الباب الذي يدعى باب عاتكة ، والباب الثالث الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الباب الذي يلي آل عثمان ، وجعل طول الجدار بسطة ، وعمده الجذوع ، وسقفه جريداً ، فقيل له : ألا تسقفه ؟ فقال : عريش كعريش موسى خشيبات ، وتمام الشأن أعجل من ذلك .

وبني بيوتاً إلى جنبه بِاللَّيْنِ ، وسقفها بجذوع النخل والجريد ، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي بابه شارعٌ إلى المسجد ، وجعل سَوْدَةَ في البيت

الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن مجمع بن يزيد ، قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد مرتين ، بناه حين قدم أقلّ من مائة في مائة ، فلما فتح الله عليه خيبر بناه وزاد فيه مثله في الدور ، وضرب الحجرات ما بينه وبين القبلة .

وأخرج أيضاً عن أنس قال : بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما بناه بالجريد وإنما بناه باللين بعد الهجرة بأربع سنين .

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن المسجد كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مبنياً باللين ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللين والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة^(١) وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .

وقال الأقفهسي في تاريخ المدينة : قيل : كان عرض الجدار في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كبنّة ، ثم إن المسلمين لما كثروا بنوه لبنة ونصفاً ، ثم قالوا : يا رسول الله لو أمرت لزدنا ، فقال : نعم ، فزادوا فيه وبنوا جداره كبنتين مختلفتين ، ولم يكن له سطح ، فشكوا الحر ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم فأقيم له سوار من جذوع ثم طرحت عليها العوارض والحصر والإذخر ، فأصابتهم الأمطار ، فجعل يكفّ عليهم^(٢) فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فطين ، فقال : « عريش كعريش موسى ، والأمر أعجل من ذلك » .

ولما زاد فيه عمر جعل طوله مائة وأربعين ذراعاً وعرضه مائة وعشرين ذراعاً ، وبدل أساطينه بأخر من جذوع النخل ، وسقفه بجريد ، وجعل طول السقف أحد عشر ذراعاً ، وفرشه بالحصى .

(١) في المصباح : القصة — بالفتح — الجص ، بلغة الحجاز بين .

(٢) أي يتقاطر ماء المطر

ولما زاد فيه عثمان — وذلك في ربيع الأول سنة تسع وعشرين — جعل طوله
مائة وستين ذراعاً وعرضه مائة وخمسين ذراعاً ، وجعل أبوابه ستة .

ولما زاد فيه عمر بن عبد العزيز — وذلك بأمر الوليد بن عبد الملك ، وكان
عامله على المدينة — جعل طوله ما تقدم عن شرح المهذب ، وجعل على كل ركن
من أركانه الأربعة منارة للأذان ، وجعل له عشرين باباً ، وبني على الحجرة
الشريفة حائطاً ، ولم يلصقه بجدار الحجرة ولا بالسقف ، وطوله مقدار نصف قامة
بالآجر ، فلما حج سليمان بن عبد الملك هدم المنارة التي هي قبلي المسجد من الغرب ؛
لأنها كانت مظلة على دار مروان ، فأذن المؤذن فأطل على سليمان وهو في الدار
فأمر بهدمها .

ثم زاد فيه المهدي سنة إحدى وستين ومائة ، ولم يزد بعده أحد شيئاً ، ثم عمر
الخليفة الناصر سنة ست وسبعين وخمسة في صحنه قبة لحفظ حواصل الحرم وذخائره
ثم احترق المسجد الشريف بالنار التي خرجت من الحرة في ليلة الجمعة أول شهر
رمضان سنة أربع وخمسين وستمائة ، فكتب بذلك إلى الخليفة المستعصم ، فأرسل
الصناع والآلات مع حجاج العراق سنة خمس وخمسين وستمائة ، فسقفوا في هذه
السنة الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي والشرقي إلى باب جبريل ،
وسقفوا الروضة الشريفة إلى المنبر ، ثم قتل الخليفة سنة ست وخمسين واستولى التتار
على بغداد ، فوصلت الآلات من صاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر بن رسول
فعمل إلى باب السلام ، ثم عمل من باب السلام إلى باب الرحمة من سنة ثمان
 وخمسين من جهة صاحب مصر الملك المظفر قطز المعزى ، ثم انتقل الملك آخر هذه
السنة إلى الملك الظاهر بيبرس الصالحى فعمل في أيامه باقى المسجد ، وجعلت الأبواب
أربعة ، ثم لما حج سنة سبع وستين أراد أن يدير على الحجرة الشريفة درابزيناً من
خشب ، فقام ما حولها بيده ، وأرسله سنة ثمان وستين ، وعمل له ثلاثة أبواب ،

وطوله نحو مائتين ، ثم في سنة ثمان وسبعين في أيام الملك المنصور قلاوون عملت القبة على الحجرة الشريفة ، ثم في سنة أربع وتسعين في أيام الملك العادل كتبنا زيد في الدرازين الذي على الحجرة حتى وصل بسقف المسجد الشريف ، ثم في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة إحدى وسبعمئة جُدِّدَ سقف الرواق الذي فيه الروضة الشريفة ، ثم جُدِّدَ السقف الشرقي والغربي في سنة خمس وسبعمئة ، ثم أمر بعمارة المنارة الرابعة مكان التي هدمها سليمان بن عبد الملك فعمرت سنة ست وسبعمئة ثم أمر بإنشاء الرواقين في محن المسجد من جهة القبلة في سنة تسع وعشرين وسبعمئة ، ثم في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون جددت القبة التي على الحجرة الشريفة ، ثم أحكت في أيام الملك الأشرف شعمان بن حسن بن محمد بن قلاوون سنة خمس وستين وسبعمئة بأن سمر عليها ألواح من خشب ومن فوقها ألواح الرصاص ، ثم في أيام سلطان العصر الملك الأشرف قايتباي في شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمئة عمر قبة أخرى وأشياء في المسجد ، ثم أعقب ذلك نزول صاعقة من السماء فأحرقت المسجد بأسره — وذلك في ليلة ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين — فأرسل السلطان الصنائع والآلات سنة سبع وثمانين ، وعليهم الخواجا شمس الدين بن الزمن ، فهدم الحائط القبلي ، وأراد أن يبني بجوار المسجد مدرسة باسم السلطان ويجعل الحائط مشتركاً بين المسجد والمدرسة ويفتح فيه باباً يدخل منه إلى المسجد وشبابيك مطلة عليه ، فمنعه جماعة من أهل المدينة ، فأرسل يطلب مرسوماً من السلطان بذلك ، فبلغه منع أهل المدينة ، فقال : استفتوا العلماء ، فأفتاه القضاة الأربعة وجماعة بالجواز ، وامتنع آخرون من ذلك ، وجاءني المستفتى يوم الأحد رابع عشر رجب من السنة المذكورة فجمعت الأحاديث المصدرة بها ، وأرسلتها لقاضي القضاة الشافعي ، فذكر أنه يرى اختصاصها بالجدار النبوي وقد أزيل ، وهذا الجدار ملك للسلطان يفتح فيه ما شاء ولا يصير وقفاً إلا بوقفه ، فذكرت الجواب عن ذلك من تسعة وعشرين وجهاً وألحقها بالأحاديث مع ما ذكر معها ،

وافردتها تأليفاً ، ورأيت ليلة الثلاثاء سادس عشرى رجب في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في همة وأنا واقف بين يديه ، فأرسلني لا أدري إلى عمر أو غيره ، ولا أدري هل أرسلني إليه لأدعوه أو لأبلغه رسالة ، ولم أضبط من المنام إلا هذا القدر ، فاستيقظت وأنا أرجو أن لا يتم لهم ما أرادوه ، ثم برز مرسوم السلطان بالفتح حسبما أفتاه من أفتاه ، وسافر القاصد بذلك في أواخر رجب ، وأرسل إلى رجلان من كبار أرباب الأحوال يخبراني أن هذا الأمر لا يتم ، ففي رمضان جاء الخبر بأن ذلك قد رجع عنه ، وعدلوا إلى الفتح من الجهة الغربية ، وأقوى بعض الحنفية بجواز ذلك ؛ لأن دار أبي بكر رضي الله عنه كانت من تلك الجهة ، وكان له باب مفتوح فيفتح نظيره ، فوجب النظر في ذلك ، فأقول : قد ثبت في الأحاديث السابقة وقرر العلماء أن أبا بكر رضي الله عنه لم يؤذن له في فتح الباب ، بل أمر بسد بابه ، وإنما أذن له في خوخة صغيرة ، وهي المرادة في حديث البخاري ، فلا يجوز الآن فتح باب كبير قطعا ، وليس لأحد أن يقول : إن المعنى الاستطراق ، فيستوى الباب والخوخة في الجواز ؛ لأن النص من الشارع صلى الله عليه وسلم على التفرقة - حيث أمر بسد بابه وأبقى خوخته - يمنع من التسوية والإلحاق ، وأما جواز فتح الخوخة الآن فأقول : لو بقيت دار أبي بكر وانفق هدمها وإعادةها أعيدت بتلك الخوخة كما كانت بلا مزية ، وكان يجب مع ذلك أن يعاد مثل تلك الخوخة قدراً ومحلا ، فلا تجوز الزيادة فيها بالتوسعة ، ولا جعلها في موضع آخر من الحائط ؛ اقتصاراً على ما ورد الإذن من الشارع الواقف فيه ، لكن دار أبي بكر هدمت وأدخلت في المسجد زمن عثمان ، وهل يجوز أن يبني بإزائها دار يفتح منها خوخة نظير ذلك؟ فيه نظر وتوقف ، فيحتمل المنع وهو الأقرب ؛ لأن تلك خصيصة كانت لأبي بكر فلا تتعدى داره ، ويحتمل الجواز لأمرين ، أحدهما : أن حق المرور قد ثبت من هذه البقعة التي بإزاء دار أبي بكر إلى المسجد بواسطة دار أبي بكر فيستمر ، والثاني : لا أبدية خوفاً أن يتمسك به المتوسعون .

وعلى الاحتمال فإنما يجوز بشرطين يتعذر الآن وجودهما : أن يكون الذى يفتح بقدر تلك الخوخة لا أوسع منه ، وأن يكون على ستمها لافى محل آخر ، والأمران لا يمكن الوقوف عليهما الآن للجمل بمقدار تلك الخوخة ومحالها ، وإذا لم يتحقق وجود الشرط امتنع المشروط ؛ فتلخص من ذلك القَطْعُ بالمنع من الخوخة ومن الشبايك أيضاً ، ويتحقق وجود الشرطين يجاب عن الأمر الثانى الذى رَمَزَتْ إليه ولم أبدءه ، إن عثر عليه عاثر ، هذا ما عندى فى ذلك .

خاتمة : وأما كسوة الحجره الشريفه فأول من كساها ابن أبى الهيجاء وزير ملك مصر ، بعد أن استأذن الخليفة المستضىء ، فكساها ديباجاً أبيض ، ثم بعد سنتين أرسل الخليفة المستضىء كسوة ديباجاً بنفسجياً ، ثم أرسل الخليفة الناصر لما ولى كسوة من الديباج الأسود ، ثم لما حجت أم الخليفة وعادت أرسلت كسوة كذلك ، ثم صارت ترسل الكسوة من جهة مصر كل سبع سنين من الديباج الأسود ، ذكر ذلك الأقفهسى .

المجاجة الزرّانية ، فى السلالة الزينية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : على بن أبى طالب رضى الله عنه رُزِقَ من الأولاد الذكور أحداً وعشرين ولداً ومن الإناث ثمانى عشرة ، على خلاف فى ذلك ، والذين أعقبوا من ولده الذكور خمسة ، قال ابن سعد فى الطبقات : كان النسل من ولد على خمسة : الحسن ، والحسين ، ومحمد بن الحنفية ، والعباس بن الكلابية ، وعمر بن التغلبية .

مسألة : فاطمة الزهراء رضى الله عنها رزقت من الأولاد خمسة : الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وأم كلثوم ، وزينب ، فأما محسن فدرج سقطا ، وأما الحسن (٦ - الحاوى ٢)

والحسین فأعقباً الكثير الطيب ، وأما أم كلثوم فتزوجها عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، وولدت له زيدا ورقية ، وتزوجها بعده ابنُ عمها عونُ بن جعفر بن أبي طالب فمات معها ، ثم تزوجها بعده أخوه محمدُ فمات معها ، ثم تزوجها بعده أخوه عبدُ الله ابن جعفر فماتت عنده ولم تلد لأحد من الثلاثة شيئاً ، وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبدُ الله بن جعفر فولدت له عليا وعونا الأكبر وعباسا ومهداً وأم كلثوم .

مسأله : أولاد زينب المذكورة من عبد الله بن جعفر موجودون بكثرة ، وتتكلم عليهم من عشرة أوجه .

أحدها : أنهم من آل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالإجماع ؛ لأن آله هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب ، وأخرج مسلم والنسائي عن زيد بن أرقم قال : قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خطيباً فقال : « أذكركم الله في أهل بيتي » ثلاثاً ، فقيل لزيد بن أرقم : ومن أهل بيته ؟ قال : أهل بيته من حرم الصدقة بعده ، قيل : ومن هم ؟ قال : آل علي ، وآل عقیل ، وآل جعفر ، وآل عباس .

الثاني : أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع ، وهذا المعنى أخص من الذي قبله ، قال البغوي في التهذيب : أولاد بنات الإنسان لا يُنسَبون إليه وإن كانوا معدودين في ذريته ، حتى لو أوصى لأولاد أولاد فلان يدخل فيه ولد البنت .

الثالث : أنهم هل يشاركون أولاد الحسن والحسين في أنهم يُنسَبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ والجواب لا ، وهذا المعنى أخص من الوجه الذي قبله . وقد فرق الفقهاء بين من يسمي ولداً للرجل وبين من يُنسَب إليه ، ولهذا قالوا : لو قال « وقفتُ على أولادي » دخل ولد البنت ، ولو قال « وقفتُ على من ينسب إليّ من أولادي » لم يدخل ولد البنت ، وقد ذكر الفقهاء من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه ينسب إليه أولاد بناته ، ولم يذكرُوا مثل ذلك في أولاد بنات بناته ، فالخصوصية للطبقة العليا فقط ؛ فأولاد فاطمة الأربعة ينسبون إليه ، وأولاد الحسن والحسين ينسبون إليهما فينسبون إليه ، وأولاد زينب وأم كلثوم ينسبون إلى أبيهم

عمر وعبد الله لا إلى الأم ولا إلى أبيها صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم أولاد بنت بنته لا أولاد بنته ، فجرى الأمر فيهم على قاعدة الشرع في أن الولد يتبع أباه في النسب لا أمه ، وإنما خرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التي ورد الحديث بها ، وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين . أخرج الحاكم في المستدرک عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل بنى أم عصبه ، إلا ابني فاطمة ، أنا وليهما وعصبتهما » وأخرج أبو يعلى في مسنده عن فاطمة رضی الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لكل بنى أم عصبه ، إلا ابني فاطمة ، أنا وليهما وعصبتهما » فانظر إلى لفظ الحديث كيف خص الانتساب والتمصّب بالحسن والحسين دون أختيهما ؟ لأن أولاد أختيهما إنما ينسبون إلى آبائهم ، ولهذا جرى السلف والخلف على أن ابن الشريفة لا يكون شريفاً ، ولو كانت الخصوصية عامة في أولاد بناته وإن سفلن كان ابن كل شريفة شريفاً تحرم عليه الصدقة ، وإن لم يكن أبوه كذلك كما هو معلوم ؛ ولهذا حكم صلى الله عليه وسلم بذلك لابني فاطمة دون غيرها من بناته ؛ لأن أختها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعقب ذكراً حتى يكون كالحسن والحسين في ذلك ، وإنما أعقبت بنتاً — وهي أمامة بنت أبي العاصي بن الربيع — فلم يحكم لها صلى الله عليه وسلم بهذا الحكم مع وجودها في زمنه ، فدلّ على أن أولادها لا ينسبون إليه^(١) ، لأنها بنت بنته ، وأما هي فكانت تنسب إليه بناء على أن أولاد بناته ينسبون إليه ، ولو كان لزينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد ذكر لكان حكمه حكم الحسن والحسين في أن ولده ينسبون إليه صلى الله عليه وسلم ، وهذا تحرير القول في هذه المسألة ، وقد خبط جماعة من أهل العصر في ذلك ، ولم يتكلموا فيه بعلم .

الوجه الرابع : أنهم هل يطلق عليهم أشراف ؟ والجواب أن اسم الشريف كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت ، سواء كان حسنياً أم

(١) في المطبوعات « لا ينسبون إليها » وهو لا يلائم التعليل بعده .

حُسَيْنِيَا أم علويًا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب
أم جعفرِيَا أم عَقِيلِيَا أم عباسِيَا ، ولهذا تجد تاريخ الحافظ الذهبي . شحونا في التراجم
بذلك ، يقول : الشريف العباسي ، الشريف العقيلي ، الشريف الجعفري ،
الشريف الزينبي ، فلما ولي الخلفاء الفاطميون بمصر قَصَرُوا اسم الشريف علي
ذرية الحسن والحسين فقط ، فاستمر ذلك بمصر إلى الآن .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب الألقاب : الشريف بيغداد لقب لكل

عباسي ، وبمصر لقب لكل علوي ، انتهى .

ولا شك أن المصطلح القديم أولى ، وهو إطلاقه على كل علوي وجعفري
وعَقِيلِي وعباسي كما صنعه الذهبي ، وكما أشار إليه الماوردي من أصحابنا والقاضي
أبو يعلى بن الفراء من الخنابلة كلاهما في الأحكام السلطانية ، ونحوه قول ابن مالك
في الألفية * وآله المستكملين الشرفاً * فلا ريب في أنه يطلق على ذرية زينب
المذكورين أشرف ، ولم أطلق الذهبي في تاريخه في كثير من التراجم قوله :
الشريف الزينبي ، وقد يقال - على مصطلح أهل مصر - : الشرف أنواع : عام
لجميع أهل البيت ، وخاص بالذرية ؛ فيدخل فيه الزينية ، وأخص منه شرف النسبة
وهو مختص بذرية الحسن والحسين .

الوجه الخامس : أنهم تحرّم عليهم الصدقة بالإجماع ؛ لأن بني جعفر من الآل .

السادس : أنهم يستحقون سهم ذوى القربى بالإجماع .

السابع : أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش بالإجماع ، لأن بركة الحبش

لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة ، بل وقفت نصفين : النصف الأول على

الأشراف ، وهم أولاد الحسن والحسين ، والنصف الثاني على الطالبين ، وهم ذرية

علي بن أبي طالب من محمد بن الحنفية وإخوته ، وذرية جعفر بن أبي طالب ، وذرية

عَقِيل بن أبي طالب ، وثبت هذا الوقف على هذا الوجه على قاضي القضاة بدر الدين

يوسف السنجاري في ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة ، ثم اتصل ثبوته

على شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام تاسع عشر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، ثم اتصل بثبوته على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة — ذكر ذلك ابن المتوج في كتابه « إيقاظ المتأمل » .

الثامن : هل يلبسون العلامة الخضراء ؟ والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة ولا كانت في الزمن القديم ، وإنما حدثت في سنة ثلاث وسبعين وسبعائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين ؛ وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ، من ذلك قول أبي عبد الله بن جابر الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير .

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عِلَامَةً إِنَّ الْعِلَامَةَ شَأْنٌ مِنْ لَمْ يُشْهَرِ
نورُ النبوة في وَسِيمٍ وَجُوهِهِمْ يَفْنَى الشَّرِيفَ عَنِ الطَّرَازِ الْأَخْضَرِ

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي :

أَطْرَافٌ تُبْجَانِ أَتَتْ مِنْ سِنْدَسٍ خُضِرَ بِأَعْلَامٍ عَلَى الْأَشْرَافِ
وَالْأَشْرَفُ السَّلْطَانُ خَصَّصَهُمْ بِهَا شَرَفًا لِيَعْرِفَهُمْ مِنَ الْأَطْرَافِ

وحظ الفقيه في ذلك إذا سئل أن يقول : لبس هذه العلامة بدعة مباحة ، لا يمنع منها من أرادها من شريف وغيره ، ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره ، والمنع منها لأحد من الناس كائنا من كان ليس أمراً شرعياً ؛ لأن الناس مضبوطون بأنسابهم الثابتة ، وليس لبس العلامة مما ورد به شرع فيتبع إباحتها ومنعها ، أقصى ما في الباب أنه أحدث التمييز بها لهؤلاء عن غيرهم ، فمن الجائز أن يخص ذلك بخصوص الأبناء المنتسبين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهم ذرية الحسن والحسين ، ومن الجائز أن يُعمم في كل ذريته وإن لم ينتسبوا إليه كالزينية ، ومن الجائز أن يعمم في كل أهل البيت كباقي العلوية والجعفرية والعقيلية ، كل ذلك [جائز شرعاً] ، وقد يستأنس فيها بقوله تعالى : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من

جلا بیهن ، ذلك أدنی أن يعرفن فلا یؤذین^(۱) فقد استدل بها بعض العلماء علی تخصیص أهل العلم بلباسٍ یختصون به : من تطویل الأکام ، وإدارة الطیلسان ، ونحو ذلك ؛ لیعرفوا فیجلوا تکریماً للعالم ، وهذا وجه حسن ، والله أعلم .

التاسع : هل یدخلون فی الوصیة علی الأشراف ؟ .

والعاشر : هل یدخلون فی الوقف علی الأشراف ؟ .

والجواب : أنه إن وجد فی كلام الموصی والواقف نصٌ یقتضی دخولهم أو خروجهم أتبع ، وإن لم یوجد فیہ ما یدل علی هذا ولا هذا فقاعدة الفقه أن الوصایا والأوقاف تُنزَلُ علی عُرْفِ البلد ، وعُرْفُ مصر من عهد الخلفاء الفاطمیین إلى الآن أن الشریف لقبٌ لكل حسنی وحسینی خاصة ، فلا یدخلون علی مقتضی هذا العرف ، وإنما قدمت دخولهم فی وقف بركة الحبش لأن واقفها نصٌّ فی وقفه علی ذلك ، حیث وقف نصفها علی الأشراف ، ونصفها علی الطالبیین .

* * *

آخر المعجزة الزرنبیه ، فی السلالة الزینبیه

بسم الله الرحمن الرحیم

من كتاب « نزهة المجالس » لعبد الرحمن الصفوری : عن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « مَنْ لَمْ یکن عنده مال یتصدق به فلیعن اليهود والنصارى » .

حکایة : خرج علی بن أبی طالب رضی الله عنه بیع إزار فاطمة رضی الله عنها لیا کلوا بثمنه ، فباعه بستة دراهم ، فرآه سائل فأعطاه إياها ، فجاءه جبریل فی صورة أعرابی ومعه ناقة ، فقال : یا أبا الحسن اشتر هذه الناقة ، فقال : ما معی ثمنها ، قال : إلى أجل ، فاشتراها بمائة ، ثم عرض له میکائیل فی طریقہ ، فقال : أتبیع هذه الناقة؟ قال : نعم واشتريتها بمائة ، قال : ولك من الربح ستون ، فباعها له ، فعرض له جبریل ، قال : بعتهُ الناقة؟ قال : نعم ، قال : ادفع إلىّ دینی ، فدفع له مائة ورجع

(۱) من الآیة ۵۹ من سورة الأحزاب

بستين ، فقالت له فاطمة : من أين لك هذا ؟ قال : تَأَجَّرْتُ مع الله بستة فأعطاني ستين ، ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، « فقال : البائع جبريلُ والمشتري ميكائيل ، والناقةُ لفاطمة تركبها يوم القيامة » .

حكاية : رأى عثمان بن عفان رضى الله عنه دِرْعَ على رضى الله عنه يباع بأربعمائة درهم ليلة عُرْسِهِ على فاطمة ، فقال عثمان رضى الله عنه : هذا دِرْعُ فارس الإسلام ، لا يباع أبداً ، فدفع لغلام على أربعمائة درهم ، وأقسم عليه أن لا يخبره بذلك ، وردَّ الدرع معه ، فلما أصبح عثمان وَجَدَ في داره أربعمائة كيس في كل كيس أربعمائة درهم مكتوب على كل درهم : هذا ضرب الرحمن لعثمان بن عفان ، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : « هنيئاً لك يا عثمان » .
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَبَسَّمَ في وجه غريبٍ ضحك الله إليه يوم القيامة » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا نظر الغريب عن يمينه وشماله وعن أمامه ومن خلفه فلم ير أحداً يعرفه غفر الله له ما تقدم من ذنبه » .

وفي حديث آخر « إن الله تعالى لينظر كلَّ يوم إلى الغريب ألف نظرة » .
وفي حديث آخر « ما من غريب يمرض فيرى يبصره فلا يقع على مَنْ يعرفه إلا كتب الله له بكلِّ نفسٍ يتنفس به سبعين ألف حسنة ، ومحا عنه سبعين ألف سيئة » .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَكْرَمُوا الْغُرَبَاءَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ شَفَاعَةُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، أَلَا وَإِنَّهُ يَنَادِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَلَا لِيَقُمُ الْغُرَبَاءُ ، فَيَقُومُونَ يَسْتَبِقُونَ إِلَى اللَّهِ ، أَلَا مَنْ أَكْرَمَهُمْ فَقَدْ أَكْرَمَنِي ، وَمَنْ أَحْبَبَهُمْ فَقَدْ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَكْرَمَ غُرَبَاءِي فِي غُرَبَاتِهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَلَا لَا غُرْبَةَ عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَمَا مَاتَ مُؤْمِنٌ

فی غربة غاب عنه بَوَاكِيهِ إِلَّا بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ .
وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « أَرْحَمُوا الْيَتَامَى وَأَكْرَمُوا الْغُرَبَاءَ ؛ فَإِنِ كُنْتُ
فِي الصَّغَرِ يَتِيمًا ، وَفِي الْكِبَرِ غَرِيبًا . »
وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آذَى جَارَهُ فَقَدْ آذَى ، وَمَنْ آذَى فَقَدْ آذَى
اللَّهُ ، وَمَنْ حَارَبَ جَارَهُ فَقَدْ حَارَبَ بَنِي ، وَمَنْ حَارَبَ بَنِي فَقَدْ حَارَبَ اللَّهَ . »
وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « مَسْأَلَةُ النَّاسِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ، مَا أَحِلُّ مِنْ
الْفَوَاحِشِ غَيْرَهَا . »

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عليًا يقول : « اللَّهُمَّ لَا تَحْجِنِي إِلَى أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِكَ ، قَالَ : مَنْ مَمْ ؟ قَالَ : الَّذِينَ إِذَا أُعْطُوا مَتُّوْا وَإِذَا مَنَعُوا عَابَوْا . »
فائدة : أصاب إبراهيم عليه السلام حاجة ، فذهب إلى صديق له ليستقرض
منه شيئًا ، فلم يقرضه ، فرجع مهمومًا ، فأوحى الله إليه لو سألتني لأعطيتك ، فقال :
يَا رَبِّ عَرَفْتُ مَقْتِكَ لِلدُّنْيَا فَخَشِيتُ أَنْ أَسْأَلَكَ إِيَّاهَا فَتَمَقَّتْنِي ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ لَيْسَتْ
الْحَاجَةُ مِنَ الدُّنْيَا .

حكاية : قال النسفي في زهرة الرياض : لما تولى سليمان الملك جاءه جميع
الحيوانات يهنئونه ، إلا نملة واحدة فإنها جاءت تعزیه ، فعاتبها النمل في ذلك ، فقالت :
كيف أهنته وقد علمت أن الله تعالى إذا أحبَّ عبدًا زوى عنه الدنيا وحبب إليه
الآخرة ؟ وقد شغل سليمان بأمر لا يدري عاقبته ، فهو بالتمعية أولى من التهنئة .
وجاءه في بعض الأيام شراب من الجنة ، فقيل له : إن شربته لم تمت ، فشاور
جنده إلا القنفذ ، فإنه كان غائبًا ، فأشاروا عليه أن يشربه ، فأرسل الفرس خلف
القنفذ فلم يجبه ، فأرسل السكاب خلفه فأجابه ، فسأله سليمان عن الشراب ، فقال :
لا تشربه ، فإن الموت في عز خير من البقاء في سجن الدنيا ، قال : صدقت ، فأراق
الشراب في البحر ، فطاب ماؤه ، ثم قال له : كيف أطعت السكاب دون الفرس ؟
فقال : لأنها تعدو بصاحبها وبغيره ، والسكاب لا يطيع إلا صاحبه .

وتقدم في باب المحبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « حُبِّبَ إِلَى مِنْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ ثَلَاثٌ . »

فإن قيل : كيف أمطرَ الله على أيوب عليه السلام جراداً من ذهب ؟
 قيل : جعله الله عوضاً عن الدود الذي أكله ، فالجراد خلعة الطائع وعقوبة العاصي ؛ لأنه مخلوق من الذنوب ، وذلك أن المريض تُلقَى ذنوبه في البحر فيخاق الله منها التمساح ، فإذا مات التمساح صار دوداً ثم جراداً بإذن الله تعالى ، وتقدم في فصل الأدب من كتاب الموت أنه مخلوق من طينة آدم عليه السلام ، وقال بعض الحكماء : الدنيا ميراث الغرور ، ومسكن البطالين ، وسوق الراغبين ، وميدان الفاسقين ، وسجن المؤمنين ، ومزبلة المتقين ، زاد مؤلفه رحمه الله : ومزرعة للعالمين .

فائدة : قال ابن عباس : التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليها .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « الْعَصَا عِلْمَةُ الْمُؤْمِنِ ، وَسِنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَفَرٍ وَمَعَهُ عَصَاٌ مِنْ لَوْزٍ مَرَّتْ أَمْنَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سَبْعِ ضَارٍ وَلِصِّ عَاصٍ ، وَمَنْ كُلَّ ذَاتِ حُمْةٍ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَمَنْزَلِهِ ، وَكَانَ مَعَهُ سَبْعَةٌ وَسَبْعُونَ مِنَ الْمَعْقِبَاتِ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَرْجِعَ وَيَضَعَهَا . »

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَلَمْ يَأْخُذِ الْعَصَا عُدَّ لَهُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْعُجْبِ . »

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ خَيْرِكُمْ مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا لِلْآخِرَةِ وَلَا الْآخِرَةَ لِلدُّنْيَا ، وَلَكِنْ خَيْرِكُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ هَذِهِ لِهَذِهِ . »

لطيفة : قال أنس : خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأينا طيراً أعمى يضرب بمنقاره على شجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يقول ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : إنه يقول : اللهم أنت العدلُ ، وقد حجبت عني

بصري ، وقد جعت ، فأقبلت جرادة ، فدخلت في فيه ، ثم ضرب بمنقاره على الشجرة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتدري ما يقول ؟ قلت : لا ، قال : إنه يقول : مَنْ توكل على الله كفاه .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عمل فرقة بين امرأة وزوجها كانت عليه لعنة الله في الدنيا والآخرة ، وحرّم الله عليه النظر إلى وجهه الكريم . »

موعظة : عن عمّار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أئماً امرأة خانت زوجها في الفراش فعليها نصف عذاب هذه الأمة . »

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مات وهو يعمل عمل قوم لوط لم يلبث في قبره إلا ساعة واحدة ، ثم يرسل الله إليه ملكاً يشبه الخطاف فيخطفه برجليه ، ويطرحه في بلاد قوم لوط ، ويكتب على جبينه : آيس من رحمة الله . »

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : « يُؤتَى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رهوس ، فيقول الله تعالى : مَنْ أنتم ؟ فيقولون : نحن المظلومون ، فيقول : من ظلمكم ؟ فيقولون : آباؤنا ، كانوا يأتون الذكران من العالمين ، فألقونا في الأدبار ، فيقول الله تعالى : سوقوهم إلى النار ، واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله . »

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « يمسح اللوطي في قبره خنزيراً ، وتدخل [النار] في منخرينه وتخرج من دبره ، كل يوم سبعين مرة . »

وقال صلى الله عليه وسلم : « العقرية تُأخبرنا عن إبليس فتوجه معه إلى البحر فوجده على وجه الماء ، فقال : أَخْبِرْنَا بِأَبْغَضِ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ وَأَحْبَبِهَا إِلَيْكَ ، قال : اللواط ، ولولا ممشاك يا نبي الله ما أخبرتكَ » (١) .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « مَنْ مشى في تزويج امرأة حلالاً يجمع بينهما رزقه الله تعالى ألف امرأة من الحور العين كل امرأة في

قصر من در و ياقوت ، وكان له بكل خُطوة خطأها أو كلمة تكلم بها في ذلك عبادة سنة قيام ليلها وصيام نهارها .

وذكر ابن الجوزي أن الله تعالى اتخذ أربعين بدلا من الرجال والنساء كذلك كلما مات واحد قام مقامه آخر .

عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأبدال أربعون رجلا ، وأربعون امرأة ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة » .

فائدة : عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إذا غَسَلت المرأة ثياب زوجها كتب الله لها ألفي حسنة ، وغفر لها ألف سيئة ، واستغفر لها كل شيء طلعت عليه الشمس ، ورفع لها ألفي درجة » .

وقالت عائشة : صريرُ مِغزَلِ المرأة يعدلُ التكبير في سبيل الله ، والتكبير في سبيل الله أثقل من السموات والأرض ، وأيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى ألف حسنة » .

قال أبو قتادة رضي الله عنه : صريرُ مِغزَلِ المرأة وقراءة القرآن عند الله سواء .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ اشترى لعياله شيئا ثم حمله بيده إليهم حط الله عنه ذنب سبعين سنة » .

وفي حديث آخر : « مَنْ فَرَّحَ أَنْتَى فَكَأَنَّما بَكَى من خشية الله ، ومن بكى من خشية الله حرم الله بدنه على النار » .

ورأيتُ في كتاب « النورين ، في إصلاح الدارين » أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البيت الذي فيه البنات يُنزل الله فيه كل يوم اثنتي عشرة رحمة من السماء ، ولا تنقطع زيارة الملائكة من ذلك البيت ، يكتبون لأبويها كل يوم وليلة عبادة سنة » .

وعن حذیفة أن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « أطمعنی جبریلُ المهریسةً أشدُّ بها ظهري لقيام الليل . »

أول من حرث آدم علیه السلام ، أدركه التعب آخر النهار ، فقال لحواء : ازرعی ما بقی ، فصارت زرعها شعيراً ، فتمجبت من ذلك ، فأوحى الله تعالى إلى آدم : لما أطاعت العدو المشير أبدلنا القمح بالشعير .

وعن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « نعم الطعام الزبيب ، يشدُّ العصب ، ويذهب الوصب ، ويطفىء الغضب ، ويذهبُ بالبغم ، ويصفي اللون ، وبطيب التكةة » یعنی رائحة الفم .

وعن أمی هريرة عن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « ما للنفساء عندي شفاء مثل ارتطاب ، ولا للمريض مثل العسل . »

وعن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « أطمعوا نساءكم في نفاسهن النمر ؛ فإنه من كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليماً . »

وعن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « أطمعوا حبلاًكم اللبان - یعنی بذلك حصی لبان الذكر - فإن يكن في بطنها ذكر يكن ذكی القلب . »

وعنه صلی الله علیه وسلم قال : « عليكم بأكل البلس فإنه يقطع عروق الجدام ، ألا وهو التين . »

وعن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « كلوا السفرجل ، فإنه يجلو غین الفؤاد ، وما بعث الله نبياً إلا وأطعمه من سفرجل الجنة ، فيزيد في قوته قوة أربعين رجلاً . »

وعن جابر بن عبد الله قال : سأل رسول الله صلی الله علیه وسلم إبليس عن ضجيعه ، فقال : السكران ، وعن جليسه ، قال : الناسي يؤخر الصلاة عن وقتها ، وعن ضيفه ، فقال : السارق ، وعن أنيسه ، فقال : الشاعر ، وعن رسوله ، فقال : الكاهن والساحر ، وعن قررة عينه ، فقال : الذي يحلف بالطلاق وإن كان صادقاً ،

وعن حبيبه ، قال : تارك الصلاة ، وعن أعز الناس [عليه] ، قال : من سب
أبا بكر وعمر .

ورأيت في بعض كتب الرافضة : قال رجل لعلي بن أبي طالب : يا أبا الحسن
كيف سبقتك أبو بكر بالخلافة ؟ فقال : لأنى كنت اشتغلت بتجهيز رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودفنه ، ثم قال : أنت حضرت مبايعة أبي بكر ؟ قال : نعم ،
قال : من بايعه أولاً ؟ قال : شيخ كبير معه عكاز أخضر ، فقال علي رضي الله عنه :
ذاك إبليس ، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول من يبايع أبا بكر
إبليس .

لطيفة : رأيت في شوارد الملح أن النبي صلى الله عليه وسلم عروسُ الملكة ،
والعروس تجلى تارة بتاج وتارة بعمامة وتارة بمنطقة وتارة بسيف ، فتاجه أبو بكر ،
وعمامته عمر ، ومنطقته عثمان ، وسيفه علي .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق
آدم وأدخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلقه ،
فمصرتها ، فخلقك الله يا محمد من القطرة الأولى ، ومن الثانية أبا بكر ، ومن الثالثة
عمر ، ومن الرابعة عثمان ، ومن الخامسة علي بن أبي طالب ، فقال آدم : يا رب من
هؤلاء الذين أكرمتمهم ؟ فقال تعالى : هؤلاء خمسة أشياخ من ذريتك ، وهؤلاء
أكرم عندي من جميع خلقي ، فما عصى آدم قال : يارب بحرمة أولئك الأشياخ
الخمسة الذين فضلتهم إلا تبنت علي ، فتاب الله عليه . »

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول من جزع من الشيب إبراهيم عليه
السلام حين رآه في عارضه ، فقال : يا رب ما هذه الشوهة التي شوهدت بخليتك ؟
فأوحى الله تعالى إليه : هذا سِرُّ بالِ الوَقَارِ ، ونور الإسلام ، وعزتي وجلالي ما
ألبسته أحداً من خلقي بشهد أن لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي إلا استحييت
منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً أو أعذبه بالنار ، فقال : يارب

زدنی وقاراً ، فأصبح رأسه مثل الغمامة البيضاء .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اخْتَضِبُوا ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْتَبْشِرُونَ بِخَضَابِ الْمُؤْمِنِ » .

وقال أبو طيبة رضى الله عنه : نفقة درهم في سبيل الله بسبعائة درهم ، ونفقة درهم في خضاب اللحية بسبعة آلاف .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا دخل المؤمن في قبره وهو مختضب بالحناء أتاه منكر ونكير فقالا له : مَنْ ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فيقول منكر لنكير : ارتفق بالمؤمن ، أما ترى نور الإيمان » .

وقال أنس : دخل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أبيض الرأس واللحية ، فقال : « أَلَسْتَ مسلماً ؟ قال : بلى ، قال : فاخضب » .

فائدة : قال ابن كعب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَحَ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ عَوَفَى مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَزَيْدٌ فِي عَمْرِهِ » .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَمَرَ الْمَشْطَ عَلَى حَاجِبِهِ عَوَفَى مِنَ الْوَبَاءِ » .

وقال علي رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَلَيْكُمْ بِالْمَشْطِ ، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ الْفَقْرَ ، وَمَنْ سَرَحَ لِحْيَتَهُ حِينَ يَصْبِحُ كَانَ لَهُ أَمَانًا حَتَّى يَمْسَى ؛ لِأَنَّ اللَّحْيَةَ زَيْنُ الرِّجَالِ وَجَمَالُ الْوَجْهِ » .

فائدة : قال وهب رضى الله عنه : مَنْ سَرَحَ لِحْيَتَهُ بِمَاءٍ زَادَهُ ، أَوْ بِمَاءٍ نَقَصَهُ ، وَمَنْ سَرَحَهَا يَوْمَ الْأَحَدِ زَادَهُ اللَّهُ نَشَاطًا ، أَوْ الْاِثْنَيْنِ قَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ ، أَوْ الْثَلَاثَاءِ زَادَهُ اللَّهُ رِخَاءً ، أَوْ الْأَرْبَعَاءِ زَادَهُ اللَّهُ نِعْمَةً ، أَوْ الْخَمِيسِ زَادَ اللَّهُ فِي حَسَنَاتِهِ ، أَوْ الْجُمُعَةِ زَادَهُ اللَّهُ سُرُورًا ، أَوْ السَّبْتِ طَهَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَمَنْ سَرَحَهَا قَائِمًا رَكِبَهُ الدِّينَ ، أَوْ قَاعِدًا ذَهَبَ عَنْهُ الدِّينُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .

وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إِنْ الرَّجُلَ لَيْسَ كُونَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ

والجهاد فما يُجْزَى إلا على قدر عقله .

وعن ابن عباس عنه عليه الصلاة والسلام قال : « لكل شيء آلة ، وآلة المؤمن العقل ، ولكل شيء دعامة ، ودعامة المؤمن العقل ، ولكل قوم غاية ، وغاية العباد العقل ، ولكل صنف راع ، وراعى العابدين العقل ، ولكل تاجر بضاعة ، وبضاعة المجتهدين العقل ، ولكل أهل بيت قيم ، وقيم بيوت الصديقين العقل ، ولكل خراب عمارة ، وعمارة الآخرة العقل » .

ورأيت عن بعض الصحابة قال : نهانا صلى الله عليه وسلم أن يمشط أحدنا كل يوم .

وفي الحديث « من سعادة المؤمن خفة لحيته » رواه ابن عباس .

وقالت عائشة : من أكل اليقطين بالعدس رَقَّ قلبه .

وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله مدينة تحت العرش من مسكٍ أذفر ، على بابها ملك ينادى كل يوم : ألا من زار عالمًا فقد زار الرب ؛ فله الجنة » .

وعن أنس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فليُنظر إلى المتعلمين ، فوالذي نفس محمد بيده ما من متعلم يختلف إلى عالم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة ، وبينى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض والأرض تستغفر له » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : « من خاض في العلم يوم الجمعة فكأنما أعتق سبعين ألف رقبة ، وكأنما تصدق بألف دينار ، وكأنما حج أربعين ألف حجة ، وهو في رضوان الله وعفوه ومغفرته » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من اغترت قدماه في طلب العلم حرم الله جسده على النار واستغفر له ملكاه ، وإن مات في طلبه مات شهيداً ، وكان قبره روضة من رياض الجنة ، ويوسع له في قبره مد البصر ، وينور على جيرانه أربعين قبراً عن يمينه » .

وأر بعين قبراً عن يساره وأر بعين من خلفه وأر بعين أمامه .
 حكاية : قال أبو جهل : يا محمد ، إن أخرجت لنا طاوساً من صخرة في داري
 آمنت بك ، فدعا ربه عز وجل ، فصارت الصخرة تثن أنين المرأة الحُبلى ، ثم انشقت
 عن طاوسٍ صدرُهُ من ذهب ، ورأسه من زَبْرَجَد ، وجناحاه من ياقوت ،
 ورجلاه من جوهر ، فلما رآه أبو جهل أعرضَ عن الإيمان .

ورأيت في « الزهر النامح » أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً في أصحابه
 فمرت به امرأة مشركة ومعهما صبي دون شهرين ، فلما دانت منه عبست في وجهه ،
 فانتفض الطفل وترك ثديها ، وقال : يا ظالمة نفسها تعبسين في وجه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، ثم قال : السلام عليك ، يا رسول الله وأكرم الخلق على الله ، فقال : من
 أخبرك أرى أكرم الخلق على الله ؟ قال ^(١) بذلك ، فقال جبريل : صدق الغلام ،
 ثم قال : يا نبي الله اذعُ الله أن يجعلني من خدامك في الجنة ، فدعاه ، فمات في الحال
 فقالت أمه : جاء الحق وزهق الباطل ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله
 وأسفاه على ما فاتني منك يا رسول الله ، فقال : أبشيري فقد هدم الغلام عنك ما فعلته
 في الجاهلية ، وإني لأنظر إلى كفنك وحنوطك مع الملائكة في الهواء ، فماتت
 أيضاً في الحال ، فصلى عليهما النبي صلى الله عليه وسلم .

حكاية : في « روض الأفكار » أن امرأة خرجت تسمع كلام النبي صلى الله
 عليه وسلم ، فرآها شابٌ فقال : إلى أين ؟ قالت : أسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : أتحببه ؟ قالت : نعم ، قال : فبحقه ارفعى نقابك حتى أنظر وجهك ، ففعلت
 ثم أخبرت زوجها بذلك ، فأوقد تنوراً ثم قال : بحقه عليك ادخلي التنور ، فألقت
 نفسها فيه ، ثم ذهب وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال : ارجع واكشف
 عنها ، فكشفت فرآها سالمة وقد جلاها العرق .

(١) هنا بياض في جميع النسخ مقدار كلمتين ، والساقط مفهوم من السياق ،
 ولا يكاد معناه يخفى على القاري .

ودعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خيبر ، فطلعت بعد ما غربت .

وقال عليه الصلاة والسلام : معرفة آل محمد براءة من النار ، وحب آل محمد جواز على الصراط ، والولاية لآل محمد أمان من العذاب .

رأيت في «القول البديع» عن علي عنه عليه الصلاة والسلام قال : مَنْ حَجَّ حِجَّةَ الْإِسْلَامِ وَغَزَا بَعْدَهَا غَزَاةً كَتَبَتْ غَزَاةً بِأَرْبَعِينَ حِجَّةً ، فَانْكَسَرَتْ قُلُوبُ قَوْمٍ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْجِهَادِ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ : مَا صَلَّى عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا كَتَبْتَ صَلَاتَهُ بِأَرْبَعِينَ حِجَّةً ، كُلَّ غَزَاةٍ بِأَرْبَعِينَ حِجَّةً .

وقال علي : خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً ثَمَرُهَا أَكْبَرُ مِنَ التَّفَاحِ وَأَصْغَرُ مِنَ الرِّمَانِ ، أَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ ، وَأَغْضَانُهَا مِنَ اللُّوْأِ الرَّطْبِ ، وَجَذْوَعُهَا مِنَ الذَّهَبِ ، وَوَرَقُهَا مِنَ الزَّبْرَجْدِ ، لَا يَأْكُلُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه أَدَقَّ النَّظْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ : لِمَا رَفَعْتَكَ حَائِمَةً وَأَنْتَ ابْنُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا رَأَيْتَكَ تَخَاطَبَ الْقَمَرَ وَيَخَاطَبُكَ بِلُغَةٍ لَمْ أَفْهَمْهَا ، قَالَ : يَا عَمُّ قَرِصْنِي الْقَمَاطُ فِي جَانِبِي الْأَيْمَنِ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَبْكِي ، فَقَالَ الْقَمَرُ : لَا تَبْكِي وَلَوْ قَطَرَ مِنْ دَمِوَعِكَ قَطْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَقَلَبَ اللَّهُ الْخَضْرَاءَ عَلَى الْغُبْرَاءِ ، فَصَفَّقَ الْعَبَّاسُ فَقَالَ : أَزِيدُكَ يَا عَمُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : ثُمَّ قَرِصْنِي الْقَمَاطُ فِي جَانِبِي الْأَيْسَرِ ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَبْكِي ، فَقَالَ الْقَمَرُ : لَا تَبْكِي يَا حَبِيبَ اللَّهِ فَإِنْ وَقَعَ مِنْ دَمِوَعِكَ قَطْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَمْ تَنْشَقَّ عَنْ خَضْرَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَسَكَتُ شَفِيقَةً عَلَى أُمَّتِي ، فَصَفَّقَ الْعَبَّاسُ وَقَالَ : أَكُنْتُ تَعْلَمُ ذَلِكَ وَأَنْتَ ابْنُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ؟ فَقَالَ : يَا عَمُّ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ صَرِيرَ الْقَلَمِ عَلَى اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ وَأَنَا فِي ظِلْمَةِ الْأَحْشَاءِ ، أَفَأَزِيدُكَ يَا عَمُّ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعًا وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَبِيٍّ مِمَّنْهُمْ مَنْ نَبِيٌّ عِلْمُ

أنه نبي حتى بلغ أشده - وهو أربعمائة سنة - إلا عيسى ، فإنه لما نزل من جوف أمه قال : (إني عبدُ الله آتاني الكتاب) (١) وابن أخيك ، أفأزيدك ياعم ؟ قال : نعم ، قال : لما ولدت ليلة الاثنين خلق الله تعالى سبعة جبال في السموات السبع وملاها من الملائكة مالا يحصيهم إلا الله يسبحون الله ويقدمونه إلى يوم القيامة ، وجعل ثواب تسبيحهم وتقديسهم له بغير ذكرته عنده بين يديه فأزعج أعضائه بالصلاة على ، ذكره في شوارد الملح .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَجَّهَ بِهَا شَهِدَ لَهُ كُلَّ حَجَرٍ وَمَدْرٍ وَرَطْبٍ وَيَابَسٍ .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابًا مِنَ الْعَافِيَةِ .
وعنه عليه الصلاة والسلام قال : أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّهَا تَحُلُّ الْعَقْدَ وَتَفْرَجُ الْكَرْبَ .

وقال أنس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيَّ مُحَمَّدًا وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ قَاعِدًا غُفِرَ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَقُومَ ، وَإِنْ كَانَ قَائِمًا غُفِرَ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَقْعُدَ .
وعنه عليه الصلاة والسلام قال : مَنْ شَمَّ الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَقَدْ جَفَّأَنِي .
وعن أنس عنه عليه الصلاة والسلام قال : خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ مِنْ بَهَائِهِ ، وَجَعَلَهُ رِيحًا لِلنَّبِيِّينَ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى بَهَاءِ اللَّهِ وَيَشْمَ رَائِحَةَ الْأَنْبِيَاءِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْوَرْدِ الْأَحْمَرِ .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْمَ رَائِحَتِي فَلْيَشْمِ الْوَرْدَ الْأَحْمَرَ .
لطيفة : يستحب إكثار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند أكل الرز ؛ لأنه كان جوهرًا أودع فيه نور محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما خرج النور منه تفتت وصار حَبًّا .

وعن علي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل شيء أخرجته الأرض فيه

(١) من الآية ٣٠ من سورة مريم

داء وشفاء إلا الأرز فإنه شفاء لاداء فيه .

لطيفة : قال مؤلفه رحمه الله تعالى : سمعت والدي رحمه الله يقول لبعض

الفقراء : تعال كل من هذا العَدَسِ المبارك ، فقال : أطعموني من الرز الميشوم .

رأيت في « منازل الأنوار » أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم

لما خيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة : إن الله قد أعطاك قبة في الجنة عرضها

ثلاثمائة عام ، قد حفتها رياح الكرامة ، لا يدخلها إلا من أكثر الصلاة عليك .

فائدة : قال جابر بن عبد الله : عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مَنْ

أصبح وأمسى قال اللهم يارب محمد صلِّ على محمد وآل محمد ، وأجزِ محمدًا صلى الله

عليه وسلم ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح ، ولم يبق لنبيه محمد صلى الله عليه

وسلم حق إلا أذاه ، وغفر لوالديه ، وحشر مع محمد وآل محمد .

فائدة : روى ابن أبي مليكة عن ابن جُرَيْج عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه

قال : « مَنْ كَانَ لَهُ ذُو بطن فأجمع أن يسميه محمداً رَزَقَهُ اللهُ غلاماً » .

وقالت جلييلة بنت عبد الجليل : يا رسول الله إني امرأة لا يعيشت لي ولد ، فقال :

« اجعلي لله عليك أن تسميه محمداً » ففعلت ، فعاش ولدها .

ورأيت في « المورد العذب » أنه عليه الصلاة والسلام قال : « مَنْ صَبَحَ بِالصَّلَاةِ

عَلَى فِي الدُّنْيَا صَبَحَتْ الْمَلَائِكَةُ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ فِي السَّمَوَاتِ الْعَالَا » .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : « لَوْ يَعْلَمُ الْأَمِيرُ مَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ لَتَرَكَ إِيمَارَتَهُ ، وَلَوْ

يَعْلَمُ التَّاجِرُ مَا فِي ذِكْرِ اللَّهِ لَتَرَكَ تِجَارَتَهُ ، وَلَوْ أَنَّ ثَوَابَ تَسْبِيحَةِ وَاحِدَةٍ قُسِّمَ عَلَى أَهْلِ

الْأَرْضِ لِأَصَابِ كُلِّ وَاحِدٍ عَشْرَةَ أَضْعَافِ الدُّنْيَا » .

وعن أنس أنه قال « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ أَلْفُ شَجَرَةٍ

فِي الْجَنَّةِ مِنْ ذَهَبٍ ، طَلْعُهَا - أَيْ ثَمَرُهَا - كَثْدَى الْأَبْكَارِ ، أَلْيَنُ مِنَ الزَّبَدِ ، وَأَحْلَى

مِنَ الشَّهْدِ ، كَمَا أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا عَادَ كَمَا كَانَ » .

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ خَلَقَ اللَّهُ مَلَكَاً

له عينان وجناحان وشفقتان واسان يطير مع الملائكة ويستغفر لقائلها إلى يوم القيامة». فائدة: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أكثرُوا من الحمد لله؛ فإن لها عينين وجناحين تطير بهما وتستغفر لقائلها إلى يوم القيامة».

موعظة: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قطع سِدْرَةَ ضرب الله رأسه في النار».

فائدة عنه عليه الصلاة والسلام: خلق الله نوراً قبل السموات والأرض بألف عام، ثم خلق من ذلك النور مسكاً فكتب به سورة يس، وخلق لها خمسين ألف جناح، فلم تمر في سماء إلا خضعت لها سكانها، وسجدوا لها، فمن تعلم يس وعرف حقها كان في الدرجة العليا.

وقوله «خلق لها» أي لثوابها.

وعنه عليه الصلاة والسلام قال «يس تدعى في التوراة المعمة، قيل: وما المعمة؟ قال: نعم صاحبها بخيرى الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا وأهاويل الآخرة».

وفي الخبر «خلق الله تعالى عشرين ألف نهر، وقال للقلم: اكتب فضل قل هو الله أحد».

وفي كتاب البركة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال «من وُلِد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركا كان هو ومولوده في الجنة، وما قعد قوم على طعام حلال فيهم رجل اسمه اسمي إلا تضاءعت فيهم البركة».

وعنه عليه الصلاة والسلام قال: «رَوَجَّيْ عَائِشَةَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ، وَأَشْهَدُ عَقْدَهَا الْمَلَائِكَةَ، وَأَغْلَقْتُ أَبْوَابَ النَّيْرَانِ وَفَتَحْتُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً، مَسَّهَا مَسُّ الْحَرِيرِ، وَرِيحُهَا رِيحُ الْمَسْكِ».

رأيت في بعض المجاميع أن محمداً صلى الله عليه وسلم قال: يا جبريل هل كنت

تعلم براءة عائشة؟ قال : نعم ، قال : فكيف لم تخبرني ؟ قال : أردتُ ذلك فقال الله تعالى : يا جبريل لاتفعل ، الشدةُ مني والفرجُ مني .

وعنه عليه الصلاة والسلام «ما صبَّ الله في صدري شيئاً إلا صببته في صدر أبي بكر» .
وعن حذيفة قال : «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، فلما انصرف قال : أين أبو بكر؟ قال : ليبيك ، قال ألحقت معي الركعة الأولى؟ قال : كنت معك في الصف الأول فوسوس لي شيء في الطهارة فخرجت إلى باب المسجد فهتف بي هاتف يا أبا بكر ، فالتفت فإذا بقدر من ذهب فيه ماء أبيض من الناج وأطيب من الشهد - بفتح الشين على الأفصح - وعليه منديل مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق ، فتوضأت ثم وضعت المنديل مكانه ، فقال : يا أبا بكر لما فرغت من القراءة أخذت ركبتى فلم أقدر على الركوع حتى جئت ، وإن الذي وضأك جبريل ، والذي منذلك ميكائيل ، والذي أخذ بركبتى إسرافيل» .

لطيفة : قال النبي عليه الصلاة والسلام « يا علي ، سألت الله أن يقدمك ، فأبى إلا أبا بكر» .

حكاية : قال حذيفة : « صنع النبي عليه السلام طعاما ، ودعا أصحابه فأطعمهم لقمة لقمة ، وقال : سيد القوم خادهم ، وأطعم أبا بكر ثلاث اقم ، فسأله العباس عن ذلك ، فقال : لما أطعمته أول لقمة قال له جبريل : هنيئاً لك يا عتيق ، فلما لقمته الثانية قال له ميكائيل : هنيئاً لك يارفيق ، فلما لقمته الثالثة قال له رب العزة : هنيئاً لك يا صديق» .

وقال أبي بن كعب : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « أول من يسلم عليه الحق يوم القيامة عمر بن الخطاب ، وأول من يؤخذ بيده فينطلق إلى الجنة عمر بن الخطاب » وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا قطرت قطرة - يعني من السماء - يقول : « ربُّ لك الحمد ، ذهب السخط ونزلت الرحمة » .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب : « إذا تقرب الناس إلى خالقهم

بأنواع البر فتقرب إليه بأنواع العقل .

وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال : دخلت الجنة ليلة أُسرى بي ، فأعطيت سفرجلة ، فانفلقت عن حوراء ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : إن على هذا النهر سبعين ألف شجرة ، كل شجرة سبعون ألف غصن على كل غصن سبعون ألف ورقة ، على كل ورقة حوراء مثلى ، خلقهن الله لمحبي أبي بكر وعمر .

لطيفة : عن النبي عليه الصلاة والسلام قال « رأيت حمزة وجعفر بن أبي طالب فى المنام ، وكان بين أيديهما طبق فيه نبق كالزبرجد ، فأكلا منه ، ثم صار عنباً فأكلا منه ، ثم صار رطباً فأكلا منه ، فقلت لهما : ما وجدتما أفضل الأعمال ؟ قالا : قول لا إله إلا الله ، قلت : ثم ما ؟ قالا : الصلاة عليك ، قلت : ثم ما ؟ قالا : حب أبي بكر وعمر »

ومر رجل على النبي عليه الصلاة والسلام فقيل : يا رسول الله هذا مجنون ، فقال : المجنون المقيم على معصية الله ، ولكن قولوا : مصاب .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : تهب على النار ريح فيقولون : ما رأينا ريحاً أنتن من هذه ، فيقال لهم : هذه ريح من بسب أبي بكر وعمر وكان عمر رضى الله عنه إذا ذكر الكوفة قال : كنز الإيمان ورمح الله الأطول .

لطيفة : عطس النبي عليه الصلاة والسلام بحضرة يهودى فقال : يا محمد يرحمك الله ، فقال : يهديك الله ، فقال : أشهد أن محمداً رسول الله .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : دخلت الجنة فناولنى جبريلُ تفاحة ، فانفلقت عن حوراء عيناء مرضية كأن مقادم عينها أجنحة النور ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : للخليفة المقتول ظالماً عثمان بن عفان .

وعن جابر بن عبد الله عن النبي عليه الصلاة والسلام لما أُسرى بي سررت بملكٍ جالس على سرير من نور ، إحدى رجليه فى المشرق والأخرى فى المغرب ، والدنيا كلها بين عينيه ، وبين يديه لوح ، فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : عزرائيل ، تقدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فقال : وعليك السلام يا أحمد ، ما فعل ابن عمك على ؟ قلت :

هل تعرف ابن عمي علياً؟ قال : وكيف لا أعرفه وقد وكلني ربي بقبض أرواح الخلائق ما خلا روحك وروح ابن عمك^(١).

وعنه أيضاً قال : سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لعلي بن أبي طالب : أنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل .

وقال علي : قال النبي عليه الصلاة والسلام : يا علي إنك أول من يقرعُ باب الجنة بعدى ، فتدخلها بغير حساب .

وقال أيضاً : قال لي عليه الصلاة والسلام : مَنْ مات على حبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان .

وقال أنس : خرجتُ مع بلال وعلي بن أبي طالب إلى السوق ، فاشتري بطيخاً وانطلقنا إلى منزله ، فكسر واحدة فوجدناه مراً ، فأمر بلالاً برد البطيخ إلى صاحبه فلما رده قال : ألا أحدثكم حديثاً حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال : يا أبا الحسن إن الله أخذ حُبَّكَ على البشر والشجر ، فمن أجاب إلى حبك عَذَّبَ وطاب ، ومن لم يُجِبْ إلى حبك خَبِثَ ومَرَّ ، وأظن هذا البطيخ ممن لا يحبني .

وفي حاوي القلوب الطاهرة وغيره : في أرض الله بلاد لها بطيخ يخرج من كل واحدة خاروف غنم يعيش أربعين يوماً^(١).

فائدة عنه عليه الصلاة والسلام : مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا بِقَلْبِهِ فَلَهُ ثَوَابُ ثَلَاثِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَمَنْ أَحَبَّهُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ فَلَهُ ثَوَابُ ثَلَاثِي هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَمَنْ أَحَبَّهُ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ فَلَهُ ثَوَابُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّقِيَّ كُلَّ الشَّقِيَّ مَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي [أَلَا وَإِنْ جَبْرِيْلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ السَّعِيدَ كُلَّ السَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : حب علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب ، ولو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله جهنم .

وقال معاذ بن جبل : حبُّ علي بن أبي طالب حَسَنَةٌ لَا تَضُرُّ مَعَهَا مَعْصِيَةٌ ، وَبَغْضُهُ مَعْصِيَةٌ لَا تَنْفَعُ مَعَهَا حَسَنَةٌ .

(١) سيأتي للمؤلف يقرر أن هذا كلام لا أصل له ، انظر ص ١٠٧ و ١١٧

وعنه عليه الصلاة والسلام : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِالْقَضِيبِ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ الَّذِي غَرَسَهُ [اللهُ] فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ فَلْيَتَمَسَّكَ بِحَبِّ عَلِيٍّ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أشهد على النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : لو وضعت السموات السبع والأرضون السبع في كفة ووزن إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي ، وقال ابن عباس : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم وإذا بطائر في فيه لوزة خضراء فألقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوب عليها بالأصفر : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، نصرته بعلي .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي : إنك سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : مكتوب علي باب الجنة محمد رسول الله ، علي أخو رسول الله ، قبل أن تخلق السموات بألفي عام .

فائدة : رأيت في «الزهر الفائح» أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي : تحتم بالعميق الأحمر ، فإنه جبل أقر الله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولك بالوصية ، ولأولادك بالإمامة ، ولحبيك بالجنة .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : عليكم [بالخضاب فإنه أهيب لعدوكم ، وأعجب إلى نساءكم] .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : عليكم [بالحناء فإنه خضاب الإسلام ، ويصفي البصر ، ويذهب الصداع ، وإياكم والسواد] .

وعنه عليه الصلاة والسلام قال : إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب الثياب إلى الله البيض .

وقال النسفي : أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما ، وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر ، فأيكما يؤثر صاحبه ؟ فاختر كل واحد منهما الحياة ، فأوحى الله إليهما أفلا كنتما كعلي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد

صلى الله عليه وسلم فبات على فراشه يؤثره بنفسه ، أهبطا إلى الأرض وأحفظاه من عدوه ؛ فكان ميكائيلُ عند رأسه وجبريلُ عند رجليه ، فقال جبريلُ : مَنْ مِثْلُكَ يا ابن أبي طالب يباهى الله بك الملائكة ؟
وقال الحسن : حياً النبي صلى الله عليه وسلم بكلماته يديه ورداً وقال : سيد رياحين الجنة سوى الآس .

وقال طاووس عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَالْتَّيْنِ) هو أبو بكر (والزيتون) عمر (وطور سينين) عثمان (وهذا البلد الأمين) علي بن أبي طالب .
وفي حديث : أنا مدينة [العلم] وعلي بابها .

فائدة : نزل جبريلُ بطبق تفاح ، وقال : يا محمد أعطِ مَنْ تحبُّ ، وكان الطبق مستوراً ، فأدخل يده وأخذ تفاحة على جانبها : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه هدية من الله لأبي بكر الصديق ، وعلى الجانب الآخر : مَنْ أَبْغَضَ الصديق فهو زنديق ، ثم أخذ أخرى على جانبها البسْملة [وفيه] : هذه هدية من الله للملك الوهاب لعمر بن الخطاب ، وعلى الآخر : مَنْ أَبْغَضَ عمر فهو في سقر ، ثم أخذ أخرى على جانبها البسْملة ، هذه هدية من الله الخنزان المنان لعثمان بن عفان ، وعلى الآخر : مَنْ أَبْغَضَ عثمان فخصمه الرحمن ، ثم أخذ أخرى على جانبها البسْملة ، هذه هدية من الله الغالب لعلي بن أبي طالب ، وعلى الجانب الآخر : مَنْ أَبْغَضَ علياً لم يكن لله ولياً ، فحمد الله محمد صلى الله عليه وسلم .

قال النسفي وغيره : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ليلة المعراج ورأى قصرَ خديجة أخذ جبريلُ تفاحة من شجرة من القصر وقال : يا محمد كُلْ [من] هذه ، فإن الله تعالى يخلق منها بنتاً تحمل بها خديجة ، ففعل ، فلما حملت خديجة بها وجدت رائحة الجنة لسبعة أشهر ، فلما وضعها انتقلت الرائحة إليها ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتاق إلى الجنة قَبِلَ فاطمة ، فلما كبرت قال : يا ترى هذه الحورية لمن ؟ فجاءه جبريل في بعض الأيام وقال : إن الله تعالى يُقرِّئك السلام

ويقول لك : اليوم كان عقد فاطمة في موطنها في قصر أمها في الجنة الخاطبُ إسماعيلُ وجبريلُ وميكائيلُ الشهيد ، والوليُّ ربُّ العزة ، والزوجُ عليُّ بن أبي طالب .

وقال أنس : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد إذ قال لعلي بن أبي طالب : هذا جبريل يُخبرني أن الله تعالى زوّجك فاطمة ، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك ، وأوحى إلى شجرة طوبى أن ائثري عليهم الدر والياقوت ، فنثرت عليهم ، فابتدرَ الحورُ العينُ يلتقطن في أطباق الدر والياقوت والحلى والحلل ؛ فهم يتهادونَه إلى يوم القيامة .

وفي رواية قال : أبيضُ يا أبا الحسن فإن الله زوّجك في السماء قبل أن أزوجك في الأرض ، وقد هبط عليّ ملك من السماء قبل أن تأتيني لم أر قبلة في الملائكة مثله بوجوه شتى وأجنحة شتى فقال : السلام عليك يا محمد ، أبيض باجتماع الشمل ، وطهارة النسل ، فقلت : وما ذاك ؟ قال : يا محمدُ أنا الملك الموكل بإحدى قوائم العرش ، سألت ربي أن يأذن لي ببيشارتك ، وهذا جبريل عليّ أئري يخبرك عن كرامة ربك لك ، فما تمّ كلامه حتى نزل جبريل وقال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم وضع في يده حريرة بيضاء فيها سطران مكتوبان بالنور ، فقلت : ما هذه الخطوط ؟ قال : إن الله تعالى اطّلع إلى الأرض فاخترك من خلقه وبعثك برسالته ، ثم اطّلع عليها ثانياً فاختر لك منها أخا ووزيراً وصاحباً فزوجه ابنتك فاطمة ، فقلت : يا جبريل من هذا الرجل ؟ قال : أخوك في الدين ، وابن عمك في النسب ، علي بن أبي طالب ، وإن الله أوحى إلى الجنان أن تزخرفي ؛ وإلى الحور أن تزيبني ؛ وإلى شجرة طوبى كما تقدم .

وقال جابر بن عبد الله : دخلت أمُّ أيمنَ على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، فسألها عن ذلك ، فقالت : دخلت على رجل من الأنصار قد زوّج بنته ونثر عليها اللوز والسكر ، فتذكرت تزويجك فاطمة ولم تنثر عليها شيئاً ، فقال : والذي بعثني بالكرامة واختصني بالرسالة إن الله لما زوّج علياً فاطمة أمر الملائكة المقربين

أن يُحْدِقُوا بِالْعَرْشِ فِيهِمْ جَبْرِيْلٌ وَمِيكَائِيْلٌ وَإِسْرَافِيْلٌ ، وَأَمْرُ الْجِنَانِ أَنْ تَزْخُرَفَ ، وَالْحُورَ الْعَيْنِ أَنْ تَزِينِ ، ثُمَّ أَمْرُهَا أَنْ تَرْقُصَ فَرَقِصَتْ ، ثُمَّ أَمْرُ الطَّيُورِ أَنْ تَغْنَى فَغَنَتْ ، ثُمَّ أَمْرُ شَجَرَةِ طُوبَى أَنْ تَنْثُرَ عَلَيْهِمُ اللَّؤْلُؤَ الرَّطْبَ مَعَ الدَّرِّ الْأَبْيَضِ مَعَ الزَّبْرِجَدِ الْأَخْضَرِ مَعَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ .

وفي الرواية : كان الزواجُ عند سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ ، وَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهَا أَنْ أَنْثُرِي مَا عَلَيْكَ ، فَنَثَرَتْ الدَّرَّ وَالْجَوْهَرَ وَالْمَرْجَانَ .

هذا كذب مُفْتَرَى ، مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهِ مِنْ سُلْطَانٍ ، قَاتَلَ اللهُ وَاضِعَهُ مَا أَشَدَّ عَذَابُهُ فِي النَّيْرَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ حُجَّاتِ السَّنَةِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

والمستولُ من مَوَالِينَا وَسَادَاتِنَا عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ ، وَحَسَنَاتِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، جَمَلَ اللهُ تَعَالَى بِوَجُودِهِمْ ، وَأَفَاضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَرَكَاتِهِمْ وَجُودِهِمْ ، إِمْعَانَ النَّظَرِ فِيمَا سَطَرَ فِي هَذِهِ السِّكْرَاسَةِ ، هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَدُونَ فِي كِتَابٍ وَيَسْمَى « نَزْهَةُ الْمَجَالِسِ ، وَمُنْتَخَبُ النَّفَائِسِ » وَيَتَدَاوَلُهُ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ تَمِيْزَ بَيْنَ الصَّحِيْحِ وَالسَّقِيمِ ؟ وَيَكْتَبُهُ أَوْ يَسْتَكْتَبُهُ وَيَقْرَأُ وَيَنْقُلُ مِنْهُ عَلَى السِّكْرَاسِي وَالْمَنَابِرِ ، وَمَاذَا يَجِبُ عَلَى مَنْ اسْتَهْدَفَ وَجَمَعَهُ بَعْدَ أَنْ طَلَبَهُ خَادِمُ السَّنَةِ الْفَقِيرُ إِبْرَاهِيْمُ النَّاجِي وَنَصَحَهُ وَنَهَاهُ وَفَارَقَهُ قَائِلًا : رَجَعْتَ عَنْهُ كَارِجِعِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ عَنْ الْقَوْلِ الْقَدِيمِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ ؟ وَهَلْ يُؤْمَرُ بِإِعْدَامِهِ وَمَا وَجَدَ مِنْ نَسْخِهِ مَعَ أَنْ مَا اخْتَصَرَ مِنَ السِّكْرَاسَةِ مِنْهُ خَشِيَةَ الْإِطَالَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَقُولَةِ أَكْثَرَ مِمَّا كَتَبَ أُمُّ بَيْتِي عَلَى حَالِهِ ؟ أَمَعْنُوا فِي الْجَوَابِ بَوَّاءَ كَمَ اللهُ زُلْفَى وَحُسْنَ الْمَأَبِ .

الدرة التاجية ، على الأسئلة الناجية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فقد وردت هذه الأحاديث من دمشق من محدثها الشيخ بهان الدين

الناجی ، وصحبها کتابٌ یتضمّن أنه أنکر علی رجل أو دَعَمَهَا تصنیفاً له ، وأنها باطلة ، وسأل فی الکتابة بذلك ، فرأیت كثيراً منها كما قال ، وفيها أحادیث واردة ، بعضُها مقبول وبعضها فيه مقال ، وها أنا أتکلم علیها حدیثاً حدیثاً .

الحدیث الأول : حدیث « مَنْ لَمْ یکن عنده ما یتصدَّقُ به فَلْيَتَمَنَّ الْیَهُودَ » - أخرجه ابن عدی فی الکامل من حدیث عائشة والخطیب فی تاریخه من حدیث أبی هريرة ، وإسنادها ضعيف ، وایس فيه زیادة « والنصارى » .

الحدیث الثانی : حدیث الغریب ، أخرجه الدیلمی فی مسند الفردوس ، وقال : أنا ابن مندویة ثنا أبو نعیم ثنا الغطریبی ثنا ابن خزیمة [ثنا أحمد بن منصور] ثنا رافع بن أشرس ثنا النضر بن کثیر عن طاووس عن ابن عباس مرفوعاً فذکره باللفظ المذكور فی السؤال .

وله شواهد ، قال الطبرانی فی الکبیر : ثنا حجاج بن عمران السدوسی ثنا عمرو بن الحصین العقیلی ثنا محمد بن عبد الله بن علاثة عن الحكم بن أبان عن وهب ابن منبه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : موت الغریب شهادة ، إذا احتضر فرمى ببصره عن یمنه وعن یساره فلم یر إلا غریباً و ذکر أهله ووالده وتنفس فله بكل نفس تنفسه يحو الله عنه ألف سيئة ويكتب له ألف حسنة ، عمرو بن الحصین متروك .

الحدیث الثالث : حدیث الغریب أيضاً ، قال ابن جریر فی تفسیره : ثنا یحیی ابن طاححة ثنا عیسی بن یونس عن صفوان بن عمرو السکسکی عن شریح بن عبید الحضرمی قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الإسلام بدأ غریباً وسیعود غریباً ، ألا لا غریبة علی مؤمن ، مامات مؤمن فی غریبة غابت عنه فیها بواکیه إلا بکت علیه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (فما بکت علیهم السماء والأرض)^(١) ثم قال : إنهما لا یمکیان علی کافر . أخرجه ابن أبی الدنيا

(١) من الآیة ٢٩ من سورة الدخان

في ذكر الموت : ثنا محمد بن عبد الله المدني ثنا إسماعيل بن عباس حدثني صفوان بن عمرو به .

الحديث الرابع : حديث « مَنْ آذَى جَارَهُ فَقَدْ آذَى ، وَمَنْ آذَى فَقَدْ آذَى اللَّهُ » قال سمويه في فوائده : ثنا سعيد بن سليمان ثنا موسى بن خالد عن القاسم العجلي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ آذَى مسلماً فَقَدْ آذَى وَمَنْ آذَى فَقَدْ آذَى اللَّهُ عز وجل ، وأخرجه الطبراني في الأوسط : ثنا سعيد بن محمد ابن المغيرة الواسطي ثنا سعيد بن سليمان ثنا موسى بن خلف العمي ثنا القاسم العجلي به ، وقال : لم يرؤه عن القاسم إلا موسى ، تفرد به سعيد .

الحديث الخامس : قال ابن عباس : التوكؤ على العصا من أخلاق الأنبياء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليها . أخرجه ابن عدى هكذا ، وقال الديلمي في مسند الفردوس : أنا عبدوس إجازة عن أبي بكر الشيرازي ثنا محمد بن عمران الجرجاني ثنا علي بن الفضل بن نصر ببلخ ثنا علي بن إسماعيل بن الفضل وكان مُعدلاً ثنا عبد الله بن عاصم المروزي ثنا يحيى بن هاشم الغساني عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حَمَلُ الْعَصَا علامة المؤمن وسنة الأنبياء ، وأخرج الديلمي من طريق وثيمة بن موسى عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رفعه : كانت للأنبياء كلهم مَخَصَرَةٌ يتَخَصَّرُونَ بها تواضعا لله عز وجل [قوله « وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوكأ عليها »] أخرجه البزار في مسنده والطبراني بسند ضعيف عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إِنْ آتَخَذَ الْعَصَا فَقَدْ آتَخَذَهَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، وأخرج ابن ماجه عن أبي أمامة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوكئ على عصا ، وأخرج الطبراني عن عبد الله بن أنيس أنه أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عصا يتخَصَّرُ بها ، فناولها إياه .

الحديث السادس : « ليس خيركم مَنْ ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه لهذه » . أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، والديلمي قال : أنا أبي أنا عبد الله بن علي بن إسحاق الطوسي أنا أبو حسان محمد بن أحمد ابن محمد المزني أنا إبراهيم بن محمد الوراق أنا سعيد بن هاشم بن يزيد ثنا محمد بن هاشم البعلبكي أنا أبي ثنا يزيد بن زياد الدمشقي ثنا حميد عن أنس قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : ليس بخيركم مَنْ ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً ، فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ، ولا تكونوا كلاً على الناس ، وقال الخطيب في تاريخه : أخبرني محمود بن عمر العبدي أنا أبو طالب عبد الله بن محمد بن عبد الله أنا عمي أبو العباس أحمد بن عبد الله فيما أجازته لنا أن أحمد بن عيسى المصري حدثهم قال : ثنا يغم بن سالم بن قنبر عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خيركم مَنْ لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلاً على الناس ، وأخرجه الديلمي من وجه آخر عن أحمد بن عيسى به ، وأخرج أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان قال : ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا ، ولكن يتناولون من كل .

الحديث السابع : حديث عمار بن ياسر « أيما امرأة خانت زوجها في الفراش فعلها نصف عذاب هذه الأمة » .

الحديث الثامن : « مَنْ مات وهو يعمل عمل قوم لوط » الحديث ، قال الخطيب في تاريخه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله تعالى إليهم حتى يحشر معهم » عيسى بن مسلم الصفار منكر الحديث ، وله شاهد أخرجه ابن عساكر عن وكيع قال : سمعنا في حديث « مَنْ مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ، ويحشر يوم القيامة معهم »

الحديث التاسع : حديث « يمسح الله اللوطي في قبره خنزيراً » أخرجه

أبو الفتح الأزدي في كتاب الضعفاء وابن الجوزي من طريق مروان بن محمد السنجاري عن مسلم بن خالد الزنجي عن إسماعيل بن أم درهم عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً « اللوطي إذا مات ولم يتب مسخ في قبره خنزيراً » وسنده واه .

الحديث العاشر : حديث أنس مرفوعاً « الأبدال أربعون رجلاً وأربعون امرأة ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة » أخرجه الحافظ أبو محمد الخلال في كرامات الأولياء والديلمي في مسند الفردوس من طريق إبراهيم بن الوليد الجشاش ثنا أبو عمر الغداني ثنا أبو سلامة الخراساني عن عطاء عن أنس مرفوعاً به .

الحديث الحادي عشر : حديث حذيفة مرفوعاً « أطعمني جبريلُ الهريسة أشدُّ بها ظهري لقيام الليل » أخرجه ابنُ السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوي ، والخطيب في تاريخه من طريق محمد بن الحجاج الواسطي عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبي ليلى ورهبى عن حذيفة به ، ومحمد بن الحجاج كذاب ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

الحديث الثاني عشر : حديث « نعم الطعام الزبيب يشد العصب ويذهب الوصب ويطفى الغضب ويذهب بالبلغم ويصفي اللون ويطيب النكهة » أخرجه ابن السني وأبو نعيم معاً في الطب النبوي ، وابن حبان في الضعفاء ، والخطيب في تلخيص المتشابه من طريق أبي العباس بن قتيبة ثنا سعيد بن زياد بن فايد بن زياد ابن أبي هند الداري عن أبيه عن جده عن أبيه عن أبي هند مرفوعاً به ، قال الأزدي : سعيد بن زياد متروك ، وقال ابن حبان : لا أدري البلية ممن هي ، أمنه أو من أبيه أو من جده ؟

الحديث الثالث عشر : حديثُ أبي هريرة مرفوعاً « ما للنفساء عندي شفاء مثل الرطب ، ولا للمريض مثل العسل » أخرجه أبو نعيم في الطب ثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا محمد بن العباس بن أيوب ثنا العباس بن الحسن البلخي ثنا الجوسي

أنا على بن عمرو عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعا به ،
وعلى بن عمرو متروك .

الحديث الرابع عشر : حديث « أطعموا نساءكم في نفاسهن التمر ، فإنه من
كان طعامها في نفاسها التمر خرج ولدها حليما » أخرجه أبو عبد الله بن منده في
أخبار أصبهان ، والخطيب وابن عساكر في تاريخهما من طريق سليمان بن عمرو
عن سعد بن طارق الأشجعي عن سلمة بن قيس مرفوعا به ، وسليمان كذاب ،
وأورده ابن الجوزي في الموضوعات

الحديث الخامس عشر : حديث « أطعموا حبلاكم اللبان » الحديث ، أخرجه
أبو نعيم في الطب ثنا محمد [بن عبد الرحمن بن الفضل ثنا علي بن جعفر ثنا محمد]
ابن أحمد بن العلاء النبعي ثنا الحارث بن محمد بن الحارث بن إسحاق ثنا إبراهيم
ابن محمد الفريابي ثنا الفضل بن العباس التيمي عن موسى بن جعفر عن أبيه عن
جده قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : أطعموا حبلاكم اللبان ؛ فإن يكن
في بطنها ذكر يكن ذكي القلب ، وإن تكن أنثى يحسن خلقها وتعظم مجيرتها .

الحديث السادس عشر : حديث « كلوا السفرجل ، فإنه يجلو غين الفؤاد »
أخرج الطبراني ، والحاكم في المستدرک ، وأبو نعيم في الطب ، والضياء في المختارة عن
طلحة ، قال : دخلت على النبي عليه الصلاة والسلام وفي يده سفرجلة ، فرمى بها
إلي ، وقال : دونكها أبا محمد ، فإنها تجم الفؤاد — وفي لفظ فإنها تشد القلب
وتطيب النفس وتذهب بطخاوة الصدر — وأخرج ابن السني وأبو نعيم معا في
الطب عن جابر بن عبد الله قال : أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرجلة
من الطائف فأكلها ، وقال : كلوه فإنه يجلو غين الفؤاد ويذهب طخاء الصدر ،
وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : جاء جابر بن عبد الله النبي عليه الصلاة والسلام
بسفرجلة قدم بها من الطائف ، فنارله إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إنه يذهب بطخاوة الصدر ويجلو الفؤاد ، وأخرج ابن السني : وأبو نعيم عن أنس

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلوا السفرجل على الريق ؛ فإنه يذهب وَغَرَ الصَّدْرِ » .

الحديث السابع عشر : « إذا دخل المؤمن قبره - الحديث » أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق داود بن صغير عن أبي عبد الرحمن البراء عن أنس مرفوعاً « مامات مخضوب ولا دخل القبر إلا ومنكر ونكير لا يسألانه ، يقول منكر : يانكير سائله ، فيقول : كيف أسأله ونور الإسلام عليه » قال ابن الجوزي : داود منكر الحديث .

الحديث الثامن عشر : قال أنس : « دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أبيضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ فَقَالَ : أَلَسْتَ مُسْلِمًا ؟ قَالَ : بلى ، قَالَ : فَاخْتَضِبْ » أخرجه أبو يعلى في مسنده ثنا الجراح بن مخلد ثنا إسماعيل بن عبد الحميد بن عبد الرحمن العجلي ثنا علي بن أبي سارة عن ثابت عن أنس به .

الحديث التاسع عشر : عن أبي بن كعب مرفوعاً « مَنْ سَرَحَ رَأْسَهُ وَلَحِيَّتَهُ كُلَّ لَيْلَةٍ عُوْفِي مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ » أخرجه تمام في فوائده ، أنا إبراهيم بن محمد بن سنان ومحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ، قالوا : ثنا زكريا بن يحيى ثنا الفتح بن نصر ابن عبد الرحمن الفارسي ثنا حسان بن غالب حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب به ، وحسان وثقه ابن يونس وحمل عنه ابن حبان ، وأخرجه أبو نعيم في تاريخ أصبهان من طريقه وقال : منكر بكرة ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

الحديث العشرون : حديث « إِنْ الرَّجُلُ لَيْسَ كُونُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْجِهَادِ وَمَا يَجْزِي إِلَّا عَلَى قَدْرِ عَقْلِهِ » أخرجه الطبراني في الأوسط ، والعقبلي في الضعفاء ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث ابن عمر ، وسنَّدهُ ضعيف .

الحديث الحادي والعشرون : حديث عن بعض الصحابة « نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَمْتَشِطَ أَحَدُنَا كُلَّ يَوْمٍ » هذا أخرجه أبو داود ، والنسائي ، والحاكم ، (٨ - الحاوي ٢)

والبیہقی فی السنن هكذا ، وبهذا ومثله يستدل علی أن الناجی لم یکن له من الحفظ نصیب .

الحديث الثاني والعشرون : حديث ابن عباس « من سعادة المرء خفة لحيته » أخرجه الطبرانی ، والخطيب وضعفه ، وأورده ابن الجوزی فی الموضوعات ، وقيل : إن فيه تصحيحاً ، وإنما هو « خفة لحيته بذكر الله » حكاه الخطيب .

الحديث الثالث والعشرون : حديث « دعا الله أن يرد الشمس على علي بن أبي طالب في خيبر ، فطلعت بعد ما غربت » هذا ثابت ، وله طرق كثيرة استوعبتها في التعقبات على موضوعات ابن الجوزی .

الحديث الرابع والعشرون : حديث « من قطع سِدْرَةَ صوب الله رأسه في النار » هذا أخرجه أبو داود في سننه من حديث عبد الله بن حبشي ، وصححه الضياء المقدسي في المختارة . وأخرجه الطبرانی في الأوسط ، وزاد في آخره « يعني من سِدْرِ الحرم » وأخرجه البيهقي في سننه من حديث جابر بن عبد الله ، ومن حديث عائشة ، ومن حديث عمرو بن أوس الثقفي ، ومن حديث علي ، ومن حديث معاوية بن حيدة ، ومن مرسل عروة ، وتكلم الناس على تأويل الحديث ، ومثل هذا لا يخفى على من له أدنى حفظ ، وقد أفردت فيه مؤلفاً سميته « رفع الخدر ، عن قطع السِّدْر » .

الحديث الخامس والعشرون : حديث « سورة يس تدعى في التوراة المعمة ، قيل : وما المعمة ؟ قال : تعمُّ صاحبها بخيري الدنيا والآخرة ، وتكابد عنه بلوى الدنيا وأهاويل الآخرة » أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن ، وابن مردويه في التفسیر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، والخطيب في تاريخه من حديث أبي بكر الصديق ، وسنده ضعيف ، وأخرجه الخطيب أيضاً من حديث أنس مثله .

الحديث السادس والعشرون : حديث « من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لي وتبركا كان هو ومولوده في الجنة » أخرجه ابن بكير في فضل من اسمه محمد وأحمد من

حديث أبي أمامة ، وسنده عندي على شرط الحسن .

الحديث السابع والعشرون : حديث « يا على سألتُ الله أن يقدمك فأبي إلا تقديم أبي بكر » أخرجه الدارقطني في الأفراد ، والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما من حديث علي ، [وسنده] ضعيف .

الحديث الثامن والعشرون : حديث أبي بن كعب مرفوعاً « أول من يصافحه الحق عمر ، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة » هذا أخرجه ابن ماجه في سننه ، والحاكم في مستدركه ، وابن عدي في كامله ، وسنده ضعيف .

الحديث التاسع والعشرون : حديث « مرَّ رجل فقالوا : هذا مجنون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المجنون المقيم على معصية الله ، ولكن قولوا مصاب » أخرجه تمام في فوائده من حديث أبي هريرة ، وأبو بكر الشافعي في القيلانيات من حديث أنس .

الحديث الثلاثون : حديث « دَخَلْتُ الجَنَّةَ فناولني جبريل تفاحة فانفلقت عن حوراء عينا مرضية كأن مقادير عينها أجنحة النسور ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : للخليفة المقتول ظلماً عثمان بن عفان » أخرجه خيثمة بن سلمان في فضائل الصحابة ، والطبراني في الأوسط ، والعقيلي في الضعفاء من حديث عقبة بن عامر ، وأخرجه الخطيب في تاريخه من حديث أنس ، ومن حديث ابن عمر ، وأخرجه الطبراني في الكبير من حديث أوس بن أوس الثقفي ، وأخرجه أبو يعلى من حديث شداد بن أوس ، وأسانيدها ضعيفة ، وأمثلة حديث عقبة .

الحديث الحادي والثلاثون : حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً « إن الله تعالى يُؤَكِّلُ بِأَكْلِ الخَلِّ مَلَائِكِينَ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يَفْرَغَ » أخرجه ابن عساكر في تاريخه والديلمي في مسند الفردوس من طريقين عن الوايد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر ، وهؤلاء ثقات معروفون ، غير أن الوايد يدلس التسوية ، وله طريق أخرى عن أنس واهية أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

الحديث الثاني والثلاثون : حديث أبي ذر « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي بن أبي طالب : أنت الصديق الأكبر ، وأنت الفاروق الذي تفرق بين الحق والباطل » أخرجه البزار في مسنده ، وسنده ضعيف .

الحديث الثالث والثلاثون : حديث أنه قال لعلي « أنت سيد المسلمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين » أخرجه البزار ، وابن قانع في معجمه ، والباوردي في المعرفة ، والحاكم في المستدرک من حديث عبد الله بن أسعد بن زرارة عن أبيه ، وسنده ضعيف .

الحديث الرابع والثلاثون : حديث « مكتوب على باب الجنة محمد رسول الله ، على أخو رسول الله ، قبل أن تخلق السموات والأرض بألفي عام » أخرجه الطبراني في الأوسط ، وسنده ضعيف .

الحديث الخامس والثلاثون : حديث « عليكم بالخضاب ، فإنه أهيبُ لعدوكم وأعجب إلى نساءكم » أخرجه ابن ماجه في سننه من طريق صهيب بلفظ « إن أحسن ما اختضبتن به لهذا السواد أرغب إلى نساءكم وأهيبُ لكم في صدور عدوكم » .

الحديث السادس والثلاثون : حديث « عليكم بالجفاء فإنه خضاب الإسلام ، ويصفي البصر ، ويذهب الصداع ، وإياكم والسواد » ورد مفرداً في عدة أحاديث .

الحديث السابع والثلاثون : حديث « إن الله تعالى خلق الجنة بيضاء ، وإن أحب الثياب إلى الله البيض » أخرجه الطبراني ثنا الحسن بن علي المعمرى ثنا سليمان بن محمد المبارك ثنا أبو شهاب عن حمزة النصيبي عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالمعزى خيراً ؛ فإنها مال رقيق - أي ليس له صبر الضأن على الجفاء وشدة البرد - وهو في الجنة ، وأحبُّ المال إلى الله الضأن ، وعليكم بالبياض ، فإن الله خلق الجنة بيضاء ، فليلبسه

أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم ، وإن دم الشاة البيضاء أعظم عند الله من دم السوداوين .

الحديث الثامن والثلاثون : حديث « مَنْ عمل فرقة بين امرأة وزوجها - الحديث » أخرجه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عباس مرفوعاً « مَنْ عمل في فرقة بين امرأة وزوجها كان في غضب الله واعنته في الدنيا والآخرة ، وكان حقاً على الله أن يضربه بصخرة من نار جهنم إلا أن يتوب » وسنده ضعيف .

الحديث التاسع والثلاثون : حديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » أخرجه الترمذي من حديث علي ، والطبراني ، والحاكم وصححه من حديث ابن عباس ، وحسنه الحافظان : العلاءي ، وابن حجر .

الحديث الأربعون : حديث « مَنْ قال اللهم صل على محمد وآل محمد وأجز محمد ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح » قال الطبراني : ثنا أحمد بن رشدين ثنا هانيء بن المتوكل الإسكندراني ثنا معاوية بن صالح عن جعفر بن محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قال جزى الله محمداً عنا ما هو أهله أتعب سبعين كاتباً ألف صباح » .

حديث حذيفة « صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغداة ، فلما انصرف قال : أين أبو بكر ؟ - الحديث - » أخرجه أبو الحسين بن المهدي بالله في فوائده ، وقال الذهبي في الميزان : إنه منكر ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات .

وما عدا ذلك من الأحاديث المستول عنها فمقطوع ببطلانه ، والله أعلم .

رفع الخدر ، عن قطع السدر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو داود في سننه : باب في قطع السدر ، ثنا نصر بن علي ثنا أبو أسامة عن

ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله ابن حبشى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ » أخرجه أبو مسلم الكجى في سننه ثنا أبو عاصم عن ابن جريج به ، وأخرجه البيهقى في سننه ، وقال : لا أدري هل سمع سعيد من عبد الله بن حبشى أم لا ، ويحتمل أن يكون سمعه ، وأخرجه الضياء المقدسى في المختارة .

وقال الطبرانى في الأوسط : ثنا أبو مسلم ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد عن عبد الله بن حبشى قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ عِزَّ وَجِلِّ رَأْسِهِ فِي النَّارِ » - يعنى من سَدَّرَ الْحَرَمَ - . وقال البيهقى في سننه : أنا أبو عبد الله الحافظ أنا محمد بن يحيى الصلحى بنم الصلح ثنا أبو الأحوص محمد بن الهيثم ثنا يزيد بن موهب الرملى ثنا مسعدة بن اليسع عن ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ قَطَعَ سِدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ » قال أبو عبد الله قال أبو على الحافظ : هكذا كتبناه من حديث مسعدة ، وهو خطأ ، وإنما رواه ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عروة قوله ، قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله أنا أبو على أنا على بن الحسن بن سلامة ثنا موسى بن عبيد الرحمن المسروقى ثنا أبو أسامة عن ابن جريج ؛ فصارت رواية نصر بن على عن أبي أسامة بهذا معاولة ، قال البيهقى : ويحتمل أن يكون أبو أسامة رواه على الوجهين ، قال : وقد رواه معمر كما أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عثمان بن أبي سليم عن رجل من ثقيف عن عروة بن الزبير يرفع الحديث فى الذى يقطع السدرة ، قال : يصب عليه العذاب ، وقال : يصب رأسه فى النار ، قال : فسألت بنى عروة عن ذلك ، فأخبرونى أن عروة قطع سِدْرَةَ كَانَتْ فِي حَائِطٍ ، فَعَمِلَ بِأَبَا حَائِطٍ ^(١) .

(١) لعل أصل العبارة « فَعَمِلَهَا بِأَبَا » أو « فَعَمِلَ مِنْهَا بِأَبَا »

قال البيهقي : يُشبهه أن يكون الرجل من ثقيف عمرو بن أوس ، فقد أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن أبي عثمان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الذين يقطعون السدر يَصُجُّهم الله على رؤوسهم في النار صبأً » .

قال البيهقي : هذا هو محمد بن شريك المكي ، هذا هو المحفوظ عنه مرسلًا ، وقد رواه القاسم بن أبي شيبَةَ عن وكيع عن محمد بن شريك العامري عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الذين يقطعون السدر يَصُجُّون في النار على رؤوسهم صبأً » .

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو علي الحافظ أنا الحسين بن إدريس الأنصاري ثنا القاسم بن أبي شيبَةَ ، فذكره ، قال أبو علي : ما أراه حفظه عن وكيع ، وقد تكلموا فيه — يعني القاسم — والمحفوظ رواية أبي أحمد الزبيرى ومن تابعه على روايته عن محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، مرسلًا ، انتهى .

قلت : قد تُوْبِعَ القاسمُ عن وكيع على وَصْلِهِ : قال الطبراني في الأوسط : ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا مליح بن وكيع بن الجراح ثنا أبي عن محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الذين يقطعون السدر يصبون في النار على وجوههم صبأً » .

قال الطبراني : لم يرو عن عمرو إلا محمد ، تفرد به مליح بن وكيع عن أبيه هكذا ، قال : وقد علمت أنه لم يتفرد به ، بل تابعه القاسمُ بن أبي شيبَةَ .

قال البيهقي : وأخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل الصفار أنا أحمد بن منصور أنا عبد الرزاق أنا إبراهيم بن يزيد ثنا عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس ،

قال : أدرَكتُ شيخاً من ثقيف قد أفسد السِّدرُ زرعَهُ ، فقلت : ألا تقطعه ؟
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إلا مَنْ زرع ؟ فقال : أنا سمعتُ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم يقول : «مَنْ قطع السدرَ إلا من زرع صَبَّ الله عليه العذاب صبا»
فأنا أكره أن أقطعه من الزرع ومن غيره .

قال البيهقي : فهذا إسناد آخر لعمر بن أوس سوى روايته عن عروة إن كان
حفظه إبراهيم بن يزيد ، قال : وقد روى عن إبراهيم بن يزيد كما أخبرنا أبو عبد الله
الحافظ : حدثني أبو يزيد أحمد بن محمد بن وكيع ثنا إبراهيم بن نصر الضبي ثنا صالح
ابن مسمار ثنا هشام بن سليمان حدثني إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن
جعفر بن محمد بن عليّ عن أبيه عن جده عن عليّ ، قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : «أخْرُجْ فَأَذِّنْ فِي النَّاسِ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ رَسُولِهِ : لَعَنَ اللَّهُ
قاطع السدر» .

قال : وأنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عليّ الحسين بن عليّ الحافظ أنا محمد
ابن عمران بن خزيمة الدينوري أبو بكر حدثنا أبو عبد الله الخزومي سعيد بن
عبد الرحمن ثنا هشام بن سليمان عن ابن جريج حدثني إبراهيم بن يزيد المسكي
عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن عليّ عن أبيه عن عليّ ، فذكره ،
قال أبو عليّ : هكذا قال لنا هذا الشيخ ، وابن جريج في إسناده وهم ، ورواه
إبراهيم بن المنذر عن هشام بن سليمان عن إبراهيم بن يزيد ، ولم يذكر ابن جريج
في إسناده ، وهو الصواب .

قلت : وكذا رواه غيره عن هشام ، قال الطبراني في الأوسط : حدثنا عليّ بن
سعيد الرازي ثنا صالح بن مسمار ثنا هشام بن سليمان عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن
دينار عن الحسن بن محمد بن عليّ عن أبيه عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : «أخْرُجْ فنادِ فِي النَّاسِ لَعَنَ اللَّهُ قاطع السدر» قال الطبراني : لم يروه
عن الحسن إلا عمرو ، ولا عنه [إلا] إبراهيم ، ولا عنه إلا هشام .

ثم قال البيهقي : ورواه علي بن ثابت عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي ، مرسلًا ، قال البيهقي : ورواه علي بن هاشم بن البريد عن إبراهيم الخوزي عن عمرو بن دينار ، وسلمان الأحول عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عمرو ابن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : « إلامن زرع » قال أبو علي الحافظ : حديث إبراهيم بن يزيد مضطرب ، وإبراهيم ضعيف .

قلت : هذا الطريق أخرجه^(١) قال البيهقي : ورواه المثني بن الصباح عن عمرو عن أبي جعفر كما أخبرنا علي بن بشران أنا إسماعيل الصفار ثنا أحمد بن منصور ثنا عبد الرزاق ، قال : سمعت المثني بن الصباح يحدث عن عمرو بن دينار عن أبي جعفر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي في مرضه الذي مات فيه « أخرج يا علي فقل عن الله لا عن رسول الله : لعن الله من يقطع السدر » .

وقال البيهقي : أنا أبو عبد الله الحافظ حدثني الزبير بن عبد الواحد الحافظ ثنا محمد بن نوح الجفدي سابوري ثنا عبد القدوس بن عبدالكبير بن شعيب بن الحبحاب ثنا عبد القاهر بن شعيب عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاطع السدر يصبوب الله رأسه في النار » .

وقال : أنا أبو عبد الله ثنا الزبير بن عبد الواحد الحافظ أنا أبو علي محمد بن سليمان المالكي ثنا زيد بن أخزم أنا يحيى بن العارث عن أخيه مخارق بن العارث عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من الله لامن رسوله لعن الله عاصد السدر^(٢) » .

وقال أبو داود : ثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة ، وحميد بن مسعدة ، قالا : ثنا حسان بن إبراهيم قال : سألت هشام بن عروة عن قطع السدر - وهو مستند إلى قصر عروة - فقال : ترى هذه الأبواب والمصاريع ؟ إنما هي من سدر عروة ، كان عروة يقطعه من أرضه . وقال : لا بأس به ، زاد حميد « وقال : ياعراقي جئتني ببدعة

(٢) عاصد السدر : قاطعه ، كما في بقية الأحاديث

(١) هكذا

قال قلت : إنما البدعة من قبلكم ، سمعت من يقول هذا : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطع الصدر ، وقال أبو داود : يعني من قطع الصدر في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها .

قال البيهقي : وقد قرأت في كتاب أبي الحسن العاصمي روايته عن أبي عبد الله محمد بن يوسف عن محمد بن يعقوب بن الفرج عن أبي ثور أنه قال : سألت أبا عبد الله الشافعي عن قطع الصدر ، فقال : لا بأس به ، قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغسله بماء وسدر » فيكون محمولاً على ما حمله عليه أبو داود ، وروينا عن عروة بن الزبير أنه كان يقطعه من أرضه ، وهو أحد رواة النهي ؛ فيشبهه أن يكون النهي خاصاً كما قال أبو داود .

وقرأت في كتاب أبي سليمان الخطابي أن إسماعيل بن يحيى المزني سئل عن هذا ، فقال : وجهه أن يكون صلى الله عليه وسلم سئل عن هجم على قطع الصدر لقوم أو إيتيم ، أو إن حرم الله أن يقطع عليه ، فتحامل عليه بقطعه ، فاستحق ما قاله ، فتكون المسألة سبقت السامع ، فسمع الجواب ولم يسمع المسألة ، وجعل نظيره حديث أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما الربا في النسيئة » فسمع الجواب ولم يسمع المسألة ، وقد قال : « لا تبيعوا الذهب إلا مثلاً بمثل يداً بيد » واحتج المزني بما احتج به الشافعي من إجازة النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسل الميت بالسدر ، ولو كان حراماً لم يجز الانتفاع به ، قال : والورق من الصدر كالنصن وقد سوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حرم قطعه من شجر الحرم بين ورقه وغيره ، فلما لم يمنع من ورق الصدر دل على جواز قطع الصدر ، انتهى .

قلت : والأولى عندي في تأويل الحديث أنه محمول على سدر الحرم كما وقع في رواية الطبراني ، وقال ابن الأثير في النهاية « قيل : أراد به سدر مكة لأنها حرم » ، وقيل : سدر المدينة ، نهى عن قطعه ليكون أنسا وظلاماً يهاجر إليها ، وقيل : أراد السدر الذي يكون في الفلاة يستظل به أبناء السبيل والحيوان ، أو في ملك الإنسان

فيتحمل عليه ظلم فيقطعه بغير حق ، قال : ومع هذا فالحديث مضطرب الرواية ، فإن أكثر ما يروى عن عروة بن الزبير - وكان هو يقطع الصدر ، ويتخذ منه أبواباً - وأهل العلم مجمعون على إباحة قطعه « انتهى .

وبقى للحديث طرق فانت البيهقي ، قال أبو مسلم الكجّي في سننه : ثنا الرمادي ثنا سفيان عن عثمان بن أبي سليمان عن ابن عم له يقال له حسين عن رجل من أهل الطائف عن عبد الله بن شديد ، وعن أبي إسحاق الدوسي ، رفعه أحدهما ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الذين يقطعون الصدر يصب الله عليهم العذاب صباً » وقال الآخر ولم يرفعه « مَنْ قَطَعَ سَدْرَةَ صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » .

العرفُ الوردى ، في أخبار المهدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذي اصطفى ، هذا جزء جمعت فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي ، نلخصت فيه الأربعين التي جمعها الحافظ أبو نعيم ، وزدت عليه ما فاتته ، ورمزت عليه صورة (ك)

أخرج (ك) ابن جرير في تفسيره عن السدي في قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) قال : هم الروم ، كانوا ظاهروا بنحت نصر على خراب بيت المقدس ، وفي قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) قال : فليس في الأرض روميٌ يدخله اليوم إلا وهو خائف أن تضرب عنقه ، أو قد أخيف بأداء الجزية فهو يؤديها ، وفي قوله : (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) قال : « أما خزيهم في الدنيا فإنه إذا قام المهدي وفتحت القسطنطينية قتلهم ، فذلك الخزي » .

وأخرج (ك) أحمد ، وابن أبي شيبة ، وابن ماجه ، ونعيم بن حماد في الفتن عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهديُّ من أهل البيتِ بِصَاحِهِ اللهُ فِي لَيْلَةٍ » .

وأخرج (ك) أبو داود ، ونعيم بن حماد ، والحاكم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهديُّ مني ، أَجَلِي الْجِبْهَةِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ ظُلْمًا وَجُورًا ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المهديُّ من أهل البيتِ ، رجل من أمتي ، أَشَمُّ الْأَنْفِ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جُورًا » .

وأخرج (ك) أبو داود ، وابن ماجه ، والطبراني ، والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المهديُّ من عِثْرَتِي من ولد فاطمة » .

وأخرج ابن ماجه ، وأبو نعيم عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نحنُ سبعة من ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة : أنا ، وحمزة ، وعلي ، وجعفر ، والحسن ، والحسين ، والمهدي » .

وأخرج أحمد والباقر في المعرفة وأبو نعيم عن أبي سعيد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشركم بالمهدي ، رجل من قريش [من عِثْرَتِي] يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملا الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، ويقسم المال صحاحاً — فقال له رجل : ما صحاحاً ؟ قال : بالسوية بين الناس — ويملا قلوب أمة محمد غنى ، ويسمهم عدلُهُ ، حتى إنه يأمر منادياً فينادي : مَنْ لَهُ حَاجَةٌ إِلَيَّ ، فَمَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ ، يَأْتِيهِ فَيَسْأَلُهُ فَيَقُولُ : أَتَيْتُ السَّادِنَ حَتَّى يُعْطِيكَ ، فَيَأْتِيهِ فَيَقُولُ : أَنَا رَسُولُ الْمَهْدِيِّ إِلَيْكَ لَتُعْطِيَنِي مَا لَمْ يَمَلِكْ ، فَيَقُولُ [احث ، فيحني ولا يستطيع أن يحمله فَيَأْتِي حَتَّى يَكُونَ قَدْرَ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْمَلَهُ فَيَخْرُجُ بِهِ فَيَنْدِمُ فَيَقُولُ] أَنَا كُنْتُ أَجْشَعُ

أمة محمدٍ نفساً، كلهم دُعِيَ إلى هذا المال فتركه، غيري، فبرده عليه، فيقول: إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه، فيلبث في ذلك ستاً أو سبعمائة أو ثمانياً أو تسع سنين، ولا خير في الحياة بعده.»

وأخرج (ك) أبو داود، والطبراني عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لوم يَبْقَ من الدنيا إلا يومٌ أطولَ اللهُ ذلك اليوم حتى يُبْعَثَ فيه رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.»

وأخرج (ك) أحمد، وأبو داود، والترمذي وقال: حسن صحيح، عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي.»

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة، والطبراني والدارقطني في الأفراد، وأبو نعيم، والحاكم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.»

وأخرج (ك) الطبراني عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لوم يبق من الدنيا إلا ليلة لملك فيها رجلٌ من أهل بيتي.»

وأخرج (ك) أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لوم يَبْقَ من الدهر إلا يومٌ لبعث الله تعالى رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً.»

وأخرج أبو داود، ونعيم بن حماد في الفتن عن علي أنه نظر إلى ابنه الحسن فقال: «إن ابني هذا سيدٌ كما سمَّاه النبي صلى الله عليه وسلم، سيخرج من صلبه رجل يسمى اسم نبيكم يُشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، ثم ذكر القصة — وزاد: يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.»

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة ، وأحمد ، وأبو داود ، وأبو يعلى ، والطبرانی عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة ، فيأتيه ناس من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام ، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيبعث إليهم بعثا ، فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخبيبة لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض ، يلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون » .

وأخرج (ك) أبو داود عن علي قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث ، حراث ، على مقدمته رجل يقال له منصور ، يوطىء - أو يمكن - لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره ، أو قال إجابته » .

هذا آخر ما أورده أبو داود في باب المهدي من سننه .

وأخرج الترمذي وصححه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يلبى رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » .

وأخرج الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال : « لو لم يبق من الدنيا إلا يوم أطول الله ذلك اليوم حتى يلبى » .

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في أمتي المهدي ، يخرج ، بعيش خمسا أو سبعا أو تسعا - زيد الشاك - فيجىء إليه الرجل فيقول : يا مهدي أعطني أعطني ، فيحني له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد ، وابن ماجه عن أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يكون في أمتي المهدي إن قصد فسبح ، وإلا فتسع ، فتتعم فيه أمتي » .

نعمة لم يسمعوا بمثها قط، يؤتى أكلمها، ولا تدخر عنهم شيئاً، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذوا .

وأخرج ابن أبي شيبة، ونعيم بن حماد في الفتن، وابن ماجه، وأبو نعيم عن ابن مسعود قال: «بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رأهم النبي صلى الله عليه وسلم اغرورقت عيناه وتغير لونه، فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً تكرهه؟ فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدى بلاء وتشريداً وتطريداً، حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه، حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملؤها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حببوا على الثلج فإنه المهدي .»

قال الحافظ عماد الدين بن كثير: في هذا السياق إشارة إلى ملك بني العباس، وفيه دلالة على أن المهدي يكون بعد دولة بني العباس .

وأخرج ابن ماجه، والحاكم وصححه، وأبو نعيم عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لاتصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم، ثم يجيء خليفة الله المهدي، فإذا سمعتم به فأتوه فبايعوه ولو حببوا على الثلج فإنه خليفة الله المهدي .

وأخرج (ك) ابن ماجه، والطبراني عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه .»

وأخرج (ك) أحمد، والترمذي، ونعيم بن حماد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تخرج من خراسان رايات سود فلا يردّها شيء حتى تنصب بإيلياء .»

قال ابن كثير : هذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني فاستلب بها دولة بني أمية ، بل رايات سود آخر تأتي صحبة المهدي .

وأخرج (ك) البزار ، والحارث بن أبي أسامة ، والطبراني عن قرّة المزني قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئلا تملأ الأرض جوراً وظلماً ، فإذا ملئت جوراً وظلماً بعث الله رجلاً مني اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً ، فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها ، يمكث سبعا أو ثمانيا ، فإن أكثر فتسعا » .

وأخرج (ك) البزار عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان نائماً في بيت أم سلمة ، فانتبه وهو يسترجع ، فقالت : يا رسول الله ممّ تسترجع ؟ قال : من قبل جيش يجيء من قبل العراق في طلب رجل من أهل المدينة ، يمنعه الله منهم ، فإذا علوا البيداء من ذي الحليفة خسف بهم ، فلا يدرك أعلام أسفلهم ولا يدرك أسفلهم أعلام إلى يوم القيامة » .
وأخرج (ك) البزار عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيكون في أمتي خليفة يحثو المال حثياً^(۱) لا يعدّه عدأ » .

وأخرج أحمد عن أبي سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن من أسرائكم أميراً يحثو المال حثوا ولا يعدّه ، يأتيه الرجل فيسأله فيقول : خذ ، فيبسط ثوبه فيحثو فيه ، فيأخذه ثم ينطلق » .

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن طلحة بن عبيد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب إلا جاش منها جانب ، حتى ينادى مناد من السماء إن أميركم فلان » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج المهديُّ وعلى رأسه عمامة ، فيأتي منادٍ ينادي : هذا المهديُّ خليفة الله فاتبعوه » .

وأخرج (ك) أبو نعيم ، والخطيب في تلخيص المتشابه عن ابن عمر ، قال : قال

(۱) هكذا على التلخيص من اللغتين ، وفي الذي بعده استقام على واحدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج المهديُّ وعلى رأسه ملك ينادي إن هذا المهديُّ فاتبعوه » .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن عاصم بن عمر البجلي قال : ايناديَنَ باسم رجل من السماء ، لا ينكره الدليل ، ولا يتمتع منه الدليل .

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط من طريق عمر بن علي عن علي بن أبي طالب « أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم أمنا المهديُّ أم من غيرنا يا رسول الله ؟ قال : بل منا ، بنا يحتم الله كما بنا فتح ، و بنا يستفقدون من الشرك ، و بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بينة^(١) كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك » .

وأخرج نعيم بن حماد ، وأبو نعيم من طريق مكحول عن علي قال : « قلت : يا رسول الله أمنا آل محمد المهديُّ أم من غيرنا ؟ فقال : لا ، بل منا ، يحتم الله به الدين كما فتح بنا ، و بنا يُنقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك ، و بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك ، و بنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخوانا كما أصبحوا بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم » .

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط ، والحاكم عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُبَايِعُ لرجل بين الركن والمقام عدَّةُ أهل بدرٍ ، فيأتيه عصائبُ أهل العراق وأبدالُ أهل الشام ، فيغزوه جيش من أهل الشام ، حتى إذا كانوا بالبيداء خُيفَ بهم » .

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسير ملك المشرق إلى ملك المغرب فيقتله ، فيبعث جيشاً إلى المدينة فيخسف بهم ، ثم يبعث جيشاً فينشأ ناس من أهل المدينة فيعوذ عائذاً بالحرم ، فيجتمع الناس إليه كالطير الواردة المتفرقة حتى يجمع إليه ثلثمائة وأربعة عشر منهم نسوة ، فيظهر على كل جبار وابن جبار ، ويظهر من العدل ما يتمنى له الأحياء أمواتهم ، فيحيا

(١) لعل الأصل « بعد عداوة فتنة » كما في الذي يليه

سبع سنين ، ثم ماتحت الأرض خير مما فوقها .

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن ابن عمر « أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد علي فقال : سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطا وعدلا ، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التيمي ؛ فإنه يُقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية المهدي . »
وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط عن أم حبيبة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج ناس من قبل المشرق يريدون رجلا عند البيت ، حتى إذا كانوا بببداء من الأرض خُسفَ بهم . »

وأخرج (ك) الطبراني في الأوسط ، ونعيم ، وابن عساكر عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون في آخر الزمان فتنة تحصل للناس كما يحصل الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، ولكن سبوا شرارهم ، فإن فيهم الأبدال ، يوشك أن يرسل على أهل الشام سيب من السماء فيغرق جماعتهم ، حتى لو قابلتهم الثعالب غلبتهم ، فعند ذلك يخرج خارج من أهل بيتي [تحت] ثلاث رايات ، المكثر يقول : هم خمسة عشر ألفا ، والمقلل يقول : هم اثنا عشر ألفا ، أمارتهم « أميت أميت » يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطالب الملك ، فيقتلهم الله جميعا ، ويرد الله إلى المسلمين ألقمهم ونعمتهم وقاصيهم ودانيهم . »

وأخرج نعيم بن حماد ، والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال : « ستكون فتنة يحصل الناس منها كما يحصل الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام وسبوا ظلمتهم ، فإن فيهم الأبدال ، وسيُرسل الله سيباً من السماء فيغرقهم ، حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم ، ثم يبعث الله عند ذلك رجلا من عترَةِ الرسول صلى الله عليه وسلم في اثني عشر ألفا إن قلوا وخمسة عشر ألفا إن كثروا ، أمارتهم - أي علامتهم - أميت أميت ، على ثلاث رايات ، يقاتلهم أهل سبع رايات ، ليس من صاحب راية إلا وهو يطعم بالملك ، فيقتلون ويهزمون ، ثم يظهر الهاشمي ، فيرد الله إلى المسلمين ألقمهم ونعمتهم ، فيكونون على ذلك حتى يخرج الدجال . »

وأخرج الطبراني في الأوسط ، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يخرج رجل من أهل بيتي يقول بسنتي ، ينزل الله له القطر من السماء ، وتخرج له الأرض من بركتها ، تُمَلَأُ الأرض منه قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يعمل على هذه الأمة سبع سنين ، وينزل بيت المقدس . »
وأخرج (ك) الدارقطني في الأفراد ، والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يكون في أمتي المهدي ، إن قصر عمره سبع ، وإلا فثمان ، وإلا فتسع سنين ، ينعم أمتي فيها نعمة لم ينعموا مثلها ، البر منهم والفاجر ، يرسل الله عليهم السماء مِدْرَاراً ، ولا تدخر الأرض شيئاً من النبات ، ويكون المال كُدُوساً ، يقول الرجل : يا مهدي أعطني ، فيقول : خذ . »

وأخرج (ك) أبو يعلى عن أبي هريرة قال : « حدثني خليلي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال : لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل بيتي ، فيضربهم حتى يرجعوا إلى الحق ، قلت : وكم يملك ؟ قال : خمساً واثنين . »
وأخرج (ك) أبو يعلى ، وابن عساكر عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون في آخر الزمان عند تظَاهُرٍ من الفتن وانقطاع من الزمن أميرٌ أول ما يكون عطاؤه للناس أن يأتيه الرجل فيخشي له في حجره يهيمه من يقبل منه صدقة ذلك المال لما يصيب الناس من الفرج . »

وأخرج (ك) أحمد ومسلم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون في آخر أمتي خليفة يخشي المال خشيًا ولا يعدُّه عداً . »

وأخرج (ك) أحمد ومسلم عن أبي سعيد وجابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدُّه . »

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « يكون في أمتي المهدي ، إن قصر عمره سبع سنين ، وإلا فثمان ، وإلا فتسع سنين ، تتنعم أمتي في زمانه نعيمًا لم يتنعموا مثله قط ، البر والفاجر ، يرسل الله السماء عليهم

مِذْرَارًا ، وَلَا تَدْخُرُ الْأَرْضَ شَيْئًا مِنْ نَبَاتِهَا .

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :
« تَمَلَّأَ الْأَرْضَ ظُلْمًا وَجورًا ، فيقرم رجل من عِترَتِي فيملؤها قسطًا وعدلاً ، يملك
سبعًا أو تسعًا . »

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن أبي سعيد قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام :
« لَا تَنْقُضِي الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْأَرْضَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الْأَرْضَ عدلاً
كَمَا مَلَأَتْ قَبْلَهُ جورًا ، يملك سبع سنين . »

وأخرج أبو نعيم والحاكم عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يُخْرِجُ الْمَهْدِي فِي أُمَّتِي يبعثه الله غِيَاثًا لِلنَّاسِ ، تنعم الأمة ، وتعيش الماشية ، وتُخْرِجُ
الْأَرْضَ نَبَاتِهَا ، ويعطى المال صحاحًا . »

وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه الصلاة
والسلام : « كَيِّبَعَتْنِ اللهُ مِنْ عِترَتِي رَجُلًا أَفْرَقَ الثَّنَائِيَا^(١) أَعْلَى الْجِبَةِ ، يَمْلَأُ الْأَرْضَ
عدلاً ، يفيض المال فيضا . »

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَبَعَثَ اللهُ رَجُلًا اسْمُهُ اسْمِي وَخَلَقَهُ خَلْقِي ،
يكنى أبا عبد الله . »

وأخرج الحارث بن أبي أسامة وأبو نعيم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لَتَمَلَّنَ الْأَرْضَ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا ، ثُمَّ لِيُخْرِجَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي
حَتَّى يَمْلَأَهَا قِسطًا وَعَدلاً كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَعَدْوَانًا . »

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « يُخْرِجُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوْاطِيءُ اسْمَهُ اسْمِي وَخَلَقَهُ خَلْقِي
يَمْلَأُهَا قِسطًا وَعَدلاً كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجورًا . »

(١) الثنايا أسنان في مقدم الفم ، وأراد بفرقها الفلج ، وهو أن يتباعد ، وهو من الحسن

وأخرج نعيم وأبو نعيم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي ، يكون عطاؤه هنيئاً » .

وأخرج أحمد ونعيم بن حماد والحاكم وأبو نعيم عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدي » .

وأخرج أبو نعيم عن حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « وَيُخَاحِظُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنْ مَلُوكِ جَبَابِرَةٍ كَيْفَ يَقْتُلُونَ وَيُخَيِّفُونَ الْمُطِيعِينَ إِلَّا مَنْ أَظْهَرَ طَاعَتَهُمْ ؟ فَاَلْمُؤْمِنُ التَّقِيُّ يُصَانِعُهُمْ بِلِسَانِهِ وَيَقْوَمُهُمْ بِقَلْبِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعِيدَ الْإِسْلَامَ عَزِيزاً قَصَمَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ أَنْ يَصْلِحَ أُمَّةً بَعْدَ فَسَادِهَا ، يَا حَذِيفَةَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، تَجْرِي الْمَلَأِحِمُّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَيُظْهِرُ الْإِسْلَامَ ، لَا يُخْلِفُ وَعْدَهُ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ » .

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ لَمَلِكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي » .

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تَجِيءُ الرَّاياتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ كَأَنَّ قُلُوبَهُمْ زُبُرُ الْحَدِيدِ ، فَمَنْ سَمِعَ بِهِمْ فَلْيَأْتِهِمْ فَلْيَبَايِعِهِمْ وَلَوْ حَبَوًّا عَلَى الثَّلْجِ » .

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِيءُ اسْمَهُ اسْمِي وَاسْمَ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي ، يَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجورًا ، وَيَقْسِمُ الْمَالَ بِالسُّوِيَّةِ ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ الْغَنَى فِي قُلُوبِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، فَيَمَكْتُ سَبْعًا

أو تسعا ، ثم لا خير في الحياة بعد المهدي .
وأخرج ابن ماجه وأبو نعیم عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :
« لو لم يَبْقَ من الدنيا إلا يوم لطوله الله حتى يملك رجل من أهل بيتي ، يفتح
القسطنطينية وجبل الديل » .

وأخرج الطبرانی في الكبير وابن منده وأبو نعیم وابن عساكر عن قيس
ابن جابر عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيكون بعدى
خلفاء ، ومن بعد الخلفاء أمراء ، ومن بعد الأمراء ملوك ، ومن بعد الملوك جبابرة ،
ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم يؤمر بعده
القحطاني ، فوالذي بعثني بالحق ما هو بدونه » .

وأخرج أبو نعیم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« منا الذي يصلى عيسى بن مريم خلفه » .

وأخرج أبو نعیم عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل
عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي : تعال صل بنا ، فيقول : ألا وإن بعضكم على
بعض أمراء تكرمه الله لهذه الأمة » .

وأخرج أبو نعیم عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لن تهلك أمة أنا أولها ، وعيسى ابن مريم في آخرها ، والمهدي في وسطها » .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن أبي سعيد عن النبي عليه الصلاة والسلام قال :
« يخرج في آخر الزمان خليفة يعطى الحق بغير عدد » .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن
يكون عطاؤه حثياً » .

وأخرج (ك) الحاكم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج
رجل يقال له السفياي في عمق دمشق ، وعامة من يتبعه من كلب ، فيقتل حتى يبقر

بطون النساء ويقتل الصبيان ، فتجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلة ، ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرة فيبلغ السفيناني فيبعث إليه جنداً من جنده ، فيهزمهم ، فيسير إليه السفيناني بمن معه حتى إذا صار بيضاء من الأرض خُسفَ بهم ، فلا ينجو منهم إلا الخبر عنهم .

وأخرج (ك) الحاكم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم حتى تضيق الأرض عنهم ، فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، لا تدخر الأرض شيئاً من بذرها إلا أخرجته ، ولا السماء شيئاً من قطرها إلا صبته ، يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانى أو تسعا . »

وأخرج ابن ماجه والرويانى وابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأبو نعيم واللفظه له عن أبي أمامة قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وذكر الدجال - وقال : فتنفى المدينة الخبث منها كما ينفي الكبر خبث الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص ، فقالت أم شريك : فأين العرب يا رسول الله يومئذ ؟ قال : هم يومئذ قليل وجلهم بيت المقدس وإمامهم المهدي رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم بصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص يمشى القهقري ليتقدم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصل فإنها لك أقيمت ، فيصلى بهم إمامهم .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن سيرين قال : « المهدي من هذه الأمة ، وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم عليهما السلام . »

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن مجاهد قال : حدثني فلان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية ، فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأوض ، فأتى الناس المهدي فزفوه كما تزف العروس إلى زوجها ليلة عرسها ، وهو يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وتخرج

الأرض نباتها ، وتُمطر السماء مطرها ، وتنعم أمتى في ولايته نعمة لم تنعمها قط .
وأخرج (ك) ابن أبي شيبه عن أبي الجلد قال : « تكون فتنة بعدها فتنة ،
الأولى فى الآخرة كشمرة السوط يتبعها ذباب السيف ، ثم يكون بعد ذلك فتنة
تستحل فيها المحارم كلها ، ثم تأتى الخلافة خير أهل الأرض وهو قاعد فى بيته » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد وأبو الحسن الحربى فى الأول من الحربيات عن على
ابن عبد الله بن عباس قال : « لا يخرج المهدي حتى تطلع مع الشمس آية » .

وأخرج (ك) الدارقطنى فى سننه عن محمد بن على قال : « إن لمهدينا
آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض : ينكسف القمر لأول ليلة
من رمضان ، وتنكسف الشمس فى النصف منه ، ولم يكونا منذ خلق الله
السموات والأرض » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد وعمر بن شبة عن عبد الله بن عمرو قال : « إذا خسف
بالجيش بالبيداء فهو علامة خروج المهدي » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد وابن عساكر وتما فى فوائده عن عبد الله بن عمرو
قال : « يخرج رجل من ولد حسن من قبل المشرق لو استقبل به الجبال لهدأها واتخذ
فيها طرقا » .

وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينكم
وبين الروم أربع هدن يوم الرابعة يلى يدي رجل من أهل هرقل يدوم سبع سنين ،
فقال له رجل : يا رسول الله من إمام المسلمين يومئذ ؟ قال : المهدي من ولدى ، ابن
أربعين سنة كأن وجهه كوكب درى ، فى خده الأيمن خال أسود ، عليه عباءتان
قطوانيتان ، كأنه من رجال بنى إسرائيل ، يستخرج الكنوز ويفتح مدائن الشرك » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فى ذى القعدة تجاذب القبائل ، وعامئذ ينهب
الحاج ، فتكون ملحمة بمنى حتى يهرب صاحبهم فيبايع بين الركن والمقام وهو

كاره ، يبايعه مثل عدة أهل بدر ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض .
 وأخرج الروياني في مسنده وأبو نعيم عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهديُّ رجل من ولدي ، وجهه كالسكوك الدرِّيُّ » .
 وأخرج الروياني في مسنده وأبو نعيم عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المهديُّ رجل من ولدي ، لونه لون عربي ، وجسمه جسم إسراييلي ، على خده الأيمن خال كأنه كوكب دري ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، يرضى في خلافته أهل الأرض وأهل السماء والطير في الجو » .
 وأخرج (ك) ابن جرير في تهذيب الآثار ، وفيه « ووليكم الجابر خير أمة محمد الحقوه بمكة فإنه المهدي واسمه محمد بن عبد الله ، يخرج إليه الأبدال من الشام وعصب أهل المشرق ، كأن قلوبهم زبر الحديد ، رُهبانٌ بالليل ليوث بالنهار » .
 وأخرج أبو نعيم وأبو بكر بن المقرئ في معجمه عن ابن عمرو قال : قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يخرج المهدي من قرية يقال لها كركة » .
 وأخرج أبو نعيم عن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : « المهدي من ولدك » .

وأخرج (ك) ابن عساكر عن الحسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « أبشري يا فاطمة المهدي منك » .

وأخرج الطبراني في الكبير وأبو نعيم عن علي الهلالي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : « والذي بعثني بالحق إنَّ منكما - يعني من الحسن والحسين - مهديَّ هذه الأمة ، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض فلا كبير يرحم صغيراً ولا صغير يوقر كبيراً بعث الله عند ذلك منكما مَنْ يفتح حصون الضلالة وقلوباً غُلُفاً ، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت في أول الزمان ، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً » .

وأخرج (ك) الطبراني عن عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« تجيء فتنة غرباء مظلمة ، ثم يتبع الفتن بعضها بعضا حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي ، فإن أدركته فاتبعه وكن من المهتدين » .

وأخرج (ك) الخطيب في المتفق والمفترق عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجلبن^(١) الروم على والي من عترتي اسمه يواطىء اسمي فيقتلون بمكان يقال له العماق فيقتلون ، فيقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك ، ثم يقتلون يوما آخر فيقتل من المسلمين نحو ذلك ، ثم يقتلون اليوم الثالث فيكون على الروم ؛ فلا يزالون حتى يفتحوا القسطنطينية ، فيبئس ما يقتسمون فيها بالأتربة إذ أتاهم صارخ إن الدجال قد خلفكم في ذرايعكم » .

وأخرج (ك) ابن سعد وابن أبي شيبه عن ابن عمرو أنه قال : يا أهل الكوفة أنتم أسعد الناس بالمهدي .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد في كتاب الفتن بسند صحيح على شرط مسلم عن علي قال : « الفتن أربع : فتنة السراء ، وفتنة الضراء ، وفتنة كذا ، فذكر معدن الذهب ، ثم يخرج رجل من عتره الرسول عليه الصلاة والسلام يصالح على يديه أمرهم » .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن ابن أرمطة قال : يدخل السفيناني الكوفة فيستلمها ثلاثة أيام ويقتل من أهلها ستين ألفاً ، ثم يمكث فيها ثمان عشرة ليلة يقسم أموالها ، ودخول الكوفة بعد ما يقاتل الترك والروم بقدرنسيا ، ثم يبعث عليهم خلفهم فتن ، فترجع طائفة منهم إلى خراسان فيقتل السفيناني ويهدم الحصون حتى يدخل الكوفة ويطلب أهل خراسان ، ويظهر بخراسان قوم تدعن إلى المهدي ثم يبعث السفيناني إلى المدينة فيأخذ قوماً من آل محمد صلى الله عليه وسلم حتى يؤديهم الكوفة ، ثم يخرج المهدي ومنصور هار بين ، ويبعث السفيناني في طلبهما ، فإذا بلغ المهدي ومنصور الكوفة نزل جيش السفيناني إليهما فيخسف بهم ، ثم يخرج المهدي حتى

(١) كذا ، وربما كان الأصل « يجلبن الروم »

يمر بالمدينة فيستنقذ مَنْ كان فيها من بني هاشم ، وتقبل الرايات السوداء حتى تنزل على الماء ، فيبلغ مَنْ بالكوفة من أصحاب السفيناني نزولهم فيهر بون ، ثم ينزل الكوفة حتى يستنقذ مَنْ فيها من بني هاشم ، ثم يخرج قوم من سواد الكوفة يقال لهم العصب ليس معهم سلاح إلا قليل ، وفيهم بعض أهل البصرة قد تركوا أصحاب السفيناني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة ، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي (١) .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن محمد بن الحنفية قال : تخرج رايات سود لبني العباس ، ثم تخرج من خراسان أخرى سود قَلَّ نِسْهُم سود وثيابهم بيض على مقدمتهم رجل يقال له شعيب بن صالح من تميم ، يهزمون أصحاب السفيناني حتى ينزل بيت المقدس يوطئ للمهدي سلطانه ويمد إليه ثلثمائة من الشام ، يكون بين خروجه وبين أن يسلم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن الحسن قال : « يخرج بالرى رجل رُبْعَة أسمر من بني تميم محروم كَوْسَج يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف ، ثيابهم بيض وراياتهم سود ، يكون على مقدمة المهدي ، لا يلقاه أحد إلا قلّه » .

وأخرج (ك) نعيم عن علي ، قال : لا يخرج المهدي حتى يقتل ثلث ، ويموت ثلث ، ويبقى ثلث .

وأخرج (ك) نعيم عن علي ، قال : « لا يخرج المهدي حتى يَبْصُقَ بعضكم في وجه بعض » .

وأخرج (ك) نعيم عن عمرو بن العاص قال : « علامة خروج المهدي إذا خسف بجيش في البیداء فهو علامة خروج المهدي » .

وأخرج (ك) نعيم عن أبي قبيل قال : اجتمعُ الناس على المهدي سنة أربع ومائتين .

وأخرج (ك) نعيم عن عمار بن ياسر قال : « علامة المهدي إذا انساب عليكم

(١) عبارة هذا الحديث مضطربة قلقة

الترك ، ومات خليفتمك الذي يجمع الأموال ، ويستخلف بعده رجل ضعيف ، فيخلع بعد سنتين من بيعته ، ويخسف بغربي مسجد دمشق ، وخروج ثلاثة نفر بالشام ، وخروج أهل المغرب إلى مصر ، وتلك أمانة السفيناني .

وأخرج (ك) نعيم عن علي ، قال : « إذا نادى منادٍ من السماء إن الحق في آل محمد فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ، ويُسْرَبُونَ حُبَّهُ ، ولا يكون لهم ذكر غيره . »

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن عمار بن ياسر قال : المهديُّ على أوله شعيب ابن صالح .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن أبي جعفر قال : « يخرج شاب من بني هاشم بكفه اليمين خال من خراسان برايات سود بين يديه شعيب بن صالح يقاتل أصحاب السفيناني فيهم مهم . »

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب بن علقمة قال : يخرج على لواء المهدي غلامٌ حدث السن خفيف اللحية أصفر ، لو قاتل الجبال لهدَّها حتى ينزل إيلياء .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : إذا ملك رجل الشام وآخر مصر فاقتتل الشامي والمصري وسبى أهل الشام قبائل من مصر وأقبل رجل من المشرق برايات سودٍ صفار قتل صاحب الشام فهو الذي يؤدِّي الطاعة إلى المهدي .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال : يكون بإفريقية أمير اثنتي عشرة سنة ، ويكون بعده فتنة ، ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلاً ، ثم يسير إلى المهدي فيؤدى إليه الطاعة ويقا تل عنه .

وأخرج (ك) أيضاً عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فلا يلقاه أهل بيته حتى يبعث الله راية من المشرق سوداء من نصرها نصره الله ، ومن خذلها خذله ، حتى يأتوا رجلاً اسمه كاشمي فيولونه أسرم ، فيؤيده الله وينصره

وأخرج (ك) أيضا عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تخرج من المشرق رايات سود لبني العباس ، ثم يمكثون ماشاء الله ، ثم تخرج رايات سود صفار تقاتل رجلا من ولد أبي سفيان وأصحابه من قبل المشرق ، يؤدون الطاعة للمهدي » .

وأخرج (ك) أيضا عن علي قال : « تخرج رايات سود تقاتل السفيناني ، فيهم شاب من بني هاشم ، في كفه اليسرى خال ، وعلى مقدمته رجل من تميم يدعى شعيب ابن صالح ، فيهزم أصحابه » .

وأخرج (ك) أيضا عن عمار بن ياسر قال : « إذا بلغ السفيناني الكوفة وقتل أعوان آل محمد خرج المهدي على لوائه شعيب بن صالح » .

وأخرج (ك) أيضا عن أبي جعفر قال « تنزل الرايات السود التي تخرج من الكوفة ، فإذا ظهر المهدي بمكة بعث إليه بالبيعة » .

وأخرج (ك) أيضا عن كعب قال : « إذا دارت رحا بني العباس وربط أصحاب الرايات خيولهم بزيتون الشام يهلك الله لهم الأصب ، ويقتله وعامة أهل بيته على أيديهم ، حتى لا يبقى امرؤ منهم إلا هارب أو مختف ، ويسقط الشعبتان بنو جعفر وبنو العباس ، ويجلس ابن آكلة الأكباد على منبر دمشق ، ويخرج البربر إلى سرة الشام ، فهو علامة خروج المهدي » .

وأخرج (ك) أيضا عن علي بن أبي طالب قال : إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان ، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي ، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود على مقدمته شعيب بن صالح ، فيلتقي هو والسفيناني بباب إصطخر فيكون بينهم ملحمة عظيمة ، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السفيناني ، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه » .

وأخرج (ك) أيضا عن أبي جعفر ، قال : بعث السفيناني جنوده في الآفاق بعد دخوله الكوفة وبغداد ، فيبلغه فزعة من وراء النهر من أرض خراسان ، عليهم

رجل من بني أمية ، فيكون لهم وقعة بتونس ، ووقعة بدولاب الري ، ووقعة بتخوم زريح ، فعند ذلك تُقبِلُ الرايات السود من خراسان ، على جميع الناس شاباً من بني هاشم ، بكفه اليمنى خال ، سهل الله أمره وطريقه ، ثم يكون لهم وقعة بتخوم خراسان ، ويسير الهاشمي في طريق الري ، فيبرح رجل من بني تميم من الموالي يقال له شعيب بن صالح إلى إصطخر إلى الأموي ، فيلتقي هو والمهدي والهاشمي ببيضاء إصطخر فيكون بينهما ملحمة عظيمة حتى تظأ الخيلُ الدماء إلى أرساغها ، ثم يأتيه جنود من سجستان عظيمة عليهم رجل من بني عدى ، فيظهر الله أنصاره وجنوده ، ثم تكون وقعة بالمداين بعد وقعة الري ، وفي عاقر قوقا وقعة صلمية يخبر عنها كل ناج ، ثم يكون بعدها ذبح عظيم ببابل ، ووقعة في أرض من أرض نصيبين ، ثم يخرج على الأحوص قوم من سوادهم وهم العصب عامتهم من الكوفة والبصرة حتى يستنقذوا ما في يديه من سبي كوفان .

وأخرج (ك) أيضاً عن ضمرة بن حبيب ومشايخهم قالوا : يبعث السفياي خيله وجنوده ، فيباعد عامة المشرق من أرض خراسان وأرض فارس ، فيثور بهم أهل المشرق فيقاتلونهم ، ويكون بينهم وقعات في غير موضع ، فإذا طال عليهم قتالهم إياه بايعوا رجلاً من بني هاشم ، وهم يومئذ في آخر المشرق ، فيخرج بأهل خراسان على مقدمته رجل من تميم مولى لهم يقال له شعيب بن صالح أصفر قليل اللحية ، يخرج إليه في خمسة آلاف ، فإذا بلغه خروجه شايعه فيصيره على مقدمته ، لو استقبل بهم الجبال الرواسي لهدأها ، فيلتقي هو وخيل السفياي ، فيهزمهم فيقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم تكون الغلبة للسفياي ويهرب الهاشمي ، ويخرج شعيب بن صالح مختفياً إلى بيت المقدس يُوطئ للمهدي منزله إذا بلغه خروجه إلى الشام - قال الوليد : بلغني أن هذا الهاشمي أخو المهدي لأبيه ، وقال بعضهم : هو ابن عمه ، وقال بعضهم : إنه لا يموت ، ولكنه بعد الهزيمة يخرج إلى مكة فإذا ظهر المهدي خرج .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي بن أبي طالب قال : يخرج رجل قبيل المهدي من

أهل بيته بالشرق ، يحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتل ويمثل ويتوجه إلى بيت المقدس ، فلا يبلغه حتى يموت .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال : يبعث بجيش إلى المدينة فيأخذون من قَدَرُوا عليه من آل محمد صلى الله عليه وسلم ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساء ، فعند ذلك يهرب المهدي والبيض من المدينة إلى مكة فيبعث في طلبهما وقد لحقا بحرم الله وأمنه .

وأخرج (ك) أيضاً عن يوسف بن ذى قربا قال : يكون خليفة بالشام يغزو المدينة ، فإذا بلغ أهل المدينة خروج الجيش إليهم خرج سبعة نفر منهم إلى مكة فاستخفوا ، فيكتب صاحب المدينة إلى صاحب مكة : إذا قدم عليك فلان وفلان — يسميهم بأسمائهم — فاقتلهم ، فيعظم ذلك صاحب مكة ، ثم بنو مروان بينهم ، فيأتونه ليلاً ويستجبرون به ، فيقول : اخرجوا آمنين ، فيخرجون ، ثم يبعث إلى رجلين منهم فيقتل أحدهم والآخر ينظر ، ثم يرجع إلى أصحابه فيخرجون ، ثم ينزلون جبلاً من جبال الطائف فيقيمون فيه ، وبعثون إلى الناس فينساب إليهم ناس ، فإذا كان كذلك غزاهم أهل مكة ، فيهمزومهم ، ويدخلون مكة فيقتلون أميرها ، ويكونون بها حتى إذا خُصِفَ بالجيش استعد أمره وخرج .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال : يبعث السفيناني جيشاً ، فيأمر بقتل كل من كان فيها من بني هاشم ، فيقتلون ويفترقون هاربين إلى البراري والجبال ، حتى يظهر أمر المهدي ، فإذا ظهر بمكة اجتمع كل من شدَّ منهم إليه بمكة .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال : يكون بالمدينة وقعة يفرق فيها أحجار الزيت ، ما الحرَّةُ عندها إلا كضربة سوط ، فيتنجى عن المدينة قدر يريدن ثم يبايع للمهدي .

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال : يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهمزومهم ، فيسمع بذلك الخليفة بالشام فيقطع إليهم بعضاً فيهم ستائة

غريب ، فإذا أتوا البيداء فینزلها فی لیلۃ مُقَمَّرَة أقبل راعٍ ینظر إلیهم ویعجب ،
 فیقول : یا ویح أهل مکة ، ما جاءهم ؟ فینصرف إلی غنمه ثم یرجع فلا یرى أحداً
 فإذا هم قد خسف بهم ، فیقول : سبحان الله ، ارتحلوا فی ساعة واحدة ، فیاأتی
 منزلهم ، فیجد قطیفة قد خسف ببعضها وبعضها علی ظهر الأرض ، فیعالجها فیعلم
 أنه قد خسف بهم ، فینطلق إلی صاحب مکة فیبشره ، فیقول صاحب مکة : الحمد لله
 هذه العلامة التي كنتم تخبرون ، فیسیرون إلی الشام .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبیل قال : لا يُفَلِتُ منهم أحد إلا بشیر ونذیر ،
 فأما الذي هو بشیر فإنه یأتی المهدي بمكة وأصحابه فیخبرهم بما كان من أمرهم ، والثانی
 یأتی السفیانی فیخبره بما یؤول بأصحابه ، وهما رجلان من كلب .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : علامة خروج المهدي ألوية تُقبِلُ من
 المغرب علیها رجل أعرجُ من كندة .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال : ینخرج السفیانی والمهدي كفرسی
 رهان ، فیغلب السفیانی علی ما یلیه ، والمهدي علی ما یلیه .

وأخرج (ك) أيضاً عن جعفر قال : یقوم المهدي سنة مائتین .

وأخرج (ك) أيضاً عن الزهري قال : یتخرج المهدي كارها من مكة من
 ولد فاطمة فیبايع .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال : یظهر المهدي بمكة عند العشاء ، معه
 رایة رسول الله صلی الله علیه وسلم وقیصه وسیفه وعلامات ونور و بیان ، فإذا صلی
 العشاء نادى بأعلى صوته یقول : أذکرکم الله أيها الناس ومقامکم بین یدئ ربکم فقد
 اتخذ الحجر ، وبعث الأنبياء ، وأنزل الكتاب ، وأمرکم أن لا تشركوا به شیئا ، وأن
 تحافظوا علی طاعته وطاعة رسوله صلی الله علیه وسلم ، وأن تحيوا ما أحيا القرآن ،
 وتمیتوا ما أمات ، وتكونوا أعواناً علی المهدي ، ووزراء علی التقوی ، فإن الدنيا قد
 دنا فناؤها وزوالها ، وأذنت بانصرام ، فإنی أدعوك إلی الله وإلی رسوله ، والعمل

بكتابه ، وإماتة الباطل ، وإحياء سنته ، فيظهر في ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أهل بدر على غير ميعاد قرعاً كقرع الخريف^(١) رُهْبَان بالليل أسدُّ بالنهار ، فيفتح الله للمهدي أرض الحجاز ، ويستخرج مَنْ كان في السن من بني هاشم ، وتنزل الرايات السود الكوفة ، فيبعث بالبيعة إلى المهدي ، ويبعث المهدي جنوده في الآفاق ، ويميت الجور وأهله ، وتستقيم له البلدان ، ويفتح الله على يديه القسطنطينية وأخرج (ك) أيضاً عن ابن مسعود قال : إذا انقطعت التجارات والطرق وكثرت الفتن خرج سبعة نفر علماء من أفق شتى على غير ميعاد ، يبايع لكل رجل منهم ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، حتى يجتمعوا بمكة ، فيلتقي السبعة فيقول بعضهم لبعض : ما جاء بكم ؟ فيقولون : جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهتدأ على يديه هذه الفتن وتفتح له القسطنطينية ، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأمه وجيشه ، فيتفق السبعة على ذلك ، فيطلبونه فيصيبونه بمكة ، فيقولون له : أنت فلان ابن فلان ؟ فيقول : لا بل أنا رجل من الأنصار ، حتى يُفْلِتَ منهم ، فيصفونه لأهل الخير منه والمعرفة به ، فيقال : هو صاحبكم الذي تطلبونه وقد لحق بالمدينة ، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلى [أهل] مكة ، فيطلبونه بمكة فيصيبونه ، فيقولون : أنت فلان بن فلان وأمك فلانة ابنة فلان وفيك آية كذا وكذا وقد أفلت منا مرة فمد يدك نبايعك ، فيقول : لست بصاحبكم ، حتى يُفْلِتَ منهم ، فيطلبونه بالمدينة ، فيخالفهم إلى مكة ، فيصيبونه بمكة عند الركن ، ويقولون له : إئتنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك ، هذا عسكر السفيناني قد توجه في طلبنا ، عليهم رجل من حرام ، فيجلس بين الركن والمقام فيمدُّ يده فيبايع له ، فيلقى الله محبته في صدور الناس ، فيصير مع قوم أسدٍ بالنهار رُهْبَان بالليل .

(١) قال صاحب النهاية : أي قطع من السحاب متفرقة ، وإنما خص الخريف لأنه أول البرد ، والسحاب يكون فيه متفرقا غير متراكم ولا مطبق ثم يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك (١٠ - الحاوي ٢)

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : حدثني محمد أن المهدي والسفياني وكلبا يقتتلون في بيت المقدس حين تستقبله البيعة ، فيؤتى بالسفياني أميراً فيأمر به فيذبح على باب الرحبة ، ثم تباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق .

وأخرج أيضاً عن الوليد بن مسلم عن محمد بن علي قال : إذا سمع العائد الذي بمكة الحسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيلياء ، فيقول الذي بعث الجيش حين يبلغه الخبر من إيلياء : لعمر الله لقد جعل الله في هذا الرجل عبرة ، بعثتُ إليه ما بعثت فساخوا في الأرض ، إن في هذا لعبرة ونصرة ، فيؤدى إليه السفياني الطاعة ، فيخرج حتى يلقي كلبا ، وهم أخواله ، فيعبرونه بما صنع ، ويقولون : كسك الله قيصاً فحلمته ، فيقول : ماترون؟ أستقبله البيعة؟ فيقولون : نعم ، فيأتيه إلى إيلياء فيقول : أقلني [فيقول : بلى] فيقول له : أنحب أن أقيلاك؟ فيقول : نعم ، فيقبله ، ثم يقول : هذا رجل قد خلع طاعتي ، فيأمر به عند ذلك فيذبح على بلاطة باب إيلياء ، ثم يسير إلى كلب فينهبهم ، فالخائب من خاب يوم نهب كلب .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال : إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً فحسف بهم بالبيداء ، وبلغ ذلك أهل الشام قال خلقتهم : قد خرج المهدي فبايعه وأدخل في طاعته وإلا قتلناك ، فيرسل إليهم بالبيعة ، ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس ، وتُنقل إليه الخزان ، ويدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال ، حتى يبني المساجد بالقسطنطينية وما دونها ، ويخرج قبله رجل من أهل بيت بالمشرق ، ويحمل السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، يقتل ويمثل ، ويتوجه إلى بيت المقدس ، فلا يبايعه حتى يموت .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال : تفرج الفتن برجل منا يسومهم خسفاً ، لا يعطيهم إلا السيف ، يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر ، حتى يقولوا : والله ما هذا من ولد فاطمة ، ولو كان من ولدها لرحمنا ، يغريه الله بيني العباس وبني أمية .

وأخرج (ك) أيضا عن أبي جعفر قال : لا يخرج المهدي حتى تروا الظلمة .
وأخرج (ك) أيضا عن مَطَرِ الْوَرَّاقِ قال : لا يخرج المهدي حتى يكفر
بالله جهراً .

وأخرج (ك) أيضا عن ابن سيرين قال : لا يخرج المهدي حتى يقتل من
كل تسعة سبعة .

وأخرج (ك) أيضا عن كعب قال : المهدي خاشع لله كخشوع
النسر لجناحه .

وأخرج (ك) أيضا عن عبد الله بن الحارث قال : يخرج المهدي وهو ابن
أربعين سنة ، كأنه رجل من بني إسرائيل .

وأخرج (ك) أيضا عن أبي الطَّفَيْلِ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف
المهدي فذكر ثقلا في لسانه ، وضرب فخذة اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأ عليه
الكلام ، اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي .

وأخرج (ك) أيضا عن محمد بن حمير قال : المهدي أزج ، أبلج ، أعين ، يحيى
من الحجاز حتى يستوى على منبر دمشق وهو ابن ثمان عشرة سنة .

وأخرج (ك) أيضا عن علي بن أبي طالب قال : المهدي مولده بالمدينة ، من
أهل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ، واسمه اسم نبي ، ومهاجره بيت المقدس ،
كث اللحية ، أكل العينين ، براق الثنايا ، في وجهه خال ، في كتفه علامة
النبي ، يخرج براية النبي عليه الصلاة والسلام من مرط معلمة سوداء مربعة فيها
حجر لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج المهدي ،
يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفهم وأدبارهم ، يبعث
وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

وأخرج (ك) أيضا عن علي قال : المهدي مني من قريش آدم ضرب
من الرجال .

وأخرج (ك) أيضا عن أرطاة قال : المهدي ابن عشرين سنة .

وأخرج أيضا عن ابن مسعود عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « اسمُ المهديُّ محمدٌ » .

وأخرج (ك) أيضا عن أبي سعيد الخدري عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « اسمُ المهدي اسمي » .

وأخرج (ك) أيضا عن قتادة قال : قلتُ لسعيد بن المسيب : المهدي حق هو ؟ قال : نعم ، قلت : ممن هو ؟ قال : من ولد فاطمة .

وأخرج (ك) أيضا عن ابن عباس قال : المهدي شابٌ منا أهل البيت ، قيل : عجز عنها شيوخُكم ويزجوها شبابُكم ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

وأخرج (ك) أيضا عن ابن عباس قال : المهدي منا ، يدفعها إلى عيسى ابن مريم .

وأخرج (ك) أيضا عن علي عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « المهدي رجل من عترتي ، يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي » .

وأخرج (ك) أيضا عن الزهري قال : يخرج المهدي بعد الخسف في ثمانمائة وأربعة عشر رجلا عدد أهل بدر ، فيلتقي هو وصاحب جيش السفيناني ، وأصحاب

المهدي يومئذ جنتهم البرادع - يعني ترأسهم - ويقال : إنه يسمع يومئذ صوت منادٍ من السماء ينادي : ألا إن أولياء الله أصحاب فلان - يعني المهدي - فتكون

الدبرة على أصحاب السفيناني فيقتلون ، لا يبقى منهم إلا الشريد ، فيهربون إلى السفيناني فيخبرونه ، ويخرج المهدي إلى الشام ، فيلتقي السفيناني المهدي بيئته ،

ويسارع الناسُ إليه من كل وجه ، ويملا الأرض عدلا .

وأخرج أيضا عن ابن مسعود قال : يبايع المهدي سبعة رجال علماء ، توجهوا إلى مكة من أفق شتى على غير ميعاد ، قد بايع لكل رجل منهم ثمانمائة وبضعة عشر رجلا ، فيجتمعون بمكة فيبايعونه ، ويقذف الله محبته في صدور الناس ،

فيسير بهم ، وقد توجه إلى الذين بايعوا السفيناني بمكة عليهم رجل من جزم ، فإذا خرج بين مكة خلف أصحابه ، ومشى في إزار ورداء حتى يأتي الحرم فيبايع له ، فيندمه كلب على بيعته ، فيأتيه فيستقبله البيعة فيقتله ، ثم يغير جيوشه لقتاله فيهزمهم ، ويهزم الله على يديه الروم ، ويذهب الله على يديه الفقر ، وينزل الشام .

وأخرج (ك) أيضا عن أرطاة قال : يدخل الصخري الكوفة ، ثم يبلغه ظهور المهدي بمكة ، فيبعث إليه من الكوفة بعثا ، فيخسف به فلا ينجو منهم إلا بشير إلى المهدي ونذير إلى الإصطخري ، فيقبل المهدي من مكة ، والصخري من الكوفة نحو الشام كأنهما فرسا رهان ، فيسبقه الصخري ، فيقطع بعثا آخر من الشام إلى المهدي ، فيأتون المهدي بأرض الحجاز فيبايعونه بيعة الهدي ، ويقبلون معه حتى ينتهوا إلى حد الشام الذي بين الشام والحجاز فيقيم بها ويقال له : أنفذ ، فيكره الحجاز ، ويقول : اكتب إلى ابن عمي فلان بخلع طاعتي فأنا صاحبكم ، فإذا وصل الكتاب إلى الصخري بايع وسار إلى المهدي حتى ينزل بيت المقدس ، ولا يترك المهدي بيد رجل من الشام فترا من الأرض إلا ردها على أهل الذمة ، ورد المسلمين إلى الجهاد جميعا ، فيمكث في ذلك ثلاث سنين ، ثم يخرج رجل من كلب يقال له كنانة يعينه كوكب في رهط من قومه حتى يأتي الصخري فيقول : بايعناك ونصرناك ، حتى إذا ملكت بايعت هذا ليخرجن فليقاتلان ، فيقول : فيمن أخرج ؟ فيقول : لا تبقى عامرية أمها أكبر منك إلا لحقتك ، لا يتخلف عنك ذات خف ولا ظلف ، فيرحل وترحل معه عامر بأسرها حتى تنزل بيسان ويوجه إليهم المهدي راية ، وأعظم راية في زمان المهدي مائة رجل ، فينزلون على ماء فتصف كلب خيلها ورجلها وإبلها وغنمها ، فإذا تشاءمت الخيالات ولت كلب أدبارها ، وأخذ الصخري فيذبح على الصفا المتعرضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي على طرف درج طور زيتا المقنطرة التي على يمين

الوادي على الصفا المتعرضة على وجه الأرض ، عليها يُذَبَّحُ كما تذبح الشاة ، فالخائب من خاب يوم كلب حتى تباع العذراء بثمانية دراهم .

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : لا يُخْرَجُ المهدي حتى يقوم السفيناني على أعوادها .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : المهدي يبعث بقتال الروم ، يعطى معه عشرة ، يستخرج تابوت السكينة من غار أنطاكية .

وأخرج أيضاً عن كعب قال : إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي ، يستخرج التابوت من أرض يقال لها أنطاكية .

وأخرج (ك) أيضاً عن عبد الله بن شريك قال : مع المهدي راية رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلمة .

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن سيرين قال : على راية المهدي مكتوب «البيعة لله» وأخرج أيضاً عن طاووس قال : علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال ، جواداً بالمال ، رحماً بالمساكين .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال : تكون فتن ، ثم تكون جماعة على رأس رجل من أهل بيتي ، ليس له عند الله خلاق ، فيقتل أو يموت ، فيقوم المهدي .

وأخرج (ك) عن ضمرة عن بعض أصحابه قال : لا يُخْرَجُ المهدي حتى لا يبقى قَيْلٌ ولا ابن قَيْلٍ إلا هلك - والقَيْلُ : الرأس .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي قبيل قال : يملك رجل من بني هاشم ، فيقتل بني أمية حتى لا يبقى منهم إلا اليسير ، لا يقتل غيرهم ، ثم يخرج رجل من بني أمية ، فيقتل لكل رجل اثنين حتى لا يبقى إلا النساء ، ثم يخرج المهدي .

وأخرج أيضاً عن سعيد بن المسيب قال : تكون فتنة كأن أولها لعب الصبيان ، كلما سكنت من جانب طمّت من جانب آخر ، فلا تتناهي حتى ينادي مناد من السماء : ألا إن الأمير فلان ، ذلكم الأمير حقا ، ثلاث مرات .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي جعفر قال : ينادى منادٍ من السماء : إنَّ الحق في آل محمد ، وينادي منادٍ من الأرض : إنَّ الحق في آل عيسى - أو قال العباس ، شك فيه - وإنما الصوت الأسفل كلمة الشيطان ، والصوت الأعلى كلمة الله العليا .
وأخرج عن إسحاق بن يحيى عن أمه - وكانت قديمة - قال : قلت لها في فتنة ابن الزبير : إن هذه الفتنة تهلك الناس ، قلت : كلا يا بني ، ولكن بعدها فتنة تهلك الناس ، لا يستقيم أمرهم حتى ينادى منادٍ من السماء : عليكم بفلان .
وأخرج (ك) أيضاً عن شهر بن حوشب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الحرم ينادى منادٍ من السماء : ألا إن صفوة الله فلان ، فاسمعوا له وأطيعوا ، في سنة الضرب والمعصية » .

وأخرج (ك) أيضاً عن عمار بن ياسر قال : إذا قتل النفس الزكية وآخره تقتل بمكة صنيعة نادية من السماء : إن أميركم فلان ، وذلك المهدي الذي يملأ الأرض خصبا وعدلا .

وأخرج (ك) أيضاً عن سعيد بن المسيب قال : يكون فرقته واختلافه ، حتى يطلع كف من السماء وينادي منادٍ من السماء : إن أميركم فلان .
وأخرج أيضاً عن الزهري قال : [إذا] التقى السفيناني والمهدي للقتال يومئذ يسمع صوت من السماء : ألا إن أولياء الله أصحابُ فلان - يعني المهدي - وقالت أسماء بنت عميس : إن أمارته ذلك اليوم أن كفا من السماء مُدَلَّاة ينظر إليها الناس .

وأخرج (ك) أيضاً عن الحكم بن نافع قال : إذا كان الناسُ بمنى وعرفات نادى منادٍ بعد أن تتحارب القبائل : ألا إن أميركم فلان ، ويتبعه صوت آخر : ألا إنه قد صدق ، فيقتلون قتالا شديداً ، فجلُّ سلاحهم البرادع ، وعند ذلك يرون كفا معلمة في السماء ، ويشتد القتالُ حتى لا يبقى من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر ، فيذهبون حتى يبايعوا صاحبهم .

وأخرج (ك) أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال : يهجمُ الناسُ معاً ، ويعرفون (١) معاً على غير إمام ، فبينما هم نزول بمنى إذ أخذهم كالـكلب ، فثارت القبائل بعضهم إلى بعض ، فاقتتلوا حتى تسيل العقبه دماً ، فيفزعون إلى خيرهم فيأتونه وهو مُلصق وجهه إلى الكعبة ، يبكي كأنى أنظر إلى دموعه ، فيقولون : هلم إلينا ، فلنبايعك ، فيقول : ويحكمكم من عهدٍ نتمصتُموه ، وكم من دم سفـكتُموه ، فيبايع كرها ، فإن أدركتموه فبايعوه ؛ فإنه المهدي في الأرض والمهدي في السماء .

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن عباس قال : يُبْعَثُ المهديُّ بعد إياس ، وحتى يقول الناس : لا مهديَّ ، وأنصاره ناسٌ من أهل الشام عددهم ثلثمائة وخمسة عشر رجلاً عدد أصحاب بدر ، يسرون إليه من الشام حتى يستخرجوه من بطن مكة من دارٍ عند الصفا ، فيبايعونه كرها ، فيصلي بهم ركعتين عند المقام يصعد المنبر .

وأخرج (ك) أيضاً عن أبي هريرة قال : يُبَايَعُ المهديُّ بين الركن والمقام ، لا يوقظ نائماً ، ولا يُهَرِّقُ دماً .

وأخرج (ك) أيضاً عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يَخْرُجُ المهديُّ من المدينة إلى مكة ، فيستخرجه الناس من بينهم ، فيبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره» .

وأخرج (ك) أيضاً عن علي قال : إذا خرجت الرايات السود من السفىاني التي فيها شعيب بن صالح تمني الناسُ المهديَّ ، فيطلبونه ، فيخرج من مكة ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيصلي ركعتين بعد أن يبأس الناس من خروجه لما طال عليهم من البلاء ، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال : يا أيها الناس أئح البلاء بأمة محمد وبأهل بيته خاصة فهو باغٍ بنى علينا .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال قتادة : المهديُّ خيرُ الناس ، أهل نصرته وبيعته من أهل كوفان واليمن وأبدال الشام ، مقدّمته جبريل ، وساقته ميكائيل ، محبوب في

(١) يعرفون : يقفون على عرفات .

الخالق ، يطفىء الله به الفتنة العمياء وتأمين الأرض ، حتى إن المرأة لتتجج في خمس نسوة مامعن رجل ، لاتتقى شيئاً إلا الله ، تعطى الأرض زكاتها ، والسماء بركتها .
وأخرج (ك) أيضاً عن مَطَرٍ أنه ذكر عنده عمر بن عبد العزيز فقال : بلغنا أن المهدي يصنع شيئاً لم يصنعه عمر بن عبد العزيز ، قلنا : ما هو ؟ قال : يأتيه [رجل] فيسأله فيقول : اذْخُلْ بيت المال فخذ ، فيدخل ويخرج ، ويرى الناس شباعاً ، فيقدم فيرجع إليه فيقول : خذ ما أعطيتني ، فيأبى ويقول : إنا نعطي ولا نأخذ .
وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : إني أجدُ المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء ، مافي عمله ظلم ولا عيب .

وأخرج (ك) أيضاً من طريق ضمرة عن محمد بن سيرين أنه ذكر فتنة تكون ، فقال : إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتكم حتى تسمعوا على الناس بخير من أبي بكر وعمر ، قيل : أفيأتي خير من أبي بكر وعمر ؟ قال : قد كان يفضل على بعض .
قلت : في هذا ما فيه ، وقد قال ابن أبي شيبه في المصنف في باب المهدي : حدثنا أبو أسامة عن عوف عن محمد - هو ابن سيرين - قال : يكون في هذه الأمة خليفة لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر .

قلت : هذا إسناد صحيح ، وهذا اللفظ أخف من اللفظ الأول ، والأوجه عندي تأويل اللفظين على ما أول عليه حديثُ « بل أجز خمسين منكم » لشدة الفتن في زمان المهدي ، وتماثل الروم بأسرها عليه ، ومحاصرة الدجال له ، وليس المراد بهذا التفضيل الراجع إلى زيادة الثواب والرفعة عند الله ؛ فالأحاديث الصحيحة والإجماع على أن أبا بكر وعمر أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين .

وأخرج (ك) نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا وَيْ إلى المهدي أمته كما تأوى النحل إلى عُسُوبها ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول ، لا يوقظ نائمًا ، ولا يهريق دماء .

وأخرج (ك) أيضاً عن الوليد بن مسلم قال : سمعتُ رجلاً يحدثُ قوماً فقال :
المهديون ثلاثة : مهدي الخير عمر بن عبد العزيز ، ومهدي الدم وهو الذي تسكن
عليه الدماء ، ومهدي الدين عيسى ابن مريم ، تسلم أمته في زمانه .

وأخرج أيضاً عن كعب قال : مهدي الخير يخرج بعد السفيناني .

وأخرج (ك) أيضاً عن طاوس قال : إذا كان المهديُّ يبذل المال ، ويشتد
على العمال ، ويرحم المساكين .

وأخرج (ك) أيضاً عن طاوس قال : وَدِدْتُ أَنِي لَا أَمُوتُ حَتَّى أَدْرِكَ زَمَانَ
المهدي ، يَزَادُ الْمُحْسِنَ فِي إِحْسَانِهِ ، وَيَثَابُ فِيهِ عَلَى الْمَسِيءِ (؟) .

وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «المهدي
يصلحه الله في ليلة واحدة» .

وأخرج (ك) أيضاً عن عمر بن الخطاب أنه ولج البيت وقال : والله ما أدري ،
أدعُ خزائن البيت وما فيه من السلاح والمال أو أفسمه في سبيل الله ؟ فقال له علي
ابن أبي طالب : أمضِ يا أمير المؤمنين فإست بصاحبه ، إنما صاحبه منا شاب من
قريش يقسمه في سبيل الله في آخر الزمان .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : لو لا يعقده المهديُّ بيعته إلى الترك فيهمزهم
ويأخذ ما معهم من السبي والأموال ، ثم يصير إلى الشام فيفتحها ، ثم يُعْتَقُ كُلَّ
مَمْلُوكٍ مَعَهُ ، وَيُعْطَى أَصْحَابَهُ قِيَمَتَهُمْ .

وأخرج (ك) أيضاً عن ابن لهيعة قال : يتمنى في زمان المهدي الصغير الكبير
والكبير الصغير .

وأخرج (ك) أيضاً عن صباح قال : يمكث المهديُّ فيهم تسعاً وثلاثين سنة ،
يقول الصغير : يا ليتني كبرت ، ويقول الكبير : يا ليتني كنت صغيراً .

وأخرج (ك) أيضاً عن عبد الله بن عمرو قال : المهديُّ ينزل عليه عيسى ابن مريم
ويصلي خلفه عيسى .

وأخرج (ك) عن كعب قال : المهديُّ من ولد العباس .
 وأخرج أيضا عن الزهري قال : المهديُّ من ولد فاطمة .
 وأخرج (ك) أيضا عن كعب قال : ما المهديُّ إلا من قریش ، وما الخلافة
 إلا فيهم .

وأخرج (ك) أيضا عن علي قال : المهديُّ رجل منا من ولد فاطمة .
 وأخرج (ك) أيضا عن ابن عمر أنه قال لابن الحنفية : المهديُّ الذي يقولون كما
 يقول الرجل الصالح إذا كان الرجل صالحا قيل له المهدي .
 وأخرج (ك) أيضا عن أرطاة قال : يَبْقَى المهديُّ أربعين عاما .
 وأخرج (ك) أيضا عن بقيقة بن الوليد قال : حياة المهدي ثلاثون سنة .
 وأخرج (ك) أيضا عن محمد بن حمير عن أبيه قال : يملك المهدي سبع سنين
 وشهرين وأياما .

وأخرج (ك) أيضا عن دينار بن دينار قال : بقاء المهدي أربعون سنة .
 وأخرج (ك) أيضا عن الزهري قال : يعيش المهديُّ أربع عشرة سنة ، ثم
 يموت موتاً .

وأخرج (ك) أيضا عن علي قال : يلي المهديُّ أمر الناس ثلاثين أو أربعين
 سنة .

وأخرج (ك) أيضا عن كعب قال : يموتُ المهديُّ موتاً ، ثم يلي الناس بعده
 رجل من أهل بيته ، فيه خير وشر ، وشره أكثر من خيره ، يفضب الناس ، ثم
 يدعوهم إلى الفرقة بعد الجماعة ، بقاؤه قليل ، يثور به رجل من أهل بيته فيقتله .

وأخرج (ك) أيضا عن الزهري ، قال : يموت المهديُّ موتاً ، ثم يصير الناس
 بعده في فتنة ويقبل إليهم رجل من بني مخزوم ، فيبايع له ، فيمكث زمانا ، ثم ينادي
 منادٍ من السماء ليس بإنس ولا جان : بايعوا فلانا ، ولا ترجعوا على أعقابكم بعد
 الهجرة ، فينظرون فلا يعرفون الرجل ، ثم ينادي ثلاثا ، ثم يبايع المنصور ، فيصير

إلى الخزومي ، فینصره الله علیه فيقتله ومن معه .

وأخرج (ك) أيضا عن كعب قال : يتولى رجل من بني مخزوم ، ثم رجل من الموالي ، ثم يسير رجل من المغرب ، رجل جسيم طويل عريض ما بين المنكبين ، فيقتل من لقيه حتى يدخل بيت المقدس ، فيموت موتاً ، فتكون الدنيا شراً مما كانت ، ثم يلي بعده رجل من مضر يقتل أهل الصلاح ، ظلم غشوم ، ثم يلي من بعد المضرى العمانى القحطاني يسير سيرة أخيه المهدي ، وعلى يديه تفتح مدينة الروم »
وأخرج (ك) أيضا عن الوايد عن معمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما القحطاني بدون المهدي » .

وأخرج (ك) أيضا عن عبد الله بن عمرو قال : بعد الجبابرة الجابر ، ثم المهدي ، ثم المنصور ، ثم السلم ، ثم أمير العصب .

وأخرج (ك) عن ابن عمرو أنه قال : يا معشر اليمن ، يقولون : إن المنصور منكم ، والذي نفسي بيده إنه لقرشي أبو ، ولو أشاء أن أسميه إلى أقصى جد هو له لعلات .

وأخرج أيضا عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيكون من أهل بيتي رجل يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ثم من بعده القحطاني ، والذي نفسي بيده ما هو دونه » .

وأخرج (ك) أيضا عن أرطاة قال : ينزل المهدي بيت المقدس ، ثم يكون خلف من أهل بيته بعده تطول مدتهم ويحبرون حتى يصل الناس على بني العباس فلا يزال الناس كذلك حتى يغزو مع واليهم القسطنطينية ، وهو رجل صالح يسلمها إلى عيسى ابن مريم ، ولا يزال الناس في رخاء ما لم ينتقص ملك بني العباس ، فإذا انتقص ملكهم لم يزالوا في فتن حتى يقوم المهدي .

وأخرج (ك) أيضا عن عبد الله بن عمرو قال : ثلاثة أمراء يتوالون تفتح كلها عليهم ، كلهم صالح : الجابر ، ثم المفرج ، ثم ذو العصب ، يمشون أربعين سنة ، ثم

لا خير في الدنيا بعدهم .

وأخرج (ك) أيضاً عن سليمان بن عيسى قال : بلغني أن المهدي يمكث أربع عشرة سنة بيت المقدس ، ثم يموت ، ثم يكون من بعده رجل من قوم تبع يقال له « المنصور » يمكث بيت المقدس إحدى وعشرين سنة ، ثم يقتل ، ثم يملك المولى ويمكث ثلاث سنين ، ثم يقتل ، ثم يملك بعده هشيم المهدي ثلاث سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام .

وأخرج (ك) أيضاً عن كعب قال : يكون بعد المهدي خليفة من أهل اليمن من قحطان ، أخو المهدي في دينه ، يعمل بعمله ، وهو الذي يفتح مدينة الروم ، ويصيب غنائمها .

وأخرج (ك) أيضاً عن أرطاة قال : يكون بين المهدي وبين الروم هدنة ، ثم يهلك المهدي ثم يلي رجل من أهل بيته يعدل قليلاً ثم يقتل .

وأخرج (ك) أيضاً عن قيس بن جابر الصدفي أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « القحطاني بعد المهدي ، وما هو دونه » .

وأخرج أيضاً عن أرطاة قال : بلغني أن المهدي يعيش أربعين عاماً ثم يموت على فراشه ؛ ثم يخرج رجل من قحطان مثقوب الأذنين على سيرة المهدي ، بقاؤه عشرون سنة ، ثم يموت قتيلاً بالسلاح ، ثم يخرج رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم مهدياً حسن السيرة ، يفزو مدينة قيصر ، وهو آخر أمير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يخرج في زمانه الدجالُ وينزل في زمانه عيسى ابن مريم .

هذه الآثار كلها نلخصتها من كتاب « الفتن » لنعيم بن حماد ، وهو أحد

الأئمة الحفاظ ، وأحد شيوخ البخاري .

وبقي من أخبار المهدي ما أخرج (ك) ابن أبي شيبة في المصنف عن أبي سعيد

الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون في أمتي المهدي إن طال

عمره أو قصر عمره ملك سبع سنين ، أو ثمان سنين ، أو تسع سنين ، فيملؤها

قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظالماً ، وتمطر السماء مطرها ، وتخرج الأرض بركتها ،
وتعيش أمتي في زمانه عيشاً لم تعشه قبل ذلك .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن ابن عباس قال : لا تمضي الأيام والليالي حتى
يلى منا أهل البيت فتى لم تلبسه الفتن ولم يلبسها ، قيل : يا أبا العباس يعجز عنها
مشيختكم وينالها شبابكم ؟ قال : هو أمر الله يؤتیه من يشاء .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن حكيم بن سعد قال : لما قام سليمان فأظهر ما أظهر
قلت لأبي يحيى : هذا المهدي الذي يذكر ؟ قال : لا .

وأخرج (ك) ابن أبي شيبة عن إبراهيم بن ميسرة قال : قلت لطاوس : عمر
ابن عبد العزيز المهدي ؟ قال : قد كان مهدياً وليس به ، إن المهدي إذا كان زيداً
[المحسن] في إحسانه ويكتب على المسيء من إساءته ، وهو يبذل المال ، ويشتد
على العمال ، ويرحم المساكين .

وأخرج (ك) أبو نعيم في الحلية عن إبراهيم بن ميسرة ، قال : قلت لطاوس :
عمر بن عبد العزيز هو المهدي ؟ قال : هو مهدي وليس به ، إنه لم يستكمل
العدل كله .

وأخرج المحاملي في أماليه عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين قال : يزعمون
أني أنا المهدي ، وإني إلى أجلى أدنى مني إلى ما يدعون .

وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « يلتفت المهدي وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يقطر من شعره الماء ،
فيقول المهدي : تقدم صل بالناس ، فيقول عيسى : إنما أقيمت الصلاة لك ، فيصل
خلف رجل من ولدي » الحديث .

وأخرج (ك) ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله
عليه وسلم : « ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران ، فالؤمنان ذو القرنين ، وسليمان ،
والكافران نمرود ، وبخت نصر ، وسيملكها خامس من أهل بيتي » .

وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن ابن شوذب قال : إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلى جبل من جبال الشام ، يستخرج منه أسفار التوراة يُحَاجُّ بها اليهود ، فيسلم على يديه جماعة من اليهود .

وأخرج (ك) الداني عن الحكم بن عتيبة قال : قلت لمحمد بن علي سمعنا أنه سيخرج منكم رجل يعدل في هذه الأمة ، قال : إنا نرجو ما يرجو الناس ، وإنا نرجو لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لَطَوَّلَ اللهُ ذلك اليوم حتى يكون ما ترجوه هذه الأمة ، وقبل ذلك فتنة شر ، فتنة يمسى الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ويصبح مؤمناً ويمسى كافراً ، فمن أدرك ذلك منكم فليثق بالله ، وليكن من أحلاس بيته .

وأخرج (ك) الداني عن سامة بن زفر قال : قيل يوماً عند حذيفة : قد خرج المهدي ، فقال : لقد أفلحتم إن خرج وأصحاب محمد بينكم ، إنه لا يخرج حتى لا يكون غائب أحب إلى الناس منه ، مما يلقون من الشر .

وأخرج (ك) الداني عن قتادة قال : يُجَاءُ إلى المهدي في بيته والناس في فتنة يُهْرَاقُ فيها الدماء يقال له قم علينا فيأبى حتى يخوف بالقتل ، فإذا خوف بالقتل قام عليهم فلا يُهْرَاقُ بسببه محجمة دَمٍ .

وأخرج (ك) الداني عن حذيفة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تكون وقعة بالزوراء ، قال : يا رسول الله وما الزوراء ؟ قال : مدينة بالمشرق بين أنهار ، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة من أمتي ، يقذف بأربعة أصناف من العذاب بالسيف وخسف وقذف ومسح » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا خرجت السودانُ طلبت العرب مكشوفون حتى يلحقوا ببطن الأرض ، أو قال ببطن الأردن ، فبينما هم كذلك إذ خرج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق ، فلا يأتي عليهم شهر حتى يتابعه من كلب ثلاثون ألفاً ، فيبعث جيشاً إلى العراق ، فيقتل بالزوراء مائة ألف ، وينجرون إلى الكوفة فينهبونها ، فعند ذلك تخرج راية من المشرق

ويقودُها رجل من تميم يقال له شعيب بن صالح ، فيستنقذ ما في أيديهم من سبى أهل الكوفة ويقتلهم ، ويخرج جيش آخر من جيوش السفيناني إلى المدينة فينهبونها ثلاثة أيام ، ثم يسرون إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبريل ، عذِّبهم ، فيضربهم برجله ضربة يخسف الله بهم فلا يبقى منهم إلا رجلان ، فيقدمان على السفيناني فيخبرانه بخسف الجيش ، فلا يهوله ، ثم إن رجلاً من قريش بهربون إلى قسطنطينية ، فبيعت السفيناني إلى عظيم الروم أن يبعث بهم في الجامع ، فبيعت بهم إليه ، فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق .

قال حذيفة : حتى إنه يُطَّاف بالمرأة في مسجد دمشق في الثوب على مجلس مجلس حتى تأتي فتخد السفيناني فتجلس عليه وهو في الحراب قاعد ، فيقوم رجل مسلم من المسلمين فيقول : ويحكم ، أ كَفَرْتُمْ بِعَدِّ إيمانكم ، إن هذا لا يحل ، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق ، ويقتل كل من شايعه على ذلك ، فعند ذلك ينادى مناد من السماء : أيُّها الناسُ إن الله قد قطع عنكم مدة الجبار والمنافقين وأشياءهم وولاًكم خير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فالحقوا به بمكة فإنه المهدي واسمه أحمد بن عبد الله .

قال حذيفة : فقام عمران بن الحصين فقال : يا رسول الله كيف لنا حتى نعرفه ؟ قال : هو رجل من ولدِي ، كأنه من رجال بني إسرائيل ، عليه عباةتان قطوانيتان ، كأنَّ وجهه الكوكب الدرِّي [في اللون] في خده الأيمن خالٌ أسود ، ابن أربعين سنة ، فيخرج الأبدال من الشام وأشباهم ويخرج إليه النجباء من مصر وعصائب أهل الشرف وأشباهم حتى يأتوا مكة فيبائع له بين الركن والمقام ، ثم يخرج متوجهاً إلى الشام وجبريل على مقدمته وميكائيل على ساقته ، فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض والطير والوحوش والحيتان في البحر ، وتزيد المياه في دولته ، وتمتد الأنهار ، وتضعف الأرض أهلها ، وتستخرج الكنوز ، فيقدم الشام ، فيذبح السفيناني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية ، ويقتل كلباً ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فالخائب من خاب يوم كلب ولو بمقال ، قال حذيفة : يا رسول الله ، كيف

يحل قتالهم وهم مَوْحِدُونَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا حذيفة هم يومئذ على رِدَّةٍ ، يزعمون أن الحمر حلال ، ولا يصلون .

وأخرج (ك) الداني عن شهر بن حَوْشَب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيكون في رمضان صوتٌ ، وفي شوال معصمة ، وفي ذى الحجة تحارب القبائل ، وعلامته [أن] ينهب الحاجُّ ، وتكون مَلْحَمَةٌ بِنِي ، تكثر فيها القتل ، وتسيل فيها الدماء ، حتى تسيل دماؤهم على الجرة ، حتى يهرب صاحبهم فيؤتى بين الركن والمقام فيبائع وهو كاره ، ويقال له : إن أبيت ضربتاً عنقك ، يرضى به ساكن السماء وساكن الأرض .

وأخرج (ك) نعيم عن كعب قال : يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي ، له ذَنَبٌ يضيء .

وأخرج نعيم عن شريك قال : بلغني أنه قبل خروج المهدي ينكسف القمر في شهر رمضان مرتين .

وأخرج أبو غنم السكوني في كتاب الفتن عن علي بن أبي طالب قال : وَيَحْمَأُ لِلطَّالِقَانِ ؛ فَإِنَّ لَهِ فِيهِ كَنْوَزاً لَيْسَتْ مِنْ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ ، وَلَسَكُنَ بِهَا رِجَالٌ عَرَفُوا اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وَهُمْ أَنْصَارُ الْمَهْدِيِّ آخِرَ الزَّمَانِ .

وأخرج أبو بكر الإسكافي في فوائد الأخبار عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « مَنْ كَذَّبَ بِالذَّجَالِ فَقَدْ كَفَرَ ، وَمَنْ كَذَّبَ بِالْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ » .

وأخرج (ك) نعيم عن جعفر بن يسار الشامي قال : يبلغ ردُّ المهدي المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يردّه .

وأخرج (ك) نعيم عن سلمان بن عيسى قال : بلغني أنه على يدي المهدي يظهر تابوت السكينة من بحيرة طبرية حتى يُجْمَلُ فيوضع بين يديه بيت المقدس ، فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلا قليلاً منهم .

وفي (ك) الفردوس من حديث ابن عباس مرفوعاً : المهديُّ طاوسُ أهل الجنة .
وأخرج (ك) أبو عمرو الداني في سننه عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى ابن
مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ، ينزل على المهدي فيقال : تقدم يا نبي الله فصلِّ
بنا ، فيقول : هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض » .

وأخرج (ك) نعيم عن خالد بن سمير قال : هرب موسى بن طلحة بن عبيد الله
من المختار إلى البصرة ، وكان الناس يرون في زمانه أنه المهديُّ .

وأخرج نعيم عن صباح قال : لا خلافة بعد حمل بنى أمية حتى يخرج المهديُّ .
وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : وجدت في بعض الكتب
يوم اليرموك : أبو بكر الصديق أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ،
عثمان ذو النورين أوتي كفلين^(١) من الرحمة لأنه قتل مظلوماً أصبتم اسمه ، ثم يكون
سَفَّاح ، ثم يكون منصور ، ثم يكون الأمين ، ثم يكون مهديُّ ، ثم يكون سيف
وسلام - يعني صلاحاً وعافية - ثم يكون أمير العصب ، ستة منهم من ولد كعب بن لؤي
ورجل من قحطان ، كلهم صالح لا يرى مثله .

وأخرج (ك) نعيم عن عبد الله بن عمرو قال : يكون بعد الجبارين الجبار يجبرُ
الله به أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم المهديُّ ، ثم المنصور ، ثم السلام ، ثم أمير
العصب ، فمن قدر على الموت بعد ذلك فليمت .

وأخرج نعيم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « إذا مات الخامس من أهل بيتي فالهرج فالهرج حتى يموت
السابع ، قالوا : وما الهرج ؟ قال : القتل كذلك حتى يقوم المهديُّ » .

وأخرج (ك) نعيم عن محمد بن الحنفية قال : يملك بنو العباس حتى ييأس
من الخير ، ثم يتشمث أمرهم في سنة خمس وتسعين ، فإن لم تجدوا إلا جُحْرَ عقرب

(١) في نسخة « أوفى كفلين » والمعنى قريب

فدخلوا فيه ، فإنه يكون في الناس شر طويل ، ثم يزول ملكهم سنة سبع وتسعين أو ثمان وتسعين ، ويقوم المهدي في سنة مائتين .

وأخرج (ك) نعيم عن عبد السلام بن مسلم ، قال : لا يزال الناس بخير في رضاء ما لم يَنْتَقِضْ ملك بني العباس ، فإذا انتقض ملكهم لم يزالوا في فتنه حتى يقوم المهدي .

وأخرج (ك) نعيم عن الحكم بن نافع قال : يقاتل السفيايى الترك ، ثم يكون استئصاله على يد المهدي ، وأول لواء يعقده المهدي يبعثه إلى الترك .

وقال ابن سعد في الطبقات : أنا الواقدي قال : سمعت مالك بن أنس يقول :

خرج محمد بن عجلان مع عبد الله بن حسن حين خرج بالمدينة ، فلما قتل محمد بن عبد الله وولى جعفر بن سليمان بن علي المدينة بعث إلى محمد بن عجلان فأتى به فبكته وكلمه كلاما شديدا ، وقال : خرجت مع الكذاب ، فلم يتكلم محمد بن عجلان بكلمة إلا أنه يحرك شفثيه بشيء لا يدري ما هو ، فيظن أنه يدعو ، فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء أهل المدينة وأشرفهم فقالوا : أصلح الله الأمير محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها ، وإنما شبه عليه ، وظن أنه المهدي الذي جاءت فيه الرواية ، فلم يزالوا يطلبون إليه حتى تركه ، فولى محمد بن عجلان منصرفا لم يتكلم بكلمة حتى أتى منزله .

وأخرج (ك) نعيم عن كعب قال : يحاصر الدجال المؤمنيين بيت المقدس ،

فيصيبهم جوع شديد حتى يأكلوا أوتار قسيهم من الجوع ، فبينما هم على ذلك إذ سمعوا صوتا في الفلّس ، فيقولون : إن هذا أصوات رجل شيعان ، فينظرون فإذا بعيسى ابن مريم ، وتقام الصلاة ، فيرجع إمام المسلمين المهدي ، فيقول عيسى : تقدم فلك أقيمت الصلاة ، فيصلي بهم تلك الليلة ، ثم يكون عيسى إماما بعده .

وأخرج أبو الحسين بن المنادي في كتاب الملاحم عن سالم بن أبي الجعد قال :

يكون المهدي إحدى وعشرين سنة أو اثنتين وعشرين سنة ، ثم يكون آخر من بعده

وهو دونه وهو صالح [أربع عشرة سنة ، ثم يكون آخر من بعده وهو دونه وهو صالح تسع سنين] .

وأخرج ابن عساكر عن خالد بن معدان قال : يهزم السفياي الجماعة مرتين ثم يهلك ، ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقريه بالغوطة تسمى حرستا .

وأخرج ابن المنادي في الملاحم قال : ليخرجنَّ رجل من ولدي عند اقتراب الساعة حتى تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم من الضرر والشدة والجوع والقتل وتواتر الفتن والملاحم العظام وإماتة السنن وإحياء البدع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيحيي الله بالمهدي محمد بن عبد الله السنن التي قد أميتت ، وتُسَرُّ بعده وبركته قلوب المؤمنين ، وتتألف إليه عصب العجم وقبائل من العرب ، فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة دون العشرة ثم يموت .

قال ابن المنادي : وفي كتاب دانيال أن السفيايين ثلاثة ، وأن المهديين ثلاثة ، فيخرج السفياي الأول ، فإذا خرج وفشأ ذكره خرج عليه المهدي الأول ، ثم يخرج السفياي الثاني فيخرج عليه المهدي الثاني ، ثم يخرج السفياي الثالث فيخرج عليه المهدي الثالث ، فيصلح الله به كل ما أفسد قبله ، ويستنقذ الله به أهل الإيمان ، ويحيي به السنة ، ويطفيء به نيران البدعة ، ويكون الناس في زمانه أعزاءً ظاهرين على من خالفهم ، ويعيشون أطيب عيش ، ويرسل الله السماء عليهم مدرارا ، وتخرج الأرض زهرتها ونباتها ، فلا تدخر من نباتها شيئا ، فيمكث على ذلك سبع سنين ثم يموت .

ثم قال : ثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عبد الله بن صدقة ثنا محمد بن إبراهيم أبو أمية الطرسوسي ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ثنا شريك بن عبد الله بن عمار ابن عبد الله الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال : يكون المهدي إحدى وعشرين سنة أو اثنتين وعشرين ، ثم يكون آخر من بعده وهو صالح [أربع عشرة سنة ، ثم يكون آخر من بعده وهو صالح تسع سنين] .

وأخرج (ك) ابن منده في تاريخ أصبهان عن ابن عباس قال : المهديُّ شاب
منا أهل البيت .

فصل : قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب ، وابن الجوزي في غريب
الحديث ، وابن الأثير في النهاية : في حديث عليٍّ أنه ذكر المهدي من ولد الحسن
فقال : إنه أزبَلُ الفخذين - والمراد انفراج فخذه وتباعد ما بينهما -
تنبيهات : الأول ، عقَدَ أبو داود في سننه بابا في المهدي وأورد في صدره حديث
جابر بن سُمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال هذا الدين قائماً حتى
يكون اثنا عشر خليفة كلهم تجتمع عليه الأمة » وفي رواية « لا يزال هذا الدين عزيزاً
إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش » ، فأشار بذلك إلى ما قاله العلماء إن
المهدي أحدُ الاثني عشر ؛ فإنه لم يقع إلى الآن وجود اثني عشر اجتمعت الأمة على
كل منهم .

الثاني : روى الدارقطني في الأفراد وابن عساكر في تاريخه عن عثمان بن
عفان : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « المهدي من ولد العباس عمي »
قال الدارقطني : هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم .
الثالث : روى ابن ماجه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« لا يَزْدَادُ الأمر إلا شدة ، ولا الدنيا إلا إدماراً ، ولا الناس إلا شحاً ، ولا تقوم
الساعة إلا على شرار الناس ، ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم » .

قال القرطبي في التذكرة : إسناده ضعيف ، والأحاديث عن النبي صلى الله
عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصحُّ من
هذا الحديث ؛ فالحكم بها دونه .

وقال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السحري : قد تواترت
الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي ،
وأنه من أهل بيته ، وأنه سيملك سبع سنين ، وأنه يملأ الأرض عدلاً ، وأنه يخرج

مع عيسى عليه السلام ؛ فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين ، وأنه يؤم هذه الأمة ، وعيسى يصلي خلفه ، في طول من قصته وأمره .

قال القرطبي : ويحتمل أن يكون قوله عليه السلام « ولا مهدي إلا عيسى » أي لامهدي^١ كاملا معصوما إلا عيسى ، قال : وعلى هذا تجتمع الأحاديث ، ويرتفع التعارض .

وقال ابن كثير : هذا الحديث - فيما يظهر بيادىء الرأى - مخالف للأحاديث الواردة في إثبات مهدي^٢ غير عيسى بن مريم ، وعند التأمل لا ينافيها ، بل يكون المراد من ذلك أن المهدي^٣ حق المهدي هو عيسى ، ولا ينفي ذلك أن يكون غيره مهديا أيضا .

الرابع : أورد القرطبي في التذكرة أن المهدي يخرج من الغرب الأقصى في قصة طويلة ، ولا أصل لذلك^(١) ، والله أعلم .

* * *

الكشف ، عن مجاوزة هذه الأمة الألف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين أصطفى .

وبعد ، فقد كثرت السؤال عن الحديث المشتهر على ألسنة الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكث في قبره ألف سنة ، وأنا أجيب بأنه باطل لا أصل له ، ثم جاءني رجل في شهر ربيع الأول من هذه السنة - وهي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة - ومعه ورقة بخطه ، ذكر أنه نقلها من فتيا أفتى بها بعض أكابر العلماء ممن أدركته بالسن فيها أنه اعتمد مقتضى هذا الحديث ، وأنه يقع في المائة العاشرة خروج المهدي والدجال ونزول عيسى وسائر الأشراف ، وينفخ في الصور النفخة الأولى ، وتمضي الأربعون سنة التي بين النفختين ، وينفخ نفخة البعث قبل تمام الألف ، فاستبعدت

(١) يرى بعض الباحثين أن كل ماورد عن المهدي وعن الدجال من الإسرائيليات .

صدور هذا الكلام من مثل هذا العالم المشار إليه ، وكرهت أن أصرح برده تأديباً معه ، فقلت : هذا شيء لا أعرفه ، فحاولني السائل تحرير المقال في ذلك فلم أبلغه مقصوده ، وقلت : جُولُوا فِي النَّاسِ جَوْلَةً فَإِنَّهُ مَمَّ مِّنْ يَنْفَخُ أَشْدَاقَهُ ، وَيَدَّعِي مَنَاظِرَتِي وَيَنْكُرُ عَلَى دَعْوَايَ الاجْتِهَادِ وَالتَّفَرُّدِ بِالْعِلْمِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الْمِائَةِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يِعَارِضُنِي وَيَسْتَجِيشُ عَلَيَّ مَنْ لَوْ اجْتَمَعَ هُوَ وَهَمٌّ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَنَفَخَتْ عَلَيْهِمْ نَفْخَةٌ صَارُوا هَبَاءً مَنْثُورًا ، فَدَارَ السَّائِلُ الْمَذْكُورَ عَلَى النَّاسِ ، وَأَتَى كُلَّ ذَاكِرٍ وَنَاسٍ ، وَقَصَّدَ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُزِيلُ عَنْهُ الْإِلْبَاسَ ، وَمَضَى عَلَى ذَلِكَ بَقِيَّةَ الْعَامِ ، وَالسُّؤَالُ بِكَرْمٍ لَمْ يَفُضَّ أَحَدٌ خَتَامَهَا ، بَلْ وَلَا جَسَرَ جَاسِرٍ أَنْ يَحْسِرَ لِنَامِهَا ، وَكَلَّمَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهَا اسْتَعْصَمَتْ وَامْتَنَعَتْ ، وَكُلُّ مَنْ حَدَّثْتَهُ نَفْسَهُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا قَطَعَتْ ، وَكُلُّ مَنْ طَرَقَ سَمِعَهُ هَذَا السُّؤَالَ لَمْ يَجِدْ لَهُ بَابًا يَطْرُقُهُ غَيْرَ بَابِي ، وَسَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا كَاشِفَ لَهُ بَعْدَ إِسْنَانِي سِوَى وَاحِدٍ وَهُوَ كِتَابِي ، فَقَصَّدَنِي الْقَاصِدُونَ فِي كَشْفِهِ ، وَسَأَلَنِي الْوَارِدُونَ أَنْ أَحْبِرَ فِيهِ مُؤَلَّفًا يَزِدَانِ بِوَصْفِهِ ، فَأَجَبْتَهُمْ إِلَى مَا سَأَلُوا ، وَشَرَعْتُ لَهُمْ مِنْهَا فَإِنْ شَاؤُوا عَلَّوْا وَأَنْ شَاؤُوا نَهَّأُوا ، وَسَمَّيْتُهُ « الْكَشْفُ » ، عَنْ مَجَاوِزَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْأَلْفِ » فَأَقُولُ :

أولاً : الذي دلَّت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ، ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة ، وذلك لأنه ورد من طرق أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في أواخر الألف السادسة ، وورد أن الدجال يخرج على رأس مائة ، وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة ، وأن بين النفختين أربعين سنة ، فهذه مائتا سنة لا بد منها ، والباقي الآن من الألف مائة سنة وستان ، وإلى الآن لم تطلع الشمس من مغربها ، ولا خرج الدجال الذي خرج قبل طلوع الشمس من مغربها بعد نزول عيسى بسنتين ، ولا ظهر المهدي الذي ظهوره قبل الدجال بسبع سنين ، ولا وقعت الأشراف التي قبل ظهور المهدي ،

ولا بقى ما يمكن خروج الدجال عن قريب ؛ لأنه إنما يخرج على رأس مائة ، وقبله مقدمات تكون في سنين كثيرة ، فأقل ما يكون أن يجوز خروجه على رأس الألف إن لم يتأخر إلى مائة بعدها ، فكيف يتوهم أحد أن الساعة تقوم قبل تمام ألف سنة؟ هذا شيء غير ممكن ، بل إن اتفق خروج الدجال على رأس ألف - وهو الذى أبداه بعض العلماء احتمالاً - مكثت الدنيا بعده أكثر من مائتى سنة المائتين المشار إليها والباقي ما بين خروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ولا ندرى كم هو ، وإن تأخر الدجال عن رأس ألف إلى مائة أخرى كانت المدة أكثر ، ولا يمكن أن تكون المدة ألفاً وخمسمائة سنة أصلاً ، وهذا أنا أذكر الأحاديث والآثار التى اعتمدتُ عليها فى ذلك .

ذكر ماورد أن مدة الدنيا سبعة آلاف سنة

وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في أواخر الألف السادسة

قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول : حدثنا صالح بن أحمد بن أبى محمد حدثنا يعلى بن هلال عن ليث عن مجاهد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتى ثم ماتوا عليها ، وهم فى الباب الأول من جهنم ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق عيونهم ، ولا يغفون بالأغلال ، ولا يُقرنون مع الشياطين ، ولا يضربون بالمقامع ، ولا يطرحون فى الإدراك ، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها يوماً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها شهراً ثم يخرج ، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج ، وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا منذ يوم خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة » وذكر بقية الحديث .

وقال ابن عساكر : أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد البغدادى أخبرنا أبو سهل

حميد بن أحمد بن عمر الصيرفي أخبرنا أبو عمرو عبد الله بن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب أخبرنا أبو جعفر محمد بن شاذان بن سعدويه أخبرنا أبو علي الحسن بن داود البلخي حدثنا شقيق بن إبراهيم الزاهد حدثنا أبو هاشم الأيلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قضى حاجة المسلم في الله كتب الله له عمر الدنيا سبعة آلاف سنة صيام نهاره وقيام ليله » .

وقال ابن عدي : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله البلخي ثنا أحمد بن محمد حدثنا حمزة بن داود حدثنا عمر بن يحيى حدثنا العلاء بن زيد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُمُرُ الدنيا سبعة أيام من أيام الآخرة ، قال الله تعالى : (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) » .

وقال الطبراني في الكبير : حدثنا أحمد بن النضر العسكري وجعفر بن محمد العرياني^(١) قالا : حدثنا الوليد بن عبد الملك بن سرح الحراني حدثنا سليمان بن عطاء القرشي الحرابي عن سلمة بن عبد الله الجهني عن عمر بن أبي شجرة بن ربيع الجهني عن الضحاك بن زمل الجهني قال : رأيتُ رؤيا فقصصتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر الحديث وفيه : « إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبعُ درجاتٍ وأنت في أعلاها درجة ، فقال صلى الله عليه وسلم : أما المنبر الذي رأيت فيه سبع درجات وأنا في أعلاها درجة فالدنيا سبعة آلاف سنة وأنا في آخرها ألفاً » أخرجه البيهقي في الدلائل ، وأورده السهيلي في الروض الأنف ، وقال : هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد فقد روى موقوفا على ابن عباس رضي الله عنه من طرق صحاح أنه قال : الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرها ، وصحح أبو جعفر الطبري هذا الأصل وعضده بآثار ، وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث : « وأنا في آخرها ألفاً » أي مُعْظَمُ المَلَّةِ في الألف السابعة ؛ ليطابق ما سيأتي من أنه بعث في أواخر الألف السادسة ، ولو

(١) ربما قرئت « الفرياني »

كان بعث في أول الألف السابعة كانت الأشراف الكبرى كالديجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وجدت قبل اليوم بأكثر من مائة سنة لتقوم الساعة عند تمام الألف ، ولم يوجد شيء من ذلك ؛ فدلّ على أن الباقي من الألف السابعة أكثر من ثمانمائة [سنة] .

وقال ابن أبي حاتم في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب ذمّ الأمل : حدثنا علي بن سعد حدثنا حمزة ابن هشام قال سعيد بن جبير : إنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة .

وقال عبد بن حميد في تفسيره : حدثنا محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) وجعل أجل الدنيا ستة أيام ، وجعل الساعة في اليوم السابع ، قد مضت ستة أيام ، وأنتم في اليوم السابع .

وقال ابن إسحاق : حدثنا محمد بن أبي محمد حدثنا عكرمة — أو سعيد بن جبير — عن ابن عباس أن يهودا كانوا يقولون : مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما نعدّ لبُ لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار ، وإنما هي سبعة أيام معدودات ثم ينقطع العذاب ، فأنزل الله تعالى في ذلك : (وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) إلى قوله تعالى : (خَالِدُونَ) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وقال عبد بن حميد : أنا شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مثله .
وقال الدينوري في المجالسة : حدثنا محمد بن عبد العزيز أخبرنا أبي قال : سمعت سالمًا الخواص يقول : سمعت عثمان بن زائدة يقول : كان كرز يجتهد في العبادة ، فقيل له : ألا تُريح نفسك ساعة ؟ فقال : كم بلغكم عن الدنيا ؟ قالوا : سبعة آلاف ،

فقال : كم بلغكم مقدار يوم القيامة ؟ قالوا : خمسين ألف سنة ، قال : يعجز أحدكم أن يعمل سُبْعَ يومه حتى يبأس من ذلك اليوم ؟ .

ذكر ما ورد أن الدجال يخرج على رأس مائة

وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة

قال ابن أبي حاتم في التفسير : حدثنا يحيى بن عبدك القرطبي حدثنا خلف بن الوليد حدثنا المبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن العريان بن الهيثم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة إلا كان عند رأس المائة أمرٌ ؛ فإذا كان رأس مائة خرج الدجال وينزل عيسى فيقتله .

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن سلام قال : يمكث الناس بعد الدجال أربعين سنة ، تعمر الأسواق ، وتغرس النخل .

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس أربعين عاماً » .

وأخرج أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال ؛ فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين عاماً إماماً عادلاً وحكماً قسطاً » .

وأخرج أحمد في الزهد عن أبي هريرة قال : يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة ، لو يقول للبطحاء « سيلي عَسلاً » لسالت .

وأخرج الحاكم في المستدرک عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « بين أذُنَيْ حمار الدجال أربعون ذراعاً » فذكر الحديث إلى أن قال : « وينزل عيسى ابن مريم فيقتله ، فيتمتعون أربعين سنة لا يموت أحد

ولا يمرض أحد ، ويقول الرجل لغنمه ولدوا به : اذهبوا فأزعوها ، وتمر الماشية بين الزرعين لا تأكل منه سنبلة ، والحيات والعقارب لا تؤذي أحداً ، والسبع على أبواب الدور لا يؤذي أحداً ، ويأخذ الرجل المد من القمح فيسذره بلا حرث فيجىء منه سبعمائة مد ، فيمكثون في ذلك حتى يكسر سد يأجوج ومأجوج ، فيموجون ويفسدون في الأرض ، فيبعث الله دابة من الأرض فتدخل آذانهم فيصبحون موتى أجمعين ، وتنتن الأرض منهم ، فيؤذون الناس بنتهم ، فيستغيثون بالله ، فيبعث الله ريحاً ثانية غرباء ويكشف ما بهم بعد ثلاث ، وقد قذفت جيقتهم في البحر ، ولا يلبثون إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها .

قال أبو الشيخ في كتاب الفتن : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدجال ، ويمكث أربعين عاماً يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسنتي ، ويموت ، ويستخلفون بأمر عيسى رجلاً من بني تميم يقال له المقعد ، فإذا مات المقعد لم يأت على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم » .

وأخرج مسلم والحاكم وصححه عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يخرج الدجال فيلبث في أمتي أربعين ، ثم يبعث الله عيسى فيطلبه حتى يهلكه ، ثم يميت الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يبعث الله ريحاً باردة تجيء من قبل الشام فلا تدع أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضت روحه ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، ثم يبقى شرار الناس ، فيجيئهم الشيطان ، فيأمرهم بعبادة الأوثان ، فيعبدها » .

وأخرج أبو يعلى والرويانى في مسنديهما وابن قانع في معجمه والحاكم في المستدرک والضياء في المختارة عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لله ريحاً يبعثها على رأس مائة سنة تقبض روح كل مؤمن » .

ذكر مدة مكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
قال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي قيس
عن المهيم بن الأسود قال: خرجتُ وافداً في زمن معاوية، فإذا عنده عبد الله بن عمرو
فقال لي عبد الله بن عمرو: من أنت؟ قلت له: من أهل العراق، قال: هل تعرف
أرضاً فيكم كثيرة السباح يقال لها كوثى؟ قلت: نعم، قال: منها يخرج الدجال،
ثم قال: إن للأشرار بعد الأخيار عشرين ومائة سنة، لا يدري أحد من الناس متى
يدخل أولها، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

وقال ابن أبي شيبة: حدثنا وكيع عن إسماعيل عن أبي خيثمة عن عبد الله بن
عمرو قال: يمكث الناس بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة.
وقال عبد بن حميد: أخبرنا يزيد بن هرون أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد سمعت
أبا خيثمة يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: يبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها
عشرين ومائة سنة، أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.

وأخرج نعيم بن حماد عن كعب قال: إذا انصرف عيسى بن مريم والمؤمنون
من يأجوج ومأجوج لبثوا سنوات، فإذا رأوا كهيئة المهرج والغبار، فإذا هي ريح قد
بعثها الله لتقبض أرواح المؤمنين، فتلك آخر عصابة تقبض من المؤمنين، ويبقى
الناس بعدهم مائة عام لا يعرفون ديننا ولا سنة، يتهارجون تهارج الحمر، عليهم
تقوم الساعة.

وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال: يرسل الله بعد يأجوج ومأجوج ريحا
طيبة فتقبض روح عيسى وأصحابه وكل مؤمن على وجه الأرض، ويبقى بقايا الكفار
- وهم شرار الأرض - مائة سنة.

وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو، قال: لا تقوم الساعة حتى تعبد
العرب ما كان يعبد آباؤها عشرين ومائة عام، بعد نزول عيسى عليه السلام وبعث
الدجال.

ذكر مدة ما بين النفختين

أخرج البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بين النفختين أربعون عاماً » .

وأخرج ابن أبى داود فى البعث وابن مردويه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بين النفختين أربعون عاماً .

وأخرج ابن المبارك فى الزهد عن الحسن قال : بين النفختين أربعون سنة ، الأولى يميت الله بها كل حى ، والأخرى يحيى الله بها كل ميت .

ثم بعد انتهائى بالتأليف إلى هنا رأيت فى كتاب الملل للإمام أحمد بن حنبل قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه حدثنى عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة ، إني لأعرف كل زمان منها ما كان فيه من الملوك والأنبياء ، وهذا يدل على أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف بنحو أربعين سنة تقريباً .

فصل : ومما يدل على تأخر المدة أيضاً ما أخرجه الحاكم فى تاريخه قال : حدثنا أبو سعيد بن أبى حامد حدثنا عبد الله بن إسحاق بن إلياس حدثنا أبو عمار الحسين ابن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتقوم الساعة حتى لايعبد الله فى الأرض مائة سنة قبل ذلك » .

ومما يدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس قال : سمعت والدى يقول : سمعت سليمان الحافظ يقول : سمعت أبا عصمة نوح بن مطر الفرغانى يقول : سمعت محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ [يقول] : سمعت أبا صالح خلف بن محمد يقول : سمعت موسى بن أفلح [يقول] : سمعت أحمد بن الجنيد يقول : سمعت عيسى بن موسى يقول : سمعت أبا حمزة يقول : سمعت الأعمش يقول : سمعت مجاهداً يقول : سمعت ابن عمر يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«الأشهر بعد الأخيار خمسين ومائة سنة ، يملكون جميع أهل الدنيا وهم الترك» ، قال الديلمي : وأخبرناه عالياً أبي أخبرنا علي الميداني أخبرنا سعيد بن أبي عبد الله أخبرنا أبو عمرو بن المهدي حدثنا ابن مخلد حدثنا أحمد بن الحجاج النيسابوري أخبرنا مقرب بن عمار أخبرنا معمر بن زائدة عن الأعمش به .

وأخبرنا الروياني في مسنده حدثنا محمد بن إسحاق أخبرنا محمد بن أسد الخشني أنا الوليد بن مسلم أنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة حدثني حسان بن كريب قال : سمعت أبا ذر يقول : إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سيكون بمصر رجل من قریش أحنسُ يلي سلطاناً ثم يُغلبُ عليه أو ينزع منه ، فيفر إلى الروم فيأتي بهم إلى الإسكندرية ، فيقاتل أهل الإسلام بها ، وذلك أول الملاحم» أخرجه ابن عساکر في تاريخه ، وقال : رواه غيره عن الوليد فأدخل بين حسان وأبي ذر أبا النجم ، أخبرناه أبو الحسن علي بن أحمد بن منصور وعلي بن مسلم الفقيهان ، قالوا : أخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد أنا جدي أنا أبو بكر أنا أبو الفضل أحمد بن عبد الله بن نصر بن هلال السلمي حدثنا أبو عامر موسى بن عامر أنا الوليد حدثنا ابن لهيعة عن كعب بن علقمة قال : حدثني حسان بن كريب قال : سمعت أبا النجم يقول : سمعت أبا ذر يقول : إنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « سيكون بمصر رجل من بني أمية أحنسُ ، يلي سلطاناً ثم يُغلبُ عليه أو ينزع منه ، فيفر إلى الروم ، فيأتي بهم إلى الإسكندرية ، فيقاتل أهل الإسلام بها ؛ فذلك أول الملاحم » .

ثم أخرج عن أبي عبد الله بن منده قال : قال لنا أبو سعيد بن يونس : أبو النجم يروي عن أبي ذر الغفاري ، والحديث معلول .

ثم رأيت في كتاب الفتن لنعيم بن حماد قال : حدثنا أبو يوسف المقدسي - وكان كوفياً - عن محمد بن الحنفية ، قال : يملك بنو العباس حتى ييأس الناس من الخير ، ثم يتشعب أمرهم في سنة خمس وتسعين ، ويكون في الناس

شرط طويل ، ثم يزول ملكهم في سنة سبع وتسعين أو تسع وتسعين ، ويقوم المهديُّ سنة مائتين .

وأخرج نعيم أيضاً عن جعفر قال : يقوم المهديُّ سنة مائتين .

وأخرج أيضاً عن أبي قبيل قال : اجتماع الناس على المهدي سنة أربع ومائتين .

وهذه الآثار تُشعر بتأخره إلى بعد الألف بمائتين .

وأخرج أبو نعيم أيضاً عن عمرو بن العاص قال : تهلك مصر إذا رميت بالقسي الأربع : قوس الترك ، وقوس الروم ، وقوس الحبش ، وقوس أهل الأندلس .

قلت : وجد الأول ، وسيوجد الباقيون .

وأخرج نعيم بن حماد ، وابن عبد الحكم في فتوح مصر عن عمر بن الخطاب أنه قال لرجل من أهل مصر : ليأتينكم أهل الأندلس فيقاتلونكم بوسيم حتى تركض الخيل في الدم ، ثم يهزمهم الله تعالى ، ثم تأتكم الحبشة في العام الثاني .

وأخرج نعيم عن أبي قبيل قال : خرج يوماً وردان من عند مسلمة بن مخلد وهو أمير على مصر ، فرأى عبد الله بن عمر مستعجلاً ، فناداه فقال : أين تريد ؟ فقال : أرسلني الأمير إلى منف فأحفر له كنز فرعون ، قال : فارجع إليه وأقرئه مني السلام وقل له : إن كنز فرعون ليس لك ولا لأصحابك ، إنما هو للحبشة ، يأتون في سفنهم يريدون الفسطاط فيسيرون حتى ينزلوا منفاً ، فيظهر الله لهم كنز فرعون ، فيأخذون منه ما يشاؤون ، فيقولون : ما نبتغي غنيمة أفضل من هذه ، فيرجعون ، ويخرج المسلمون في آثارهم حتى يدركوهم ، فيهزم الله تعالى الحبشة ، فيقتلهم المسلمون ويأسرونهم .

وأخرج نعيم عن عبد الله بن عمرو قال : يقاتلكم أهل الأندلس بوسيم ، فيأتكم مددكم من الشام ، فيهزمهم الله تعالى ، ثم يأتكم الحبشة في ثمانئة ألف فتقاتلونهم أنتم وأهل الشام فيهزمهم الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .

كشفت الريب ، عن الجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : سأل سائل عن جيب قميص النبي عليه الصلاة والسلام ، هل كان على صدره كما هو المعتاد الآن في مصر وغيرها ؟ أو على كتفه كما يفعله المغاربة ويسمونها أهل مصر « فتحة حيدرية » ؟ وذكر أن قائلها قال : إن هذا الثاني هو السنة ، وإن الأول شعار اليهود .

الجواب : لم أقف في كلام أحد من العلماء على أن الأول شعار اليهود ، بل الظاهر أنه الذي كان عليه قميص النبي عليه الصلاة والسلام ؛ ففي سنن أبي داود « باب في حلّ الأزرار » ثم أخرج فيه من طريق معاوية بن قررة قال : حدثني أبي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رَهْطٍ من مُزَيْنَةَ فبايعناه وإن قميصه لمُطَلَقٌ - وفي رواية البغوي في معجم الصحابة « لمطلق الأزرار » - قال : فبايعته ثم أدخلت يدي في جيب قميصه فمست الخاتم ، قال عمرو : فما رأيت معاوية ولا أباه قط إلا مطلقاً أزرارها في شتاء ولا حر ، ولا يزران أزرارها أبداً ؛ فهذا يدل على أن جيب قميصه كان على صدره كما هو المعتاد الآن ، وقول الفقهاء « لو رويت عورة المصلي من جيبه في ركوع أو سجود لم يكف فليزرره أو يشد وسطه » يدل على ذلك أيضاً ؛ لأن العورة إنما تُرَى من الجيب في الركوع والسجود إذا كان على الصدر ، بخلاف الفتحة الحيدرية ، وقد ورد في ذلك حديث ، روى الشافعي في مسنده وأحمد والأربعة وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن سلمة بن الأكوع قال : قلت : يا رسول الله إني رجل أصيد ، أفأصلي في القميص الواحد ؟ قال : « نعم وازرره ولو بشوكة » .

ثم رأيت النقل في المسألة صريحاً والله الحمد ، قال البخاري في صحيحه : باب جيب القميص من عند الصدر وغيره ، وأورد فيه حديث الجبتيين في مثل المتصدق

والبخیل ، وفيه « ويقول بأصبه هكذا في جيبه » .

قال الحافظ ابن حجر في شرحه : فالظاهر أنه كان لابسا قميصاً ، وكان في طَوْقه فتحة إلى صدره ، قال : بل استدلَّ به ابن بَطَّال على أن الجيب في ثياب السلف كان عند الصدر ، قال : وموضع الدلالة منه أن البخیل إذا أراد إخراج يده أمسكت في الموضع الذي ضاق عليها وهو الثدي والتراقي ، وذلك في الصدر ، فبان أن جيبه كان في صدره ؛ لأنه لو كان في غيره لم يضطر يده إلى ثديه وتراقيه .

قال الحافظ ابن حجر بعد إيراد كلام ابن بطال : وفي حديث قره بن إياس الذي أخرجه أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان لما بايع النبي عليه الصلاة والسلام قال : « فأدخلت يدي في جيب قميصه فمسست الحاتم » ما يقتضى أن جَيْبَ قميصه كان في صدره ؛ لأن في أول الحديث أنه رآه مُطْلَقَ القميصِ : أى غير مُزَرَّر ، انتهى .

وأخرج الطبراني عن زيد بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى عثمان بن عفان فإذا أزراره محلولة ، فزرّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم قال : « اجْمَعْ عِطْفِي رِدَائِكَ عَلَى نَحْرِكَ » هذا أيضاً يدل على أن جيبه كان على صدره .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن سعيد بن جبیر في قوله تعالى : (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)^(۱) يعنى على النحر والصدر ؛ فلا يرى منه شيء .

وقال ابن جرير في تفسيره : حدثني المثني حدثنا إسحاق بن الحجاج حدثنا إسحاق بن إسماعيل عن سليمان بن أرقم عن الحسن ، قال : رأيتُ عثمان بن عفان رضی الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميصٌ [قُوهِىُّ] محلول الزر .

(۱) من الآية ۳۱ من سورة النور

كتاب البعث

مسألة : هل ورد أن الزامر يأتي يوم القيامة بمزمارة ، وأن السكران يأتي بقدحه ، وأن المؤذن يأتي يؤذن ؟

الجواب : نعم ، ورد ما يقتضى ذلك ، وورد التصريح بأفراد منه ، ونص عليه العلماء ؛ ففي صحيح مسلم « يُبْعَثُ كل عبد على ما مات عليه » أخرجه من حديث جابر .

وروى البيهقي في البعث من حديث فضالة بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ مات على مرتبة من هذه المراتب بُعِثَ عليها يوم القيامة » وعليه حمل العلماء ما رواه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري « يُبْعَثُ الميت في ثيابه التي مات فيها » أى في أعماله التي يموت فيها من خير أو شر .

وقد ثبت في الصحيح أن المجرورح في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يُثَقَّبُ دماً ، وفيه أيضاً « أن الذى مات على إحرامه يبعث مُلبياً » - وفي رواية « ملبدا » .

وقد روى الأصبهاني في الترغيب من طريق عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً « إن المؤذنين والمُلبَّين يخرجون من قبورهم يوم القيامة يؤذن المؤذن وَيُلبِّي الملبى » وعباد ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد منها الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها .

وروى الأصبهاني أيضاً من طريق أبي هذبة - وهو واهٍ - عن أشعث الحداني عن أنس مرفوعاً « مَنْ فارق الدنيا وهو سكران دخل القبر سكران ، وبعث من قبره سكران - الحديث » .

وقال الفزالي في كشف علوم الآخرة : من الناس من يحشر بفتنته الدنيوية ، فقوم مفتونون بالعود فعند قيامه من قبره يأخذه بيمينه فيطرحه فيعود إليه ، وكذلك

يبعث السكران سكران ، والزامر زامراً ، وشارب الخمر والكوز مُعَلَّقٌ في عنقه ، وكل أحد على الحال الذي صدّه في الدنيا عن سبيل الله ، انتهى .

وفي هذا الكلام إشارة إلى تخصيص الحديث السابق بأن الحالة التي يأتي عليها في الآخرة مما كان عليه في الدنيا المرادُ بها حالة الطاعة والمعصية ، بخلاف المباحات ؛ فلا يأتي النجار مثلاً بآلته والبناء ونحوهما ، إلا أن يستعملوها فيما لا يجوز شرعاً ، والله أعلم .

مسألة : حديث « أول ما يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت » هل هو صحيح ؟

الجواب : نعم ، رواه مسلم في صحيحه من حديث ثوبان .

مسألة : في حديث الطبراني عن أم سلمة قالت : « قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله : (حُورٌ عِينٌ) قال : حور بيض [عين] ضخام العيون ، سُفْرُ الحوراء بمنزلة جناح النسر ، فإن الشيخ شمس الدين السخاوي استفتى عنه فأفتى وضبطه بخطه شقر بالقاف وضبط الحوراء بالرفع ، وقال : هذه استعارة - يعني أن الحوراء - بمنزلة جناح النسر في السرعة والطيران والخفة ، وأحضرت إلى الفتوى التي كتب عليها بذلك فرأيت خطه بذلك ؟

الجواب : هذا تصحيف للحديث ، وتبديل لمعناه ، إنما لفظ الحديث « شفر الحوراء » - بالفاء - مضافاً إلى الحوراء ، والمراد به هُذْبُ العَيْنِ ، والمقصود تشبيهه بجناح النسر في الطول المناسب ذلك لضخامة العيون ، وقد ورد التصريحُ بذلك في رواية ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حيث قال : شفر المرأة من الحورِ العيين أطولُ من جناح النسر ، وما قاله من عنده في تفسير ما صحَّفه في غاية الركاكة كما لا يخفى .

مسألة : هل ورد أن عدد درج الجنة بعدد آي القرآن ؟

الجواب : نعم ، قال البيهقي في شعب الإيمان : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ

حدثنا أبو الحسين الخياط حدثنا أبو عبد الله محمد بن روح حدثنا الحكم بن موسى حدثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَدَدُ دَرَجِ الْجَنَّةِ عَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ ؛ فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة » قال الحاكم : إسناده صحيح ، ولم يكتب المتن إلا به ، وهو من الشواذ .

وروى الديلمي في مسند الفردوس من طريق الفيض بن وثيق عن فرات بن سلمان عن ميمون بن مهران عن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « درج الجنة على قدر آي القرآن ، بكل آية درجة ؛ فتلك ستة آلاف آية ومائتا آية وست عشرة آية ، بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والأرض » الفيض قال فيه ابن معين : كذاب خبيث .

رفع الصوت ، بذبح الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : في الحديث : « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ، ويقال للفر يقين : أتعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هو الموت ، فيذبح » إلى آخره . ولا يخفى أن الموت عرضٌ ، وهو لا يقبل الانتقال ، ولا بُدُّ له من محل لعدم قيامه بنفسه ، ولا يتجسد ، ولا يتصور بصورة الجسم ، وكيف يعرفه الفريقان ولم يُشاهداه بهذه الصفة قبل ذلك؟ وما النكته في فرج أهل الجنة بذبحه مع علمهم بأنه لا موت في الجنة ، ولا خروج بعد دخولها ؛ لما تقدم لهم من أخبار أنبيائهم وتلاوة كتبهم ؟

الجواب : اشتمل هذا الكلام على ثلاثة أسئلة :

فأما الأول فإنه إشكال قديم ، له في الوجود أكثر من أربعائة سنة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : استشكل هذا الحديث ؛ لكونه يخالف صريح العقل ، لأن الموت عرض ، والعرض لا ينقلب جسماً ، فكيف يذبح ؟ فأنكرت طائفة صحة الحديث ودفعته ، وتأولته طائفة فقالوا : هذا تمثيل ، ولا ذبح هناك حقيقة .

وقال المازري : الموت عندنا عرض من الأعراض ، وعند المعتزلة عدم محض ، وعلى المذهبين لا يصح أن يكون كبشاً ولا جسماً ، والمراد بهذا التمثيل والتشبيه ؛ قال : وقد يخلق الله تعالى هذا الجسم ، ثم يذبح ، ثم يجعل مثلاً ؛ لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنة ؛ ونقله النووي في شرح مسلم واقتصر عليه .

وقال القرطبي في التذكرة : الموت معنى ، والمعاني لا تنقلب جوهرأ ، وإنما يخلق الله أشخاصاً من ثواب الأعمال ، وكذا الموت يخلق الله تعالى كبشاً يسميه الموت ، ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا الموت يكون ذبحه دليلاً على الخلود في الدارين .

وقال غيره : لا مانع أن ينشئ الله تعالى من الأعراض أجساداً يجعلها مادة لها ، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث «إن البقرة وآل عمران يجيثان كأنهما غنماتان» ونحو ذلك من الأحاديث .

وقد تلخص مما سقناه من كلام العلماء أربعة أجوبة ، وبقي خامس لم أحب ذكره .

وأما السؤال الثاني - وهو كيف يعرفه الفريقان ولم يشاهداه - فجوابه يؤخذ من قول القرطبي : ويلقى في قلوب الفريقين إلى آخره ، وحاصله أن الله تعالى يلقي في قلوبهم معرفة ذلك .

وجواب ثان : وهو أن الكلابي ومقاتلا ذكرا في تفسيرهما في قوله تعالى :

(الذي خلق الموت والحياة)^(١) أن الله تعالى خالق الموت في صورة كبش لا يمر على أحد إلا مات ، وخالق الحياة على صورة فرس ، لا تمر على شيء إلا حي ، وهذا يدل على أن الميت يشاهد حلول الموت به في صورة كبش ، فلا إشكال حينئذ .

وأما السؤال الثالث فهو قديم أيضاً ، وجوابه أنه ورد في بعض طرق الحديث عند ابن حبان أنهم يطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه ، وفسر بأنه خوف توهم لا يستقر ، ولا ينافي ذلك تقدم علمهم بأنه لا موت في الآخرة ، لأن التوهمات تطرأ على المعلومات ثم لا تستقر ، فكان فرحهم بإزالة التوهم .

وجواب ثانٍ : وهو أن عين اليقين أقوى من علم اليقين ، فشاهدتهم ذبح الموت أقوى وأشد في انتفائه من تقدم علمهم ؛ إذ العيان أقوى من الخبر ، والله أعلم .

مسألة : ثعلبة الذي روى أنه نزل فيه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله)^(٢)

الآيات ، ذكر الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم أنه ثعلبة بن حاطب أحد من شهد بدرًا ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : ولا أظن الخبر بصح ، وإن صح ففي كونه هو البدرى نظرٌ ، وقد ذكر ابن السكبي أن ثعلبة بن حاطب الذي شهد بدرًا قتل بأحدٍ ؛ فذا كدت المغامرة بينهما ؛ فإن صاحب القصة تأخر في خلافة عثمان قال : ويقوى ذلك أن في تفسير ابن مردويه « ثعلبة بن أبي حاطب » والبدرى اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب ، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل النار أحدٌ شهد بدرًا والحديبية » وحكى عن ربه أنه قال لأهل بدر : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ؛ فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه الله نفاقاً في قلبه ، وينزل فيه ما ينزل ؟ فالظاهر أنه غيره ، انتهى .

ونظيرُ هذا ما روى في سبب نزول قوله تعالى : (وما كان لكم أن تؤذوا

رسولَ الله)^(٣) الآية أن طلحة بن عبيد الله قال : يتزوجُ محمد بناتِ عمنا ،

(١) من الآية ٢ من سورة الملك (٢) من الآية ٧٥ من سورة التوبة

(٣) من الآية ٥٣ من سورة الأجزاء

ويحجبهن عنا ، لئن مات لَأَتَزَوَّجَنَّ عائشة من بعده ، فنزلت ، وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر ؛ لأن طلحةَ أحدَ العشرة أجلُّ مقاماً من أن يصدر منه ذلك ، حتى رأيت بعد ذلك أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه ، فإن طلحة المشهور الذي هو أحدُ العشرة : طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم ، التيمي ، وطلحة صاحب القصة : طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم التيمي . قال أبو موسى في الذيل عن ابن شاهين في ترجمته : هو الذي نزل فيه (وما كان لكم أن تُؤذوا رسول الله)^(١) الآية ، وذلك أنه قال : لئن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لَأَتَزَوَّجَنَّ عائشة ؛ وقال : إن جماعة من المفسرين غلطوا ، وظنوا أنه طلحة أحد العشرة .

مسألة : أبو ثعلبة الخشني ، ما اسمه ؟ وما اسم أبيه ؟

الجواب : اسمه جرُّم — بضم الجيم والهاء — قاله أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وآخرون ، وقيل : جرثوم — بضم الجيم والمثلثة — وقيل : جرثومة ، وقيل : عمرو ، وقيل : لاشم — بكسر الشين المعجمة — واسم أبيه ناشم — بالنون والشين المعجمة — جزم بذلك النووي في شرح المهذب ، وقيل : ناشب ، وقيل : ناشر ، وقيل : ناشج .

مسألة : أبو عبيدة بن الجراح ، هل له عقب ؟

الجواب : لم يعقب شيئاً ، بل كان له ولدان : زيد ، وعمير ، ماتا صغيرين ، وليس له عقب ، صرح بذلك ابن سعد في الطبقات ، ونقله عنه الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب .

مسألة : فيما رواه بعض أهل هذا الزمان لشخص من أكابر الأعيان أن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم في الرواية ستة أنفس ، وذلك أن شيخه أخبره أنه روى عن شخص من أصحاب سيدي يوسف عن شيخه النسر — أي عن شيخه —

(١) من الآية ٥٣ من سورة الأحزاب

سیدی ابي العباس الملم عن معمر الصحابی أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه يوم الخندق وهو ينقل التراب بغلقين وبقية الصحابة ينقلون بغلق واحد ، فضرب بكفه الشريف بين كتفيه وقال له : « عمرك الله يا معمر » فعاش بعد ذلك أربعين سنة بركة الضربات التي ضربها بين كتفيه ، فإنها كانت أربع ضربات ، بعدد كل ضربة مائة سنة ، وقال له بعد أن صاحفه : مَنْ صاحفك إلى ست أو سبع لم تمسه النار ، أروى ذلك أحد من الأئمة ، أم هو كذب وافتراء لا يجوز نقله لأحد من الناس ، فضلا عن أكابر الأمراء ؟

الجواب : هذا الحديث رواه الشيخ صلاح الدين الطرابلسي مرة في مجلس الأمير ترازو كنت حاضراً فقلت له : هذا باطل ، ومعمر هذا كذاب دجال ، وأوردت له الحديث الصحيح الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر « أرايتكم ليلتكم هذه ، فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد » وقلت له : إن أهل الحديث وغيرهم قالوا : إن من ادعى الصحبة بعد مائة سنة من وفاته صلى الله عليه وسلم فهو كاذب ، وإن آخر الصحابة موتاً أبو الطفيل مات سنة عشر ومائة من الهجرة ، فقال لي : لا بد من نقل في هذا بخصوصه ، فلما رجعت رأيت الميزان للذهبي فرأيت ذكر معمر بن بريك ، وأنه عمر مثني من السنين ، وروى عنه أحاديث خماسية باطلة ، وهي كذب واضح ، وقال : إنه من نمط رتن الهندي ، فقبح الله من يكذب ، فأرسلت الميزان للشيخ صلاح الدين ، فراه فشكر ودعا ، ثم بعد مدة أراني شخص ورقة فيها تحديث الشيخ صلاح الدين بهذا الحديث وإجازته إياه ، فكتبت فيها أن هذا الحديث كذب لا يحمل روايته ولا التحديث به ، فليعلم كل مسلم أن معمر هذا دجال كذاب ، وقصته هذه كذب وافتراء لا يحمل لمسلم أن يحدث بها ولا يرويها ، ومن فعل ذلك دخل في قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » .

ثم رأيت بعد ذلك فتياً قدمت للحافظ أبي الفضل ابن حجر في معمر هذا

فكتب عليها ما نصه : لا تخلو طريق من طرق المعمر عن متوقف فيه ، حتى المعمر نفسه ؛ فإن من يدعى هذه الرتبة يتوقف على ثبوت العدالة ، وثبوت ذلك عقلاً لا يفيد مع ورود الشرع بنفيه ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم أخبر في الأحاديث الصحيحة بانصرام قرنه بعد مائة سنة من يوم مقالته المشهورة ، فمن ادعى الصحبة بعد ذلك لزم أن يكون مخالفاً لظاهر الخبر .

ثم رأيت فتياً أخرى رفعت اه فكتب عليها ما نصه : هذا الحديث لا أصل له ، والمعمر المذكور إما كذاب أو اختلقه كذاب ، وآخر الصحابة موتاً مطلقاً أبو الطفيل عامر بن وائلة الليثي ، ثبت ذلك في صحيح مسلم ، واتفق عليه العلماء ، واحتج البخاري بحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل موته بقليل « إن على رأس مائة سنة من تلك الليلة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها أحد » وأراد بذلك انخرام القرن ؛ فكل من ادعى الصحبة بعد أبي الطفيل فهو كاذب ، انتهى جواب الحافظ ابن حجر .

مسألة : ما سن عائشة وفاطمة رضي الله عنهما ، وكم عاشت كل واحدة منهما بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ؟ وأيها أفضل ؟ .

الجواب : أما عائشة رضي الله عنها فسنها بضع وستون ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها قبل الهجرة بسنتين ، وقيل : بسنة ونصف ، وقيل : بثلاث سنين ، ومات عنها وهي بنت ثمانى عشرة سنة ، وماتت سنة سبع وخمسين ، وقيل : سنة ثمان وخمسين .

وأما فاطمة رضي الله عنها فقال الذهبي : الصحيح أن عمرها أربع وعشرون سنة ، وقيل : إحدى وعشرون ، وقيل : ست وعشرون ، وقيل : سبع وعشرون ، وقيل : ثمان وعشرون ، وقيل : تسع وعشرون ، وقيل : ثلاثون ، وقيل : ثلاث وثلاثون ، وقيل : خمس وثلاثون ، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر على الصحيح ، وقيل : ثمانية أشهر ، وقيل : ثلاثة أشهر ، وقيل : شهران .
وأما أيهما أفضل فتلاثة مذاهب ، أصحها أن فاطمة رضي الله عنها أفضل .

مسألة : قال ابن سعد في الطبقات : أنا عفان بن مسلم ، ويحيى بن حماد ، وموسى ابن إسماعيل التبوذكي قال : أنبأ أبو عوانة ثنا إسماعيل السدي قال : سألت أنس ابن مالك أصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم ؟ قال : لا أدري ، رحمة الله على إبراهيم لو عاش لكان صديقاً نبياً ، هذا إسناد صحيح على شرط مسلم . وقال ابن عساكر في تاريخه : أنا أبو القاسم بن السمرقندي أنا أحمد بن أبي عثمان أنا إسماعيل بن الحسن ثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل ثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ثنا عمرو بن محمد العنقري ثنا أسباط بن نصر عن السدي ، قال : سألت أنس بن مالك كم كان يبلغ إبراهيم بن النبي عليه الصلاة والسلام ؟ قال : قد كان قد ملا مهده ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبي ؛ لأن نبيكم آخر الأنبياء .

وقال ابن عساكر : أنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء أنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن الأبنوسي أنا أبو الطيب عثمان بن عمرو بن محمد بن المنتاب ثنا يحيى ابن محمد بن صاعد ثنا الحسين بن الحسن المروزي أنا ابن مهدي ثنا سفيان عن السدي سمعت أنس بن مالك يقول : لو عاش إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم كان صديقاً نبياً .

وقال الباوردي في معرفة الصحابة : ثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا منجاب بن الحارث ثنا أبو عامر الأسدي ثنا سفيان عن السدي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش إبراهيم لكان صديقاً نبياً » . وقال الطبراني : ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا أبو أسامة ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : هل رأيت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : مات وهو صغير ، ولو قدر أن يكون نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم لعاش ابنه إبراهيم ، ولكنه لا نبي بعده .

وقال الطبراني : أنا أسلم بن سهل الواسطي ثنا وهب بن بقية ثنا محمد بن الحسين

المدني عن إسماعيل بن أبي خالد قال : قلت لعبد الله بن أبي أوفى : هل رأيت إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : توفي وهو صغير ، ولو قضي أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ، ولكنه لا نبي بعده . أخرجه أبو يعلى : ثنا زكريا بن يحيى الواسطي ثنا هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد به .

وقال ابن منده : أنا أحمد بن محمد بن زياد ، ومحمد بن يعقوب ، قالا : ثنا أحمد

ابن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : « لما ولدت مارية القبطية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم ومات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعاً في الجنة ، ولو بقي لكان صديقاً نبياً » .

وقال البيهقي : أنا علي بن أحمد بن عبدان أنا أحمد بن عبيد الصفار ثنا محمد بن

يونس ثنا سعيد بن أوس أبو زيد الأنصاري ثنا شعبة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : « لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن له مرضعاً في الجنة يتم رضاعه ، ولو عاش لكان صديقاً نبياً » .

وقال ابن عساكر : أنا أبو محمد هبة الله بن سهل بن عمر السيد بن الفقيه ،

وأبو القاسم زاهر بن طاهر ، قالا : أنا أبو عثمان البحيري أنا أبو عمرو بن حمدان

أنا أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ ثنا عبيد بن إبراهيم الجعفي ثنا الحسن بن أبي عبد الله

الفراء ثنا مصعب بن سلام عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر

ابن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو عاش إبراهيم لكان

نبياً » .

وقال ابن عساكر : أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي أنا أبو حامد أحمد بن

الحسين أنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن أحمد بن محمد أنا أبو محمد الحسن بن محمد بن

الحسن بن محمد بن جابر ثنا إبراهيم بن الحسن الهمداني ثنا إسحاق بن محمد القروي ثنا

عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن أبي جده عن علي بن أبي طالب قال : « لما توفي

إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمه مارية فجاوبه

ففسله وكفنه وخرج به وخرج الناس معه فدفنه ، وأدخل النبي صلى الله عليه وسلم يده في قبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنه لنبي ابن نبي ، وبكى وبكى المسلمون حوله ، حتى ارتفع الصوت ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تَدَمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يَفْضُبُ الرَّبَّ ، وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لِحَزُونُونَ» قال ابن عساکر : عيسى هو ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي أبي طالب ، ليس بالقوى .

فصل : قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات : وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش إبراهيم لكان نبياً فباطل ، وجسارَةٌ على الكلام على المغيبات ، ومجازفة ، وهجوم على عظيم ، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : وهذا عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة [وكأنه لم يظهر له وجه تأويله فبالغ في إنكاره ، وجوابه أن القضية شرطية لا تستلزم الوقوع] ولا يظن بالصحابي أنه يهجم على مثل هذا بظنه ، والله أعلم .

فصل : روى أبو داود عن عائشة قالت : مات إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر شهراً فلم يصل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن حزم : خبر صحيح ، قال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح : اعتلَّ مَنْ سَلَّمَ تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ بَعْلَلٌ ، مِنْهَا أَنَّهُ اسْتَعْنَى بِفَضِيلَةَ أَبِيهِ عَنِ الصَّلَاةِ كَمَا اسْتَعْنَى الشَّهِيدُ بِفَضِيلَةَ الشَّهَادَةِ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَصَلِّي نَبِيَّ عَلَى نَبِيٍّ وَقَدْ جَاءَ أَنَّهُ لَوْ عَاشَ لَكَانَ نَبِيًّا ، انتهى .

فصل : قال الشيخ تقي الدين [السبكي] في حديث : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » فإن قلت : النبوة وصف لا بد أن يكون الموصوف به موجوداً وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً ، فكيف يُوصَفُ به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت : قد جاء أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ؛ فقد تكون الإشارة بقوله « كنت نبياً » إلى روحه الشريفة وإلى حقيقته ، والحقائق تقصر

عقولنا عن معرفتها ، وإنما يعلمها خالقها ومن أمدهُ بنور الهى ، ثم إن تلك الحقائق يُؤتى الله كلَّ حقيقة منها ما يشاء فى الوقت الذى يشاء ، فحقيقةُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف ، بأن يكون خلقها متهيئةً لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت فصار نبياً ، انتهى ومن هذا يعرف تحقيق نبوة السيد إبراهيم فى حال صغره وإن لم يبلغ سنَّ الوحي .

مسألة : من قاضى القضاة شيخ الشيوخ تاج الدين بن عربشاه الحنفى :
المسئول من تفضلات مولانا شيخ الإسلام ، أمتعَ الله بوجوده الأنام ، توضيحُ التحرير فى ذكر أولاد البتول ، فإنه ذكر فى مجلس عند بعض عظام الأمراء أن أولادها الحسن ، والحسين ، ومحسن ، فوقع من بعض الحاضرين توقف فى محسن ، فنظم العبدُ فى ذلك أبياتاً فأرادَ عرضَ ذلك على المسمع الكريمة ، أفاض الله عليها نعمه الجسيمة ، ليزول ما أشكل من الإبهام ، بقصد الاستفادة من الإمام ، فإن الاستفادة من المولى أحرى وأولى ، أمد الله على الإسلام والمسلمين من مديد فضلكم ، وأغدقَ من وافر بسيط طَوْلِكُمْ ، فإنَّ بابكم العالى كعبة الإفاضة ، رزقكم الله الحسنى وزيادة .

وأجبت : وقفت على هذا الدر النظيم ، والعمد الذى حوى كل جوهر فردٍ عظيم ، فوجدتُ راقه أعزه الله تعالى أبدع فيما رقم ، وأتى بالعجب العجاب فيما نثر ونظم ، وأصاب فى ذكره المحسن صَوْبَ الصواب ، وأتى فى تقريره بالحكمة وفضل الخطاب ، وكيف يتصور أو يمكن توجيه الإنكار لحسن وقد ورد الحديثُ المسندُ والأثر ، عن سيد بنى ربيعة ومضر ، أنه سعى أولادفاطمة بالحسن ، والحسين ، ومحسن؟ ونعم المحبر ، وقال : سميتهم بأسماء ولد هرون : شبر ، وشبير ، ومشير ، والمنكر لذلك حقه أن يضرب عنه صفحاً حيث توقف ، وإن ثقل ومدَّ عنقه متطلماً إلى مراتب العلماء فليخفف .

مسألة :

أخبرني زائر رشيدُ
 أن ابن خزيمة عراه
 وأنه جاءه بنقلٍ
 فقلت : لا تنطقن بهذا
 كلاهما في الأنام يدعى
 والفرق ما بين ذين بادٍ
 ذاك ابن إسحاق ذو صحيح
 في رابع القرنِ عامٍ إحدى
 ولم يشن قط باختلاط
 وابن ابنه الفضل ذواختلاط
 ومات في القرن عام سبع
 نص على ذلك كل حبرٍ
 عن مخبر جاءه يفيد
 تغير قبل ما يبيدُ
 عن العراق يستجيد
 التبس الجدُّ والخفيـدُ
 محمداً واسمه حميد
 ما عنه ذو يقظةٍ يحيد
 له المعالي غدت تشيد
 وعشرة قد قضى الفريدُ
 بل وصفه كله سعيد
 مدة عامين أو تزيد
 بعد ثمانين يا رشيد
 وعدّه الحافظ الجيد

إتحاف الفرقة ، برفو الخرقه

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : أنكر جماعة من الحفاظ سماع الحسن البصرى من على بن أبى طالب
 [رضى الله عنه] وتمسك بهذا بعض المتأخرين ، فخدش به فى طريق لبس الخرقه ،
 وأثبتته جماعة - وهو الراجح عندى - لوجوه ، وقد رجحه أيضاً الحافظ ضياء الدين
 المقدسى فى المختارة ، فإنه قال : الحسن بن أبى الحسن البصرى عن على ، وقيل :
 لم يسمع منه ، وتبعه على هذه العبارة الحافظ ابن حجر فى أطراف المختارة .
 الوجه الأول : أن العلماء ذكروا فى الأصول فى وجوه الترجيح أن المثبت مقدم
 على النافى ؛ لأن معه زيادة علم .

الثاني : أن الحسن ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر باتفاق ، وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها ؛ فكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر فدعا له : اللهم فقهم في الدين وحببه إلى الناس ، ذكره الحافظ جمال الدين المزي في التهذيب ، وأخرجه العسكري في كتاب المواعظ بسنده ، وذكر المزي أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة ، فكان يحضر الجماعة ويصلي خلف عثمان إلى أن قتل عثمان ، وعلى إذ ذاك بالمدينة ، فإنه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان ، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به في المسجد خمس مرات من حين ميّز إلى أن بلغ أربع عشرة سنة ؟ وزيادة على ذلك أن علياً كان يزور أمهات المؤمنين ومنهن أم سلمة ، والحسن في بينها هو وأمه .

الوجه الثالث : أنه ورد عن الحسن ما يدل على سماعه منه ، أورد المزي في التهذيب من طريق أبي نعيم قال : ثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا ثنا أبو حنيفة محمد بن صفية الواسطي ثنا محمد بن موسى الجرشى ثنا ثمامة بن عبيدة ثنا عطية بن محارب عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن قلت : يا أبا سعيد ، إنك تقول «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» وإني لم تدركه ، قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى - وكان في عمل الحجاج - كل شيء سمعته أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب ، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر علياً .

ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن عن عليّ

قال أحمد في مسنده : ثنا هشيم أنا يونس عن الحسن عن عليّ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «رُفِعَ القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ،

وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المصاب حتى يُكشَفَ عنه» أخرجه الترمذی وحسنه ، والنسائی ، والحاكم وصححه ، والضياء المقدسی فی المختارة ، قال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذی عند الكلام على هذا الحديث : قال علی بن المديني : الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام .

وقال أبو زرعة : كان الحسن البصری يوم بويج لعلی ابن أربع عشرة سنة ، ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج إلى الكوفة والبصرة ، ولم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن : رأيت الزبير يبايع علياً ، انتهى .

قلت : وفي هذا القدر كفاية ، ويحمل قولُ النافی علی ما بعد خروج عليٍّ من المدينة .

وقال النسائي : ثنا الحسن بن أحمد بن حبيب ثنا شاد بن فياض عن عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن عليٍّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أفطر الحاجم والمحجوم » .

وقال الطحاوي : ثنا نصر بن مرزوق ثنا الخطيب ثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن الحسن عن عليٍّ قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إذا كان في الرَّهْنِ فَضْلٌ فأصابته جائحة فهو بما فيه » الحديث .

وقال الدارقطني : ثنا أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا الحسن بن شبيب المعمرى قال : سمعتُ محمد بن صدران السامی ثنا عبد الله بن ميمون المزني ثنا عوف عن الحسن عن عليٍّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلی : « يا علي قد جعلنا إليك هذه السبعة بين الناس » الحديث .

وقال الدارقطني : ثنا علي بن عبد الله بن مبشر ثنا أحمد بن سنان ثنا يزيد بن هرون أنا حميد الطويل عن الحسن قال : قال علي : « إن وَسَّعَ اللهُ عليكم فاجعلوه صاعاً من بر وغيره ، يعني زكاة الفطر » .

وقال الدارقطني : ثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز ثنا داود بن رشيد

ثنا أبو حفص الأبار عن عطاء بن السائب عن الحسن عن عليّ قال : الخلية ، والبرية ، والبتة ، والباثن ، والحرام ، ثلاثٌ لا تحملُ له حتى تنكح زوجاً غيره .

وقال الطحاوی : ثنا ابن مرزوق ثنا عمرو بن أبي رزين ثنا هشام بن حسان عن الحسن عن عليّ قال : ليس في مسّ الذكر وضوء .

وقال أبو نعیم في الخلية : ثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو يحيى الرازي ثنا هناد ثنا ابن فضيل عن ليث عن الحسن عن عليّ رضي الله عنه قال : طوبى لكل عبدٍ ثومه عرف الناس ولم يعرفه الناس ، عرفه الله تعالى برضوان ، أولئك مصابيحُ الهدى ، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة ، سيدخلهم الله في رحمة منه ، ليس أولئك بالمزاييع البذر ، ولا الجفأة المرائين (؟) .

وقال الخطيب في تاريخه : أنا الحسن بن أبي بكر أنا أبو سهل أحمد بن محمد ابن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن غالب ثنا يحيى بن عمران ثنا سليمان ابن أرقم عن الحسن عن عليّ قال : كَفَنَتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَمِيصٍ أبيضٍ وَثَوْبِي حَبْرَةٍ .

وقال جعفر بن محمد بن محمد في كتاب العروس : ثنا وكيع عن الربيع عن الحسن عن عليّ بن أبي طالب رَفَعَهُ « من قال في كل يوم ثلاث مرات : صلوات الله على آدم ، غفر الله له الذنوب وإن كانت أكثر من زبدِ البحر » أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريقه .

ثم رأيت الحافظ ابن حجر قال في تهذيب التهذيب : قال يحيى بن معين : لم يسمع الحسن من عليّ بن أبي طالب ، قيل : ألم يسمع من عثمان ؟ قال : يقولون عنه : رأيت عثمان قام خطيباً ، وقال غير واحد : لم يسمع من عليّ ، وقد روى عنه غير حديث ، وكان عليّ لما خرج بعد قتل عثمان كان الحسن بالمدينة ، ثم قدم البصرة فسكنها إلى أن مات .

قال الحافظ ابن حجر : ووقع في مسند أبي يعلى قال : ثنا جويرية بن أشرس

قال : أنا عقبه بن أبي الصهباء الباهلى قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمتي مثل المطر » الحديث .

قال محمد بن الحسن بن الصيرفى شيخ شيوخنا : هذا نص صريح فى سماع الحسن من على ، ورجاله ثقات ، جويرية وثقه ابن حبان ، وعقبه وثقه أحمد وابن معين ، انتهى .

وحديث آخر يدل على ذلك ، قال اللالكائى فى السنة : أنا أحمد بن محمد الفقيه أنا محمد بن أحمد بن حمدان ثنا تميم بن محمد ثنا نصر بن على ثنا محمد بن سواء ثنا سعيد بن أبي عمرو بن عامر الأحول عن الحسن ، قال : شهدتُ علياً بالمدينة وسمع صوتاً ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قتل عثمان ، قال : اللهم أشهد أنى لم أرض ولم أملأ ، مرتين أو ثلاثاً .

ثم وجدت حديثاً آخر ، قال الحافظ أبو بكر بن مسدى فى مسلاته : صاغت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسوى النغزوى بها ، قال : صاغت أبا الحسن على ابن سيف الحصرى بالإسكندرية ح و صاغت أيضاً أبا القاسم عبد الرحمن بن أبى الفضل المالكى بالإسكندرية ، قال : صاغت شبل بن أحمد بن شبل قدم علينا ، قال كل واحد منهما : صاغت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيني قال : صاغت محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكى قال : صاغت أبا مروان عبد الملك ابن أبى ميسرة قال : صاغت أحمد بن محمد النغزوى بها ، قال : صاغت أحمد الأسود قال : صاغت ممشاد الدينورى قال : صاغت على بن الرزيني الخراسانى قال : صاغت عيسى القصار قال : صاغت الحسن البصرى قال : صاغت على بن أبى طالب قال : صاغت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صاغت كفى هذه سرادقات عرش ربي عز وجل ، قال ابن مسدى : غريب لانعله إلا من هذا الوجه ، وهذا إسناد صوفى ، انتهى .

مسألة: ذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لبس عمامة صفراء ، فهل لذلك أصل ؟
الجواب : نعم ، قال الطبرانى : ثنا محمد بن الحسين الأنماطى البغدادى ثنا
مصعب بن عبد الله بن مصعب الزبيرى حدثنى أبى عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر
عن أبيه قال : رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبين مصبوغين بزعفران
رداء وعمامة ، أخرجه الحاكم فى المستدرک .

وقال ابن سعد فى الطبقات : أنا الفضل بن دكين عن هشام بن سعد عن يحيى
ابن عبد الله بن مالك قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه بالزعفران
قميصه ورداءه وعمامته .

وقال : أنا هاشم بن القاسم ثنا عاصم بن عمر عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم قال :
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة .
وأخرج ابن عساکر فى تاريخه من طريق سلمان بن أرقم عن الزهري عن
سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ ثيابه .
وفى الصحيح من حديثه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يصبغ بالصفرة » .
وقال الطبرانى : ثنا أسلم بن سهل ثنا محمد بن الصباح ثنا عبيد بن القاسم عن
إسماعيل بن أبى خالد عن ابن أبى أوفى قال : كان أحب الصبغ إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصفرة .

وأخرج ابن عساکر من طريق عباد بن حمزة عن عبد الله بن الزبير أنه بلغه أن
الملائكة نزلت يوم بدر عليهم عمامة صفراء ، وكانت على الزبير يومئذ عمامة صفراء ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نزلت الملائكة اليوم على سبأ أبى عبد الله ، وجاء
النبي صلى الله عليه وسلم وعليه عمامة صفراء ، وفى ذلك يقول عامر بن صالح بن
عبد الله بن عمرو بن الزبير :

جَدِّي ابنُ عمّة أحمد ، ووزيره عقد البلاء ، وفارسُ الشعواء
وغَدَاة بَدْرٍ كان أولَ فارس شهد الوغى في اللأمة الصفراء
نزلت بسياهُ الملائك نُصرةً بالحوض يوم تآلب الأعداء
في عدد أبواب الجنة

أخرج البخارى عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« في الجنة ثمانية أبوابٍ فيها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » .
وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فيُسبِغُ الوضوءُ ثم يقول
حين يفرغ من وضوئه : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً
عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » .
وأخرج الترمذى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال : أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده
لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعَلنى من التوابين واجعَلنى من المتطهرين ،
فُتِحَتْ له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » .
وأخرج النسائي وابن ماجه والحاكم عن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « مَنْ توضأ فأحسن الوضوء ، ثم رفع بصره إلى السماء ، فقال : أشهد أن لا إلهَ
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له ثمانية أبواب
الجنة يدخل من أيها شاء » .

وأخرج أحمد والطبرانى من حديث عُقْبَةَ بن عامر مثله .

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن السني في عمل يوم ويلة عن أنس قال : قال
رسول الله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ توضأ فأحسن الوضوء ، ثم قال ثلاث مرات :
أشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتح له
من الجنة ثمانية أبواب يدخل من أيها شاء » .

وأخرج الطبرانی من حديث ثوبان ، مثله .

وأخرج ابن السني عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ عِنْدَ فَرَاعِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ ، فَتَحَّ اللَّهُ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » .

وأخرج الخطيب في تاريخه عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ وَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَتَحَّ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَقِيلَ لَهُ : ادْخُلْ مِنْ أَيِّ بَابٍ شِئْتَ » .

وأخرج محمد بن نصر في كتاب الصلاة عن أبي هريرة وأبي سعيد ، قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ عَبْدٍ يَصَلِّي الصَّلَاةَ الْحَمْسَ وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَيَجْتَنِبُ الْكِبَائِرَ السَّبْعَ إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِذَا تَصَفَّقَ » .

وأخرج ابن أبي الدنيا في صفة الجنة وأبو يعلى والطبرانی والحاكم عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ ، سَبْعَةٌ مَخْلُوقَةٌ وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَخْوَةٍ » .

وأخرج أحمد وابن ماجه والطبرانی والبيهقي في البعث عن عقبة بن عبد السلمى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَالِدِ لَمْ يَبْلَغُوا الْحَنْثَ إِلَّا تَلَقَّوهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ » .

وأخرج الطبرانی في الأوسط عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ لَهُ بَنَتَانِ وَأَخْتَانِ أَوْ عَمَتَانِ أَوْ خَالَتَانِ وَعَالِهِنِ فَتَحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ » .
وأخرج الطبرانی في الأوسط عن عائشة قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ لَهُ بَنَتَانِ » .

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما امرأة اتقَت ربهَا ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، فتحت لها ثمانية أبواب الجنة فقيل لها ادخلي من حيث شئت » .

وأخرج ابنُ أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس قال : للجنة ثمانية أبواب ، باب للمصلين ، وباب للصائمين ، وباب للحاجين ، وباب للمعتمرين ، وباب للمجاهدين ، وباب للذاكرين ، وباب للصابرين ، وباب للشاكرين .

وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في سننه عن عقبة بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القتل ثلاثه » فذكر الحديث إلى أن قال : « وأدخل من أي باب من أبواب الجنة شاء ؛ فإن لها ثمانية أبواب ولجهم سبعة أبواب ، وبعضها أفضل من بعض » .

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده عن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مات يؤمن بالله واليوم الآخر قيل له : ادخل من أي أبواب الجنة الثمانية شئت » .

وأخرج المستغفرى في الدعوات وحسنه عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من عبد يقول حين يتوضأ : بسم الله ، ثم يقول لكل عضو : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، ثم يقول حين يفرغ : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » .

وأخرج الحاكم في تاريخه عن أنس قال : « مات ابنُ لعثمان بن مظعون ، فحزن عليه حزناً شديداً ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : يا عثمان ، أما ترضى بأن للجنة ثمانية أبواب ، وللنار سبعة ، وأنت لا تنتهي إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدت ابنتك قائماً عنده آخذاً بِجُزْئِكَ يشفع لك عند ربك ؟ قال : بلى ، قال المسلمون : يا رسول الله ولنا في فرطينا مثل ما لعثمان ؟ قال : نعم لمن صبر واحتسب » .

مسألة : فيما هو جارٍ على السنة العامة وفي المدائح النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم لأن له الصخر وأثرت قدمه فيه ، وأنه كان إذا مشى على التراب لا تؤثر قدمه فيه ، هل له أصل في كتب الحديث أو لا ؟ وإذا ورد فيه شيء من خَرَجِه ؟ وصحيح هو أو ضعيف ؟ وهل ما ذكره الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في معراجة الذي ألفه مُسَجِّمًا ولفظه : ثم توجه نحو صخرة بيت المقدس وعمّاها ، فصعد من جهة الشرق أعلاها ، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانَتْ ، فأمسكتها الملائكة لما تحركت ومالت ، لهذا أيضاً أصل في كتب الحديث صحيح أو ضعيف أو لا ؟ وهل هذا الأثر الموجود الآن بصخرة بيت المقدس المعروف هناك بقدم النبي صلى الله عليه وسلم صحيح أو لا ؟ وهل ورد في كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - أثرت قدماه في الحجر الذي كان بيني عليه البيت الذي هو الآن بالمسجد الحرام بالمكان المعروف بمقام إبراهيم هل هو صحيح أو ضعيف أو ليس له أصل ؟ وهل ما قاله بعضهم إنه لم يُعْطَ نبي معجزة إلا حصل لنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو لأحد من أمته صحيح ذلك أو لا ؟ ومن هو قائل ذلك ؟ وهل صحَّح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى بيت أبي بكر الصديق بمكة ووقف ينتظره ألزق منكبه ومرفقه بالحائط فعاص المرفق في الحجر وأثرفيه ، وبه سمى الزقاق بمكة « زقاق المرفق » أو ليس لذلك أصل ؟ وهل ما ذكره الثعلبي والطرطوشي في تفسيريهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حفر الخندق وظهرت الصخرة وعجزت الصحابة عن كسرها نزل صلى الله عليه وسلم إلى الخندق وضربها ثلاث ضربات ، وأنها لانَتْ له وتفتتت ، صحيح ذلك أو ضعيف أو ليس له أصل معتمد ؟ وهل إذا ثبت أن الصخر لأن له صلى الله عليه وسلم وأثرت قدمه فيه يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم أو لا ؟

الجواب : أما حديث الصخرة التي ظهرت في الخندق وعجز الصحابة عن

كسرها وضربها ثلاث ضربات فكسرها فإنه صحيح ، ورد من طرقٍ بالفاظٍ

متعددة ؛ فأخرجه البيهقي وأبو نعيم معا في دلائل النبوة من حديث عمرو بن عوف المزني ، ومن حديث سلمان الفارسي ، ومن حديث البراء بن عازب ، وأصله في الصحيح من حديث جابر قال : إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كذبة شديدة ، فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : هذه كذبة عرضت في الخندق ، فأخذ المغول فضرب فعاد كثيباً أهيل .

وأما قوله : «هل ورد في كتب الحديث أن سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام أثرت قدماه في الحجر الذي كان بيني عليه البيت وهو المقام» فنعم ، وورد ذلك ، أخرجه الأزرق في تاريخ مكة من طريق أبي سعيد الخدري عن عبد الله بن سلام رضي الله عنهما موقوفاً عليه بسند صحيح ، وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن قتادة ، وأخرجه أيضاً عن عكرمة .

وبقية ما ذكر في الأسئلة لم أقف له على أصل ولا سند ، ولا رأيت من خرجه في شيء من كتب الحديث .

مسألة :

شرط البخاري الإمام ومسلم فيما حكاه جماعة متوافره
تخرج ما يرويه عن خير الوري اثنان من أصحابه المتكاثرة
وعليه أورد « إنما الأعمال » من في الحفظ رتبته لديهم قاصره
فأجابه القاضي أبو بكر هو المرابي في شرح البخاري ناصره
أن قدرواه أبو سعيد فانتفى أليارد وارتفعت حلاه الفاخره
وسواه زاد أبا هريرة فيه مع أنس ؛ فصارت أربعا متظافره
وجماعة قالوا بأبلغ منه أن يدرجنه في زمرة المتواتره
فعن ابن منده قدرواه ثمان عشرة من صحاب كالنجوم الزاهره
يا من يروم الخوض في ذا الفن لا تقدم عليه بهمة متقاصره
لا يصلح الإقدام فيما رُمته حتى تلجج في البحار الزاخره

مسألة : ذكر ذاكر أن أكثر قراءة النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة كانت بقراءة نافع ، وهذا شيء لا أصل له البتة ، بل كان يقرأ بجميع الأحرف المنزلة عليه ، وكيف ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أمر لم يروه عنه أحد من الصحابة ولا خرّجه أحد من أئمة الحديث في كتبهم لا بإسناد صحيح ولا بإسناد غير صحيح ؟ ثم إن هذا أمر لا يُعرف إلا من جهة الصحابة الذين سمعوا قراءته والذي روى عنهم أنهم قالوا « قرأ بسورة كذا [أو بسورة كذا] » ولم يقولوا في روايتهم « قرأ السورة الفلانية بلفظ كذا ولفظ كذا » حتى تطابق تلك الألفاظ فتوجد موافقة لقراءة نافع ، ولو ثبت هذا الكلام عند الإمام مالك رضي الله عنه لكان أول قائل بقراءة البسمة في الصلاة ؛ لأن البسمة ثابتة في قراءة قالون عن نافع ، ولم يثبت عند مالك أنه صلى الله عليه وسلم قرأ البسمة في الصلاة ؛ فهذا يدل على أنه لم يثبت عنده أنه كان أكثر قراءته بقراءة نافع ، وما كل حديث وجد مقطوعاً بغير سند في كتاب يجوز الاعتماد عليه حتى يثبت تخريجه في كتاب حافظ بسند متصل صحيح ، وكَم في الكتب من أحاديث لا أصل لها ، ثم تبين أن هذا النقل لا وجود له ، وأن الذي نقله القرافي في الذخيرة أنه تستحب القراءة بتسهيل الهمزة ؛ لأن ذلك لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا كلام في غاية الحسن لا غبار عليه ؛ لأن العلماء أجمعوا على أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم لغة قريش ، ولغة قريش عدم تحقيق الهمز ، فيكون ذلك لغة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ صحيح ، ولكن ليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر قراءته في الصلاة بقراءة نافع ، ولا روى هذا أحد من الصحابة البتة ، ولا خرّجه أحد من أئمة الحديث ، بل ولا في هذا دلالة على أنه كان أكثر قراءته بتسهيل الهمزة ، أكثر ما فيه أنه دلّ على أن ذلك لغته من غير قدر زائد على ذلك ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقرأ بجميع ما أنزل عليه : بتسهيل الهمز الذي هو لغته ، وبتحقيق الهمز الذي هو لغة غير قريش ، وبترك الإمالة الذي هو لغة الحجاز ، وبالإمالة التي هي لغة تميم ،

وذكر الأثرية تحتاج إلى نص من الصحابة مخرج في كتاب معتبر بإسناد متصل صحيح ، ولا وجود لذلك البتة .

وذكر أن القراءة بالترقيق في الصلاة مكروهة ؛ لأنها تُذهب الخشوع ، وليس كذلك ؛ لأن المكروه ماورد فيه نهى خاص ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نهى . وقوله « إنها تذهب الخشوع » ممنوع ؛ لأنه إن كان ذلك من جهة الفكر في أداء تلك الهيئة فجميع هيئات الأداء كذلك ، والفكر في أداء ألفاظ القرآن على الهيئة التي أنزل عليها لا ينافي الخشوع ؛ لأنه من أمور العبادة والدين ، وإنما ينافي الخشوع الفكر في الأمور الدنيوية لا الدينية ولا الأخروية ، نصوا عليه ، ثم إن المكروه عند الأصوليين من قسم القبيح كما أن المندوب عندهم من قسم الحسن ، ولا يوصف شيء من القرآن بالقبيح .

فإن قال قائل : قد ذهب جماعة إلى أن بعض القرآن أفضل من بعض . قلنا : مع اتفاقهم على أن الكل يقرأ ، ولا يقول أحد بأن غير الأفضل تكروه قراءته ، هذا لا يتوهمه أحد ، ثم إن قراءة القرآن بالأحرف الثابتة في السبعة فرض كفاية بالإجماع ، فكيف يتخيل أن يوصف ما هو فرض كفاية بأنه مكروه . ثم تبين أن هذا النقل لا وجود له ، وأن الذي نقله القرافي في الذخيرة وكره مالك الترقيق والتفخيم والروم والإشمام في الصلاة ؛ لأنها تشغل عن أحكام الصلاة ، وليس المراد بهذه الكراهة التي هي أحد أقسام الأحكام الخمسة التي يصفها الأصوليون بأنها داخلة في قسم القبيح كالحرام ، بل الكراهة في كلام الأئمة المجتهدين كالشافعي لها إطلاقان : أحدهما هذا ، ويعبر عنها بالكراهة الشرعية ، والآخر بمعنى أن المجتهد أحب وأختار أن لا يفعل ذلك من غير إدخاله في قسم المكروه الذي هو من نوع القبيح ، ويعبر عن هذه بالكراهة الإرشادية ، وهذه الكراهة لا ثواب في تركها ، ولا قبح في فعلها ، وقد ذكر أصحابنا ذلك في قول الشافعي « وأنا أكره المشمس من جهة الطب » فاختلّفوا هل هذه الكراهة شرعية يثاب فيها أو إرشادية لا ثواب فيها؟

على وجهين ، وقال الشافعى « وأنا أكره الإمامة ؛ لأنها ولاية ، وأنا أكره سائر الولايات » فليس مراد الشافعى بذلك الكراهة التى هى أحد أقسام الحكم الخمسة الداخلة فى قسم القبيح ، كيف والإمامة فرض كفاية ؟ لأن بها تنعقد الجماعة التى هى فرض كفاية ، والرافعى يقول إنها أفضل من الأذان ، وفى كل منهما فضل ، وذلك منأفٍ للكراهة قطعاً ، وإنما مراد الشافعى أنه لا يجب الدخول فيها ، ولا يختاره ، المعنى الذى ذكره ، فهى كراهة إرشادية لا شرعية ، فلو فعلها لم يوصف فعله بقبيح ، بل هو آتٍ بعبادة فيها فضل إجماعاً ، إما فضل يزيد على فضل الأذان كما هو رأى الرافعى أو ينقص عنه كما هو رأى النووى ، ولو كانت الإمامة مكروهة كراهة شرعية لم يكن فيها فضل البتة ؛ لأن الكراهة والثواب لا يجتمعان ، وكذلك قول القرافى « وكره مالك ما ذكر » معناه أنه أحبّ واختار أن لا يفعل ذلك المعنى الذى ذكره ، فهو أمر إرشادى ، وليس مراده الكراهة التى يدخل متعلقها فى قسم القبيح ، معاذ الله ! هذا لا يظن بمن هو دون مالك بكثير ، فضلاً عن هذا الإمام الجليل إمام دار الهجرة وإمام أهل المشرق والمغرب ، رضى الله عنه وعنآ به .

بلوغ المأمول ، فى خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : حديث « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به »

ورد من حديث ابن عباس ، وأبى هريرة ، وجابر .

فأما حديث ابن عباس فأخرجه عبد الرزاق فى المصنف وأحمد فى مسنده وابن

جرير فى تهذيب الآثار وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن أبى الدنيا فى

ذم الملاهي وأبو يعلى والعدنى في مسنديهما وعبد بن حميد وابن الجارود في المنتقى والدارقطنى في سننه والطبرانى والحاكم في المستدرک وصححه والبيهقى في سننه والضياء المقدسى في المختارة ، وقد صححه جمع من الأئمة الحفاظ : الحاكم كما ذكرناه ، وابن الجارود ، وحيث أخرجه في المنتقى فإنه ألزم فيه الصحيح ، والضياء حيث أخرجه في المختارة فإنه ألزم فيها الصحيح الزائد على الصحيحين ، وقالوا : إن صحيحها أقوى من صحيح المستدرک ، وصححه أيضاً ابن الطلاع في أحكامه ، نقله عنه الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الرافعى ، ولما حكى الحافظ أبو الفضل العراقى في شرح الترمذى أن الحاكم صححه أقره وأورد له عدة طرق تقوية لإسناده .

وأما حديث أبى هريرة فأخرجه ابن ماجه والبخارى وابن جرير والحاكم . وصححه أيضاً ابن الطلاع ، لكن تعقب الحافظ ابن حجر تصحيح ابن الطلاع له فقال : حديث أبى هريرة لم يصح .

قلت : لكن صحح حديث أبى هريرة وابن عباس مع ابن جرير في تهذيب الآثار ، وأعله الذى حمل الحاكم على تصحيح حديث أبى هريرة ، وإنما ثبت حديث ابن عباس ، وتعقب الذهبى تصحيح الحاكم لحديث أبى هريرة فقال : في سننه عاصم ابن عمر العمري ، وهو ضعيف ، واعتذر عنه الحافظ العراقى بأنه إنما أخرجه شاهداً لحديث ابن عباس .

وأما حديث جابر فأشار إليه الترمذى حيث قال عقب حديث ابن عباس : وفي الباب عن جابر وأبى هريرة . وقال العراقى في شرحه : رواه ابن حزم من طريق محمد ابن القاسم عن يحيى بن أيوب عن عباد بن كثير عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من عمل قوم لوط فاقتلوه » ورواه ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن رجل عن ابن عقيل ، انتهى .

وقد أخرج حديث جابر الحارث بن أبى أسامة في مسنده وابن جرير في تهذيب الآثار من طريق عباد بن كثير عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر « مَنْ عَمَلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوهُ » .
وقد رأيت له طريقاً آخر من حديث علي ، وقد فات الحافظين : العراقي ،
وابن حجر ؛ قال ابن جرير في تهذيب الآثار : حدثني محمد بن معمر البحراني
ثنا يحيى بن عبد الله بن بكر ثنا حسين بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
جده عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُرْجَمُ مَنْ عَمَلَ عَمَلِ قَوْمِ
لُوطٍ أَحْصِنَ أَوْ لَمْ يَحْصِنَ » .

تنبية : إنما احتاج الحاكم في تصحيح هذا الحديث إلى شاهد لأن راويه عن
عكرمة عن ابن عباس عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، وعمرو وثقه الجمهور : منهم
مالك والبخاري ومسلم ، وأخرجا حديثه في الصحيحين في الأصول ، وضعفه أبو داود
والنسائي ، ولأجل ذلك أنكر النسائي حديثه هذا ، وقال يحيى : كان يستضعف ،
قال الذهبي في الميزان بعد حكاية هذا : ما هو بمستضعف ولا بضعيف ، نعم ولا
هو في الثقة كالزهري وذويه .

قال : وروى أحمد بن أبي مریم عن ابن معين قال : عمرو بن أبي عمرو ثقة ،
ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « اقْتُلُوا
الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ » قال الذهبي عقب ذلك : حديثه صالح حسن منحط عن الدرجة
العليا من الصحيح ، انتهى .

والمقرر في علوم الحديث أن مَنْ يكون بهذه الصفة إذا وجد له متابع أو شاهد
حكم لحديثه بالصحة ؛ فلهذا احتاج الحاكم إلى تخریج حديث أبي هريرة ليكون
شاهداً لحديث ابن عباس ، وإن كان حديث أبي هريرة ليس على شرط الصحيح
إلا أنه أورده شاهداً لأصلاً لئيم له تصحيح حديث ابن عباس .

وقد أورد الحافظ أبو الفضل العراقي عدّة طرق لحديث ابن عباس تقوية
لتصحيح الحاكم له ، فقال : قد ورد أيضاً من رواية داود بن الحصين وعباد بن
منصور وحسين بن عبد الله عن عكرمة ؛ فهؤلاء ثلاثة متابعون لعمر بن أبي عمرو ؛

فرواية داود أخرجهما أحمد في مسنده باللفظ السابق ، وأخرجهما ابن جرير والبيهقي في سننه بلفظ « مَنْ وَقَعَ عَلَى الرَّجُلِ فَأَقْتَلُوهُ » ورواية عباد أخرجهما البيهقي بلفظ في الذي يعمل عمل قوم لوط وفي الذي يؤتى في نفسه ، قال : يقتل ، وأخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار بلفظ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « اقتلوا الفاعل والمفعول به في اللوطية » ورواية حسين أخرجهما الطبراني في الكبير باللفظ السابق ، وأورد العراقي أيضاً لحديث أبي هريرة طريقين آخرين ؛ أحدهما : في المستدرک ومعجم الطبراني الأوسط ، والثاني : في المعجم الأوسط ، ولفظهما مخالف للفظ السابق . ثم أورد حديث جابر كما تقدم ، ثم قل : وفي الباب عن أبي موسى الأشعري عند البيهقي ، وعن [أبي] أيوب عند الطبراني في الكبير ، هذا جميع ما أورده العراقي من الشواهد لتصحيح حديث ابن عباس .

قلت : وقد وجدت شاهداً آخر زيادة على ذلك ، قال أبو نعيم في الحلية : ثنا أبو محمد طلحة وأبو إسحاق سعد أنباً محمد بن إسحاق الناقد قالا : ثنا محمد بن عثمان ابن أبي شيبة ثنا أبي ثنا وكيع ثنا محمد بن قيس عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن أن عثمان أشرفَ على الناس يوم الدار ، فقال : أما علمتم أنه لا يجب القتل إلا على أربعة : رجل كفرَ بعد إسلامه ، أو زنى بعد إحصائه ، أو قتل نفساً بغير نفس ، أو عمل عمل قوم لوط .

وقال ابن أبي شيبة في المصنف : ثنا وكيع ثنا محمد بن قيس عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن أن عثمان أشرفَ على الناس يوم الدار ، فقال : أما علمتم أنه لا يحل دمُ امرئ مسلم إلا بأربعة : رجل عمل عمل قوم لوط ، هذا إسناد صحيح .

وفي قول عثمان رضي الله عنه للناس « أما علمتم » دليلٌ على اشتهاً هذا عندهم كالثلاثة المذكورة معه .

وقال ابن أبي شيبة : ثنا غسان بن مضر عن سعيد بن يزيد عن أبي نضرة قال : سئل ابن عباس ما أحد اللوطي ؟ قال : ينظر إلى أعلى بناء في القرية فيرمى منكساً ، ثم يتبع بالحجارة .

وقال عبد الرزاق في المصنف عن ابن جريج ، ح ، وقال ابن أبي شيبة : ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم سمع مجاهداً وسعيد بن جبيرة يحدثان عن ابن عباس أنه قال في البكر يوجد على اللوطية : إنه يُرجم .

وقال ابن أبي شيبة : ثنا وكيع عن ابن أبي ليلى عن القاسم أبي الوليد عن يزيد ابن قيس أن علياً رجم لوطياً .

وقال : ثنا وكيع عن سفيان عن جابر عن مجاهد في اللوطي ، قال : يرجم أحسن أوله يحصن .

وقال : ثنا يزيد أنا حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم في اللوطي ، قال : لو كان أحد يرجم مرتين رجم هذا .

وقال : ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن عبيد الله بن عبد الله بن معمر في اللوطي ، قال : عليه الرجم قتل قوم لوط .

وقال : ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن جابر بن زيد قال : حرمة الدبر أعظم من حرمة الفرج ، قال قتادة : نحن نحمله على الرجم .

فهذه الآثار كلها شواهد لتقوية حديث ابن عباس ، وكيف يعتمد قول يحيى وأبي داود والنسائي في ضعف راويه لو انفرد وقد وثقه رهوس الأئمة مالك والبخاري ومسلم الذين هم مقدمون على كل حافظ في عصرهم ومن بعدهم وخرجوا له في الأصول ؟ .

وقد قال الذهبي في الموعظة : من أخرج له الشيخان أو أحدهما على قسمين ،

أحدهما ما احتجَّ به في الأصول ، وثانيهما مَنْ خَرَّجَ له متابعة وشهادة واعتباراً ، فمن احتجَّ به أو أحَدُها ولم يوثق ولا غمز فهو ثقة ، حديثه قوى ، ومن احتجَّ به أو أحَدُها وتكلم فيه فتارة يكون الكلام [تعمتاً ، والجمهور على توثيقه ، فهذا حديثه قوى أيضاً ، وتارة يكون الكلام] في تليينه ، وحفظه له اعتباراً ، فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن التي قد يسميها من [حَدَق] أدنى درجات الصحيح ، فإلى الكتابين بحمد الله رجل احتج به البخاري أو مسلم في الأصول ورواياته ضعيفة ، بل حسنة أو صحيحة . ومن خَرَّجَ له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات ففهم مَنْ في حفظه شيء وفي توثيقه تردد ، فكل مَنْ خرج له في الصحيحين فقد قفز القنطرة فلا معدل له إلا برهان بين ، نعم الصحيح مراتبُ والثقات طبقات ، انتهى كلام الذهبي في الموعظة .

وقد ذكر في الميزان أن عمرو بن أبي عمرو خرج حديثه في الصحيحين في الأصول ، فكيف يحكم على حديثه [هذا] بالضعف^(١) كما تراه في كلام الذهبي هذا ، وهو لم ينفرد بل له متابعون عن عكرمة ، ولحديثه شواهد من رواية عدَّة من الصحابة ؛ فلهذا صححه مَنْ صححه من الحفاظ ، ولم يلتفتوا إلى تضعيف مَنْ ضعف راويه ، واحتجاج الحاكم إلى إيراد شاهد له لأن أقل أحوال عمرو أن يكون حديثه حسناً ، فيحتاج إلى شاهد يُرَقِّيه إلى درجة الصحة ، والله أعلم .

تنبيه آخر : ذكر الحافظ ابن حجر في تخریج أحاديث الرافعي أن حديث ابن عباس المذكور مُخْتَلَفٌ في ثبوته ؛ فنبه بذلك على فائدة مهمة من اصطلاح الحديث ، وقد أحببت أن أبينها لأن مَنْ لا إلمام له بعلم الحديث لا يفهم مراده بذلك ، وربما توهم أن ذلك قدح في الحديث كما رأى من لا معرفة له بالفن قول الترمذي في حديث « أنا دار الحكمة وعلى بابها » في بعض النسخ : هذا حديث منكر ، فظن أنه أراد أنه

(١) لعل في الكلام سقطاً تقديره « فكيف يحكم على حديثه بالضعف ، ومن خرج حديثه في الصحيحين في الأصول لا يحكم على حديثه بالضعف كما تراه - إلخ » فتفطن (١٤ - الحاوى ٢)

باطل أو موضوع لعدم علمه بالمصطلح ، وجّهه أن المنكر من أقسام الضعيف الوارد ، لا من أقسام الباطل الموضوع ، وإنما هذا لفظ اصطلاحوا عليه ، وجعلوه لقباً لنوع محدود من أنواع الضعيف ، كما اصطلاح النحاة على جعلهم الموصول مثلاً لقباً لبعض أنواع المعرفة ، وقد وقع للخطيب البغدادي أنه روى في تاريخه حديثاً باطلاً ، وقال عقبه : هذا حديث منكر ، فتمقبه الذهبي في الميزان وقال : العجب من الخطيب كيف يطلق لفظ المنكر على هذا الخبر الباطل ؟ وإنما أطلق المنكر على حديث القلتين ، ووصف في الميزان عدة أحاديث في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما من الكتب المعتمدة بأنها منكورة ، بل وفي الصحيحين أيضاً ، وما ذاك إلا لمعنى يعرفه الحفاظ ، وهو أن النكارة ترجع إلى الفردية ، ولا يلزم من الفردية ضعف متن الحديث ، فضلاً عن بطلانه ، وطائفة كابن الصلاح ترى أن المنكر والشاذ مترادفان ، وكما في الصحيح من حديث وُصِفَ بالشذوذ كحديث مسلم في نفي قراءة البسمة في الصلاة : فإن الإمام الشافعي رضي الله عنه حكم عليه بالشذوذ ، وليس لك أن تقول : قد شرطوا في الصحيح أن لا يكون شاذاً ، فكيف يستقيم أن يكون مخرجا في الصحيح ويحكم عليه بالشذوذ ؟ لأن هذا أيضاً من عدم معرفتك بالضعف ؛ فإن ابن الصلاح لما ذكر ضابط الصحيح وشرط أن لا يكون شاذاً ، قال في آخر الكلام : فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة ، بلا خلاف بين أهل الحديث ، فأشار إلى أن هذا ضابط الصحيح المتفق عليه ، وبقي من الصحيح نوع آخر لم يدخل في هذا الضابط ، وهو الصحيح المختلف فيه ، ولهذا قال الزركشي في شرح مختصر ابن الصلاح : خَرَجَ الصحيحُ المختلفُ فيه عن هذا التعريف ، ثم قال ابن الصلاح بعد هذا : فوائد مهمة ، إحداها الصحيحُ يتنوع إلى متفق عليه ومختلف فيه ، ويتنوع إلى مشهور وغريب ، وبين ذلك ، قال الزركشي في شرحه والحافظ ابن حجر في نكته عند هذا الموضوع : ذكر الحاكم في المدخل أن الصحيح من الحديث ينقسم إلى عشرة أقسام ، خمسة متفق عليها ، وخمسة مختلف فيها .

فالأول من القسم الأول : اختيار البخارى ومسلم ، وهو الدرجة الأولى من الصحيح ، الذى يرويه الصحابى المشهور الذى له راويان ، والأحاديث المروية بهذا الشرط لا يبلغ عددها عشرة آلاف .

الثانى : الصحيح بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى الصحابى ، وليس له إلا راوٍ واحد .

الثالث : أخبار جماعة من التابعين الذين ليس لهم إلا راوٍ واحد .

الرابع : هذه الأحاديث الأفراد والغرائب التى يرويها الثقات العدول ، تفرّد بها ثقة من الثقات ، وليس لها طرقٌ مخرجة فى الكتب .

الخامس : أحاديث جماعة من الأئمة عن آبائهم عن أجدادهم ، ولم تتواتر الرواية عن آبائهم عن أجدادهم بها إلا عنهم .

وأما الأقسام الخمسة المختلف فى صحتها ؛ فالأول : المرسل ، صحيح عند أهل الكوفة .

الثانى : رواية المدائسين إذا لم يذكروا سمعهم ، وهى صحيحة عند جماعة منهم .

الثالث : خبر يرويه ثقة من الثقات عن إمام من أئمة المسلمين فيسنده ،

ثم يرويه عنه جماعة من الثقات فيرسلونه .

الرابع : رواية محدّث صحيح السماع صحيح الكتاب ظاهر العدالة ؛ غير أنه

لا يعرف ما يحدث به ولا يحفظه ، فإن هذا القسم صحيح عند أكثر أهل

الحديث ، ومنهم من لا يرى الحجة به .

الخامس : روايات المبتدعة وأهل الأهواء ؛ فإن رواياتهم عند أهل العلم مقبولة

إذا كانوا صادقين^(١) .

قال الحاكم : فهذه الأقسام ذكرتها اثلاً يتوهم متوهم أنه ليس بصحيح

إلا ما أخرجه البخارى ومسلم ، انتهى .

(١) وبشرط ألا يشتهروا بالدعوة إلى بدعتهم أو هواهم ؛ فإنه يخشى أن يكونوا قد

اقتروا الحديث أو زادوا العبارة فيه لترويج بدعتهم أو هواهم .

إذا عرفت ذلك فقول الحافظ ابن حجر «وحدِيث ابن عباس مختلف في ثبوته» أراد به بيان أنه من قسم الصحيح المختلف فيه ، لا من القسم المتفق عليه ، وقصدَ بذلك تكملة الفائدة ؛ فإن طريقته في هذا الكتاب أنه إذا كان الحديث من القسم الأول أطلق ثبوته ، وإذا كان من القسم الثاني نبه عليه ، وفي هذا الكتاب الجليل من نفائس الصناعة الحديثية ما لا يعرفه إلا المتبحرُ في الفن كؤلُفه ، فليحذر المرء من الإقدام على التكلم في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم ، ولينم في تحصيل الفن حتى يطول بأهله ، ويرسخ قدمه ، ويتبحر فيه ؛ لئلا يدخل في حديث « مَنْ تكلم بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض » ولا يفتر بكونه لا يجد مَنْ ينكر عليه في الدنيا ، فبعد الموت يأتيه الخبر إما في القبر أو على الصراط والنبى صلى الله عليه وسلم هناك يخاصمه ، ويقول له : « كيف تجازف في حديثي وتمكلم فيما ليس لك به علم ؟ فإما أن تردَّ شيئاً قلتُه ، وإما أن تنسب إليّ ما لم أقُلْه ، أما قرأت فيما أنزلَ عليّ (ولا تقفُ ما ليس لك به علم ، إن السَّمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً)^(١) ؟ » فإيا خجلته يومئذٍ وبيا فضيحتَه ، هذا إن مات مسلماً ، وإلا عوقب والعياذ بالله بسوء الخاتمة ، كما يقول الخطباء على المنابر في بعض الخطب والذنوب ؛ فربَّ ذنب يعاقبُ العبدُ عليه بسوء الخاتمة ، وكما نقل الشيخ محي الدين القرشي الحنفي في تذكّره عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال : أكثر ما يُسَلَبُ الإيمانَ عند الموت ، وأكبر أسباب ذلك الظلم ، وأبى ظلم أعظم من الجرأة على الخوض في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم ؟ نسأل الله السلامة والعافية .

(١) من الآية ٣٦ من سورة الإسراء

الفتاوى الأصولية الدينية

مبحث الإلهيات

مسألة : في تعريف الإيمان ، وركنه ، وشرطه ، وسببه ، ومحله ، وهل يزيد وينقص ؟ وما الدليل على ذلك ؟

الجواب : الإيمان هو التصديق بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وعلم مجيئه به من الدين بالضرورة ، وشرطه التلفظ بكلماتي الشهادتين ، وقيل : هو ركن له ، وسببه النظر المؤدى إلى ذلك ، ومحله القلب ، وهو يزيد وينقص عندنا وعند أكثر السلف ، وخالف في ذلك الحنفية^(١) ، والأدلة على زيادته ونقصه كثيرة ، ذكر البخاري في صدر صحيحه منها جملة ، منها قوله تعالى : (وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا)^(٢) (وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)^(٣) ، وفي الحديث « الإيمان يزيد وينقص » أخرجه أحمد في مسنده من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً ، والديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

إتمام النعمة ، في اختصاص الإسلام بهذه الأمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد ، فقد وقع السؤال : هل كان الأمم السابقة يوصفون بأنهم مسلمون أو لا ؟

فأجبت بما نصه : اختلف العلماء : هل يطلق الإسلام على كل دين حق أو يختص بهذه الأمة الشريفة ؟ على قولين ؛ أرجحهما الثاني ، فبلغني بعد ذلك أن منكرًا أنكر ذلك ، وأنه استدلل بأشياء على كون الأمم السابقة يوصفون بكونهم مسلمين ، فعجبت من ذلك عجيبين :

(١) الخلاف في زيادة الإيمان مبنى على الخلاف في حقيقته ؛ فقال الحنفية : حقيقته التصديق الجازم وحده ، وهذا لا يزيد ولا ينقص ، وقال غيرهم : الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان ، مجموع هذه الثلاثة هو حقيقة الإيمان ؛ ولهذا قالوا يزيد وينقص .

(٢) من الآية ٣١ من سورة المدثر (٣) من الآية ١٣ من سورة الكهف

الأول : من إنكاره ؛ فإن كان أنكر أن للعلماء في ذلك قولين فهذا دليل على جهله بنصوص العلماء وأقوالهم ، ومن هذا حاله يقال في حقه ما قاله الغزالي : لو سكت من لا يعرف قل الاختلاف ، ومن قصر بابه وضاق نظره عن كلام علماء الأمة والاطلاع عليه فماله وللتكلم فيما لا يدريه ، والدخول فيما لا يعنيه ، وحق مثل هذا أن يلزم السكوت ، وإذا سمع شيئاً لم يسمعه قط يعتقد أنه استفاد فائدة جديدة فيعدها نعمة من نعم الله عليه ، ويدعو لمن أجراها على يديه ، ويشكر الله عليها ، وإن كان أنكر ترجيح القول الثاني فهذا ليس من وظيفته ، إنما ذلك من وظيفة المجتهدين العالمين بوجوه الترجيحات ومسالك الأدلة وطرق الحجج والنظر ، وإنكاره أيضاً دليل على جهله بنصوص الكتاب والسنة الواردة في ذلك .

العجب الثاني : من استدلاله ؛ فإن الاستدلال إنما يسوغ للمجتهد العالم بطريق الاستدلال ، أما غيره فماله ولذلك ؟ قال الغزالي في كتاب التفرقة : [شرط المقلد] أن يسكت ويسكت عنه ؛ لأنه قاصر عن سلوك طريق الحجج ، ولو كان أهلاً له كان مستتبهاً لا تابعاً وإماماً لا مأموماً ، وإن خاض المقلد في الحاجة فذلك منه فضول ، والمشتغل به ضارب في حديد بارد ، وطالب لإصلاح فاسد :

* وهل يضلحُ العطارُ ما أفسدَ الدهرُ ؟ *

هذه عبارة الغزالي ، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : شرطُ المفتي أن يكون مجتهداً ، وأما المقلد إذا أفتي فهو ناقل وحامل فقه ليس بمفتٍ ولا فقيه ، بل هو كمن ينقل فتوى عن إمام من الأئمة ، ثم أطال القول في ذلك .

والعجب من هذا المنكر استدلاله بآيات من القرآن ، وأيس هو من أتقن علم المعاني والبيان الذي لا تُعرف بلاغة القرآن وأساليبه إلا به ، وذلك من شروط الاجتهاد والاستنباط ، بل ولا أتقن واحداً من العلوم الخمسة عشر التي لا يجوز لأحد أن يتكلم في القرآن حتى يتقنها ، والعجب من تصدّيه لذكر أدلة ، ولو أورد عليه أدلة معارضة لما ذكره لم يدر كيف يصنع فيها .

وقد أردت أن أبسط القول في هذه المسألة بذكر أدلة القول الراجح، والأجوبة عما عارضها ، فأقول :

للعلماء في هذه المسألة قولان مشهوران ، حكاهما غير واحد من الأئمة ، أحدهما أنه يطلق الإسلام على كل دين حق ، ولا يختص بهذه الملة ، وبهذا أجاب ابن الصلاح ، والقول الثاني : أن الإسلام خاص بهذه الملة الشريفة ، ووصف المسلمين خاص بهذه الأمة المحمدية ، ولم يوصف به أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط فشرفت هذه الأمة بأن وصفت بالوصف الذي كان يُوصفُ به الأنبياء تشريفا لها وتكريما ، وهذا القول هو الراجح نقلا ودليلا ؛ لما قام عليه من الأدلة الساطعة ، وقد خُصَّت هذه الأمة من بين سائر الأمم بخصائص لم تكن لأحد سواها إلا للأنبياء [فقط] من ذلك الوضوء ، فإنه خصيصة بهذه الأمة ، ولم يكن أحد من الأمم يتوضأ إلا الأنبياء فقط ، في أشياء أخر .

أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال : إن الله أوحى إلى داود في الزبور « يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ، إلى أن قال : أمته أمة مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسول ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسول قبلهم » .

وأخرج الغرياني^(١) في تفسيره عن كعب قال : أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلا الأنبياء، كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وأنت شهيد على قومك وادعُ أجبك ، وقال لهذه الأمة : (وما جعل عليكم في الدين من حرج^(٢)) وقال : (لتكونوا شهداء على الناس^(٣)) وقال : (ادعوني أستجب لكم^(٤)) .

(١) في بعض النسخ « الغرياني » .

(٢) من الآية ٧٨ من سورة الحج

(٣) من الآية ١٤٣ من سورة البقرة

(٤) من الآية ٦٠ من سورة غافر

وأخرج أبو نعيم والبيهقي كلاهما في دلائل النبوة عن كعب قال : في كتاب الله إن لكل نبي يوم القيامة نورين ، ولكل من اتبعه نور ، ولحمد صلى الله عليه وسلم في كل شعرة في رأسه ووجهه نور ، ولكل من اتبعه نوران يمشى بهما كنور الأنبياء ، وخصائص هذه الأمة كثيرة ، وفيما أوردناه كفاية .

ذكر الأدلة للقول الراجح

الدليل الأول : قوله تعالى : (وَجَاهِدُوا^(١)) في الله حق جهاده ، هو اجتباكم ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل ، وفي هذا اختلاف في ضمير (هو) هل هو لإبراهيم أو لله ؟ على قولين سيدكران ، وقوله : (سماكم المسلمين) لو لم يكن ذلك خاصاً بهم كالذي ذكر قبله لم يكن لتخصيصه بالذكر ولا لافتترانه بما قبله معنى ، وهذا هو الذي فهمه السلف من الآية .

أخبرني الشيخ جلال الدين بن الملقن مشافهة عن أبي الفرج العزى أنبأنا يونس بن إبراهيم عن أبي الحسن بن المقير أنا الحافظ أبو الفضل بن ناصر إجازة عن أبي القاسم بن منده أنا أبي أنا أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره أخبرنا أبو يزيد القرايطسي فيما كتب إلي أنا أصبغ سمعت ابن زيد يقول في قوله تعالى : (هو سماكم المسلمين من قبل) قال : لم يذكر الله بالإسلام غير هذه الأمة ، ولم نسمع بأمة ذكرت بالإسلام غيرها ، هذا إسناد صحيح إلى ابن زيد ، وهو أحد أئمة السلف في التفسير ، وطبقته في أتباع التابعين .

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق عطاء عن ابن عباس في قوله : (سماكم المسلمين من قبل) قال : الله عز وجل سماكم المسلمين .
وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله : (هو سماكم المسلمين) قال :

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج

الله عز وجل (سماكم المسلمين من قبل) قال : يعنى من قبل الكتب كلها ومن قبل الذكر (وفي هذا) قال : القرآن .

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : (هو سماكم المسلمين) قال : الله تعالى سماكم المسلمين من قبل في الكتب وفي هذا أى في كتابكم . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن سفیان بن عيينة في قوله : (هو سماكم المسلمين من قبل) قال : في التوراة والإنجيل ، وفي هذا قال القرآن .

وذكر ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان في قوله : (هو سماكم المسلمين من قبل) قال : يعنى في الذكر في أم الكتاب (وفي هذا) قال في القرآن

فهذه نصوص أئمة السلف المفسرين من الصحابة والتابعين وأتباعهم أن الله سمى هذه الأمة المسلمين في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ وفي التوراة والإنجيل وسائر كتبه المنزلة وفي القرآن ؛ فإنه اختصهم بهذا الاسم من بين سائر الأمم ، وسيأتى الأثر عن بعض كتب الله في تسمية هذه الأمة بهذا الاسم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد في قوله : (هو سماكم المسلمين) قال : هو إبراهيم ، ألا ترى إلى قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)^(١) .

الدليل الثاني : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : (رَبَّنَا اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ)^(١) دعا بذلك لنفسه ولولده ، وهما نبيان ، ثم دعا به لأمة من ذريته وهى هذه الأمة ، ولهذا قال عقب ذلك : (رَبَّنَا وَايِّسِرْ لَنَا دِينَنَا يَا رَبَّنَا)^(٢) وهو النبي صلى الله عليه وسلم بالإجماع ، فأجاب الله دعاءه بالأميرين : يبعث النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ، وتسميتهم مسلمين ، ولهذا أشار تعالى إلى أن إبراهيم هو السبب في ذلك بقوله : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) كما تقدم عن ابن زيد .

(١) من الآية ١٢٨ من سورة البقرة (٢) من الآية ١٢٩ من سورة البقرة

أخرج ابن أبي حاتم عن سلام بن أبي مطيع في قوله : (ربنا واجعلنا مسلمين لك)^(١) قال : كأننا مسلمين ، ولكن سألاه الثبات .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله : (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك)^(١) قال : يعنيان العرب ، وفي قوله : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم)^(٢) ، قال : هو محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي العالية في قوله : (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم)^(٢) ، قال : يعنى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فليل له : قد استجيب لك ، وهو كأن في آخر الزمان .

الدليل الثالث : قوله تعالى : (ورضيت لكم الإسلام ديناً)^(٣) ، هو ظاهر في الاختصاص بهم .

فإن قلت : لا يلزم .

قلت : ذلك لجهلك بقواعد المعاني ؛ فإن تقديم (لكم) يستلزمه ويفيد أنه لم يررضه لغيرهم ، كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى : (وبالآخرة هم يوقنون)^(٤) إن تقديم (هم) تعريض بأهل الكتاب ، وأنهم لا يوقنون بالآخرة ، وكما قال الأصفهاني في قوله : (وما هم بخارجين من النار)^(٥) إن تقديم (هم) يفيد أن غيرهم يخرج منها ، وهم الموحّدون .

الدليل الرابع : قوله تعالى : (إننا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا)^(٦) ، وبهذه الآية استدل من قال : إن الإسلام كان من وصف الأنبياء دون أممهم .

أخرج ابن المنذر عن عكرمة وابن جريج في قوله : (يحكم بها النبيون) الآية ،

(١) من الآية ١٢٨ من سورة البقرة (٢) من الآية ١٢٩ من سورة البقرة

(٣) من الآية ٣ من سورة المائدة (٤) من الآية ٤ من سورة البقرة

(٥) من الآية ١٦٧ من سورة البقرة (٦) من الآية ٤٤ من سورة المائدة

- قال: يحكم بها محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الأنبياء والرسل بانبيون والأخبار ، كلهم يحكم بما فيها من الحق لليهود .

الدليل الخامس : ما أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده وابن أبي شيبة في مصنفه عن مكحول قال : « كان لعمر على رجلٍ حقٌّ ، فأتاه يطلبه ، فقال عمر : لا والذي اصطفى محمداً على البشر لا أفارقك ، فقال اليهودي : والله ما اصطفى الله محمداً على البشر ، فلطمه عمر ، فأتى اليهودي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل يا يهودي آدمٌ صفيُّ الله ، وإبراهيم خليل الله ، وموسى نبيُّ الله ، وعيسى روح الله ، وأنا حبيبُ الله ، بل يا يهودي تسمى الله باسمين سمى الله بهما أمتي ، هو السلام وسمى بها أمتي المسلمين ، وهو المؤمن وسمى بها أمتي المؤمنين ، بل يا يهودي طلبتم يوماً ذُخيراً لنا ، انا اليوم ، ولكم غد ، وبعد غد للنصارى ، بل يا يهودي أنتم الأولون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة ، بل إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها ، وهي محرمة على الأمم حتى تدخلها أمتي » .

هذا الحديث صريحٌ في اختصاص أمة بوصف الإسلام ، كما أن جميع ما فيه خصائص لها ، ولو كانت الأمم مشاركة لها في ذلك لم يحسن إيرادها في معرض التفضيل ؛ إذ كان اليهودي يقول : ونحن أيضاً كذلك وسائر الأمم .

الدليل السادس : ما أخرجه البخاري في تاريخه والنسائي في سننه وابن مردويه في تفسيره عند قوله : (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ)^(١) عن الحارث الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جَنَاءِ جَهَنَّمَ ، قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَادْعُوا بِدَعْوَةِ اللَّهِ الَّتِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ » .

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج

الدليل السابع : ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن قتادة قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لما أنزلت هذه الآية : (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا)^(١) : « نحن نحكم على اليهود وعلى من سواهم من أهل الأديان » هذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم فهم اختصاص الإسلام بدينه .

الدليل الثامن : ما أخرجه ابن جرير عند قوله : (وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(٢) عن قتادة قال : ذكر لنا أنه يمثل لأهل كل دين دينهم يوم القيامة ، فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله ويعدّهم الخير ، حتى يجيء الإسلام فيقول : رب أنت السلام وأنا الإسلام . هذا موقوف له حكم الرفع ؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأي ، وهو صريح في أن الإسلام يختص بهذا الدين ، ولا يطلق على كل دين حق ، كما ترى ، حيث فرق بينه وبين الإيمان المتعلق بأهل الأديان ، ولهذا أورده ابن جرير عند هذه الآية الدالة على اختصاصه بهذه الأمة ، وفيه تقوية للحديث السابق « هو السلام وسمي امتي المسلمين » .

الدليل التاسع : ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال : « أوحى الله إلى شعيبا إني باعث نبيا أميا مولده بمكة ومهاجره طيبة عبدى المتوكل المصطفى ، إلى أن قال : والإسلام ملته ، وأحمد اسمه » فهذا صريح في اختصاص الإسلام بملته ، وهذا الأثر أورده صاحب الشفا في كتابه ، والعجب ممن قرأه وسمعه ولم يتفطن له ، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال : بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام وهو ملة إبراهيم ، وملة اليهود والنصارى اليهودية والنصرانية .

الدليل العاشر : ما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول في قوله : (ما جعل عليكم في الدين من حرج)^(٣) هو توسعة الإسلام ، ما جعل الله من التوبة ومن الكفارات .

(١) من الآية ٤٤ من سورة المائدة

(٢) من الآية ٣ من سورة المائدة

(٣) من الآية ٧٨ من سورة الحج

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قيل له : أما علينا في الدين من حرج في أن نسرق أو نزنى ؟ قال : بلى ، قيل : فد (ما جعل عليكم في الدين من حرج) قال : الإضر الذي كان على بني إسرائيل وُضِعَ عنكم ، هذا صريح في أن الإسلام هو هذه الشريعة السهلة الواسعة بخلاف ، [دين] اليهودية والنصرانية المشتمل على الإضر والضيق ؛ فإنه لا يسمى إسلاماً .

الدليل الحادي عشر : ما أخرجه أحمد عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بالحنيفية السمحة » .

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال « قيل يارسول الله أى الأديان أحب إلى الله ؟ قال : الحنيفية السمحة » والحنيفية هي الإسلام ؛ لما أخرج ابن المنذر عن السدي قال : الحنيف المسلم ، وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره في آخر سورة الأنعام عن عبد الرحمن ابن أبزى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أصبحت على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ، وعلى ملة إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » فقوله « حنيفاً مسلماً » تفسيره لقوله : « وعلى ملة إبراهيم » فعلم بمجموع ذلك اختصاص الإسلام بملة النبي صلى الله عليه وسلم التي بعث بها موافقاً لملة إبراهيم .
الدليل الثاني عشر : قوله تعالى : (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً)^(١) هذه الآية دالة على أن شريعة موسى تسمى اليهودية ، وشريعة عيسى تسمى النصرانية ، وشريعة إبراهيم تسمى الحنيفية ، وبها بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي صريحة في أن اليهود والنصارى لم يدعوا قط أن شريعتهم تسمى الإسلام ، ولا أن أحداً منهم يسمى مسلماً .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ، قل : بل ملة إبراهيم حنيفاً)^(٢) هذه الآية كالتى قبلها في الدلالة على ما ذكرنا ، والصراحة في أنهم لم يدعوا اسم الإسلام لهم قط .

(١) من الآية ٦٧ من سورة آل عمران (٢) من الآية ١٣٥ من سورة البقرة

الدليل الرابع عشر : قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لم تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(١)) .

أخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال : ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة ، وهم الذين حاجوا في إبراهيم وزعموا أنه مات يهودياً ، فأكذبهم الله فقال : (يا أهل الكتاب لم تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ^(١)) وتزعمون أنه كان يهودياً أو نصرانياً (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الإنجيل .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال : قالت النصارى : كان إبراهيم نصرانياً ، وقالت اليهود : كان يهودياً ، فأخبرهم الله أن التوراة والإنجيل إنما أنزلتا من بعده ، وبعده كانت اليهودية والنصرانية ، هذا صريح في أن شريعة التوراة تسمى يهودية ، وشريعة الإنجيل تسمى نصرانية ، ولا يسمى واحد منهما إسلاماً .

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى : (وَقُلْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ ؟ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ^(٢)) هذه الآية دالة على أن الإسلام خاص بهذا الدين ، وإلا لكان أهل الكتاب يقولون إذا قيل لهم أسلمتم : نحن مسلمون وديننا إسلام .

الدليل السادس عشر : ما أخرجه الشيخان في حديث بدء الوحي من قول الراوي في حق ورقة « وكان امرأً تنصراً في الجاهلية » فلو كان الدين الحق من ملة عيسى يسمى إسلاماً وصاحبه مسلم اقال : وكان امرأً أسلم في الجاهلية .

الدليل السابع عشر : ما أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ بن حبان عن عبد الله ابن مسعود قال : تسمت اليهود باليهودية بكلمة قالها موسى (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) ^(٣) وتسمت النصارى بالنصرانية بكلمة قالها عيسى : (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ؟) قال الحواريون : نحن أنصار الله ^(٤) فتسموا بالنصرانية ، هذا صريح أنهم سموا بهذين الاسمين من عهد

(١) من الآية ٦٥ من سورة آل عمران (٢) من الآية ٢٠ من سورة آل عمران

(٣) من الآية ١٥٦ من سورة الأعراف (٤) من الآية ١٤ من سورة الصف

نبيهما، ولم يسموا بالمسلمين قط، ولا نقل ذلك عن أحدٍ ولا عنهم، فكيف يدعى لهم وصفٌ شريفٌ لم يدعوه هم لأنفسهم؟

الدليل الثامن عشر: ما أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاةً لا يكاد يعيش لها ولد فكانت تجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تُهوِّده، فلما جاء الإسلام - الحديث، هذا صريحٌ في أن دين موسى الحق كان يسمى يهودية لا إسلاماً.

الدليل التاسع عشر: ما أخرجه مسلم وغيره عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة ولا يهوديٌ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ إلا كان من أصحاب النار» تسمى صلى الله عليه وسلم الواحد من أهل الكتاب يهودياً أو نصرانياً، ولم يطلق على أحد منهم لفظ الإسلام، في أحاديث كثيرة لا تحصى.

الدليل العشرون: إطباق السِّنة الخلق كلهم من الصحابة والتابعين وأتباعهم والمجاهدين والفقهاء والعلماء على اختلاف فنونهم والمسلمين بأشهرهم حتى النساء في قمر بيوتهن والأطفال واليهود والنصارى والمجوس وسائر الفرق حتى الحيوانات والحجر [والشجر] في آخر الزمان على تسمية من كان على دين موسى يهودياً، ومن كان على دين عيسى نصرانياً، ومن كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم مسلماً، لا يمتري في ذلك كبير ولا صغير ولا عالم ولا جاهل ولا مسلم ولا كافر، فترى هذا الإطباق هو شيء لا عن شيء ومبني على فساد؟ كلا، بل هو الحق المطابق للواقع، والله الهادي للصواب.

ذكر الأدلة التي احتجُّ بها للقول الآخر

استند إلى قوله تعالى: (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ

بيت من المسلمين)^(١).

(١) الآيتان ٣٥ و٣٦ من سورة الذاريات

والجواب عن ذلك ما حققه صاحب القول الراجح أن هذا الوصف كان يُطلقُ فيما تقدم على الأنبياء ، والبيت المذكور بيت لوط عليه السلام ، ولم يكن فيه مسلم إلا هو وبناته ، وهو نبيٌ ، فصَحَّ إطلاقه عليه بالأصالة ، وأطلق على بناته إما على سبيل التغليب وإما على سبيل التبعية ؛ إذ لا مانع من أن يختص أولاد الأنبياء بخصائص لا يشاركون فيها بقية الأمة ، كما اختص السيد إبراهيم ابن نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه لو كان عاش لكان نبيا ، وكما اختصت فاطمة بأنه لا يتزوج عليها ، وكما اختصت أيضا بأنها تمكث في المسجد مع الحيض والجنابة ، وكذلك أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم اختصوا بذلك ، وكذلك علي بن أبي طالب والحسن والحسين اختصوا بجواز المسكث في المسجد مع الجنابة ، كل ذلك على سبيل التبعية للرسول صلى الله عليه وسلم ، فكذلك لا مانع من أن يوصف أولاد الأنبياء بما وصف به آبؤهم تبعاً لهم .

وكذلك قوله تعالى عن أولاد يعقوب عليه السلام : (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ) ^(١) إلى قوله : (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) ^(٢) إما على سبيل التبعية له إن لم يكونوا أنبياء ، مع أن فيهم يوسف وهو نبي قطعاً ، فالعله هو الذي تولى الجواب فأخبر عن نفسه بالأصالة وأدرج إخوته معه على سبيل التغليب ، وإن كانوا أنبياء كلهم فلا إشكال .

وكذلك قوله تعالى : (وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ) ^(٣) إما أن يحمل على التغليب ؛ فإنه خاطبهم وفيهم أخوه هرون ويوشع ، وهما نبيان ، فأدرج بقية القوم في الوصف تغليباً ، أو يحمل على أن المراد إن كنتم منقادين لي فيما أمركم به .

وهذه الآيات أوردت على مرة في درس التفسير ، فأجبت فيها بذلك ، ولم أر أحداً أستند إليها ، نعم رأيت ابن الصلاح استند إلى قوله تعالى : (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) ^(٤) وهذا من قول إبراهيم لبنيه ، ويعقوب لبنيه ، وفي بني كل أنبياء

(١) من الآية ١٣٣ من سورة البقرة (٢) الآية ٨٤ من سورة يونس

(٣) من الآية ١٣٢ من سورة البقرة

فلا يحسن الاستدلال به على غيرهم ، مع أنه لا يلزم منه طرده في أمة موسى وعيسى ؛ لما علم من أن ملة إبراهيم تسمى الإسلام ، وبها بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أولاد إبراهيم ويعقوب عليها ، فصَحَّ أن يخاطبوا بذلك ولا يتعدى إلى مَنْ مِلته اليهودية والنصرانية ، وقد رأيت مَنْ أورد على ابن الصلاح في اختياره ذلك قواه تعالى : (وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(١) وقال : فما فائدة ذلك إذا كان كل منهم يسمى مسلماً ، والتحقيق الذي قامت عليه الأدلة مارجحناه من الخصوصية بالنسبة إلى الأمم ، وإن كان ماورد من إطلاق ذلك فيمن تقدم فإنما أطلق على نبي أو ولد نبي تبعاله أو جماعة فيهم نبي غلب لشرفه .

ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ، قَالُوا : آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)^(٢) فإن الخوارج فيهم [أنبياء ، منهم] الثلاثة المذكورون في قوله تعالى : (إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ، فَقَالُوا : إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ)^(٣) نص العلماء على أنهم من حواريتي عيسى وأحد قولي العلماء أن الثلاثة أنبياء ، ويرشحه ذكر الوحي إليهم ، وقال الراغب في قوله : (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا)^(٤) أي الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولى العزم لأولى العزم الذين يهدون بأمر الله ويأتون بالشرائع ، انتهى .

فصل : قال قائل : من الأدلة على ذلك قوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا)^(٥) الآية ، وهذا من أعجب العجيب ؛ فإن المراد من الآية استواء الشرائع كلها في أصل التوحيد ، وليس الإسلام اسماً للتوحيد فقط ، بل لمجموع الشريعة بفروعها وأعمالها ؛ فالمستدل بهذه الآية إما أن يزعم أن الإسلام لا يطلق على

(١) من الآية ٣ من سورة المائدة

(٢) من الآية ١١١ من سورة المائدة

(٣) من الآية ١٤ من سورة يس

(٤) من الآية ٤٤ من سورة المائدة

(٥) من الآية ١٣ من سورة الشورى

الأعمال ، أو يزعم استواء الشرائع في الفروع ، وكلاهما جهل من قائله ، ثم لو قُدِّرَ الاستواء لم يصح الاستدلال ؛ لأن محل النزاع في أمر لفظي ، وهو أنه هل تسمى تلك الشرائع إسلاما أو لا تسمى ؟ مع قطع النظر عن اتفاقها في الفروع واختلافها ، وذلك راجع إلى قاعدة أن الإطلاق يتوقف على الورد ، والذي ورد به الحديثُ والأثر أنه لا يطلق على شيء من الشرائع السابقة إسلامٌ وإن كان حقا ، كما أنه لا يطلق على شيء من الكتب السابقة قرآنٌ وإن كان فيها معنى الضم والجمع ، وكما أنه لا يطلق على شيء من أواخر آي القرآن سَجْعٌ ، بل فواصل ، وقوفا مع ماورد ، وكما قال النووي : إنه لا يقال في حق النبي صلى الله عليه وسلم «عز وجل» وإن كان عزيزا جليلا ، ولا في حق غير الأنبياء صلى الله عليه وسلم وإن كانت الصلاة بمعنى الرحمة وتطلق عليهم الرحمة ، كل ذلك وقوفا مع الورد ، وقد تقدم عن ابن زيد أنه قال : لم يذكر الله بالإسلام غير هذه الأمة - وابن زيد أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير - أقرأه غفَلَ عن هذه الآيات التي استدل بها قائل هذه المقالة ؟ كلام لم يغفل عنها ، بل علم تأويلها ، واطلع على مُدْرَكِ الجواب عنها فنفى ، وهو آمِنٌ من إيرادها عليه ، وأعظم من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم خلق الله بكتاب الله حيث نص على اختصاص الإسلام بأُمَّته ، وذكر ذلك لليهودي مبينا به تمييز أُمَّته على سائر الأمم ، فلولا أنه صلى الله عليه وسلم فهم ذلك من الآيات الدالة عليه وعلم أن الآي الأخرى لا تعارضها لم يقل ذلك ، ولو كان يطلق على الأمم السابقة مسلمون لكان اليهودي يقول له : وأمة موسى أيضا مسلمون فلا مزية لأمتك عليهم ، ومن العجب من يستدل بآيات القرآن وهو غير متضلع من الحديث ، ومن المعلوم أن في القرآن الجمَلِ وَالْمُبَهَمِ والمُحْتَمَلِ ، وكل من الثلاثة محتاج إلى السنة تبينه وتعيّنه وتوضح المراد منه ، وقد قال عمر بن الخطاب : إنه سيأتي قومٌ يجادلونكم بشبهات القرآن ، فخذوهم بالسنن ، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال :

أذهب إليهم فخاصمهم ، ولا تحاججهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ، ولكن خاصمهم بالسنة ، فقال له ابن عباس : يا أمير المؤمنين أنا أعلم بكتاب الله منهم ، في بيوتنا نزل ، قال : صدقت ولكن القرآن جمال ذو وجوه ، تقول ويقولون ، ولكن حاججهم بالسنن فإنهم ان يجدوا عنها محيصاً ، فخرج إليهم فحاججهم بالسنن ، فلم تبق بأيديهم حجة .

وقال يحيى بن أبي كثير : السنة قاضية على القرآن ، أى مبينة له ومفسرة .
وقال الإمام فخر الدين : أنزل القرآن على قسمين : محكم ، ومتشابه ، ليكون فيه مجال لكل ذى مذهب فينظر فيه جميع أرباب المذاهب طمعاً أن يجد كل فيه ما يؤيد مذهبه وينصر مقالته ، فيجتهدون في التأمل فيه ، فإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ، وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ، ويوصل إلى الحق ، ولو كان القرآن كله محكماً لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد ، وكان بصريحه مبطلا لكل ماسوى ذلك المذهب ، وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه ، قال : وأيضاً إذا كان القرآن مشتملاً على المنشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض ، وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وغير ذلك ، وفي ذلك مزيد مشقة في الوصول إلى المراد منه ، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ، ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة ، فلم يكن فيه مشقة توجب مزيد الثواب ، وكان يستوى في إدراك الحق منه الخواص والعوام - هذا كلام الإمام فخر الدين .

قلت : فإذا كان كذلك فكيف يحل لمن لم يتيقن واحداً من العلوم المشترطة للتكلم في القرآن - وعدتها خمسة عشر - أن يتجرأ على الاستدلال بآيات القرآن على حكم من الأحكام أو على أمر من الأمور جاهلاً بطريق الاستدلال ، عاجزاً عن تحصيل شروطه ؟ ومثل هذا هو الذى ورد فيه الحديث « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بغيرِ عِلْمٍ فَلْيَتَّبِعُوا

مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» وَفِي رِوَايَةٍ «فَقَدْ كَفَرَ» وَالْمَعْجَبُ أَنَّهُ يَعْمَدُ إِلَى الْاِسْتِدْلَالِ بِآيَاتٍ
 مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنِ مَعَارِضِهَا وَعَنِ النَّظَرِ فِيهَا : هَلْ هِيَ مَصْرُوفَةٌ عَنِ ظَاهِرِهَا أَوْ لَا ؟
 وَقَدْ أَوْجَبَ أَهْلُ الْأَصُولِ عَلَى الْمُجْتَهِدِ الْمُسْتَدِلِّ بِآيَةِ أَوْ حَدِيثٍ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمَعَارِضِ
 وَجَوَابِهِ ، وَعَنِ الَّذِي اسْتَدَلَّ بِهِ : هَلْ مَعَهُ قَرِينَةٌ تَصْرِيفُهُ عَنِ ظَاهِرِهِ ؟ وَهَذَا نَطْحٌ مِنَ
 النَّاطِحِينَ مِنْ غَيْرِ تَأْمَلٍ وَلَا مِرَاعَاةٍ لِشَرْطِ مِنَ الشَّرْطِ ، فَلَوْ اسْتَحْيَا هَذَا الرَّجُلُ مِنَ
 اللَّهِ لَوَقَفَ عِنْدَ مَرْتَبَتِهِ وَهِيَ التَّقْلِيدُ ، وَتَرَكَ الْاِسْتِدْلَالَ لِأَهْلِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَلَوْ
 رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)^(١) وَأَوْلَى الْأَمْرِ :
 هُمُ الْمُجْتَهِدُونَ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَمَجَاهِدٌ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ
 أَوْلَى الْأَمْرِ هُمُ أَوْلَى الْفَقْهِ وَأَوْلَى الْخَبْرِ . وَلَفْظُ مُجَاهِدٍ هُمُ الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ ، وَأَخْرَجَ ابْنُ
 جَرِيرٍ عَنِ أَبِي الْعَالِيَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
 وَأَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ)^(٢) قَالَ : هُمُ أَهْلُ الْعِلْمِ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يَقُولُ : (وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى
 الرَّسُولِ وَإِلَى أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)^(١) وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَفْظَ الْفُقَهَاءِ
 وَالْعُلَمَاءِ إِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَى الْمُجْتَهِدِينَ . وَأَمَّا الْمَقْلَدُ فَلَا يُسَمَّى فُقَيْهًا وَلَا عَالِمًا ، كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ
 أَهْلُ الْفَقْهِ وَالْأَصُولِ ، وَامْتِنَاعُ إِطْلَاقِ الْفُقَيْهِ وَالْعَالِمِ عَلَى الْمَقْلَدِ كَامْتِنَاعُ إِطْلَاقِ لَفْظِ
 الْمُسْلِمِ عَلَى الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ ، خُصُوصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .
 فَصَل : ثُمَّ ظَهَرَ لِي دَلِيلٌ حَادٍ وَعِشْرُونَ ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ : « جَاءَ عُمَرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
 إِنِّي مَرَرْتُ بِأَخٍ لِي مِنْ قُرَيْظَةَ فَكُتِبَ لِي جِوَامِعٌ مِنَ التَّوْرَةِ ، أَلَا أَعْرَضُهَا عَلَيْكَ ؟
 فَتَغْيِيرُ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ عُمَرُ : رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ،
 وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا ، فَسُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي
 فِي يَدَيْهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مَوْسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ لَضَلَلْتُمْ ، إِنَّكُمْ حَظِي مِنَ الْأُمَّمِ ، وَأَنَا
 حَظِي مِنَ النَّبِيِّينَ » هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ شَرِيْعَةَ التَّوْرَةِ لَا تُسَمَّى إِسْلَامًا ؛ لِأَنَّ

(١) مِنَ الْآيَةِ ٨٣ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ (٢) مِنَ الْآيَةِ ٥٩ مِنْ سُورَةِ النَّسَاءِ

عمر لما رأى غضب النبي صلى الله عليه وسلم من كتابته جوامع من التوراة بادر إلى قوله « رضينا بالإسلام ديناً » ليبرىء نفسه من الرضا بشريعة التوراة واتباعها ، فلما قال ذلك سُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لحصول المقصود من عمر ، وهو اقتصاره على شريعة الإسلام وإعراضه عن شريعة التوراة .

دليل ثان وعشرون : وهو قوله صلى الله عليه وسلم لجبريل وقد سأله ما الإسلام؟ فقال : « الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » زاد في رواية « وتغتسل من الجنابة » وهذا صريح في أن الإسلام مجموع هذه الأعمال ، وهذا المجموع مخصوص بهذه الأمة ؛ فإن اللام في الصلاة المكتوبة للعهد ، وهي الخمس ، ولم تكتب الخمس إلا على هذه الأمة ، وصوم رمضان من خصائص هذه الأمة كما أخرجه ابن جرير عن عطاء ، والحج والغسل من الجنابة من خصائصها أيضاً كما تقدم في أثر وهب ، فدل على أن من لم يعمل هذه الأعمال لا يسمى مسلماً ، والأمم السابقة لم تعملها ، فلا يسمون مسلمين .

تحقيق — فإن قلت : ما تحرير المعنى في التخصيص بالتسمية ؟

قلت : فيه معانٍ :

أحدها : أن الإسلام اسم للشريعة السمحة السهلة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال : « أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » [وقال ابن عباس في قوله تعالى : (مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)^(١) توسعة الإسلام ووضع الإضر الذي كان على بني إسرائيل ، وشريعة اليهود والنصارى لسهولة فيها ، بل هي في غاية المشقة والنقل كما هو معلوم من قوله تعالى : (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الدِّينِ مِنْ قَبْلِنَا)^(٢) وغير ذلك ؛ فلذلك لا تسمى إسلاماً .

(١) من الآية ٧٨ من سورة الحج (٢) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة

المعنى الثاني : أن الإسلام اسم للشريعة المشتملة على قواضل العبادات من الجهاد والحج والوضوء والغسل من الجنابة ونحو ذلك ، وذلك خاص بهذه الأمة ، لم يكتب على غيرها من الأمم ، وإنما كتب على الأنبياء فقط كما تقدم في أثر وهب « أُعْطِيَتْهُمْ من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل » فلذلك سميت هذه الأمة مسلمين كما سمي بذلك الأنبياء والرسل ، ولم يسم غيرها من الأمم ، ويؤيد هذا المعنى ما أخرجه أبو يعلى من حديث علي مرفوعاً «الإسلام ثمانية أسهم : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، وصوم رمضان ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » وما أخرجه ابن جرير في تفسيره والحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال : ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله إلا إبراهيم ، قال تعالى : (وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ^(١)) قيل : ما الكلمات ؟ قال : الإسلام ثلاثون سهماً عشر في قوله : (التائبون العابدون) ^(٢) إلى آخر الآية ، وعشر في أول سورة (قد أفلح) ^(٣) و (سأل سائل) ^(٤) وعشر في الأحزاب (إن المسلمين والمسلمات) ^(٥) إلى آخر الآية ، فأتمهن كلهن فكتب له براءة ، قال تعالى : (وإبراهيم الذي وفى) ^(٦) ، وأخرج الحاكم من وجه آخر عن ابن عباس قال : سهام الإسلام ثلاثون سهماً ، لم يتمها أحد إلا إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فعرف بذلك أن الإسلام اسم لمجموع هذه السهام ، ولم تشرع كلها إلا في هذه الملة وملة إبراهيم ، ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما آية من القرآن باتباع ملة إبراهيم وهي الحنيفية .

المعنى الثالث : أن الإسلام مدارُ معناه على الانقياد والإذعان ، ولم تدعن أمة لانبياها كما أذعن هذه الأمة ، فلذلك سُموا مسلمين ، وكانت الأنبياء تدعن للرسل

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة | (٢) من الآية ١١٢ من سورة التوبة |
| (٣) من الآية ١ من سورة المؤمنين | (٤) من الآية ١ من سورة المعارج |
| (٥) من الآية ٣٥ من سورة الأحزاب | (٦) من الآية ٣٧ من سورة النجم |

الذين يأتون بالشرائع كما تقدم في عبارة الراغب فسموا مسلمين ، وكانت الأمم كثيرة الاستعصاء على أنبيائهم كما دلت على ذلك الأحاديث والآثار ، منها حديث « إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم » وقد قال المقداد يوم بدر : لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)^(١) ولكن اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مَقَاتِلُونَ ، والله لو سرت بنا إلى بَرْكِ الْعِمَادِ لَا تَبْعُنَاكَ ، وفي لفظ : لو خُضَّتْ بِنَا الْبَحْرَ لَخَضْنَاكَ مَعَكَ ؛ فإذ ذلك اختصت هذه الأمة بأن سُمُّوا مسلمين من بين سائر الأمم ، وكلما وقع في عبارة السلف من قولهم « الإسلام دين الأنبياء » ونحوه ؛ فمرادهم به دين الأنبياء وحدهم دون أممهم ، لما تقدم تقريره ، على حد قوله صلى الله عليه وسلم : « هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي » .

فصل : لما فرغت من تأليف هذه الكراسة واضطجعت على الفراش للنوم وَرَدَ عَلَيَّ قَوْلُهُ تَعَالَى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ، وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ)^(٢) فكأنما ألقى على جبل ؛ فإن هذه الآية ظاهرها الدلالة للقول بعدم الخصوصية ، وقد أفكرت فيها ساعة ولم يتَّجِهْ لى شىء ، فلجأت إلى الله تعالى ، ورجوت أن يفتح بالجواب عنها ، فلما استيقظت وقت السَّحَرِ إذا بالجواب قد فتح ، فظهر لى عنها ثلاثة أجوبة :

الأول : أن الوصف فى قوله : (مسلمين) اسم فاعل مراد به الاستقبال كما هو حقيقة فيه ، لا الحال ولا الماضى الذى هو مجاز ، والتمسك بالحقيقة هو الأصل ، وتقدير الآية إنا كنا من قبل مجيئه عازمين على الإسلام به إذا جاء ؛ لما كنا نجد فى كتبنا من نعتة ووصفه ، ونظيره قوله تعالى : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ)^(٣) فالوصفان مراد بهما الاستقبال ، أى ستموت وسيموتون ، وليس المراد بهما الحال

(١) من الآية ٢٤ من سورة المائدة

(٢) من الآية ٥٣ من سورة القصص

(٣) من الآية ٣٠ من سورة الزمر

قطعا كما هو ظاهر ، فكذلك المراد في الآية إنا كنا من قبله ناوين أن سنسلم إذا جاء ، ويرشح هذا الجواب أن السياق يرشد إلى أن قصدهم الإخبار بحقيقة القرآن ، وأنهم كانوا على قصد الإسلام به إذا جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لما كان عندهم من صفاته ، وظهر لهم من دنو زمانه واقتراب بعثته ، وليس قصدهم الثناء على أنفسهم في حد ذاتهم بأنهم كانوا بصفة الإسلام أولا ، فإن ذلك ينبو عنه المقام كما لا يخفى .

الجواب الثاني : أن يقدر في الآية إنا كنا من قبله به مسلمين ، فوصف الإسلام سببه القرآن لا التوراة والإنجيل ، ويرشح ذلك ذكر الصلة في الآية الأولى حيث قال : (هم به يؤمنون) فدل على أن الصلة مرادة في الثانية أيضا ، وإنما حذفت كراهة لتكرارها في الآية [مرتين ، حيث ذكرت في قوله : (قالوا آمنا به) وكره إعادتها مرة أخرى في الآية] وحذفت إزالة لتعلق التكرار .

الجواب الثالث : أن هذا الوصف منهم بناء على [ما هو] مذهب الأشعري من أن من كتب الله أنه يموت مؤمنا فهو يسمى عند الله مؤمنا ولو في حالة كفر سبقت ، وكذا بالعكس والعياذ بالله ، وإنما لم يطلق عليه هذا الوصف عندنا لعدم علمنا بالخواتم والمستقبلات ، فكذلك هؤلاء ، لما ختم لهم بالدخول في الإسلام وصنوا أنفسهم به من أول أمرهم ؛ لأن العبرة في هذا الوصف بالخاتمة ، وإذا كان الكافر المشرك يوصف في حال شركه بأنه مؤمن عند الأشعري لما قدر له من الإيمان عند الخاتمة ، فلأن يوصف بالإسلام [من كان على دين حق لما قدر له من الدخول في الإسلام عند الخاتمة من باب أولى ، وهذا معنى دقيق استفدناه في هذه الآية من قواعد علم الكلام ، وبهذا يعرف أن من لم يتقن العلوم كلها ويطلع على مذاهب علماء الأمة ومداركها وقواعدها لم يمكنه استدلال ولا استنباط ، وهذا أمر ليس بالهين .

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

فصل : حيث ذكر الله هذه الأمة في القرآن ذكرها بالإسلام أو الإيمان خطاباً وغيبية كقوله: (هو سماكم المسلمين)^(١) (يا أيها الذين آمنوا)^(٢) (أيها المؤمنون)^(٣) وحيث ذكر الأمم السابقة لم يصفهم قط بإسلام ، لا إن ذمهم ولا إن مدحهم ، بل [قال] : (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين)^(٤) وقال : (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم)^(٥) وقال : (يحكم بها النبيون الذين أسلموا الذين هادوا)^(٦) وقال : (لتجدنَّ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدنَّ أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا)^(٧) الآيات ، فهذه الآية ذكرت مدحاً لمؤمني النصارى ، ولم يسمهم مسلمين ، بل قال : (الذين قالوا إنا نصارى)^(٧) وقال في غير آية عند مدح المؤمنين منهم ومن اليهود : (الذين آتيناهم الكتاب) (وإن من أهل الكتاب) فأكثر ما أطلق عليهم عند المدح وصفهم بأنهم أوتوا الكتاب ، ومن أهل الكتاب ، هذا في كتابنا ، وأما كتبهم فوصف فيها هذه الأمة بالإسلام كما قال : (هو سماكم المسلمين من قبل)^(١) قال سفيان بن عيينة : أي في التوراة والإنجيل ، ولم يصفهم فيها بإسلام البتة ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن خيشمة قال : ما تقرءون في القرآن يا أيها الذين آمنوا فإنه في التوراة يا أيها المساكين .

فصل : رأيت في كلام الإمام أبي عبد الله بن أبي الفضل المرسي ما يشهد لما قدمته ، فقال في تفسيره عند قوله تعالى : (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم)^(٨) ما نصه : لما قال الفريقان إن إبراهيم على دينهما ، ردَّ عليهما وأخبر أنه على الإسلام ، قال : فإن قيل : كيف يكون على الإسلام وهو أيضاً نازل بعده ، قيل : القرآن أخبر

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) من الآية ٧٨ من سورة الحج | (٢) من الآية ٣٣ من سورة محمد |
| (٣) من الآية ٣١ من سورة النور | (٤) من الآية ٦٢ من سورة البقرة |
| (٥) من الآية ٦ من سورة الجمعة | (٦) من الآية ٤٤ من سورة المائدة |
| (٧) من الآية ٨٢ من سورة المائدة | (٨) من الآية ٦٥ من سورة آل عمران |

بذلك ، وما أخبرت كتبهم بما ادَّعَوْا .

فإن قيل : إن أريد بكون إبراهيم مسلماً كونه موافقاً لهم في الأصول فهو أيضاً موافق لليهود والنصارى الذين كانوا على ما جاء به موسى وعيسى في الأصول ، فإن جميع الأنبياء متوافقون في الأصول ، وإن أريد به في الفروع فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مقررراً لشارعاً ، وأيضاً فإن التقيد بالقرآن ما كان موجوداً في زمان إبراهيم ، فتلاوته مشروعة في صلاتنا ، وغير مشروعة في صلاتهم .

قيل : أريد الفروع ، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم شارعاً لا مقررراً ؛ لأن الله نسخ شريعة إبراهيم بشريعة موسى وعيسى ، ثم نسخ محمد صلى الله عليه وسلم شريعتهم ، فكان صاحب شريعة لذلك ، ثم لما كان موافقاً في الأكثر وإن خالفه في الأقل لم يقدح ذلك في الموافقة ، انتهى كلام المرسي ، وهو سؤال حسن وجواب نفيس .

فصل : دليل ثالث وعشرون ، وهو قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)^(١) قال أهل التفسير : نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب وبقى على تعظيم بعض شريعته كالسبت وترك لحوم الإبل ، فأمرهم أن يدخلوا في شرائع الإسلام كافة ، ولا يتمسكوا بشيء من أحكام التوراة لأنها منسوخة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان^(١)) في التمسك ببعض أحكام التوراة بعد أن عرفتم نسخها ، و(كافة) من وصف السلم كأنه قيل : ادخلوا في جميع شرائع الإسلام اعتقاداً وعملاً ، هذه عبارة المرسي في تفسير هذه الآية ، وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية قال : نزلت في مؤمني أهل الكتاب ، تمسكوا ببعض أمور التوراة والشرائع التي أنزلت فيهم ، يقول : ادخلوا في شرائع دين محمد ، ولا تدعوا منها شيئاً ، وهذا صريح في أن شريعة التوراة لا تسمى إسلاماً .

(١) من الآية ٢٠٨ من سورة البقرة

تنبيه : ذكر السبكي في عبارته لما تكلم على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الجن عدّة آيات من القرآن استدلت بها على ذلك ، ثم قال عقب ذلك : واعلم أن المقصود بتكثير الأدلة أن الآية الواحدة والآيتين قد يمكن تأويلها ، ويتطرق إليها الاحتمال ، فإذا كثرت قد تترقى إلى حد يقطع بإرادتها ظاهراً ، ونفى الاحتمال والتأويل عنها ، انتهى .

أقول : ولذلك أوردنا هنا ثلاثة وعشرين دليلاً ؛ لأن كل دليل منها على انفراده قد يمكن تأويله وتطرق احتمال إليه ، فلما كثرت هذه الكثرة ترقى إلى حدّ غلب على الظن إرادة ظاهرها ، ونفى الاحتمال والتأويل عنها ، وعبرت بغلبة الظن دون القطع لأجل ما عارضها من الآيات التي استدلت بها للقول الآخر ، وهذا مقام لا ينظر فيه ويحكم بالترجيح إلا المجتهد ، والله الموفق .

آخر الكتاب : قال مؤلفه شيخنا نفع الله المسلمين ببركته : ألفت في شوال سنة ثمان وثمانين وثمانمائة .

مسألة :

يا مفرداً باجتهاد في الأوان ، ويا
بجهر الوفا والصفاء والعلم والعمل
ما حدّ توحيدنا لله خالقنا
سبحانه جلّ عن أين وعن مثل

الجواب : روينا بإسناد صحيح من طريق المزني أن رجلاً سأله عن شيء من الكلام ، فقال : إني أكره هذا ، بل أنهي عنه كما نهى عنه الشافعي ، فلقد سمعتُ الشافعي يقول : سئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك : محال أن نظن بالنبي عليه الصلاة والسلام أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام : « أمّرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد ، هذا جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن هذا السؤال ، وبه أجبت .

تنزيه الاعتقاد ، عن الحلول والاتحاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

القول بالحلول والاتحاد الذي هو أخو الحلول أول من قال به النصارى ، إلا أنهم خصّوه بعيسى عليه السلام ، أو به وبمريم أمه ، ولم يعدّوه إلى أحد ، وخصّوه باتحاد الكلمة دون الذات ، بحيث إن علماء المسلمين سلكوا في الرد عليهم طريق إلزامهم ، بأن يقولوا بمثل ذلك في موسى عليه السلام ، وفي الذات أيضاً ، وهم لا يقولون بالأمرين ، وإذا سلموا بطلان ذلك لزم إبطال ما قالوه .

وأما المتوسمون بسمه الإسلام فلم يتدع أحد منهم هذه البدعة ، وحاشاهم من ذلك ؛ لأنهم أذكي فطرةً وأصح لباً من أن يمشى عليهم هذا الحال ، وإنما مشى ذلك على النصارى ؛ لأنهم أبعد الخلق أذهاناً ، وأعمام قلوباً ، غير أن طائفة من غلاة المتصوفة نقل عنهم أنهم قالوا بمثل هذه المقالة ، وزادوا على النصارى في تعديد ذلك ، والنصارى قصره على واحد ، فإن صح ذلك عنهم فقد زادوا في الكفر على النصارى ، وأحسن ما اعتذر به عن صدرت منه هذه الكلمة الدالة على ذلك - وهي قوله «أنا الحق» - بأنه قال ذلك في حال سكر واستغراق [و] غيبوبة عقل ، وقد رفع الله التكليف عن غاب عقله وألغى أقواله ، فلا تعدّ مقالته هذه شيئاً ، ولا يلتفت إليها ، فضلاً عن أن تعدّ مذهباً ينقل .

وما زالت العلماء ومحققو الصوفية يبينون بطلان القول بالحلول والاتحاد ، ويذنبون على فساده ، ويحذرون من ضلاله ، وهذه نبذة من كلام الأئمة في ذلك .

قال حجة الإسلام الفزالي في الإحياء في باب السماع : الحالة الرابعة سماع من جاوز الأحوال والمقامات فعزّب عن فهم ما سوى الله تعالى ، حتى عزّب عن نفسه

وأحوالها ومعاملاتها ، وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود الذي يضاهاى حاله حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن في مشاهدة جمال يوسف حتى بهتت وسقط إحساسهن ، وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بأنه قد فنى عن نفسه ، ومهما فنى عن نفسه فهو عن غيره أفنى ، فكأنه فنى عن كل شيء إلا عن الواحد المشهود ، وفنى أوضاع الشهود فإن القلب أيضا إذا التفت إلى الشهود وإلى نفسه بأنه مشاهد فقد غفل عن المشهود ، فالمستهتر بالمرئى لا التفات له في حال استغراقه إلى رؤيته ، ولا إلى عينه التي بها رؤيته ، ولا إلى قلبه الذي به لذته ، فالسكران لا خبرة له من سكره ، والمتلذذ لا خبرة له من التذاده ، إنما خبرته من المتلذذ به فقط ، ومثاله العلم بالشيء فإنه مغاير للعلم بالعلم بذلك الشيء ، فالعالم بالشيء مهما ورد عليه العلم بالعلم بالشيء كان معرضا عن الشيء ، ومثل هذه الحالة قد تطرأ في حق المخلوقين ، وتطرأ أيضا في حق خالقية الخالق ، ولكنها في الغالب تكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم ، فإن دام لم تطقه القوى البشرية ، فربما يضطرب تحت أعبائه اضطرابا تهلك فيه نفسه ، فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد ، وهي أعلى الدرجات ؛ لأن السماع على الأحوال وهي ممتزجة بصفات البشرية ، وهو نوع قصور ، وإنما الكمال أن يفنى بالكلية عن نفسه وأحواله ، أعنى أنه ينساها فلا يبقى له التفات إليها كما لم يكن للنسوة التفات إلى الأيدي والسكاكين ، فيسمع بالله والله وفي الله ومن الله ، وهذه رتبة من خاض لجة الحقائق ، وعبر ساحل الأحوال والأعمال ، واتحد لصفاء التوحيد ، وتحقق بمحض الإخلاص ، فلم يبق فيه منه شيء أصلا ، بل خمدت بالكلية بشريته ، وفنى ألتفاتة إلى صفات البشرية رأسا .

إلى أن قال : ومن هنا نشأ خيال من أدعى الحلول والاتحاد وقال «أنا الحق» وحواله يدندن كلام النصارى في دعوى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، أو تدرعها بها ، أو حلولها فيها ، على ما اختلفت فيه عباراتهم ، وهو غلط محض ، هذا كله لفظ الغزالي .

وقال أيضا في باب المحبة : مَنْ قَوِيَتْ بِصَيْرَتِهِ وَلَمْ تَضْعَفْ مُنْتَهَ فَإِنَّهُ فِي حَالِ اعْتِدَالِ أَمْرِهِ لَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ ، وَلَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ ، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَفْعَالُهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ ، فَهِيَ تَابِعَةٌ لَهُ ، فَلَا وَجُودَ لَهَا بِالْحَقِيقَةِ دُونَهُ ، وَإِنَّمَا الْوُجُودُ لِلْوَاحِدِ الْحَقِّ الَّذِي بِهِ وَجُودُ الْأَفْعَالِ كُلِّهَا ، وَمَنْ هَذَا حَالُهُ فَلَا يَنْظُرُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَفْعَالِ إِلَّا وَيَرَى فِيهِ الْفَاعِلَ ، وَيَذْهَبُ عَنِ الْفِعْلِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَحَيَوَانٌ وَشَجَرٌ ، بَلْ يَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَثَرُهُ ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ صَنَعَ ، فَلَا يَكُونُ نَظْرُهُ مَجَاوِزًا لَهُ إِلَى غَيْرِهِ ، كَمَنْ نَظَرَ فِي شَعْرِ إِنْسَانٍ أَوْ خَطِّهِ أَوْ تَصْنِيفِهِ وَرَأَى فِيهِ الشَّاعِرَ وَالْمُصَنِّفَ وَرَأَى آثَرَهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ أَثَرُهُ ، لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ حَبَرَ وَعَفْصَ وَزَاجَ مَرْقُومٍ عَلَى بِيَاضٍ ، فَلَا يَكُونُ قَدْ نَظَرَ إِلَى غَيْرِ الْمُصَنِّفِ ، وَكَذَا الْعَالَمَ صَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَعَلَ اللَّهُ وَعَرَفَهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَعَلَ اللَّهُ وَأَحْبَبَهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَعَلَ اللَّهُ لَمْ يَكُنْ نَاطِقًا إِلَّا فِي اللَّهِ ، وَلَا عَارِفًا إِلَّا بِاللَّهِ ، وَلَا حَاجِبًا إِلَّا لِلَّهِ ، وَكَانَ هُوَ الْمَوْحِدَ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَرَى إِلَّا اللَّهَ ، بَلْ لَا يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ حَيْثُ نَفْسِهِ ، بَلْ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ إِنَّهُ فَنَى فِي التَّوْحِيدِ ، وَإِنَّهُ فَنَى عَنِ نَفْسِهِ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ مَنْ قَالَ : كُنَّا بِنَا فَنَيْنَا [عَنَا ، فَبَقِينَا] بَلَا نَحْنُ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ مَعْلُومَةٌ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْصَارِ ، أَشْكَتْ لَضَعْفِ الْأَفْهَامِ عَنْ دَرْكِهَا ، وَقُصُورِ قُدْرَةِ الْعُلَمَاءِ بِهَا عَنْ إِضَاحِهَا وَبَيَانِهَا بِعِبَارَةٍ مَفْهُومَةٍ مُوَصَّلَةٍ لِلْغَرَضِ إِلَى الْأَفْهَامِ ، أَوْ لِاشْتِغَالِهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ بَيَانَ ذَلِكَ لَغَيْرِهِمْ مِمَّا لَا يَعْنِيهِمْ .

ثم قال : وقد تحزب الناس إلى قاصرين مالوا إلى التشبيه الظاهر ، وإلى غالين مُسْرِفِينَ تَجَاوَزُوا إِلَى الْإِتْحَادِ ، وَقَالُوا بِالْحُلُولِ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ « أَنَا الْحَقُّ » وَضَلَّ النَّصَارَى فِي عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا : هُوَ الْإِلَهُ ، وَقَالَ آخَرُونَ : تَدَّرَعَ النَّاسُوتُ بِاللَّاهُوتِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : اتَّحَدَ بِهِ ، وَأَمَّا الَّذِينَ انْكَشَفَ لَهُمْ امْتِحَالَةُ التَّشْبِيهِ

والتمثيل واستحالة الاتحاد والحلول واتضح لهم وجهُ الصواب فهم الأقلُّون ، انتهى كلام الغزالي .

وبدأنا بالنقل عنه ، لأنه فقيه أصولي متكلم صوفي ، وهو أجلُّ من اعتمد عليه في هذا المقام ؛ لاجتماع هذه الفنون فيه .

وقال إمام الحرمين في الإرشاد : أصلُ مذهب النصارى أن الاتحاد لم يقع إلا بالمسيح عليه السلام دون غيره من الأنبياء ، واختلفت مذاهبهم فيه ، فزعم بعضهم أن المعنى به حلول الكلمة جسّد المسيح لا يحل العرّضُ محله ، وذهبت الروم إلى أن الكلمة ما زَجَتْ جسّد المسيح ، وخالطته مخالطة الخمر اللبن ، وهذا كله خَبْط .

وقال الأستاذ أبو بكر بن فورك في كتابه المسمى بالنظامي في أصول الدين : قالت النصارى : إن عيسى عليه السلام لاهوتي ناسوتي ، وتكلموا في حلول الكلمة لمريم عليها السلام ؛ فمنهم من قال : إن الكلمة حَلَّتْ في مريمُ حلول الممازجة كما يحل الماء في اللبن حلول الممازجة والمخالطة .

ومنهم من قال : إنها حلت فيها من غير ممازجة كما أن شخص الإنسان يتبين في المرآة الصقيلة من غير ممازجة بينهما .

ومنهم من قال : إن مثل اللاهوت مع الناسوت مثل الخاتم مع الشمع في أنه يؤثر فيه حتى يتبين فيه النقش ، ثم لا يبقى فيه شيء من الأثر .

والأول طريقة اليعقوبية ، والثاني طريقة الملكية ، والثالث طريق النسطورية .

ثم قال : واعلم أنهم قالوا بالاتحاد ، فقالت طائفة منهم في معنى الاتحاد : الكلمة التي هي كنُ حَلَّتْ جسّد المسيح ؛ وقالت اليعقوبية : إن الاتحاد اختلاط وامتزاج وزعمت أن كلمة الله انقلبت لحما ودما بالاتحاد ؛ وقالت طائفة منهم : إن الاتحاد هو أنه أودعها بإظهار روح القدس عليه .

وقد حکینا عن قال : یجری هذا الأتحاد مجری وقوع الهیئة فی المرآة والنقش من الخاتم فی الشمع وما جرى مجراه ، ویقال لهذه الطائفة منهم : إن ظهور هذه الصورة فی المرآة والشیء الصقيل ليس اختلاط شیء بشیء ، ولا انتقال شیء إلى شیء ، بل أجرى الله العادة بأن الواحد إذا قابل الشیء الصقيل خلق الله له رؤية یرى بها نفسه ، وأما أن یكون فی الصقيل على شیء فلا ، أما ترى أنه إن لمس وجهه فوجه نفسه لمس ، لا وجه ظهر فيه ؛ فعلم أنه ليس فی المرآة شیء ، وهذا القول یوجب علیهم الإقرار بأنه ليس من القديم سبحانه وتعالى فی مریم ولا فی عیسی شیء ، ویبطل علیهم القول بأنه لاهوتی وناسوتی ، وكذلك القول فی الخاتم ونقشه مع الشمع ، فایس یحصل من الفص فی الشمع شیء ، وإنما یترب الشمع ترکیباً من بعضه فی بعض ، ثم إن هذا الذی ذکره كله إنما یجوز بین المتماثلین المتجاورین المتلاصقین الجسمین المحدودین للذین یجوز فیهما حلول الحوادث وتغیر الأوصاف ، والله تعالى یتنزه عن ذلك كله .

وأما قولهم إن الكلمة انقلبت لحماً ودماً فلا یجوز ؛ لأنه لو جاز ذلك لجاز أن ینقلب القديم محدثاً ، ولو جاز ذلك لجاز انقلاب المحدث قديماً ، فیبطل الفصل بینهما ، وهذا محال ، فبطل ما قالوه ، انتهى .

وقال الإمام فخر الدین الرازی فی کتاب المحصل فی أصول الدین : مسألة الباری تعالی لا یتحد بغيره ؛ لأنه حال الأتحاد إن بقیا موجودین فهما اثنان لا واحد ، وإن صاروا معدومین فلم یتحدا ، بل حدث ثالث ، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر فلم یتحد ؛ لأن المعدوم لا یتحد بالموجود .

وقال الإمام أفضی القضاة أبو الحسن الماوردی صاحب الحاوی الكبير فی مناظرة ناظرها لبعض النصارى فی ذلك : [القائل] بالحلول أو الأتحاد ليس من المسلمین بالشريعة ، بل فی الظاهر والتسمية ، ولا ینفع التنزیه مع القول بالأتحاد والحلول ؛ فإن دعوى التنزیه مع ذلك إلحاد ، وكيف یصح توحید مع اعتقاد أنه

سبحانه حلّ في البشر المأخوذ من مريم ، وهناك حلوله إما حلول عرض في جوهر فيقولون بأنه عرض ، أو حلول تداخل الأجسام فهو جسم ، وهناك إن حل كله فقد انحصر في قالب البشرى وصار ذا نهاية وبداية ، أو بعضه فقد انقسم وتبعض ، وكل هذه الأمور أباطيل وتضاليل .

وقال القاضي عياض في الشفا مامعناه : أجمع المسلمون على كفر أصحاب الحلول ومن ادعى حلول الباري سبحانه في أحد الأشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة .

وقال في موضع آخر : ما عرّف الله من شبهه وجسمه من اليهود ، أو أجاز عليه الحلول ، والانتقال ، والامتزاج ، من النصارى ، ونقله عنه النووي في شرح مسلم .

وقال القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم)^(١) : هذا قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد ، وقال في قوله تعالى : (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه)^(٢) : أي ألا يتوبون بالانتفاء عن تلك العقائد والأقوال الزائفة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في قواعد الكبرى : ومن زعم أن الإله يحلّ في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر ؛ لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسيم على الناس ، فإنهم لا يفهمون موجوداً في غير جهة ، بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ، ولا يخطر على قلب عاقل ، فلا يعنى عنه ، انتهى .

قلت : مقصود الشيخ أنه لا يجري في تكفيرهم الخلاف الذي جرى في المجسمة ، بل يقطع بتكفير القائلين بالحلول إجماعاً ، وإن جرى في المجسمة خلاف .

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في أول الحلية : أما بعد فقد استعنت بالله

(١) من الآية ٧٣ من سورة المائدة (٢) من الآية ٧٤ من سورة المائدة

(١٦ - الحاوي ٢)

وأجبتك إلى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم ، وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجبتهم ، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق ، وبأشكال الأحوال والطرقات ، وساكن الرياض والحدائق ، وفارق العوارض والعلائق ، وتبرأ من المنتظمين والمتعمقين ، ومن أهل الدعاوى من المتصوفين ، ومن الكسالى والمتثبطين والمشبهين بهم في اللباس والمقال ، والمخالفين لهم في العقيدة والفعال ، وذلك لما بلغك من بسط لساننا وألسنة أهل الفقه والآثار في كل القطر والأمصار في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار ، والمباحية والحلولية الكفار ، وليس ما حل بالكذبة من الوقعة والإنكار ، بقادح في منقبة البررة الأخيار ، وواضع من درجة الصفوة الأبرار .

وقال صاحب [كتاب] معيار المريدين : اعلم أن مذهباً أغلاط الفرق التي غلطت في الاتحاد والحلول جهلهم بأصول الدين وفروعه ، وعدم معرفتهم بالعلم ، وقد وردت الأحاديث والآثار بالتحذير من عابد جاهل ، فمن لا يكون له سابقة علم لم ينتج ، ولم يصح له سلوك ، وقد قال سهل بن عبد الله التستري : اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس : الجبارة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ؛ فافهم ولا تغلط فإن الدين واضح .

قال : واعلم أنه وقع في عبارة بعض المحققين لفظ الاتحاد إشارة منهم إلى حقيقة التوحيد ؛ فإن الاتحاد عندهم هو المبالغة في التوحيد ، والتوحيد معرفة الواحد والأحد ، فاشتبه ذلك على من لا يفهم إشاراتهم ، فحملوه على غير محمله ، فغلطوا ، وهلكوا بذلك .

قال : والدليل على بطلان اتحاد العبد مع الله تعالى أن الاتحاد بين مربوبين محال ؛ فإن رجلين مثلاً لا يصير أحدهما عين الآخر لتباينهما في ذاتيهما كما هو معلوم ، فالتباين بين العبد والرب سبحانه وتعالى أعظم ، فإذا أصل الاتحاد باطل محال مردود شرعاً وعقلاً وعرفاً بإجماع الأنبياء والأولياء ومشايخ الصوفية وسائر العلماء

والمسلمين ، وليس هذا مذهب الصوفية ، وإنما قاله طائفة غُلَاة لقلّة علمهم وسوء حفظهم من الله تعالى ، فشابهوا بهذا القول النصارى الذين قالوا في عيسى عليه السلام : اتَّخَذَ نَاسُوتَهُ بِلَاهُوتِهِ ، وأما مَنْ حفظه الله تعالى بالعناية فإنهم لم يعتقدوا اتحاداً ولا حلولا ، وإن وقع منهم لفظ الاتحاد فإنما يريدون به مَحْوَ أنفسهم ، وإثبات الحق سبحانه .

قال : وقد يذكر الاتحاد بمعنى فناء المخالفات وبقاء الموافقات ، وفناء حظوظ النفس من الدنيا وبقاء الرغبة في الآخرة ، وفناء الأوصاف الذميمة وبقاء الأوصاف الحميدة ، وفناء الشك وبقاء اليقين ، وفناء الغفلة وبقاء الذكر .

قال : وأما قول أبي يزيد البسطامي « سبحانهى ، ما أعظم شأنى » فهو في معرض الحكاية عن الله ، وكذلك قول من قال « أنا الحق » محمول على الحكاية ، ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد ؛ لأن ذلك غير مظنون بعقل ، فضلا عن التمييز بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات ، ولا يظن بالعقلاء التمييزين على أهل زمانهم بالعلم الراجح والعمل الصالح والمجاهدة وحفظ حدود الشرع الفِطْرُ بالحلول والاتحاد ، كما غلط النصارى في ظنهم ذلك في حق عيسى عليه السلام ، وإنما حدث ذلك في الإسلام من واقعات جهلة المتصوفة ، وأما العلماء العارفون المحققون فحاشاهم من ذلك ؛ هذا كله كلام معيار المرادين بلفظه .

والحاصل أن لفظ الاتحاد مشترك ؛ فيطلق على المعنى المذموم الذى هو أخو الحلول ، وهو كفر ، ويطلق على مقام الفناء اصطلاحاً — اصطلاح عليه الصوفية — ولا مشاحة في الاصطلاح ؛ إذ لا يمنع أحد من استعمال لفظ في معنى صحيح لا محذور فيه شرعاً ، ولو كان ذلك ممنوعاً لم يجز لأحد أن يتفوه بلفظ الاتحاد ، وأنت تقول : بينى وبين صاحبي زيد اتحاداً ، وكم استعمل المحدثون والفقهاء والنحاة وغيرهم لفظ الاتحاد في معان حديثة وفقهية ونحوية كقول المحدثين : اتحاد مخرج الحديث ، وقول الفقهاء : اتحاد نوع الماشية ، وقول النحاة : اتحاد العامل لفظاً أو معنى ،

وحيث وقع لفظ الاتحاد من محققى الصوفية فإنما يريدون به معنى الفناء الذى هو
محو النفس وإثبات الأمر كله لله سبحانه ، لا ذلك المعنى المذموم الذى يقشعر له
الجلد ، وقد أشار إلى ذلك سيدى على بن وفا ، فقال من قصيدة له :

يظنوا بي حُلُولاً واتحاداً وقلبي من سوى التوحيد خالى

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول ، وقال من أبيات آخر :

وعلمك أن كل الأمرِ أمرى هوَ المعنى المسَمَى باتحاد

فذكر أن المعنى الذى يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو تسليم الأمر كله لله ،
وترك الإرادة معه والاختيار ، والجري على مواقع أقداره من غير اعتراض ، وترك
نسبة شئ ، ما إلى غيره .

وقال صاحب كتاب «نهج الرشاد» ، فى الرد على أهل الوحدة والحلول والاتحاد :

حدثنى الشيخ كمال الدين المراغى عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه قال له
مرة : الكفار إنما انتشروا فى بلادكم لانتشار الفلسفة هناك ، وقلة اعتنائهم
بالشريعة والكتاب والسنة ، قال : فقلت له : فى بلادكم ما هو شرٌّ من هذا ،
وهو قول الاتحادية ، فقال : هذا لا يقوله عاقل ؛ فإن قول هؤلاء كلُّ أحدٍ
يعرف فساده .

قال : وحدثنى الشيخ كمال الدين المذكور قال : اجتمعتُ بالشيخ أبى العباس

المرسى تلميذ الشيخ الكبير أبى الحسن الشاذلى ، وفاوضته فى هؤلاء الاتحادية ،
فوجدته شديد الإنكار عليهم ، والنهى عن طريقهم ، وقال : أتكون الصنعة

هى الضائع ؟ انتهى

قلت : ولهذا كانت طريقة الشاذلى هى أحسن طرق التصوف ، وهى

فى المتأخرين نظير طريقة الجنيد فى المتقدمين ، وقد قال الشيخ تاج الدين بن السبكي

فى كتاب جمع الجوامع : وأن طريق [الشيخ] الجنيد وصحبه طريق مقوم ، وكان

والده شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يلازم مجلس الشيخ تاج الدين بن عطاء الله ،

يسمع كلامه ووعظه ، ونقل عنه في كتابه المسمى « غيرة الإيمان الجلي » فائدة حسنة في حديث « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي » فقال : إنه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت له تجليات ، فرأى في بعضها سائر أمته الآتين من بعده ، فقال مخاطباً لهم : « لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فلو أنفق أحدكم مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفه » وارتضى السبكي منه هذا التأويل ، وقال : إن الشيخ تاج الدين كان متكلم الصوفية في عصره على طريق الشاذلية ، انتهى .

قلت : وهو تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي ، والشيخ أبو العباس تلميذ الشاذلي وقد طالمت كلام هؤلاء السادة الثلاثة فلم أرفيه حرفاً يحتاج إلى تأويل ، فضلاً عن أن يكون منكراً صريحاً ، وما أحسن قول سيدي علي بن وفا :

تمسك بجمب الشاذلية تلق ما تروم ، وحقق ذا الرجاء وحصل
ولا تعدون عينك عنهم ، فإنهم شمس هدى في أعين المتأمل

ثم قال صاحب نهج الرشاد : وما زال عبادُ الله الصالحون من أهل العلم والإيمان ينكرون حال هؤلاء الاتحادية ، وإن كان بعض الناس قد يكون أعلم وأقدر وأحكم من بعض في ذلك .

وقال الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح المقاصد : وأما المنتمون إلى الإسلام فمنهم بعض غلاة الشيعة القائلون بأنه لا يمتنع ظهور الروحاني في الجسماني كجبريل في صورة دحية الكلبي ، وبعض الجن أو الشياطين في صورة الأناسي ، قالوا : فلا يبعد أن يظهر الله تعالى في صورة بعض الكاملين ، وأولى الناس بذلك على وأولاده ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال : ومنهم بعض المتصوفة القائلون بأن السالك إذا أمعن في السلوك ، وخاض معظم لجة الوصول ، فر بما يحل الله فيه - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - كالنار في الجمر بحيث لا تمايز ، أو يتحد به بحيث لا اثنيانية ولا تغاير ، وصح أن يقول « هو أنا ، وأنا هو » .

قال : وفساد الرأيين غنى عن البيان .

قال : وهمنا مذهبنا آخران يوهان الحلول أو الاتحاد ، وليس آمنه في شيء ؛
الأول : أن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله وفي الله يستغرق في بحر التوحيد
والعرفان ، بحيث تضحل ذاته في ذاته تعالى وصفاته في صفاته ، وتغيب عن كل
ما سواه ، ولا يرى في الوجود إلا الله تعالى ، وهذا هو الذي يسمونه الفناء في
التوحيد ، وحينئذ ربما تصدُر عنه عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة
عن بيان تلك الحال ، وبعُد الكشف عنها بالمقال ، ونحن على ساحل التمني نعترف
من بحر التوحيد بقدر الإمكان ، ونعترف بأن طريق الفناء فيه العيان دون البرهان ،
والله الموفق .

ثم ذكر في المذهب الثاني - وهو القول بالوحدة المطلقة - وقال : إنه غير الحلول
والاتحاد ، وإنه أيضاً خارج عن طريق العقل والشرع ، وإنه باطل وضلال . وقد
سقت بقية كلامه فيه في الكتاب الذي ألقته في ذم القول بالوحدة المطلقة فإنه به
أجدر ، وذكر السيد الجرجاني في شرح المواقف نحو ذلك ، وقد سقت أيضاً عبارته
في الكتاب المشار إليه .

وقال العلامة شمس الدين بن القيم في كتابه شرح منازل السائرين : الدرجة
الثالثة من درجات الفناء : فناء خواص الأولياء وأئمة المقربين ، وهو الفناء عن
إرادة السوى شأماً برق الفناء عن إرادة ما سواه ، سالكاً سبيل الجمع على ما يحبه
ويرضاه ، فانياً بمراد محبوبه منه عن مراده هو من محبوبه ، فضلاً عن إرادة غيره ،
قد اتحد مراده بمراد محبوبه ، أعني المراد الديني الأسمى ، لا المراد الكوني القدرى ؛
فصار المرادان واحداً .

قال : وليس في العقل اتحاد صحيح إلا هذا ، والاتحاد في العلم والخبر ، فيكون
المرادان والمعلومان والمذكوران واحداً مع تباين الإرادتين والعلمين والخبرين ، فغاية
الحبة اتحاد مراد المحب بمراد المحبوب ، وفناء إرادة المحب في مراد المحبوب ؛ فهذا

الاتحاد والفناء هو اتحاد خواص المحبين وفناؤهم ، قد فنوا بعبادته عن عبادة ما سواه وبجبهه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والاستعانة به والطلب منه عن حب ما سواه ، ومن تحقق بهذا الفناء لا يجب إلا في الله ، ولا يُبغض إلا فيه ، ولا يُؤالَى إلا فيه ، ولا يعادى إلا فيه ، ولا يعطى إلا الله ، ولا يمنع إلا الله ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، فيكون دينه كله ظاهراً لله ، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها ، فلا يوادُّ من حادَّ الله ورسوله ، ولو كان [من] أقرب الخلق إليه ، بل

يُعَادَى الذى عادَى من الناس كلهم جميعاً ولو كان الحبيب المصافياً
وحقيقة ذلك فناؤها عن هوى نفسه وحظوظها بمراضى ربه تعالى وحقوقه ، والجامع لهذا كله تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله علماً ، ومعرفة . وعملاً ، وحالاً ، وقصداً ، وحقيقة هذا النفى والإثبات الذى تضمنته هذه الشهادة هو الفناء والبقاء ، ففى عن تأله ما سواه علماً وإفراداً وتعهداً ، وبقي تأله وحده ؛ فهذا الفناء وهذا البقاء هو حقيقة التوحيد الذى اتفقت عليه المرسلون صلوات الله عليهم ، وأنزلت به الكتب وخلقت لأجله الخليفة ، وشرعت له الشرائع ، وقامت عليه سوق الجنة ، وأسس عليه الخلق والأمر — إلى أن قال : وهذا الموضع مما غلط فيه كثير من أصحاب الإرادة ، والمعصوم من عصمه الله ، والله المستعان .

وقال فى موضع آخر : وإن كان مشمراً للفناء العالى — وهو الفناء عن إرادة سوى — لم يبق فى قلبه مراد يزاحم مراده الدينى الشرعى النبوى القرآنى ، بل يتحد المرادان ، فيصير عين مراد الرب تعالى هو عين مراد العبد ، وهذا حقيقة المحبة الخالصة ، وفيها يكون الاتحاد الصحيح ، وهو الاتحاد فى المراد ، لا فى المريد ، ولا فى الإرادة .

قال : فتدبر هذا الفرقان فى هذا الموضع الذى طالما زلت فيه أقدام السالكين ، وضلت فيه أفهام الواجدين ، انتهى .

وقد تكرر كلام ابن القيم في هذا الكتاب في تضليل الاتحادية والقائلين بالوَحدة المطلقة ، وقد سُتت منه أشياء في كتابي الذي أشرت إليه ، فليُنظر منه ، والله أعلم .

مسألة : في قول أهل السنة « إن العبد له في فعله نوع اختيار » هل هو مُعَارِضٌ لقوله سبحانه وتعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (١) ؟

الجواب : لا معارضة ؛ فإن الاختيار الذي هو بمعنى القدرة والإرادة والإنشاء والإبداع خاص بالله تعالى لا شريك له ، وأما الاختيار الذي أثبتته أهل السنة للعبد فالمراد به قَصْدُهُ ذلك الفعل ، وَمَيْلُهُ إليه ، ورضاه به الذي هو مخلوق لله تعالى أيضاً ، لا على وجه الإكراه والإلجاء إليه .

والحاصل أن الله تعالى خالق للعبد قدرة بها يميل ويفعل ، فأنخلق من الله ، والميل والفعل من العبد صادران عن تقدير الله له ذلك ، فهما أمر الخلق والقدرة ، فالاختيار المنسوب للعبد المفسر بما ذكرناه أثر الاختيار المنسوب إلى الله تعالى ، فافتراقاً ، ولا إنكار في ذلك ، ولا معارضة فيه للآية ، وبهذا يتميز أهل السنة عن أهل القدر والجبر معاً .

قال الأصهباني في تفسيره عند قوله تعالى (وَيَمْدُهم في طغيانهم) (٢) : اعلم أن كل فعل صدر من العبد بالاختيار فله اعتباران ، إن نظرت إلى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك إلى قدرة الله وإرادته لا شريك له ، وإن نظرت إلى تميزه عن القسري الضروري فانسبه من هذه الجهة إلى العبد وهي النسبة المعبر عنها شرعاً بالكسب في قوله تعالى : (لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكتسبت) (٣) ، وقوله : (فبما كسبت أيديكم) (٤) ، وهي المحققة أيضاً إذا عرضت

(١) من الآية ٦٨ من سورة القصص (٢) من الآية ١٥ من سورة البقرة
(٣) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة (٤) من الآية ٣٠ من سورة الشورى

في ذهنك الحركتين الاضطرارية كالرغشة : والاختيارية ، فإنك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة ؛ فإذا تقرر تعدد الاعتبار فقدم في الطغيان مخلوق لله تعالى ، فأضاهه إليه ، ومن حيث كونه واقعاً منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضاهه إليهم ، انتهى .

وقال في موضع آخر منه : صفة الإرادة للعبد هي القصد .

فهذا تحرير مذهب أهل السنة ، وحاصله أن الاختيار المنسوب إلى العبد هو قصده لذلك الفعل وتوجهه إليه ، برضاً منه ، وإرادة له ، وكونه لم يفعله بإجاء ولا إكراه ولا قسر ، فتأمل ذلك وافهم ترشد .

مسألة : هل العقل أفضل من العلم الحادث أم العلم ؟

الجواب : هذه المسألة اختلف فيها العلماء ، ورجحوا تفضيل العلم ؛ لأن الباري تعالى يوصف بصفة العلم ولا يوصف بصفة العقل ، وما سأل وصفه تعالى به أفضل مما لم يسأل ، وإن كان العلم الذي يوصف به تعالى قديماً ووصفنا حادث فإن الباري لا يوصف بصفة العقل أصلاً ولا على جهة القدم .

ومن الأدلة على تفضيل العلم أن متعلقه أشرف ، وأنه ورد بفضله أحاديث كثيرة صحيحة وحسنة ، ولم يرد في فضل العقل حديث ، وكل ما يروى فيه موضوع كذب .

وكان شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي يقول : العلم أفضل ، باعتبار كونه [أقرب إلى الإفضاء إلى معرفة الله وصفاته ، والعقل أفضل باعتبار كونه] منبعاً للعلم وأصلاً له ، وحاصله أن فضيلة العلم بالذات ، وفضيلة العقل بالوسيلة للعلم .

مبحث النبوات

مسألة : كم عدد الأنبياء والرسل ؟

الجواب : روى الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة الباهلي « أن رجلاً قال : يا رسول الله أنبي كان آدم ؟ قال : نعم ، قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة

قرون ، قال : کم بین نوح و ابراهیم ؟ قال : عشرة قرون ، قال : یا رسول الله کم كانت الرسل ؟ قال : ثلثمائة وخمسة عشر « رجاله رجال الصحيح .

وأخرج ابن حبان فی صحیحه والحا کم عن أبی ذر قال : « قلت یا رسول الله کم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف نبی وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت : یا رسول الله کم الرسل منهم ؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر ، جم غفیر . »

مسألة :

ما أشهر القولین یا مَنْ علمه
فی موت مشهور الحياة أى الخضر
قولان مشهوران قالهما الرضا
بقوام دين الله لقب وهو من
وأقام برهاناً على فقده
لازلت معدوداً لكل ملمة
الجواب :

من بعد حمدى دائماً وثنائى
للناس خلف شاع فى خضروهل
والكل قول حجة مشهورة
والمرتضى قول الحياة فكم له
خضر وإياس بأرض مثل ما
هذا جواب ابن السيوطى الذى
مسألة :

يا عالم العصر يا مفتى الأنام أفد
كم بين موسى وعيسى من مئى سلفت

وبين عيسى وخير الخلق والأمم

أثابك الله جنات النعيم بما تبديه من رشَدٍ للناس أو كرم
ثم الصلاة على أزكى الورى نسباً محمد سيد العربان والعجم
الجواب :

الحمد لله ربى مسبغ النعم ثم الصلاة على المبعوث للأمم
ألف وتسع مئتي مع نيف ضبطوا ما بين موسى وعيسى صاحب الكلم
ونحو ست مئتي في أرجح ذكروا ما بين عيسى وخير الخلق ذى الكرم
والحمد لله في قولى أقدمه كذا بحمد إله العرش مختمى

تزيين الأرائك

فى إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملائك

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : ما تقولون فى قول العلماء « إنه عليه الصلاة والسلام لم يبعث إلى الملائكة » . وفى قول الحافظ زين الدين العراقى : « إن السماء ليست محلاً للتكليف » وقد أشكل ذلك بأمر ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً » والخلق يعنى الإنس والجن والملائكة ، فإن فُسِّرَ بالثقلين فقط فما المخصَّصُ ؟ وقوله تعالى : (ليكون للعالمين نذيراً ^(١)) والعالم يعنى الملائكة ، وقوله : (وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذَرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ^(٢)) وقد بلغ الملائكة ، وقد ورد أن الملائكة لا يفترقون عن عبادة ربهم ، وورد صريحاً أنهم يتعبَّدون بعبادات هذه الأمة كحديث ابن عمر « أن أهل السماء لا يسمعون من أهل الأرض إلا الأذان » وحديث سلمان « إذا كان الرجل فى أرض فأقام الصلاة صلى خلفه ملكان ، فإذا أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه » ،

(١) من الآية ١٩ من سورة الفرقان (٢) من الآية ١٩ من سورة الأنعام

وقد قاتلت الملائكة الكفار ، وتحضر صلاة الجمعة ، وغير ذلك مما يطول ،
أشكل ذلك .

الجواب : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . سألت أكرمك الله
فأحسنت غاية الإحسان ، وأوردت فأتقنت كل الإتيان ، وأنا أجيبك عن ذلك
بجوابين : أحدهما : جدلي ، والآخر تحقيقي .

أما الجواب الجدلي فقولك : « الخلق يعم ، والعالمين يعم ، ومن بلغ يعم »
جوابه أنه من العام المخصوص ، أو المراد به المخصوص ، وقولك « ما هو المخصص »؟
جوابه أن مستنده الإجماع الذي ادعاه من ادعى ، وقولك « ورد أنهم لا يفكرون »
جوابه منع الملازمة بينه وبين المدعى الذي هو بعثته إليهم ؛ لأن عبادتهم تكون
بالأخذ عن ربهم أو بإرسال ملك من جنسهم إليهم كجبريل أو إسرافيل أو غيرها ،
قال تعالى : (اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ)^(١) ، وقال تعالى : (قل
لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئننين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا^(٢))
وقولك : « ورد صريحاً أنهم يتعبدون بعبادات هذه الأمة » ثم أوردت حديث ابن
عمر ، وليس فيه دلالة فضلا عن صراحة ؛ لأن أكثر ما فيه أنهم يسمعون الأذان ،
وليس فيه أنهم يتعبدون به ، وحديث سلمان ظاهر فيما ذكرت ، مع أنه يمكن أن
لا يكون ذلك صادراً عن بعثته إليهم كما تقدم . وقولك « وقد قاتلت الملائكة
الكفار » فيه أيضاً ما تقدم من عدم الملازمة ، مع أنها لم تقاتل إلا في بدر خاصة ،
وقولك « وتحضر صلاة الجمعة » إنما حضرت لكتابة الحاضرين على طبقات مجيئهم ،
وذلك من التكليفات الكونية التي هي وظيفة الملائكة ، لا الشرعية التي بعثت بها
الرسول ، هذا آخر الجواب الجدلي .

وأما الجواب التحقيقي : فاعلم أن العلماء اختلفوا في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
إلى الملائكة على قواين :

(١) من الآية ٧٥ من سورة الحج (٢) من الآية ٩٥ من سورة الإسراء

أحدهما : أنه لم يكن مبعوثاً إليهم ، وبهذا جزم الحلبي والبيهقي كلاهما من أئمة أصحابنا ومحمود بن حمزة الكرماني في كتابه العجائب والغرائب وهو من أئمة الحنفية ، ونقل البرهان النسفي والفخر الرازي في تفسيريهما الإجماع عليه ، وجزم به من المتأخرين الحافظ زَيْنُ الدين العراقي في نكته على ابن الصلاح ، والشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع ، وتبعتهما في كتابي شرح التقريب في الحديث ، وشرح الكوكب الساطع في الأصول .

والقول الثاني : أنه كان مبعوثاً إليهم ، وهذا القولُ رجَّحته في كتاب الخصائص ، وقد رجَّحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي ، وزاد أنه صلى الله عليه وسلم مرَّسل إلى جميع الأنبياء والأمم السابقة ، وأن قوله : « بعثت إلى الناس كافة » شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة ، ورجَّحه أيضاً البارزي ، وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات ، واستدلَّ بشهادة الضبِّ له بالرسالة ، وشهادة الحجر والشجر له ، وأزيد على ذلك أنه مرَّسل إلى نفسه .

ذكر الأدلة التي أخذتُ منها إرساله إلى الملائكة

هي قسمان : ما يدل بطريق العموم ، وما يدل بطريق الخصوص .
فالذي يدل بطريق العموم قوله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)^(١) والعالمون شامل للملائكة كما هو شامل للإنس والجن ، وقد أجمع المفسرون على أن قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين)^(٢) شامل لهؤلاء الثلاثة فكذلك هذا ، والأصل بقاء اللفظ على عمومته حتى يدل الدليل على إخراج شيء منه ، ولم يدل هنا دليل على إخراج الملائكة ، ولا سبيل إلى وجوده لا من القرآن ولا من الحديث ، وقد نُوزِعَ من ادَّعى الإجماع في هذه الدعوى ، فمن أين تخصيصه بالإنس والجن فقط دون الملائكة ؟ وكذا قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

(١) من الآية ١ من سورة الفرقان (٢) من الآية ٢ من سورة الفاتحة

للعالمين^(١) فإنه أيضاً شاملٌ للملائكة ، وذكر صاحب الشفا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : « هل أصابك من هذه الرحمة شيء ؟ قال : نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله عليّ في القرآن بقوله : (ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)^(٢) » إلا أن هذا الحديث لم يُوقَفْ له على إسناد .

وأما ما يدل بالخصوص فقد استنبطت أدلة لم أُسَبَقْ إليها .

الدليل الأول - وهو أقواها - قوله تعالى : (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه ، بل عباد مكرمون^(٣)) - يعني الملائكة - (لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون^(٤)) ثم قال : (ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه فذلك نجزيه جهنم^(٥)) . أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله : (ومن يقل منهم) قال : يعني من الملائكة ، وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : (ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه) قال : من الملائكة . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس قال : إن الله قال لأهل السماء : (ومن يقل منهم إني إلهٌ من دونه فذلك نجزيه جهنم^(٥)) فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الذي أنزل عليه ، وقد قال تعالى : (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ^(٥)) فنبت بذلك إرساله إليهم ، ولم أقف إلى الآن على إنذار وقع في القرآن للملائكة سوى هذه الآية ، والحكمة في ذلك واضحة ؛ لأن غالب المعاصي راجعة إلى البطن والفرج وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة ، فاستغنى عن إنذارهم فيه ، ولما وقع من إبليس - وكان منهم ، أو فيهم - نظير هذه المعصية أنذروا فيها ، نعم وقع في القرآن آية أخرى بسببهم لكنها من باب الإخبار لا الإنذار المحض ، وهي قوله

(١) من الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء (٢) من الآية ٢٠ من سورة التكوير

(٣) من الآية ٢٦ من سورة الأنبياء (٤) الآيتان ٢٧ و٢٨ من سورة الأنبياء

(٥) من الآية ١٩ من سورة الأنعام

تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه ^(١)) أخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال : لما نزلت (كل من عليها فإن ^(٢)) قالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، فلما نزلت (كل نفس ذائقة الموت ^(٣)) قالت الملائكة : هلك كل نفس ، فلما نزلت (كل شيء هالك إلا وجهه ^(١)) قالت الملائكة : هلك أهل السماء والأرض .

الدليل الثاني : ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن عكرمة قال : صفوف أهل الأرض على صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمين في الأرض آمين في السماء غفر للعبد ، هذا يدل على أن الملائكة في السماء تصلى بصلاة أهل الأرض . ويرشحه ما أخرجه مالك والشافعي وأحمد والأئمة الستة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أمّن الإمام فأمنوا ؛ فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قال الإمام غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال الذين خلفه آمين ، فإذا التقت من أهل السماء وأهل الأرض آمين غفر الله للعبد ما تقدم من ذنبه » . وأخرج مسلم عن جابر بن سمرة « أن النبي عليه الصلاة والسلام خرج على أصحابه فقال : ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قالوا : وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يُتَمَوَّنَ الصَّفَ الْأَوَّلَ فِ الْأَوَّلِ ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِ » .

وأخرج سعيد بن منصور في سننه وابن أبي شيبة في مصنفه عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصَّفَ الْأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ الْمَلَائِكَةِ » .
الدليل الثالث : ما أخرجه أبو الشيخ بن حيان في كتاب العظمة من طريق الليث قال : حدثني خالد بن سعيد قال : بلغنا أن إسرافيل مؤذن أهل

(١) من الآية ٨٨ من سورة القصص (٢) من الآية ٢٦ من سور الرحمن

(٣) من الآية ١٨٥ من سورة آل عمران

السماء ، يسمع تأذينه مَنْ في السموات السبع ومن في الأرضين إلا الجن والإنس ، ثم يتقدم بهم عظيم الملائكة يصلي بهم ، قال : وبلغنا أن ميكائيل يؤمُّ الملائكة في البيت المعمور ، هذا يدل على أن الملائكة يؤذنون أذاننا ويصلون صلاتنا .
الدليل الرابع : ما أخرجه سعيد بن منصور عن ابن مسعود أنه دخل المسجد لصلاة الفجر ، فإذا قوم قد أسندوا ظهورهم إلى القبلة ، فقال : هكذا عن وجوه الملائكة ؟ ثم قال : لا تحُولُوا بين الملائكة وبين صلاتها ، فإن هذين الركعتين صلاة الملائكة .

وأخرج أيضاً عن إبراهيم النخعي قال : كانوا يكرهون التساند إلى القبلة بمد ركعتي الفجر .

وأخرج أحمد في مسنده عن حابس بن سعد — وكانت له صحبة — أنه دخل المسجد في السحر فرأى الناس يصلون في صفة المسجد ، فقال : إن الملائكة تصلي في السحر في مقدم المسجد .

دلت هذه الآثار على أن الملائكة تصلي في جماعة صلاة الفجر ، وتحضرها في مساجدنا ، ويرشحه ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً^(١)) .

وأخرج أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً^(١)) قال : تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار .

وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود أنه كان يحدث أن صلاة الفجر عندها يجتمع الحرسان من ملائكة الله ، ويقرأ هذه الآية .

وأخرج عن قتادة في قوله : (وقرآن الفجر) قال : صلاة الفجر ، وفي قوله :

(١) من الآية ٧٨ من سورة الإسراء

(كان مشهوداً) يقول : ملائكة الليل وملائكة النهار يشهدون تلك الصلاة .
وأخرج عن إبراهيم النخعي في قوله : (وقرآن الفجر ، إن قرآن الفجر كان
مشهوداً) قال : كانوا يقولون : تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر
فيشهدونها جميعاً ، ثم يصعد هؤلاء ويُقيم هؤلاء .

الدليل الخامس : ما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبيهقي في سننه
عن سلمان الفارسي موقوفاً ، والبيهقي من وجوه آخر عن سلمان مرفوعاً قال :
« إذا كان الرجل في أرض فأقام الصلاة صَلَّى خلفه ملكان ، فإن أذن وأقام صَلَّى
خلفه من الملائكة ما لا يرى طرفاه ، يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ،
ويؤمنون على دعائه » .

وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال : « إذا أقام الرجل الصلاة
وهو في قلاة من الأرض صَلَّى خلفه ملكان ، فإن أذن وأقام صلى خلفه من الملائكة
أمثال الجبال » .

وأخرج سعيد بن منصور عن مكحول قال : « مَنْ أقام الصلاة صلى معه ملكان ،
فإن أذن وأقام صلى خلفه سبعون ملكاً » .

دأت هذه الآثار على أن الملائكة يصلون خلفنا صلاتنا ، وذلك دليل على
أنهم مكلفون بشرعنا ، ويرشح ذلك فرعان نص عليهما أصحابنا : الأول ما ذكره
السبكي في الحلبيات أن الجماعة تحصل بالملائكة كما تحصل بالأدميين ، قال : وبعد
أن قأت ذلك بحثاً رأيتُه منقولاً ؛ ففي فتاوى الحنطلي من أصحابنا من صلى في قضاء
من الأرض بأذان وإقامة وكان منفرداً ثم حلف أنه صلى بالجماعة هل يحنث أولاً ؟
فأجاب بأنه يكون بارأ في يمينه ، ولا كفارة عليه ؛ لما روى أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « مَنْ أذن وأقام في قضاء من الأرض وصلى وحده صلت الملائكة خلفه
صفوفاً » فإذا حلف على هذا المعنى لا يحنث ، قال السبكي : وينبغي على ذلك أن
مَنْ ترك الجماعة لغير عذر وقلنا بأنها فرض عين هل نقول يجب القضاء كمن صلى
(١٧ - الحاوي ٢)

فأقد الطهورین ، فإن كان كذلك فصلاة الملائكة إن قلنا بأنها كصلاة آدميين وإنها تصير بها جماعة فقد يقال : إنها تكفي لسقوط القضاء ، الفرع الثاني : قول الأصحاب إنه يستحب للمصلي إذا سلم أن ينوي السلام على من على يمينه ويساره من ملائكة وإنس وجن .

الدليل السادس : ما أخرجه البزار عن علي قال : لما أراد الله أن يعلم رسوله الأذان أتاه جبريلُ بدابة يقال لها البراقُ ، فذكر الحديث إلى أن قال : خرج ملك من الحجاب فقال الملك : الله أكبر ، الله أكبر — إلى أن قال : فقال : أشهد أن محمداً رسول الله — إلى أن قال : ثم أخذ الملكُ بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأمَّ أهل السماء ، فيومئذٍ أكملَ الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرفَ على أهل السموات والأرض .

وأخرج أبو نسيم في دلائل النبوة عن محمد بن الحنفية مثله ، وفيه : فقال الملك حتى على الصلاة ، فقال الله : صدق عبدی ، دعاً إلى فریضتی — إلى أن قال : ثم قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تقدم ، فتقدم فأمَّ أهل السماء ، فتم له شرفه على سائر الخلق .

في هذا دلالة على إرساله إلى الملائكة من أربعة أوجه :

الأول : شهادة الملك له بالرسالة مطلقاً ، حيث قال : أشهد أن محمداً رسول الله .
الثاني : قول الله في دعاء الملك إلى الصلاة : دعا إلى فریضتی ؛ فإن ذلك يدل على أنها فرضت على أهل السماء كما فرضت على أهل الأرض .

الثالث : إمامته لأهل السموات وصلاة الملائكة بأمرهم خلفه ، وذلك دليل على اتباعهم له ، وكونهم من جملة أتباعه .

الرابع : قوله « فيومئذٍ أكملَ الله لمحمد الشرف على أهل السموات » وإكمال الشرف له ببعثه إليهم وكونهم أتباعاً له ، وكأنه في هذا الوقت أرسل إليهم ، ولم يكن أرسل إليهم قبل ذلك ، ویرشح ذلك أمر خامس وهو القرآنُ بين أهل السماء

وأهل الأرض في الذكر ، فكما كان شرفه على أهل الأرض بإرساله إليهم أجمعين فكذلك شرفه على أهل السموات بإرساله إليهم أجمعين ، وكذا قوله في الرواية الأخرى « فتم له شرفه على سائر الخلق » وسائر في اللغة بمعنى الباقي ، فكأن معنى الحديث أنه كان له شرف على النقلين بإرساله إليهم ، ولم يكن أرسل إلى الملائكة ، فلما أرسل إليهم تم له الشرف على من بقي من الخلق وهم الملائكة .

وأخرج ابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أسرى بي إلى السماء أذن جبريل ، فظنت الملائكة أنه يصلي بهم ، فقد مني فصليت بالملائكة » .

الدليل السابع : ما أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل آدم بالهند ، واستوحش ، فنزل جبريل فنادى بالأذان : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، مرتين ، أشهد أن محمداً رسول الله ، مرتين » فهذه شهادة من جبريل برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعلمها لآدم ؛ فدل ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الأنبياء والملائكة معاً .

الدليل الثامن : ما ورد من حديث عمر بن الخطاب وأنس وجابر وابن عباس وابن عمر وأبي الدرداء وأبي هريرة وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه مكتوب على العرش وعلى كل سماء وعلى باب الجنة وعلى أوراق شجر الجنة : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كتب ذلك في الملكوت الأعلى دون أسماء سائر الأنبياء إلا لتشهد به الملائكة وكونه مرسلًا إليهم .

وقد أخرج ابن عساكر عن كعب الأحبار أن آدم أوصى ابنه شيئاً فقال : كلما ذكرت الله فاذا ذكر إلى جنبه اسم محمد ، فإني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إنني طرقت فلم أرف في السماء موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، ولم أرف في الجنة قمعراً ولا غرفة إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على محور الحور العين ، وعلى ورق قصب آجام الجنة ،

وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، وعلى أطراف الحجب، وبين أعين الملائكة، فأكثر ذكره فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها .
فهذا يدل على أنه نبي الملائكة حيث لم تغفل عن ذكره، واستفدنا من هذا الأثر فائدة لطيفة وهو أنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الحور العين والولدان، ووضَّح بذلك أنه لم يدخل الجنة أحد ولم يستقرَّ بها ممن خلق فيها إلا مَنْ آمَنَ به عليه الصلاة والسلام، ولعل من جملة فوائد الإسراء ودخوله إلى الجنة تبليغ جميع مَنْ في السموات من الملائكة ومَنْ في الجنان من الحور والولدان، ومَنْ في البرزخ من الأنبياء رسالته : ليؤمنوا به ويصدقوه مشافهة في زمنه، بعد أن كانوا مؤمنين به قبل وجوده .

الدليل التاسع : قد صرَّح السبكي في تأليف له بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأنبياء آدم فمن بعده، وأنه صلى الله عليه وسلم نبيُّ عليهم ورسول إلى جميعهم، واستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدمُ بين الروح والجسد » وقواه صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً » قال : ولهذا أخذ الله للموathيق له على الأنبياء كما قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ : أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا : أَقْرَرْنَا ، قَالَ : فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (١) .
قلت : أخرج ابنُ أبي حاتم عن السدي في الآية قال : لم يُبْعَثْ نبي قط من لدن نوح إلا أخذ الله ميثاقه ليؤمننَّ بمحمد، وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : لم يزل الله يتقدم في النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم فمن بعده، ولم تزل الأمم تتباصر به وتستفتح به . وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى : آمِنُ بِمُحَمَّدٍ وَمُرٌّ مِنْ أَدْرَ كَهْ مِنْ أُمَّتِكَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ ، فَنُؤَلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَ آدَمَ وَلَا الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ .

(١) الآية ٨١ من سورة آل عمران

قال السبكي : عرفنا بالخبر الصحيح حصول الكمال من قبل خلق آدم لنبينا صلى الله عليه وسلم من ربه سبحانه ، وأنه أعطاه النبوة من ذلك الوقت ، ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدم عليهم ، وأنه نبيهم ورسولهم وفي أخذ المواثيق - وهي في معنى الاستحلاف ، ولذلك دخلت لام القسم في (لتؤمنن به ولتنصرنه)^(١) - لطيفة أخرى ، وهي كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ، ولعل أيمان الخلفاء أخذت من هنا ، فانظر هذا التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه ، فإذا عرفت ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبياء ، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه ، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلى بهم ، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته ، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم ، فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له ، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه ، فتأخر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم لا إلى عدم اتصافه بما يقتضيه ، وفرق بين تَوَقَّفِ الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل ، فهنا لا تَوَقَّفُ من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي عليه الصلاة والسلام الشريفة ، وإنما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه ، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ؛ ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته ، ويتعلق به مافيهما من أمر ونهي كما يتعلق بسائر الأمة ، وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء ، وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أوفى زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم ، والنبي عليه الصلاة والسلام نبي عليهم ورسول إلى جميعهم ، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم ، ومتفق مع شرائعهم في الأصول ، لأنها لا تختلف ، وتقدم شريعته فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع إما على سبيل التخصيص وإما على سبيل النسخ أو لانسح ولا تخصيص ، بل تكون شريعة النبي عليه الصلاة والسلام في تلك

(١) من الآية ٨١ من سورة آل عمران ، وتقدمت الآية كلها قريبا جدا

الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ماجأت به أنبيائهم ، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة ، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات ، انتهى كلام السبكي .

قلت : ويدلُّ لكونه مرسلًا إلى الأنبياء ماورد من حديث عبادة بن الصامت وجابر بن عبد الله مرفوعا : كان نقشُ خاتم سليمان بن داود « لا إلهَ إلا الله محمد رسول الله » فهذا فيه إشارة إلى أنهم من أتباعه ، وهذا التقرير الذي قرره السبكي قد أشار إليه الشرف البوصيري - وقد مات قبل مولد السبكي - بقوله في البردة :

وكل آي أنى الرُّسُلُ الكرامُ بها فإنما اتصَلت من نوره بهمِ
فإنه شمسُ فضلٍ هم كواكبها يُظهِرن أنوارها للناس في الظلم

إذا تقرر أنه عليه الصلاة والسلام كان نبي الأنبياء ورسولا إليهم وقد قامت الأدلة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة لزم أن يكون مرسلًا إلى الملائكة ، وأن يكونوا من جملة أتباعه بطريق الأولى .

الدليل العاشر : أنه صلى الله عليه وسلم أُعطيَ من الملائكة أموراً لم يُعطها أحد من الأنبياء ، منها قتالهم معه ، ومنها تشبههم خلف ظهره إذا مشى ، وذلك يدل على أنهم من جملة أتباعه وداخلون في شرعه ، ومن كلام الرافعي في خطبة الحرر : وأخذتمته الملائك ، وقال ابن عباس في قوله تعالى : (له مُعَقَّبَات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله^(١)) هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة - والمعقبات : الملائكة يحفظون محمداً عليه الصلاة والسلام - أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في اللآلئ ، ومنها ماورد في الحديث « إن الله أيديني بأربعة وزراء : اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل ، واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر » والوزير من أتباع الملك ضرورة ، فجبريل وميكائيل رموس أهل ملته من الملائكة ، كما أن أبا بكر وعمر رموس أهل ملته من بني آدم ،

(١) من الآية ١١ من سورة الرعد

ومنها أنه لما مات صلى الله عليه وسلم صلى عليه الملائكة بأسرهم لم يتخلف منهم أحد ، ولم يقع ذلك لغيره من الأنبياء ، ومنها أن الملائكة يسألون الموتى في قبورهم عنه صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء سواه ، ومنها أن الملائكة تحضر أمته إذا قاتلت العدو في سبيل الله لنصرة دينه ، وهذه خصيصة مستمرة إلى يوم القيامة ، ومنها أن جبريل عليه السلام يحضر من مات من أمته ليتردد عنه الشيطان في تلك الحالة ، ومنها أن الملائكة تنزل في كل سنة ليلة القدر على أمته وتسلم عليهم ، ومنها أنها أعطيت قراءة سورة الفاتحة من كتابه ، ولم تعط قراءة شيء من سائر الكتب ، وهي حريصة على سماع بقية القرآن من الإنس دون سائر الكتب ، ومنها أنه نزل إليه صلى الله عليه وسلم في حياته من الملائكة ما لم ينزل إلى الأرض منذ خلق كإسرافيل ، ومنها أن ملك الموت استأذن عليه ولم يستأذن على نبي قبله ، ومنها أنه وكل بقبره الشريف ملك يبلغه سلام من يصلي عليه ، ومنها أنه ينزل على قبره الشريف كل يوم سبعون ألف ملك يضر بونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه كل يوم إلى أن يمسا ، فإذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحوا ، إلى أن تقوم الساعة ، فإذا كان يوم القيامة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين ألف ملك ، أخرجه ابن المبارك في الزهد عن كعب الأحبار .

خاتمة : في كشف الأسرار لابن العماد حكاية أن آدم عليه السلام أرسل إلى الملائكة لينبئهم بما علم من الأسماء ، فإن صح ذلك كان أحد الأدلة على إرساله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ لأنه ما أوتي نبي فضيلة إلا أوتي نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو نظيرها ، وهذه القاعدة كالجمع عليها ، وعن نص عليها الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والحمد لله وحده .

* * *

إنباء الأذكىاء ، بحياة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين أصطفى .

وقع السؤال : قد اشتهر أن النبي صلى الله عليه وسلم حَيٌّ في قبره ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : «مامن أحد بسلم عليَّ إلا رَدَّ الله على رُوحِي حتى أُرَدَّ عليه السلام» فظاهره مفارقة الروح [له] في بعض الأوقات ، فكيف الجمع ؟ وهو سؤال حسن يحتاج إلى النظر والتأمل ، فقول :

حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علماً قطعياً؛ لما قام عندنا من الأدلة في ذلك ، وتواترت [به] الأخبار ، وقد ألف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء في قبورهم .

فمن الأخبار الدالة على ذلك ما أخرجه مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أُسرى به مرَّ بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره . وأخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بقبر موسى عليه السلام وهو قائم يصلي فيه .

وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية عن يوسف بن عطية قال : سمعت ثابتاً البناني يقول لحميد الطويل : هل بلغك أن أحداً يصلي في قبره إلا الأنبياء ؟ قال : لا .

وأخرج أبو داود والبيهقي عن أوس بن أوس الثقفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على الصلاة فيه ، فإن صلاتكم تُعرض عليَّ » ، قالوا : يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أُرِمتَ ؟ - يعني بليت - فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء » .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان والأصبهاني في الترغيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتَهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِيًا بُلِّغْتَهُ » .

وأخرج البخاري في تاريخه عن عمار سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنْ لَمْ يَلِكْ مِنَ الْعَالَمِينَ مَلَكٌ أُعْطِيَ اسْمَ الْخَلَّائِقِ ، قَامَ عَلَى قَبْرِي ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يَصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا بُلِّغْتَهَا » .

وأخرج البيهقي في حياة الأنبياء والأصبهاني في الترغيب عن أنس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ قَضَى اللَّهُ لَهُ مِائَةَ حَاجَةٍ ، سَبْعِينَ مِنْ حَوَائِجِ الْآخِرَةِ ، وَثَلَاثِينَ مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِذَلِكَ مَلَكًا يُدْخِلُهُ عَلَيَّ فِي قَبْرِي كَمَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ الْهَدَايَا ، إِنْ عَلِمَ بَعْدَ مَوْتِي كَعَلْمِي فِي الْحَيَاةِ » ولفظ البيهقي « يُخْبِرُنِي مِنْ صَلَّى عَلَيَّ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ ، فَأُثَبِّتُهُ عِنْدِي فِي صَحِيفَةٍ بِيضَاءً » .

وأخرج البيهقي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنْ لَمْ يَلِكْ مِنَ الْعَالَمِينَ مَلَكٌ يَتْرُكُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ يَدُ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَخَ فِي الصُّورِ » .

وروى سفیان الثوري في الجامع قال : قال شيخنا عن سعيد بن المسيب قال : ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين حتى يرفع ، قال البيهقي : فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله ، ثم قال البيهقي : ولحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد ، فذكر قصة الإسراء في لُقَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَلَّمَهُمْ وَكَلَّمُوهُ ، وأخرج حديث أبي هريرة في الإسراء ، وفيه « وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يَصَلِّي ، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرَبَ جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنْوَةَ ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَائِمٌ يَصَلِّي ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَائِمٌ يَصَلِّي ، أَشَبَّهُهُ النَّاسُ بِصَاحِبِكُمْ — يَعْنِي نَفْسَهُ — فَخَانَتِ الصَّلَاةُ فُؤَادَهُمْ » ، وأخرج حديث « إِنْ النَّاسَ

بُصِّعُوا فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَفِيْقُ » وقال : هذا إنما يصح على أن الله ردَّ على الأنبياء أرواحهم ، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق ، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار ، انتهى .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده لئنزَّانَّ عيسى ابن مريم ، ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنَّه » .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن سعيد بن المسيب قال : لقد رأيتني ليالي الحرة وما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم غيري ، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر .

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال : لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الحرة حتى عاد الناس .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن سعيد بن المسيب أنه كان يلزم المسجد أيام الحرة والناس يقتتلون ، قال : فكنت إذا حانت الصلاة أسمع أذاناً يخرج من قبَلِ القبر الشريف .

وأخرج الدارمي في مسنده قال : أنبأنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال : لما كان أيام الحرة لم يؤذَّنْ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً ، ولم يقم ، ولم يبرح سعيد بن المسيب المسجد ، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بههمةٍ يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، معناه : فهذه الأخبار دالة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء ، وقد قال تعالى في الشهداء : (ولا تحسبنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون)^(١) ،

(١) من الآية ١٦٩ من سورة آل عمران

والأنبياء أولى بذلك ؛ فهم أجلُّ وأعظمُّ ، وما نبى إلا وقد جمع مع النبوة وصف الشهادة ، فيدخلون في عموم لفظ الآية .

وأخرج أحمد وأبو يعلى والطبرانى والحاكم في المستدرک والبيهقى في دلائل النبوة عن ابن مسعود قال : لأن أحلف تسعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قتلا أحبُّ إلىَّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل ، وذلك أن الله اتخذهُ نبياً ، واتخذهُ شهيداً .

وأخرج البخارى والبيهقى عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذى توفى فيه : « لم أزل أجدُ ألم الطعام الذى أكلت بخير ؛ فهذا أوان انقطع أبهرى من ذلك السم » فثبت كونه صلى الله عليه وسلم حياً في قبره بنص القرآن : إما من عموم اللفظ ، وإما من مفهوم الموافقة .

قال البيهقى في كتاب الاعتقاد : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت إليهم أرواحهم ؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصعقة نقلا عن شيخه : الموت ايس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحقُّ بذلك وأولى ، وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، ورأى موسى عليه السلام قائماً يصلى في قبره ، وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يردُّ السلام على كل من يسلم عليه ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غُيبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة ، فإنهم موجودون أحياء ولا يرام أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامته من أوليائه ، انتهى .

وسئل البارزی عن النبی صلی اللہ علیہ وسلم : هل هو حی بعد وفاته ؟ فأجاب أنه صلی اللہ علیہ وسلم حی .

قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادی الفقیه الأصولی شیخ الشافعیة فی أجوبة مسائل الجارمیین ، قال : المتکلمون المحققون من أصحابنا أن نبینا صلی اللہ علیہ وسلم حی بعد وفاته ، وأنه یسر بطاعات أمته ، ویحزن بمعاصی العصاة منهم ، وأنه یتبئغه صلاة من یصلی علیہ من أمته ، وقال : إن الأنبیاء لا یتأون ولا تأکل الأرض منهم شیئاً ، وقد مات موسى فی زمانه ، وأخبر نبینا صلی اللہ علیہ وسلم أنه رآه فی قبره مُصلِّياً ، وذكر فی حدیث المعراج أنه رآه فی السماء الرابعة ، وأنه رأى آدم فی السماء الدنيا ، وأنه رأى إبراهیم وقال له « مرحباً بالابن الصالح والنبی الصالح » ، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا نبینا صلی اللہ علیہ وسلم قد صار حیاً بعد وفاته ، وهو علی نبوته ، هذا آخر کلام الأستاذ .

وقال الحافظ شیخ السنة أبو بکر البیهقی فی کتاب الاعتقاد : الأنبیاء علیهم السلام بعد ما قبضوا رُدَّتْ إليهم أرواحهم ؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى نبینا صلی اللہ علیہ وسلم جماعة منهم ، وأمهم فی الصلاة ، وأخبر - وخبره صدق - أن صلاتنا معروضة علیہ ، وأن سلامنا یبلغه ، وأن اللہ حرم علی الأرض أن تأکل أجساد الأنبیاء .

قال : وقد أفردنا لإثبات حیاتهم کتاباً .

قال : وهو - بعد ما قبض - نبی اللہ ورسوله وصفیه وخیرته من خلقه صلی اللہ علیہ وسلم ، اللهم أحمنا علی سنته ، وأمتنا علی ملته ، واجمع بیننا و بینه فی الدنيا والآخرة إنک علی کل شیء قدير ؛ انتهى جواب البارزی .

وقال الشیخ عقیف الدین الیافعی : الأولیاء یردُ علیهم أحوالُ یشاهدون فیها ملکوت السموات والأرض ، وینظرون الأنبیاء أحياء غیر أموات ، كما نظر النبی صلی اللہ علیہ وسلم إلى موسى علیہ السلام فی قبره .

قال : وقد تقرّر أن ما جاز للأنبياء مُعْجِزَةٌ جاز للأولياء كرامة ، بشرط عدم التحدّي .

قال : ولا ينكر ذلك إلا جاهل ، ونصوصُ العلماء في حياة الأنبياء كثيرة ، فلنكتف بهذا القدر .

فصل : أما الحديث الآخر فأخرجه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه والبيهقي في شعب الإيمان من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ عن حيوة بن شريح عن أبي صخر عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من أحدٍ يسلم علىّ إلا ردّ الله إلىّ روحى حتى أردّ عليه السلام » ، ولا شك أن ظاهر هذا الحديث مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات ، وهو مخالف للأحاديث السابقة ، وقد تأملته ، ففتح علىّ في الجواب عنه بأوجه :

الأول — وهو أضعفها — أن يدعى أن الراوى وهم في لفظه من الحديث حصل بسببها الإشكال ، وقد ادعى ذلك العلماء في أحاديث كثيرة ، لكن الأصل خلاف ذلك ، فلا يعول على هذه الدعوى .

الثانى — وهو أقوىها ، ولا يدركه إلا ذوباع في العربية — أن قوله « ردّ الله » جملة حالية ، وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا وقعت فعلاً ماضياً قدرت فيها قد ، كقوله تعالى : (أوجاؤكم حصرت صدورهم)^(١) أى قد حصرت ، وكذا تقدر هنا ، والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد ، و « حتى » ليست للتعليل ، بل مجرد حرف عطف بمعنى الواو ، فصار تقدير الحديث : ما من أحد يسلم علىّ إلا قد ردّ الله علىّ روحى قبل ذلك فأردّ عليه ، وإنما جاء الإشكال من ظن أن جملة « ردّ الله علىّ » بمعنى الحال أو الاستقبال ، وظن أن حتى تعمليلية ، وائس كذلك وبهذا الذى قررناه ارتفع الإشكال من أصله ، وأيده من حيث المعنى أن الرد ولو

(١) من الآية ٩٠ من سورة النساء

أخذ بمعنى الحال والاستقبال لزم تكرره عند تكرر المسلمين ، وتكرر الرد يستلزم تكرار المفارقة ، وتكرار المفارقة يلزم عليه محذوران :

أحدهما : تأليم الجسد الشريف بتكرار خروج الروح منه ، أو نوع ما من مخالفة التكريم إن لم يكن تأليم .

والآخر : مخالفة سائر الناس الشهداء وغيرهم ؛ فإنه لم يثبت لأحد منهم أن يتكرر له مفارقة الروح وعودها في البرزخ ، والنبي صلى الله عليه وسلم أولى بالاستمرار الذي هو أعلى مرتبة .

ومحذور ثالث : هو مخالفة القرآن ؛ فإنه دلّ على أنه ليس إلا موتتان وحياتان ، وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة ، وهو باطل .

ومحذور رابع : وهو مخالفة الأحاديث المتواترة السابقة ، وما خالف القرآن والمتواتر من السنة وجب تأويله ، وإن لم يقبل التأويل كان باطلا ؛ فلهذا وجب حمل الحديث على ما ذكرناه .

الوجه الثالث : أن يقال : إن لفظ الرد قد لا يدل على المفارقة ، بل كنى به عن مطلق الصيرورة ، كما قيل في قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام : (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم)^(١) أن لفظ العود أريد به مطلق الصيرورة ، لا العود بعد انتقال ؛ لأن شعيباً عليه السلام لم يكن في ملتهم قط ، وحسن استعمال هذا اللفظ في هذا الحديث مراعاة المناسبة اللفظية بينه وبين قوله « حتى أُرُذَّ عليه السلام » فجاء لفظ الرد في صدر الحديث لمناسبة ذكره في آخر الحديث .

الوجه الرابع -- وهو قوي جداً -- أنه ليس المراد بردّ الروح عودها بعد المفارقة للبدن ، وإنما النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ مشغول بأحوال الملوكوت

(١) من الآية ٨٩ من سورة الأعراف

مستغرق في مشاهدة ربه ، كما كان في الدنيا في حالة الوحي وفي أوقاتٍ آخرَ ؛
فعبّر عن إفاقته من تلك المشاهدة وذلك الاستغراق برد الروح .
ونظير هذا قولُ العلماء في اللفظة التي وقعت في بعض أحاديث الإسراء ،
وهي قوله « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » : ليس المراد الاستيقاظ من نوم فإن
الإسراء لم يكن مناماً ، وإنما المراد الإفاقة مما خاسره من عجائب الملكوت ، وهذا
الجوابُ الآن عندي أقوى ما يجاب به عن لفظة الرد ، وقد كنت رجّحت الثاني ،
ثم قوى عندي هذا .

الوجه الخامس : أن يقال : إن الردَّ يستلزم الاستمرار ؛ لأن الزمان لا يخلو
من مصلاً عليه في أقطار الأرض ، فلا يخلو من كون الروح في بدنه .
السادس : قد يقال : إنه أوحى إليه بهذا الأمر أولاً قبل أن يوحى إليه بأنه
لا يزال حياً في قبره فأخبرَ به ، ثم أوحى إليه بعد ذلك ؛ فلا منافاة لتأخير الخبر
الثاني عن الخبر الأول .

هذا ما فتح الله به من الأجوبة ، ولم أر شيئاً منها منقولاً لأحد ، ثم بعد
كتابتي لذلك راجعتُ كتاب « الفجر المنير ، فيما فضّل به البشير النذير » للشيخ
تاج الدين بن الفاكهاني المالكي ، فوجدته قال فيه ، مانصه : روينا في الترمذي قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي
حتى أرددّ عليه السلام » يؤخذ من هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حي على الدوام ، وذلك أنه محال عادة أن يخلو الوجود كله من واحد مسلمٍ على النبي
صلى الله عليه وسلم في ليل أو نهار .

فإن قلت : قوله صلى الله عليه وسلم : « إلا ردّ الله إليّ روحي » لا يلتزم مع
كونه حياً على الدوام ، بل يلزم منه أن تتعدّد حياته ووفاته في أقل من ساعة ؛
إذ الوجود لا يخلو من مسلمٍ يسلم عليه كما تقدم ، بل يتعدّد السلام عليه في الساعة
الواحدة كثيراً .

فالجواب والله أعلم أن يقال : المراد بالروح هنا النطق مجازاً فكأنه قال صلى الله عليه وسلم : إلهي الله إلى نطقى ، وهو حى على الدوام ، لكن لا يلزم من حياته نطقه ، والله سبحانه يردُّ عليه النطق عند سلام كل مسلم ، وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجودُ الروح كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة ، فمهر صلى الله عليه وسلم بأحد المتلازمين عن الآخر ، ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين عملاً بقوله تعالى (قلوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين)^(۱) هذا لفظ كلام الشيخ تاج الدين ، وهذا الذى ذكره من الجواب ليس واحداً من الستة التى ذكرتها ؛ فهو إن سلم جواباً سابع ، وعندى فيه وقفة من حيث إن ظاهره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه حياً فى البرزخ يُمنعُ عنه النطق فى بعض الأوقات ، ويردُّ عليه عند سلام المسلم عليه ، وهذا بعيد جداً ، بل ممنوع ، فإن العقل والنقل يشهدان بخلافه .

أما النقل فلاخبار الواردة عن حاله صلى الله عليه وسلم وحال الأنبياء عليهم السلام فى البرزخ مصرحة بأنهم ينطقون كيف شاءوا لا يمنعون من شيء ، بل وسائر المؤمنين كذلك الشهداء وغيرهم ينطقون فى البرزخ بما شاءوا غير ممنوعين من شيء ، ولم يرد أن أحداً يمنع من النطق فى البرزخ إلا من مات من غير وصية ، أخرج أبو الشيخ بن حيان فى كتاب الوصايا عن قيس بن قبيصة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يُوصِ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فى الكلام مع الموتى ، قيل : يا رسول الله ، وهل تتكلم الموتى ؟ قال : نعم ، ويتزاورون » .

وقال الشيخ تقي الدين السبكي : حياة الأنبياء والشهداء فى القبر كحياتهم فى الدنيا ، ويشهد له صلاة موسى فى قبره ؛ فإن الصلاة تستدعى جسداً حياً ، وكذلك الصفات المذكورة فى الأنبياء ليلة الإسراء كلها صفات الأجسام ، ولا يازم من كونها حياة حقيقة أن تكون الأبدان معها كما كانت فى الدنيا من الاحتياج إلى الطعام

(۱) من الآية ۱۱ من سورة غافر

والشراب ، وأما الإدراكات - كالعلم والسمع - فلا شك أن ذلك ثابت لهم ولسائر الموتى ، انتهى .

وأما العقل فلأن الحبس عن النطق في بعض الأوقات نوع حصر وتعذيب ، ولهذا عُدَّ به تارك الوصية ، والنبي صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ عن ذلك ، ولا يلحقه بعد وفاته حصر أصلاً بوجه من الوجوه ، كما قال لفاطمة رضى الله عنها في مرض وفاته : « لا كَرَبَ على أبيك بعد اليوم » وإذا كان الشهداء وسائر المؤمنين من أمته - إلا من استثنى من المعدِّبين - لا يحصرون بالمنع من النطق ، فكيف به صلى الله عليه وسلم ؟ .

نعم يمكن أن ينتزع من كلام الشيخ تاج الدين جواب آخر ، ويقرر بطريق أخرى ، وهو أن يراد بالروح النطق وبالرد الاستمرار من غير مفارقة على حدِّ ما قررته في الوجه الثالث ، ويكون في الحديث على هذا مجازان : مجاز في لفظ الرد ، ومجاز في لفظ الروح ؛ فالأول استعارة تبعية ، والثاني مجاز مرسل ، وعلى ما قررته في الوجه الثالث يكون فيه مجاز واحد في الرد فقط .

ويتولد من هذا الجواب جواب آخر ، وهو أن تكون الروح كناية عن السمع ، ويكون المراد أن الله يردُّ عليه سمعه الخارق للعادة بحيث يسمع المسلم وإن بعدَ قطره ، ويردُّ عليه من غير احتياج إلى واسطة مبلِّغ ، وليس المراد سمعه المعتاد .

وقد كان له صلى الله عليه وسلم في الدنيا حالةٌ يسمع فيها سمعاً خارقاً للعادة ، بحيث كان يسمع أطيطَ السماء ، كما بينت ذلك في كتاب المعجزات ، وهذا قد ينفك في بعض الأوقات ويعود ، لآمانع منه ، وحالته صلى الله عليه وسلم في البرزخ كحالته في الدنيا سواء .

وقد يخرج من هذا جواب آخر ، وهو أن المراد سمعه المعتاد ، ويكون المراد برده إفاقته من الاستغراق الملكوتي وما هو فيه من المشاهدة ، فيرده الله تلك الساعة إلى خطاب مَنْ سَلَّمَ عليه في الدنيا ، فإذا فرغ من الردِّ عليه عاد إلى ما كان فيه .

ويخرج من هذا جواب آخر ، وهو أن المراد برد الروح التفرغ من الشغل ، وفراغ البال مما هو بصدده في البرزخ من النظر في أعمال أمته ، والاستغفار لهم من السيئات ، والدعاء بكشف البلاء عنهم ، والتردد في أقطار الأرض لحلول البركة فيها ، وحضور جنازة مَنْ مات من صالح أمته ؛ فإن هذه الأمور من جملة أشغاله في البرزخ كما وردت بذلك الأحاديث والآثار ، فلما كان السلام عليه من أفضل الأعمال وأجل القربات اختصَّ المسلم عليه بأن يَفْرُغَ له من أشغاله المهمة لحظة يردُّ عليه فيها ، تشریفاً له ومجازاة .

فهذه عشرة أجوبة كلها من استنباطي ، وقد قال الجاحظ : إذا نكحَ الفكر الحفظ وآد العجائب .

ثم ظهر لي جواب حادي عشر ، وهو أنه ليس المراد بالروح روح الحياة ، بل الارتياح كما في قوله تعالى : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ^(١)) فإنه قرىءَ فَرَوْحٌ - بضم الراء - والمراد أنه صلى الله عليه وسلم يحصل له بسلام المسلم عليه ارتياحٌ وفَرَحٌ وهشاشة لحيه ذلك ، فيجمله ذلك على أن يردَّ عليه .

ثم ظهر لي جواب ثاني عشر ، وهو أن المراد بالروح الرحمة الحادثة من ثواب الصلاة ، قال ابن الأثير في النهاية : تكرر ذكر الروح في الحديث كما تكرر في القرآن ، ووردت فيه على معانٍ ، والغالب منها أن المراد بالروح الذي يقومُ به الجسد ، وقد أطلق على القرآن ، والوحي ، والرحمة ، وعلى جبريل ، انتهى ، وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن الحسن البصري أنه قرأ قوله تعالى : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ^(١)) بالضم ، وقال : الروح الرحمة ، وقد تقدم في حديث أنس أن الصلاة تدخل عليه صلى الله عليه وسلم في قبره كما يدخل عليكم بالهدايا ، والمراد ثواب الصلاة ، وذلك رحمة الله وإنعاماته .

ثم ظهر لي جواب ثالث عشر ، وهو أن المراد بالروح الملكُ الذي وُكِّلَ بقبره

(١) من الآية ٨٩ من سورة الواقعة

صلى الله عليه وسلم يبلغه السلام ، والروح يطلق على غير جبريل أيضاً من الملائكة ، قال الراغب : أشرف الملائكة تسمى أرواحاً ، انتهى .

ومعنى « ردَّ الله إلى روحى » أى بعث إلى الملك الموكل بتبليغى السلام ، هذا غاية ما ظهر ، والله أعلم .

تنبيه : وقع فى كلام الشيخ تاج الدين أمران يحتاجان إلى التنبيه عليهما : أحدهما : أنه عزَّاه الحديث إلى الترمذى ، وهو غلط ، فلم يخرج من أصحاب الكتب الستة إلا أبو داود فقط ، كما ذكره الحافظ جمال الدين المزي فى الأطراف .

الثانى : أنه أورد الحديث بلفظ « ردَّ الله علىّ » وهو كذلك فى سنن أبي داود ، ولفظ رواية البيهقى « ردَّ الله إلىّ [روحى] » وهى ألطف وأنسب ، فإن بين التعديتين فرقا لطيفاً ، فإن ردَّ يتعدى بعلى فى الإهانة وبإلى فى الإكرام ، قال فى الصحاح : ردَّ عليه الشئ إذا لم يقبله ، وكذلك إذا خطأه ، وتقول : ردَّه إلى منزله ورد إليه جواباً - أى رجع - .

وقال الراغب : من الأول قوله تعالى : (يردوكم على أعقابكم^(١)) (ردُّوها علىّ^(٢)) (وتردَّ على أعقابنا^(٣)) ، ومن الثانى (فرَدَدْنَاهُ إلى أمه^(٤)) (واثن رُدَدْتُ إلى ربى لأجدنَّ خيراً منها منقلباً^(٥)) (ثم تُردُّون إلى عالم الغيب والشهادة^(٦)) (ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق^(٧)) .

فصل : قال الراغب : من معانى الردِّ التفويضُ ، يقال : رَدَدْتُ الحُكْمَ فى كذا إلى فلان ، أى فَوَضَّعْتُهُ إليه ، قال تعالى : (فإن تَنَازَعْتُمْ فى شئ فَرُدُّوهُ إلى الله

- (١) من الآية ١٤٩ من سورة آل عمران (٢) من الآية ٣٣ من سورة ص
 (٣) من الآية ٧١ من سورة الأنعام (٤) من الآية ١٣ من سورة القصص
 (٥) من الآية ٣٦ من سورة الكهف (٦) من الآية ٩٤ من سورة التوبة
 (٧) من الآية ٦٢ من سورة الأنعام

والرسول^(١) (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم^(٢)) انتهى
ويخرج من هذا جواب رابع عشر عن الحديث ، وهو أن المراد فَوْضَ الله إلى
رَدِّ السلام عليه ، على أن المراد بالروح الرحمة ، والصلاة من الله الرحمة ، فكان
المسلم بسلامه تعرض لطلب صلاة من الله تحقيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ
صلى على واحدة صَلَّى اللهُ عليه عشراً » والصلاة من الله الرحمة ، ففوض الله أمر هذه
الرحمة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليدعو بها للمسلم ، فتحصل إجابته
قطماً ، فتكون الرحمة الحاصلة للمسلم إنما هي ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم له وسلامه عليه ، وينزل ذلك منزلة الشفاعة في قبول سلام المسلم والإثابة
عليه ، وتكون الإضافة في «روحي» مجرد الملازمة ، ونظيره قوله في حديث الشفاعة :
« فيردّها هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ينتهي إلى محمد » .

وفي حديث الإسراء : « لقيت أيلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا
أمر الساعة ، فردوا أمرهم إلى إبراهيم ، فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى ،
فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى » .

والحاصل أن معنى الحديث على هذا الوجه إلا فَوْضَ الله إلى أمر الرحمة التي
تحصل للمسلم بسبب فأتولى الدعاء بها بنفسه ، بأن أنطق بلفظ السلام على وجه
الردِّ عليه في مقابلة سلامه والدعاء له .

ثم ظهر لي جواب خامس عشر ، وهو أن المراد بالروح الرحمة التي في قلب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته والرفقة التي جُبلَ عليها ، وقد يغضب في
بعض الأحيان على مَنْ عظمت ذنوبه أو انتهك محارم الله ، والصلاة على رسول الله
عليه الصلاة والسلام بسبب المغفرة الذنوب كما في حديث « إذن تكفي همك ويُغفر
ذنبك » فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه ما من أحد يسلم عليه وإن بلغت ذنوبه
ما بلغت إلا رجعت إليه الرحمة التي جُبلَ عليها حتى يرد عليه السلام

(١) من الآية ٥٩ من سورة النساء (٢) من الآية ٨٣ من سورة النساء

بنفسه ، ولا يمنعه من الرد عليه ما كان منه قبل ذلك من ذنب ، وهذه فائدة نفيسة وبُشرى عظيمة ، وتكون هذه فائدة زيادة «من» الاستغراقية في «أحد» المنفى الذى هو ظاهره فى الاستغراق قبل زيادتها نص فيه بعد زيادتها بحيث اتفق بسببها أن يكون من العام المراد به الخصوص .

هذا آخر ما فتح الله به الآن من الأجوبة ، وإن فتح بعد ذلك بزيادة الحقائقها ، والله الموفق بمنه وكرمه .

ثم بعد ذلك رأيت الحديث المسئول عنه مُخَرَّجاً في كتاب حياة الأنبياء للبيهقي بلفظ «إلا وقد رَدَّ اللهُ علىَّ روحى» فصرَّح فيه بلفظ «وقد» فحمدت الله كثيراً ، وقوى أن رواية إسقاطها محمولة على إضمارها ، وأن حذفها من تصرف الرواة ، وهو الأمر الذى جَنَحْتُ إليه فى الوجه الثانى من الأجوبة ، وقد عدتُ الآن إلى ترجيحه لوجود هذه الرواية فهو أقوى الأجوبة ، ومراد الحديث عليه الإخبارُ بأن الله يردُّ إليه روحه بعد الموت فيصيرُ حياً على الدوام ، حتى لو سلم عليه أحد رَدَّ عليه سلامه لوجود الحياة ، فصار الحديثُ موافقاً للأحاديث الواردة فى حياته فى قبره ، وواحداً من جملتها ، لا منافياً لها البتة بوجه من الوجوه ، والله الحمد والمنة .

وقد قال بعض الحفاظ : لو لم نكتب الحديث من ستين وجهاً ما عَقَلْنَاهُ ، وذلك لأن الطُّرُق يزيد بعضها على بعض تارة فى ألفاظ المتن ، وتارة فى الإسناد ؛ فيستبين بالطريق المزيد ما خفى فى الطريق الناقصة ، والله تعالى أعلم .

كتاب الإعلام ، بحكم عيسى عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فقد ورد علىَّ سؤال يوم الخميس سادس جمادى الأولى سنة ثمان وثمانين

وتماماً صورته : المستول الجواب عما يذكر ، وهو أن عيسى عليه السلام - حين ينزل في آخر الزمان - بماذا يحكم في هذه الأمة ، بشرع نبينا أو بشرعه ؟ وإذا قلتم إنه يحكم بشرع نبينا فكيف طريق حكمه به ، أمذهب من المذاهب الأربعة المتقررة أو باجتهاد منه ؟ وإذا قلتم بذهب من المذاهب الأربعة فبأي مذهب هو ؟ وإذا قلتم بالاجتهاد فبأي طريق تصل إليه الأدلة التي يستنبط منها الأحكام ، أبا لنقل الذي هو من خصائص هذه الأمة أو بالوحي ؟ وإذا قلتم بالنقل فكيف طريق معرفته صحيح السنة من سقيمها ، أمحكم الحفاظ عليه أو بطريق آخر ؟ وإذا قلتم بالوحي فأى وحي هو ، أوحى إلهام أو بتنزيل ملك ؟ فإذا كان بالثاني فأى ملك ؟ وكيف حكمه في أموال بيت المال وأراضيه وما صدر فيها من الأوقاف ؟ أيقر ذلك على ما هو الآن أو يحكم فيه بغير ذلك ؟ .

وأقول : قد ورد على هذا السؤال من مدة تقارب شهرين ، وذلك يوم الجمعة رابع عشر ربيع الأول من هذه السنة ، جاءني رجل من أهل العلم ممن أخذ العلم عن والدي ، فسألني عن أشياء من جملتها هذا السؤال ، وأجبت عنه بجواب مختصر ، ومن جملة ما سألني عنه في ذلك المجلس قصة استحياء الملائكة من عثمان ، وأخرجت له في ذلك حديثين غريبين خرّجتهما من تاريخ ابن عساكر ، وأوردتهما في كتابي تاريخ الخلفاء^(١) في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وها أنا ذاكر في هذه الأوراق جواب هذا السؤال على طريق البسط ، ذاكرًا في كل كلمة أوردتها مستندى فيها من الأحاديث والآثار وكلام العلماء .

فقول السائل « بماذا يحكم في هذه الأمة ؟ بشرع نبينا أو بشرعه ؟ » جوابه أنه يحكم بشرع نبينا لا بشرعه ، نص على ذلك العلماء ، ووردت به الأحاديث ، وانعقد عليه الإجماع ؛ فن جملة نصوص العلماء في ذلك قول الخطابي في معالم السنن عند ذكر حديث « إن عيسى يقتل الخنزير » : فيه دليل على وجوب قتل الخنازير ،

(١) انظر تاريخ الخلفاء للمؤلف بتحقيقنا ص ١٥١ و ١٥٣

و بيان أن أعيانها نجسة ، وذلك لأن عيسى عليه السلام إنما يقتل الخنزير على حكم شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأن نزوله إنما يكون في آخر الزمان ، وشريعة الإسلام باقية ، ومن ذلك قول النووي في شرح مسلم : ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل بشرح ينسخ شرعنا ، ولا في الأحاديث شيء من هذا ، بل صحت الأحاديث بأنه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ، ويجبي من أمور شرعنا ما هجره الناس .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ما أخرجه أحمد والبخاري والطبراني من حديث سمرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل عيسى ابن مريم مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته ، فيقتل الدجال ثم وإنما هو قيام الساعة » . وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي في البعث بسند جيد عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلبث الدجال فيكم ما شاء الله ، ثم ينزل عيسى بن مريم مصدقا بمحمد وعلى ملته إماما مهديا وحكما عدلا فيقتل الدجال » .

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول : ينزل عيسى بن مريم ، فيؤمهم فإذا رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده ، قتل الله الدجال ، وأظهر المؤمنين » . ووجه الاستدلال من هذا الحديث أن عيسى يقول في صلاته يومئذ « سمع الله لمن حمده » وهذا الذكر في الاعتدال من خواص صلاة هذه الأمة كما ورد في حديث ذكرته في كتاب المعجزات والخصائص .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : « يهبط المسيح ابن مريم فيصلي الصلوات ويجمع الجمع » فهذا صريح في أنه ينزل بشرعنا ؛ لأن مجموع الصلوات الخمس وصلاة الجمعة لم يكونا في غير هذه الملة .

وأخرج ابن عساكر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها ». وأخرج ابن عساكر أيضاً من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف تهلك أمة أنا أولها ، وعيسى ابن مريم آخرها ، والمهدي من أهل بيتي في وسطها » .

وقول السائل : « وإذا قلم إنه يحكم بشرع نبينا فكيف طريق حكمه به ؟ أذهب من المذاهب الأربعة المقررة أو باجتهاد منه ؟ » هذا السؤال عَجَبٌ من سائله ، وأشدَّ عجباً منه قوله فيه « بذهب من المذاهب الأربعة » فهل خطر ببال السائل أن المذاهب في هذه الملة الشريفة منحصرة في أربعة ؟ والمجتهدون من الأمة لا يحصون كثرة ، وكل له مذهب من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين وهلم جرا ، وقد كان في السنين الخوالي نحو عشرة مذاهب مُقلِّدة أربابها مدونة كتبها — وهي الأربعة المشهورة ، ومذهب سفيان الثوري ، ومذهب الأوزاعي ، ومذهب الليث ابن سعد ، ومذهب إسحاق بن راهويه ، ومذهب ابن جرير ، ومذهب داود — وكان لكل من هؤلاء أتباع يُفتنون بقولهم ويقضون ، وإنما انقرضوا بعد الخمائة لموت العلماء وقصور المهتم ، فالمذاهب كثيرة ، فلأى شيء خص السائل المذاهب الأربعة ؟ ثم كيف يظن بنبي أنه يقلد مذهباً من المذاهب ، والعلماء يقولون : إن المجتهد لا يقلد مجتهداً ؟ فإذا كان المجتهد من آحاد الأمة لا يقلد فكيف يظن بالنبي أنه يقلد ؟ .

فإن قلت : فتعين حينئذ القول بأنه يحكم بالاجتهاد .

قلت : لا ، لم يتعين ذلك ، فإن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يحكم بما أوحى إليه في القرآن ، ولا يسمى ذلك اجتهاداً كما لا يسمى تقليداً ، والدليل على ذلك أن العلماء حكوا خلافاً في جواز الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان حكمه بما يفهمه من القرآن يسمى اجتهاداً لم تنتج حكاية الخلاف .

فإن قلت : بين لنا طريق معرفة عيسى بأحكام هذه الشريعة .

قلت : يمكن أن يقال في ذلك ثلاثة طرق :

الطريق الأول : أن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرائع من قبلهم ومن بعدهم ، بالوحي من الله تعالى على لسان جبريل ، وبالتنبيه على بعض ذلك في الكتاب الذي أنزل عليهم ، والدليل على ذلك أنه ورد في الأحاديث والآثار أن عيسى عليه السلام بشر أمته بمجيء النبي صلى الله عليه وسلم بعده ، وأخبرهم بجملة من شريعته يأتي بها تخالف شريعة عيسى ، وكذلك وقع لموسى وداود عليهما السلام : من ذلك ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن وهب بن منبه قال : إن الله لما قرب موسى نبياً قال : رب إني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، فأجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها ، وكان من قبلهم يقرأون كتبهم نظراً ولا يحفظونها فأجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم ، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها فإن لم تقبل لم تأكلها النار ، فأجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ، قال : رب إني أجد في التوراة أمة إذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه ، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة ، وإذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، فأجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد ؛ فهذه أحكام في شرعنا مخالفة لشرع من قبلنا بينها الله تعالى لنبيه موسى فعلمها بالوحي لا بالاجتهاد ولا بالتقليد .

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة أيضاً عن وهب بن منبه قال : إن الله أوحى في الزبور : يا داود إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد صادقاً نبياً ، لا أغضب عليه أبداً ، ولا يعصيني أبداً ، وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة ، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض

التي افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالغسل من الجنابة ، كما أمرت الأنبياء قبلهم ، ومرتهم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم ، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم ، يداود إني فضلت محمداً وأمة على الأمم كلها ، أعطيتهم خصالاً لم أعطها غيرهم من الأمم ، لا أوأخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه إذا استغفروني منه غفرته ، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبة به أنفسهم عجلته لهم ، ولهم عندي أضعاف مضاعفة ، وأعطيتهم على المنصائب والبلايا إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم .

وأخرج الدارمي في مسنده عن ابن عباس أنه سأل كعب الأحبار : كيف تجد نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟ قال كعب : نجدُه محمد بن عبد الله مولده بمكة ويهاجر إلى طابة ويكون ملكه بالشام ، وليس بفخاش ، ولا بصخاب في الأسواق ، ولا يكافيء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، أمته الحمادون يحمدون الله في كل سرّاء ، ويكبرون الله على كل نجد ، يؤصّئون أطرافهم ، ويأتزون في أوساطهم ، يصفون في صلاتهم كما يصفون في قتالهم ، ودويّتهم في مساجدهم كدوى النحل ، يسمع مناديتهم في جو السماء .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صفتي في الإنجيل أحمد المتوكل ، مولده مكة ، ومهاجره إلى طيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، يجزي بالحسنة الحسنة ، ولا يكافيء بالسيئة ، أمته الحمادون ، يأتزون على أنصافهم ، ويؤصّئون أطرافهم ، أناجيلهم في صدورهم ، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال ، قر بأنهم الذي يتقربون به إلى دماؤهم ، رهبان بالليل ليوث بالنهار . »

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن كعب الأحبار قال : صفة هذه الأمة

في كتاب الله المنزل (خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ)^(١) الْأُولِ وَالْآخِرِ ، وَيُقَاتِلُونَ أَهْلَ الضَّلَالَةِ حَتَّى يُقَاتِلُوا الْأَعْمُورَ الدَّجَالَ ، هُمْ الْحَادُونَ رُعَاةَ الشَّمْسِ الْحَكَمُونَ ، إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمْ أَمْرًا قَالَ : أَفْعَلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَإِذَا صَارَ أَحَدُهُمْ عَلَى شَرَفٍ كَبَّرَ اللَّهَ ، وَإِذَا هَبَطَ وَادِيًا حَمِدَ اللَّهَ ، الصَّعِيدُ لَهُمْ طَهُورٌ وَالْأَرْضُ لَهُمْ مَسْجِدٌ حَيْثُمَا كَانُوا ، يَتَطَهَّرُونَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، طَهُورَهُمْ بِالصَّعِيدِ كَطَهُورَهُمْ بِالْمَاءِ حَيْثُ لَا يَجِدُونَ الْمَاءَ ، غُرٌّ مَحْجَلُونَ مِنْ آثَارِ الْوَضُوءِ .

فهذه جملة من أحكام شريعتنا مخالفة لشرع مَنْ قَبْلَنَا ، بَيَّنَّهَا اللَّهُ لِأَنْبِيَائِهِ فِيمَا أَنْزَلَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكِتَابِ ، وَقَدْ وَرَدَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ بَيِّنَاتٍ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَرَكْتَهَا خَوْفَ الْإِطَالَةِ ، وَوَرَدَتْ الْآثَارُ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ بَيْنَ الْأَنْبِيَائِهِ فِي كُتُبِهِمْ جَمِيعَ مَا هُوَ وَاقِعٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ أَحْدَاثٍ وَفِتَنِ وَأَخْبَارٍ خَلْفَائِهَا وَمُلُوكِهَا ، مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ : مَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ الْأُولِ « مَثَلُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ مِثْلُ الْقَطْرِ أَيْنَمَا يَقَعُ نَفَعٌ » .

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيَّةِ عَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ لِكُتُبِ الْأَحْبَارِ : كَيْفَ تَجِدُ نَعْتِي فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ : خَلِيفَةُ قَرْنٍ مِنْ حَدِيدٍ ، أَمِيرٌ شَدِيدٌ ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لِأُمَّةٍ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِكَ خَلِيفَةُ تَقْتُلُهُ أُمَّتُهُ ظَالِمِينَ لَهُ ، ثُمَّ يَقَعُ الْبَلَاءُ بَعْدَهُ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ دَعَا الْأَسْقَفَ فَقَالَ : هَلْ تَجِدُونَا فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِكُمْ ؟ قَالَ : نَجِدُ صِفَتَكُمْ وَأَعْمَالَكُمْ .

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ عَنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزِيدَ الثَّقَفِيِّ قَالَ : أَصْطَحَبَ قَيْسُ ابْنُ خُرْشَةَ وَكُتُبَ الْأَحْبَارِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَا صِفِّينَ وَقَفَ كَعْبٌ ثُمَّ نَظَرَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ : لِيَهْرَاقَنَّ بِهَذِهِ الْبَقْعَةَ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْءٌ لَا يَهْرَاقُ بِبَقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُ ، فَقَالَ قَيْسٌ : مَا يَدْرِيكَ فَإِنْ هَذَا مِنَ الْغَيْبِ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ ؟ فَقَالَ كَعْبٌ : مَا مِنْ

(١) مِنَ الْآيَةِ ١١٠ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

الأرض شهر إلا مكتوب في التوراة الذي أنزل الله على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة .

وأخرج عبد الله بن أحمد في روايات الزهد عن هشام بن خالد الربيعي قال : قرأت في التوراة أن السماء والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أربعين سنة .

والآثار في هذا المعنى كثيرة جداً ، وقد سرّدتُها في كتاب المعجزات ، وحاصلها القطع بأن الله بيّن لأنبيائه جميع ما يتعلق بهذه الأمة من أحكام ، وما يحدث فيها من حوادث وفتن ، فعلم الأنبياء ذلك بطريق الوحي من الله ، من غير احتياج إلى أن يأخذوه باجتهاد أو تقليد .

هذا ما يتعلق بالطريق الأول - وقد اعترض عليّ في هذا الطريق بأنه يلزم عليه أن يكون كل ما في القرآن مضمّناً في جميع الكتب السابقة ، وأقول : لا مانع من ذلك ، بل دلت الأدلة على ثبوت هذا اللازم ، قال تعالى : (وإنه لتنزيل من رب العالمين ، نزل به الروح الأمين) إلى قوله : (وإنه لني زبر الأولين)^(١) .

أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : (وإنه لتنزيل من رب العالمين)^(١) قال : القرآن ، وفي قوله : (وإنه لني زبر الأولين)^(١) ، قال : أي في كتب الأولين .

وأخرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية قال : يقول إنه في الكتب التي أنزلها على الأولين .

وأخرج عن مبشر بن عبيد القرشي في قوله : (أولم يكن لهم آية)^(٢) قال : أولم يكن لهم القرآن آية (أن يعلمه علماء بني إسرائيل)^(٢) فقد دلت هذه الآية وكلام السلف في تفسيرها على أن المعاني التي تضمنها القرآن موجودة في كتب الله السابقة ، وقد نص على هذا بعينه الإمام أبو حنيفة حيث استدل بهذه الآية على جواز قراءة

(١) الآيات ١٩٢-١٩٦ من سورة الشعراء (٢) من الآية ١٩٧ من سورة الشعراء

القرآن بغير اللسان العربي ، وقال : إن القرآن مُضَمَّن في الكتب السابقة ، وهي بغير اللسان العربي ، أخذاً من هذه الآية ، ومما يشهد بذلك وصفه تعالى للقرآن في عدة مواضع بأنه مُصَدِّق لما بين يديه من الكتب ؛ فلولا أن ما فيه موجود فيها لم يصح هذا الوصف ، من ذلك قوله تعالى : (وأُنزِلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه)^(١) .

أخرج ابن جرير عن ابن جريج في الآية قال : القرآن أمين على الكتب فيما أخبرنا أهل الكتاب عن كتابهم ، فإن كان في القرآن فصدقوا ، وإلا فكذبوا . وأخرج عن ابن زيد في الآية قال : كل شيء أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدق على كل ذلك ، كل شيء ذكر الله في القرآن فهو مصدق عليها ، وعلى ما حدث عنها أنه حق .

ومن ذلك قوله تعالى : (إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى)^(٢) . أخرج البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال : لما نزلت (إن هذا لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى)^(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان كل هذا في صحف إبراهيم وموسى » .

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عباس قال : هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : إن هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى مثل ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله : (إن هذا لفي الصحف الأولى)^(٢) قال : ما قص الله في هذه السورة .

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن : (إن هذا لفي الصحف الأولى)^(٢) قال : في كتب الله كلها ، ومن ذلك قوله تعالى : (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم

(١) من الآية ٤٨ من سورة المائدة (٢) الآيتان ١٨ و١٩ من سورة الأعلى

الذي وَفَى ، أن لا تَزِرُ (١) الآيات ، فقد دلَّ ذلك وأمثاله من القرآن على أن معاني القرآن موجودة في كتب الله تعالى التي أنزلها على أنبيائه ، والله تعالى أعلم .
الطريق الثاني : أن عيسى عليه السلام يمكن أن ينظر في القرآن فيفهم منه جميع الأحكام المتعلقة بهذه الشريعة ، من غير احتياج إلى مراجعة الأحاديث ، كما فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من القرآن ؛ فإن القرآن العزيز قد انطوى على جميع الأحكام الشرعية وفهمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بفهمه الذي اختص به ، ثم شرحها لأُمَّته في السنة ، وأفهام الأمة تقصر عن إدراك ما أدركه صاحب النبوة ، وعيسى عليه السلام نبي ، فلا يبعد أن يفهم من القرآن كفههم النبي صلى الله عليه وسلم .

وشاهد ما قلناه من أن جميع الأحكام الشرعية فهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن قولُ الإمام الشافعي رضي الله عنه : جميع ما حكم به النبي صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن .

ويؤيده ما أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني لا أحلّ إلا ما أحلَّ الله في كتابه ، ولا أحرّم إلا ما حرّم الله في كتابه » .

وقال الشافعي أيضاً : جميع ما تقوله الأمة شرحٌ للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن . وقال الشافعي أيضاً : ليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا في كتاب الله الدليلُ على سبيل الهدى فيها .

وقال ابن بركان : ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء فهو في القرآن ، أو فيه أصله قَرَبَ أو بعد ، فَهَمَهُ مَنْ فَهَمَهُ ، وعَمَهُ مَنْ عَمَهُ ، وكذا كل ما حكم أو قضى به .

وقال بعضهم : ما من شيء إلا يمكن استخراجُه من القرآن لمن فهمه الله ، حتى

(١) الآيتان ٣٦ و ٣٧ من سورة النجم

إن بعضهم استنبط عُمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين من قوله في سورة المنافقين : (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها^(١)) فإنها رأس ثلاث وستين سورة ، وعقبها التغابن ليظهر التغابن في فقده .

وقال المرسي في تفسيره : جَمَعَ القرآن علوم الأولين والآخرين ، بحيث لم يحط به علماً حقيقة إلا المتكلم به ، ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلا ما استأثر به سبحانه ، ثم رَوَتْ عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة ومثل ابن مسعود وابن عباس ، حتى قال : لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : « سيكون فتن ، قيل : وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم » رواه الترمذي ؛ وقال الله تعالى : (وأنزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء)^(٢) ، وقال تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٣) ؛ وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والحردلة والبعوضة » رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ، وأبو الشيخ بن حيان في كتاب العظمة ؛ وقال ابن مسعود : مَنْ أراد العلم فعليه بالقرآن ، فإن فيه خبر الأولين والآخرين ، رواه سعيد بن منصور في سننه ، وقال ابن مسعود أيضاً : أنزل الله في هذا القرآن كل علم ، وبين لنا فيه كل شيء ، ولكن علمنا يقصر عما بين لنا في القرآن ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما ، وقال ابن مسعود : إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله ، رواه ابن أبي حاتم ؛ وقال سعيد بن جبير : ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله ، رواه ابن أبي حاتم .

فَعَرِفَ بِمَجْمُوعِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ جَمِيعَ الشَّرِيعَةِ مُنْطَوِيَةٌ تَحْتَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْهَضُ لِإِدْرَاكِهَا مِنْهُ إِلَّا صَاحِبُ النَّبُوءَةِ ؛ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْعِبَارَةُ فِي

(١) من الآية ١١ من سورة المنافقين (٢) من الآية ٨٩ من سورة النحل

(٣) من الآية ٣٨ من سورة الأنعام

القرآن للعامة ، والإشارة للخاصة ، واللطائف للأولياء ، والحقائق للأنبياء ، وعيسى عليه السلام نبي رسول ؛ فيفهم من القرآن ما انطوى عليه ، ويحكم به وإن خالف الإنجيل ، وهذا معنى كونه يحكم بشرع نبينا صلى الله عليه وسلم .
فهذان طريقان ، كل منهما محتمل في معرفة عيسى عليه السلام بأحكام هذه الشريعة ، ومأخذها قوى في غاية الاتجاه ، والله أعلم .

الطريق الثالث : ما أشار إليه جماعة من العلماء منهم السبكي وغيره أن عيسى عليه السلام مع بقائه على نبوته معدود في أمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وداخل في زُمرَة الصحابة ؛ فإنه اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو حي مؤمناً به ومصداقاً ، وكان اجتماعه به مرات في غير ليلة الإسراء من جملتها بركة .

روى ابن عدي في الكامل عن أنس قال : « بَدِينَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ رَأَيْنَا بُرْدًا وَيَدًا ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا الْبُرْدُ الَّذِي رَأَيْنَا وَالْيَدُ ؟ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُمُوهُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : ذَاكَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ سَلَّمَ عَلَيَّ » .
وأخرج ابن عساکر من طريق آخر عن أنس قال : كنت أطوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الكعبة إذ رأيت صافح شيئاً لا نراه ، قلنا : يا رسول الله ، رأيناك صافحت شيئاً ولا نراه ، قال : ذاك أخي عيسى ابن مريم انتظرت حتى قضى طوافه فسلمت عليه ؛ فحينئذ لا مانع من أن يكون تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكامه المتعلقة بشريعته المخالفة لشريعة الإنجيل ؛ لعلمه بأنه سينزل في أمته ويحكم فيهم بشريعته ، فأخذها عنه بلا واسطة ، وقد روى ابن عساکر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن ابن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ، إلا إنه خالفتي في أمتي من بعدى » .

وقد رأيت في عبارة السبكي في تصديف له ما نصه : إنما يحكم عيسى بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة ، وحينئذ فيترجح أن أخذه للسنة من النبي صلى الله عليه وسلم بطريق المشافهة من غير واسطة ، وقد عدّه بعض المحدثين في

جملة الصحابة هو والخضر وإلياس ؛ قال الذهبي في تجريد الصحابة : عيسى ابن مريم عليه السلام نبي وصحابي ؛ فإنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وسلم عليه ؛ فهو آخر الصحابة موتاً ، انتهى .

وقولُ السائل : « وكيف حكمه في أموال بيت المال ؟ أيقرُّ ذلك على ما هو الآن ؟ » كلامٌ في غاية العجب ؛ فإن أموال بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي ، ولا يقر [ها] نبي على ذلك .

وقد قال أصحابنا في المواريث : إنه لا يُورَثُ بيت المال إلا عند انتظامه ، وانتظامه أن يكون كما كان في أيام الصحابة ؛ وقد قال ابن سُرَّاقَة من أئمتنا ، وهو قبل الأربعمائة : لبيت المال سنون كثيرة ما استقام ، فكيف قرب التسعمائة ؟ ! ولا يزداد الأمر إلا شدة ، وقد ألفت كتاباً في آداب الملوك ، من طالع ما فيه من الأحاديث والآثار علم أن غالب أمور بيت المال جارية الآن على غير القانون الشرعي .

وقد وردت الأحاديث بأن المهدي يأتي قبل عيسى ابن مريم عليه السلام فيملا الأرض عدلاً بعد ما ملئت جوراً ، ويأتي عيسى فيقر صنع المهدي ، ومما يعدل فيه المهدي أنه يقسم بين المسلمين فيهم الذي استولى عليه وولاية الأتراك وأكلوه ، واستبدوا به دونهم .

روى الإمام أحمد في مسنده والبزار والطبراني وأبو نعيم والحاكم في مستدركه بسند صحيح عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُوشِكُ أن يَمْلَأَ اللهُ أيديكم من العجم فياً كلون فيثكم » وورد ذلك أيضاً من حديث أنس وحذيفة وابن عمرو وأبي موسى الأشعري .

وروى ابن حبان في صحيحه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهدي : « إنه يقسم بين المسلمين فيهم ، ويعمل فيهم بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، ويلقى الإسلام بجرانه إلى الأرض ، يمكث سبع سنين » .

وأخرج أحمد في مسنده وأبو يعلى بسند جيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشركم بالمهدى ، يُبعث على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ، يقسم المال صحاحاً ، قيل : ما صحاحاً ؟ قال : بالسوية بين الناس ، ويملا قلوب أمة محمد غنى ، ويسهم عدله ، حتى يأمر منادياً فينادى « مَنْ له في مال حاجةٌ » فما يقوم من الناس إلا رجل واحد ، فيكون كذلك سبع سنين » .

وقول السائل « وما صدر فيها من الأوقاف » ؟ جوابه أن ما كان منها وقفاً على وجوه البر ومصالح المسلمين والعلماء والقرءاء وذرية النبي صلى الله عليه وسلم وأقاربه والفقراء والمرضى والزمنى والمنقطعين والمدارس والمساجد والحرمين وبيت المقدس وكسوة الكعبة وما شا كل ذلك فهو وقف صحيح موافق للشريعة فيقره ، وما كان وقفاً على نساء الملوك والأمراء وأولادهم فهو وقف باطل مخالف للشريعة فيبطله^(۱) ثم ظهر لي طريق رابع ، وهو أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم في الأرض ؛ فلا مانع من أن يأخذ عنه ما احتاج إليه من أحكام شريعته ، ومستندى في هذا الطريق أمور :

الأول : ما أخرجه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده لينزلن عيسى ابن مريم ، ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيبنه » .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليُهبطن الله عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ؛ فليسكن فجّ الرّوحاء حاجاً أو معتمراً ، وليقفن على قبري فليسلمن على ولأردن عليه »

(۱) المراد أنه يعضى وينفذ ما كان وقفاً على جهة من جهات البر ، ويبطل ما كان على النساء والأولاد بقصد تغيير الوارث الشرعية أو نحو ذلك نظير ما عرف الآن بالوقف الأهلي

الثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كان يرى الأنبياء ويجتمع بهم في الأرض ، كما تقدم أنه رأى عيسى في الطواف ، وصحَّ أنه صلى الله عليه وسلم مرَّ على موسى وهو يصلي في قبره ، وصحَّ أنه صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء أحياء يُصَلُّونَ » فكذلك إذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض يرى الأنبياء ويجتمع بهم ، ومن جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فيأخذ عنه ما احتاج إليه من أحكام شريعته .

الثالث : أن جماعة من أئمة الشريعة نصَّوا على أن من كرامة الولي أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجتمع به في اليقظة ، ويأخذ عنه ما قسم له من معارف ومواهب ، ومن نص على ذلك من أئمة الشافعية الغزالي والبارزى والتاج ابن السبكي والعفيف اليافعي ، ومن أئمة المالكية القرطبي وابن أبي جمرة وابن الحاج في المدخل ، وقد حكى عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه ، فروى ذلك الفقيه حديثاً ، فقال له الولي : هذا الحديث باطل ، فقال الفقيه : ومن أين لك هذا ؟ فقال : هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول : إني لم أقل هذا الحديث ، وكشف للفقيه فرآه ، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي : لو حُجِّبْتُ عن النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسي مع المسلمين .

فإذا كان هذا حال الأولياء مع النبي صلى الله عليه وسلم فعيسى النبي صلى الله عليه وسلم أولى بذلك أن يجتمع به في أي وقت شاء ، ويأخذ عنه ما أراد من أحكام شريعته من غير احتياج إلى اجتهاد ولا تقليد لحفاظ الحديث .

الرابع : أنه روى عن أبي هريرة أنه لما أكره الحديث وأنكر عليه الناس قال : لئن نزل عيسى ابن مريم قبل أن أموت لأحدثنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصدقني ، فقوله « فيصدقني » دليل على أن عيسى عليه السلام عالم بجميع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير احتياج إلى أن يأخذها عن أحد من الأمة ، حتى إن أبا هريرة الذي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم احتاج إلى أن يلجأ إليه ليصدقه فيما رواه ويذكره - هذا آخر الجواب .

ثم إن مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين وابن عم سيد المرسلين الإمام المتوكل على الله أعزّه الله وأعزّ به الدين وهو الأمر بالكتابة أولاً أعاد الأمر ثانياً : هل ثبت أن عيسى عليه السلام بعد نزوله يأتيه وحى؟ والجواب : نعم ، روى مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث النّوّاس بن سمان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، إلى أن قال : « فبينما هم على ذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم ؛ فينزل عند المنارة البيضاء شرقاً دمشق واضعاً يده على أجنحة ملكين فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرق فبينما هم كذلك أوحى الله إلى عيسى ابن مريم أني قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان^(١) لك بقتالهم فخرر عبادي إلى الطور ، فبعث الله يأجوج ومأجوج » الحديث . فهذا صريح في أنه يوحى إليه بعد النزول ، والظاهر أن الجاني إليه بالوحى جبريل عليه السلام ، بل هو الذي يُقَطَّع به ولا يتردد فيه ؛ لأن ذلك وظيفته ، وهو السفير بين الله وبين أنبيائه ، لا يُعرَف ذلك لغيره من الملائكة ، والدليل على ذلك ما أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة عن عائشة قالت : قال وَرَقَةُ لخديجة : جبريل أمين الله بينه وبين رسوله .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة عن ابن سابط قال : في أم الكتاب كل شيء هو كأن إلى يوم القيامة ، ووكل به ثلاثة من الملائكة ؛ فوكل جبريل بالكتب والوحى إلى الأنبياء ، ووكل أيضاً بالهلكات إذا أراد الله أن يهلك قوماً ، ووكله بالنصر عند القتال ، ووكل ميكائيل بالقطر والنبات ، ووكل ملك الموت بقبض الأنفس ، فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم وبين ما كان في أم الكتاب فيجدونه سواء .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء بن السائب قال : أول من يُحاسب جبريل ؛ لأنه كان أمين الله إلى رسوله .

(١) هكذا ، وهو نظير « لاوتران في ليلة » ولهما نظائر كثيرة .

وأخرج أبو الشيخ عن خالد بن أبي عمران قال : جبريل أمين الله إلى رسوله ، وميكائيل يتلقى الكتب ، وإسرافيل بمنزلة الحاجب .

وأخرج أيضاً عن عكرمة بن خالد «أن رجلاً قال : يارسول الله ، أي الملائكة أكرم على الله ؟ فقال : جبريل وميكائيل وإسرافيل وملاك الموت ، فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين ، وأما ميكائيل فصاحب كل قطرة تسقط وكل ورقة تبت ، وأما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر أو بحر ، وأما إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم .»

وأخرج أيضاً عن عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبريل في الملائكة خادم ربه .

وأخرج ابن أبي زمنين في كتاب السنة عن كعب قال : إذا أراد الله أن يوحى أمراً جاء اللوح المحفوظ حتى يصفق جبهة إسرافيل ، فيرفع رأسه فينظر فإذا الأمر مكتوب ، فينادى جبريل فيليبه فيقول : أمرت بكذا أمرت بكذا ، فيهبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فيوحى إليه .

وأخرج أبو الشيخ عن أبي بكر الهذلي قال : إذا أمر الله بالأمر تدأت الألواح على إسرافيل بما فيها من أمر الله ، فينظر فيها إسرافيل ، ثم ينادى جبريل فيجيبه - وذكر نحوه .

وأخرج أيضاً عن أبي سنان قال : اللوح المحفوظ معلق بالعرش ، فإذا أراد الله أن يوحى بشيء كتب في اللوح ، فيجىء اللوح حتى يقرع جبهة إسرافيل فينظر فيه فإن كان إلى أهل السماء دفعه إلى ميكائيل ، وإن كان إلى أهل الأرض دفعه إلى جبريل ، فأول ما يحاسب يوم القيامة اللوح يدعى به ترعد فرائصه ، فيقال له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : إسرافيل ، فيدعى إسرافيل ترعد فرائصه ، فيقال له : هل بلغت اللوح ؟ فإذا قال : «نعم» قال اللوح : الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب ، ثم كذلك .

وأخرج أيضاً عن وهيب بن الورد قال : إذا كان يوم القيامة دُعِيَ إسرائيل
تُرْعَدُ فرائضه ، فيقال : ما صنعت فيما أدّى إليك اللوح ؟ فيقول : بلغتُ جبريل ،
فيدعى جبريل ترعد فرائضه ، فيقال : ما صنعت فيما بلغك إسرائيل ؟ فيقول :
بلغت الرسل ، فيؤتى بالرسول ، فيقال : ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل ؟
فيقولون : بلغنا الناس ، فهو قوله تعالى : (فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن
المرسالين)^(١) .

وأخرج ابن المبارك في الزهد عن ابن أبي جبلة بسنده قال : أول من يدعى يوم
القيامة إسرائيل ، فيقول الله : هل بلغت عهدي ؟ فيقول : نعم ربّ قد
بلغت جبريل ، فيدعى جبريل ، فيقال : هل بلغك إسرائيل عهدي ؟ فيقول :
نعم ، فيخلى عن إسرائيل ، فيقول لجبريل : ما صنعت في عهدي ؟ فيقول : ياربّ
بلغتُ الرسل ، فيدعى الرسل ، فيقال لهم : هل بلغكم جبريل عهدي ؟ فيقولون :
نعم ، فيخلى عن جبريل - الحديث .

فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاصُ جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى
الأنبياء ، وعرف بها أيضاً أنه إنما يتلقى الوحي عن الله بواسطة إسرائيل ، وقد كنا
سألنا عن ذلك منذ أيام .

خاتمة : اشتهر على السنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت
النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا شيء لا أصل له ، ومن الدلائل على بطلانه ما أخرجه
الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت : « قلت : يا رسول الله هل يرقدُ
الجُنُبُ ؟ قال : ما أحبُّ أن يرقد حتى يتوضأ ، فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره
جبريل » فهذا الحديث يدلُّ على أن جبريل ينزل إلى الأرض ، ويحضر موتة
كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة .

ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض ، وهو ما أخرجه

(١) من الآية ٦ من سورة الأعراف

نعيم بن حماد في كتاب الفتن والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الدجال ، قال : « فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا ميكائيل بعثني الله لأمنعه من حرمة ، ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا جبريل بعثني الله لأمنعه من حرمة » .

ثم رأيت في قوله تعالى : (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ)^(١) الآية عن الضحاك أن الروح هنا جبريل ، وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ، ويسلمون على المسلمين ، وذلك في كل سنة .

وقد زعم زاعم أن عيسى ابن مريم إذا نزل لا يُوحى إليه وحياً حقيقياً ، بل وحي إلهام ، وهذا القول ساقط مهمل لأمرين :

أحدهما : مُنَابَذَتُهُ^(٢) للحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من صحيح مسلم وغيره ، وقد رواه الحاكم في المستدرک ولفظه « فبيناه كذلك إذ أوحى الله إليه : يا عيسى إني قد أخرجت عبداً لي لا يد لأحدٍ بقتالهم ، حول عبادي إلى الطور » وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وذلك صريح في أنه وحي حقيقي ، لا وحي إلهام .

والثاني : أن ما توهمه هذا الزاعم من تعذر الوحي الحقيقي فاسد ؛ لأن عيسى نبي ، فأى مانع من نزول الوحي إليه ؟ فإن تخيل في نفسه أن عيسى قد ذهب وصف النبوة عنه وانسلخ منه ، فهذا قول يقارب الكفر ؛ لأن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة أبداً ، ولا بعد موته ، وإن تخيل اختصاص الوحي للنبي بزمان دون زمن فهو [قول] لا دليل عليه ويُبطله ثبوت الدليل على خلافه .

(١) من الآية ٤ من سورة القدر

(٢) مراده بالمنابذة هنا المخالفة ، وكل ما خالف الحديث الثابت لا يلتفت إليه

وقد ألم السبکی بشيء مما ذكرناه ، فقال في تصنيف له : ما من نبي إلا أخذ الله عليه الميثاق أنه إن بُعث محمدٌ في زمانه ليؤمننَّ به ولينصرنه ، ويوصي أمته بذلك ، وفي ذلك - من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العليّ - ما لا يخفى ، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلًا إليهم ، وتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته ، ويكون قوله : « بعثت إلى الناس كافة » لا يختص به الناس من زمانه إلى يوم القيامة ، بل يتناول من قبلهم أيضاً ، إلى أن قال : فالنبي صلى الله عليه وسلم هو نبي الأنبياء ، ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أمتهم الإيمان به ونصرته ، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم ؛ فنبوته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل له ، وإنما أمره يتوقف على اجتماعهم معه ، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته ، وهو نبي كريم على حاله ، لا كما يظن بعض الناس أنه يأتي واحد من هذه الأمة ، نعم هو واحد من هذه الأمة بما قلناه أن اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة ، وكل ما فيه من أمر أو نهى ؛ فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الأمة ، وهو نبي كريم على حاله لم ينقص منه شيء ، وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم إلى أممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسولٌ إلى جميعهم ، فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم .

هذا كلام السبکی [بحروفه] ؛ فعرف بذلك أنه لا تنافي بين كونه ينزل متبعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وبين كونه باقياً على نبوته ويأتيه جبريل بما شاء الله من الوحي ، والله أعلم .

قال زاعم : الوحي في حديث مسلم مؤولٌ بوحى الإلهام .

قلت : قال أهل الأصول : التأويلُ صَرَفُ اللفظِ عن ظاهره لدليل^(١) ، فإن لم يكن للدليلِ قلبٌ لا تأويل ، ولا دليل على هذا فهو لعب بالحديث .
قال زاعم : الدليل عليه حديث « لا وَحْيَ بعدى » .
قلنا : هذا الحديث بهذا اللفظ باطل .

قال زاعم : الدليل عليه حديث « لا نبى بعدى » .

قلنا : يا مسكين ، لا دلالة في هذا الحديث على ما ذكرت بوجه من الوجوه ؛ لأن المراد لا يحدث بعده بَعَثُ نبي بشرع ينسخ شرعه كما فسره بذلك العلماء ، ثم يقال لهذا الزاعم : هل أنت آخذ بظاهر الحديث من غير حَمَلٍ على المعنى المذكور ، فيلزمك عليه أحد أمرين : إما نفي نزول عيسى ، أو نفي النبوة عنه ، وكلاهما كفر .
ثم بعد مدة من كتابتي لهذا الجواب وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الإسلام ابن حجر صورته : ما قولكم في قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل عيسى ابن مريم في آخر الزمان حكماً » فهل ينزل عيسى عليه السلام حافظاً لكتاب الله القرآن العظيم والسنة نبينا صلى الله عليه وسلم أو يتلقى الكتاب والسنة عن علماء ذلك الزمان ويجهد فيها ؟ وما الحكم في ذلك ؟ فأجاب بما نصه - ومن خطه نقلت -
لم ينقل لنا في ذلك شيء صريح ، والذي يليق بمقام عيسى عليه الصلاة والسلام أنه يتلقى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحكم في أمته بما تلقاه عنه ، لأنه في الحقيقة خليفة عنه ، والله أعلم .

تنبية : ويشبه هذا ما بلغني عن بعض المنكرين أنه أنكر ماورد من أن عيسى عليه السلام إذا نزل يصلي خلف المهدي صلاة الصبح ، وأنه صنف في إنكار ذلك كتاباً ، وقال في توجيه ذلك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أجلُّ مقاماً من أن يصلي خلف غير نبي ، وهذا من أعجب العجيب ، فإن صلاة عيسى خلف المهدي ثابتة في عدة أحاديث

(١) يريد أن الأصل بقاء اللفظ على ظاهره ، ولا يعدل عن ظاهره إلا لسبب والدليل الذي يصرف اللفظ عن ظاهره إما نقلي وإما عقلي

بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق الذي لا يخلف خبره :
من ذلك ما رواه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرک وصححه عن عثمان بن أبي
العاصي : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ، فذكر الحديث ، وفيه : « فينزل
عيسى عند صلاة الفجر ، فيقول له أميرُ الناس : تقدم يا روحَ الله فصلِّ بنا ، فيقول :
إنكم معشر هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض ، تقدم أنت فصلِّ بنا ، فيتقدم فيصلي
٣٣ ، فإذا انصرف أخذ عيسى حُرْبَتَهُ نحو الدجال . »

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم ؟ »

وفي مسند أحمد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« يخرج الدجال » فذكر الحديث ، إلى أن قال : « فإذا هم بعيسى ، فتقام الصلاة
فيقال له : تقدم يا روح الله ، فيقول : ليتقدم إمامكم » الحديث .

وفي مسند أبي يعلى عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال
طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم ، فيقول إمامهم :
تقدم ، فيقول : أنت أحقُّ ، بعضهم أمراء على بعض ، أكرم الله به هذه
الأمة . »

وروى أبو داود وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي قال : خطبنا رسول الله عليه
الصلاة والسلام فحدثنا عن الدجال ، فذكر الحديث إلى أن قال : « وإمامهم رجل
صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم [وهم في
صلاة] الصبح ، فرجع ذلك الإمام يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي ، فيضع عيسى
يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدم فصلِّ فإنها لك أقيمت ، فيصلي بهم إمامهم ، فإذا
انصرف قال عيسى : أقيموا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال . »

وروى مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال طائفة من
أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فينزل عيسى ابن مريم ،

فيقول أميرهم : تعال صلِّ بنا ، فيقول : لا ، إنَّ بهضمك على بعض أمين ، تكريمة الله هذه الأمة .

وقول هذا المنكر : « إن النبي أجلُّ مقاماً من أن يصلى خلف غير نبي » ، جوابه : أن نبينا صلى الله عليه وسلم أجلُّ الأنبياء مقاماً وأرفعهم درجة ، وقد صلى خلف عبد الرحمن بن عوف مرة ، وخلف أبي بكر الصديق مرة أخرى ، وقال : « إنه لم يمت نبي حتى يصلى خلف رجل من أمته » ثبت ذلك في أحاديث صحيحة فكيف يتَّجه لهذا المنكر أن يقول هذا الكلام بعد ذلك ؟ ولست أعجب من إنكار مَنْ لا يعرف ، إنما أعجب من إقدامه على تسطير ذلك في ورق يخذ بعده ، ويسطر في صحيفته .

ثم رأيت في مصنف ابن أبي شيبة : ثنا أبو أسامة عن هشام عن ابن سيرين قال : « المهديُّ من هذه الأمة ، وهو الذي يؤمُّ عيسى ابن مريم عليهما السلام » .

لبس اليلب ، في الجواب عن إيراد حلب

بسم الله الرحمن الرحيم

وَصَلَ كتاب الأعلام إلى حلب ، فوقف عليه واقف ، فرأى قولى فيه « إن جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه ، لا يُعرَفُ ذلك لغيره من الملائكة » ، فكتب على الهامش بخطه ما نصه : بل قد عُرِفَ ذلك لغيره من الملائكة ، قال الحافظ برهان الدين الحلبي في شرح البخارى : اعلم أن في كيفية نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع صور ، ذكرها السهيلي في روضه - إلى أن قال : سابعها وَحْيُ إِسْرَافِيلَ ، كما ثبت عن الشعبي أن النبي عليه الصلاة والسلام وَكَّلَ به إِسْرَافِيلَ ، فكان يتراءى له ، ويأتيه بالكلمة والشئ ، ثم وكل به جبريل ، قال ابن عبد البر في أول الاستيعاب وساق سنداً إلى الشعبي ، قال : أنزلت عليه

النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسمرافيل ثلاث سنين ، ثم نقل عن شيخه ابن الملقن أن المشهور أن جبريل ابتداءً بالوحي ، انتهى كلام المعارض .

وأقول : الجواب عن ذلك من وجوه :

أحدها : ما نقله المعارض نفسه في آخر كلامه عن ابن الملقن أن المشهور أن جبريل ابتداءً بالوحي ، وإنما قال ابن الملقن ذلك لأنه الثابت في أحاديث الصحيحين وغيرهما ، وأثر الشعبي مرسل أو معضل ، فكيف يعتمد عليه مع ثبوت خلافه في الصحيحين وغيرهما ؟ والعجب من المعارض كيف اعترض بما لم يثبت مع نقله في آخر كلامه أن المشهور خلاف ما اعترض به ؟ .

الوجه الثاني : أن المراد بالسفير الذي هو مرصد لذلك ، وذلك لا يعرف تغير جبريل ، ولا ينافي ذلك مجيء غيره من الملائكة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام في بعض الأحيان ، كما أن كاتب السر مرصد للتوقيع عن السلطان ، ولا ينافي ذلك أن يوقع عنه غيره في بعض الأحيان ، فلا يسلب كاتب السر الاختصاص بهذا الاسم ، ولا يشاركه فيه من وقع مرة أو مرتين ، فكذلك لا يسلب جبريل الاختصاص باسم السفير ، ولا يشاركه فيه أحد من الملائكة الذين جاءوا إلى الأنبياء في وقت ما ، وكمن ملك غير إسمرافيل جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام في قضايا متعددة كما هو في كثير من الأحاديث ، وجاء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام فبشره بالخلة ، فعجب من المعارض كيف اقتصر على إسمرافيل دون مجيء غيره من الملائكة ؟ .

الوجه الثالث : إن العبارة التي أوردتها وهو السفير بين الله وبين أنبيائه بصيغة الجمع ، وإسمرافيل لم ينزل إلى أحد غير النبي عليه الصلاة والسلام كما ورد في الحديث ، وذكر بعض العلماء في حكمته أنه الموكل بالنفخ في الصور ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث قرب الساعة ، وكانت بعثته من أشراتها ، فبعث إليه إسمرافيل بهذه المناسبة ، ولم يبعث إلى نبي قبله ، وحينئذ فالبعث إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقط لا يصدق عليه أنه سفير بين الله وبين أنبيائه ، بصيغة الجمع ؛ لأنه لم يكن سفيراً إلا بين الله وبين نبي واحد ، والحكم المنفي عن المجموع لا يلزم نفيه [إذا نُفِيَ] عن فرد من أفراد ذلك المجموع ، فلا يصح النقص به .

الوجه الرابع : أنه قد ورد في الحديث ما يوهى أثر الشعبي ، وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن ابن عباس ، قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل إذ سمع نقيضاً من السماء من فوق ، فرفع جبريل بصره إلى السماء ، فقال : يا محمد ، هذا ملك قد نزل لم ينزل إلى الأرض قط ، قال : فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فسلم عليه ، فقال : أبشِرْ بنورين أوتيتهما لم يُؤتتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيتهما » قال جماعة من العلماء : هذا الملك هو إسرافيل .

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ، ولا يهبط على أحدٍ بعدى ، وهو إسرافيل ، فقال : أنا رسول ربك إليك ، أمرني أخبرك إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكاً ؛ فنظرت إلى جبريل ، فأومأ إلى أن تواضع ، فلو أنى قلت نبياً ملكاً لسارت الجبال معي ذهباً » .

وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الأحاديث ، وهما ظاهران في أن إسرافيل لم ينزل إليه قبل ذلك ، فكيف يصح قول الشعبي : إنه أتاه في ابتداء الوحي ؟

الوجه الخامس : أننا قد أقمنا في الأعلام الدليل على ذلك عقبه ، وهو قول ورقة : جبريل أمين الله بينه وبين رسوله ، وقول ابن سابط : فَوُكِّلَ جبريل بالكتب والوحي إلى الأنبياء ، وقال عطاء بن السائب : أول ما يحاسب جبريل لأنه كان أمين الله إلى رسوله ، وميكائيل يتلقى الكتب ، وإسرافيل بمنزلة الحاجب ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « فأما جبريل فصاحبُ الحربِ وصاحبُ المرسلين » الحديث ،

وآثار آخر؛ وقلنا في آخر الكلام : فعرف بمجموع هذه الآثار اختصاص جبريل من بين سائر الملائكة بالوحي إلى الأنبياء ، أفما كان عند المعارض من الفطنة ما يهتدى به لصحة هذا الكلام أخذاً من هذه الأدلة ؟ هذا آخر الجواب ، والله أعلم

مبحث المعاد

وهو ثلاثة أقسام : أحوال البرزخ ، وأشراط الساعة ، والبعث

أحوال البرزخ

اللمعة ، في أجوبة الأسئلة السبعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : هل يعلم الأموات بزيارة الأحياء وبما هم فيه ؟ وهل يسمع الميت كلام الناس وما يقال فيه ؟ وأين مقرُّ الأرواح ؟ وهل تجتمع ويرى بعضهم بعضاً ؟ وهل يُسأل الشهيد والطفل ؟

الجواب : هذه مسائل مهمة قلَّ من تكلم عليها بما يشفي ، وأنا إن شاء الله تعالى أتبع الأحاديث والآثار الواردة في ذلك .

أما المسألة الأولى فنعم يعلمون بذلك .

روى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عليه إلا استأنس به ، وردَّ عليه حتى يقوم .

وروى ابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد من حديث ابن عباس قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه وردَّ عليه السلام » صححه أبو محمد عبد الحق .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب القبور عن محمد بن قدامة الجوهري عن مَعْن ابن عيسى القزاز عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي هريرة قال : إذا مرَّ الرجلُ بقبرٍ يعرفه فسَلِّم عليه ردًّا عليه السلام وعرفه ، وإذا مرَّ بقبرٍ لا يعرفه فسَلِّم عليه ردًّا عليه السلام .

وروى فيه عن محمد بن واسع قال : بلغني أن الموتى يعلمون بزُورهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ، وعن الضحاك قال : مَنْ زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميتُ بزيارته ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لمكان يوم الجمعة .
وأما المسألة الثانية - وهي علم الأموات بأحوال الأحياء ، وبما هم فيه - فنعم أيضاً .

روى الإمام أحمد في مسنده ثنا عبد الرزاق عن سفيان عن سمع أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعمالكم تُعرضُ على أقاربكم وعشائركم من الأموات ، فإن كان خيراً استبشروا ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تتمهم حتى تهديهم كما هديتنا » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده : حدثنا الصَّلْتُ بن دينار عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وعلى أقربائكم في قبورهم ، فإن كان خيراً استبشروا به ، وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم ألهمهم أن يعملوا بطاعتك » .

وروى الطبراني في الأوسط من طريق مسَّمة بن علي - وهو ضعيف - عن زيد ابن واقد وهشام بن الغاز عن مكحول عن عبد الرحمن بن سلامة عن أبي رُهم عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن نفس المؤمن إذا قُبِضَتْ تَلَقَّاهَا أهلُ الرحمة من عباد الله كما تلقون البشير من أهل الدنيا ، فيقولون : انظروا صاحبكم ليستريح ، فإنه في كرب شديد ، ثم يسألونه : ما فعل فلان ؟ وفلانة هل تزوجت ؟ فإذا سأله عن الرجل قد مات قبله فيقول : أيها قد مات ذلك قبلي ،

فيقولون : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية ، فبُذِست الأم وبُذِست المرية » وقال : « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة ، فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا ، وقالوا : اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه وأُمَّتُهُ عَلَيْهَا ، ويعرض عليهم عملُ المسيء فيقولون : اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به وتقر به إليك » ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب المغامات عن محمد بن الحسين عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن المبارك عن ثور بن يزيد عن أبي رُهم عن أبي أيوب قال : « تعرض أعمالكم على الموتى ، فإن رأوا حسناً فرحوا واستبشروا ، وإن رأوا سوءاً قالوا : اللهم راجع به » .

وروى الترمذی الحكيم في نوادر الأصول من حديث عبد الغفور بن عبدالعزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تُعْرَضُ الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله ، وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة ، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً وإشراقاً ، فأتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم » .

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب المغامات ثنا القاسم بن هاشم ومحمد بن رزق الله قالا : ثنا يحيى بن صالح الوحاظي ثنا أبو إسماعيل السُّلُوِي سمعت مالك بن الداء يقول : سمعت النعمان بن بشير يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الله الله في إخوانكم من أهل القبور ؛ فإن أعمالكم تُعْرَضُ عليهم » .

وقال : ثنا عبد الله بن شبيب ثنا أبو بكر بن شيبه الحزامي ثنا فليح بن إسماعيل ثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن أبي صالح والمقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَفْضَحُوا موتاكم بسيئات أعمالكم ؛ فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور » .

وقال : ثنا الحسن بن عبد العزيز ثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عبد العزيز عن بلال بن أبي الدرداء قال : كنت أسمع أبا الدرداء يقول : اللهم إني أعوذ بك

أن يمقتنى خالي عبدُ الله بن رواحة إذا لقيته .

وقال : ثنا أبو هشام ثنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال :
إنه ليبشّر بصلاح ولده من بعده لتقرّ بذلك عينه .

وأما المسألة الثالثة - وهي هل يسمع الميت كلام الناس وثنائهم عليه وقولهم فيه ؟
- فنعم أيضاً .

أخرج الإمام أحمد في مسنده والروزي في الجنائز وابن أبي الدنيا وغيرهم من
طريق أبي عامر العقدي عن عبد الملك بن الحسن المدني عن سعد بن عمرو بن سليم
عن معاوية - أو ابن معاوية - عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن الميت يعرف مَنْ يُعَسَّلُه ويحمله ويدأيه في قبره » وأخرجه الطبراني
في الأوسط من طريق آخر عن أبي سعيد .

وأخرج ابن أبي الدنيا وغيره بأسانيد عن عمرو بن دينار وبكر بن عبد الله المزني
وسفيان الثوري وغيرهم معنى ذلك .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا سُريج بن يونس ثنا عبيدة بن حميد أخبرني عمار
عن سالم بن أبي الجعد قال : قال حذيفة : الروح بيد ملك ، وإن الجسد ليفسل ،
وإن الملك ليمشي معه إلى القبر ، فإذا سُوي عليه سلك فيه ؛ فذلك حين يخاطب .

وقال : ثنا الحسين بن عمرو القرشي ثنا أبو داود الحفري ثنا سفيان عن الأعمش
عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : الروح بيد ملك يمشي
به مع الجنائزة ، يقول له : اسمع ما يقال لك ، فإذا بلغ حُفْرَتَه دَفَنَه معه .

وأما المسألة الرابعة - وهي مقرُّ الأرواح - فهي أجلُّ هذه المسائل ، وأنا أستوفي
لها إن شاء الله تعالى ما وقَّمتُ عليه في ذلك .

روى مالك في الموطأ عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن
أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما
نَسَمَةُ المؤمنِ طائرٌ يعلق في شجر الجنة حتى يَرْجِعَهُ اللهُ إلى جسده يوم يبعثه »

هذا حديث صحيحٌ أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن الشافعي عن مالك والنسائي وغيره .

وأخرج أحمد والطبراني في الكبير بسند حسن عن أم هانئ « أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتزاور إذا مُتْنَا ، ويرى بعضنا بعضاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تكون النسم طيراً تعلق بالشجر ، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » .

وأخرج مسلم وغيره من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً « أرواح الشهداء عند الله في حواصل طيور : تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت ، ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش » .

وأخرج أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم بسند صحيح عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش » .

وأخرج أحمد وعبد في مسنديهما والطبراني بسند حسن عن محمود بن لبيد عن ابن عباس مرفوعاً « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج إليهم رزقهم من الجنة غدوة وعشيّة » .

وأخرج البيهقي في البعث والطبراني بسند حسن عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : « لما حضرت كعباً الوفاة أتته أم بشر بنت البراء ، فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، إن لقيت كعباً فأقرئه مني السلام ، فقال لها : يغفر الله لك يا أم بشر ، نحن أشغل من ذلك ، فقالت : أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن نسمة المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ، ونسمة الكافر في سجين؟ قال : بلى ، قالت : فهو ذاك » .

وقال الطبراني : حدثنا أبو زرعة الدمشقي ثنا عبد الله بن صالح عن ضمرة بن

حبيب قال : « سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أرواح المؤمنين ، فقال : في طير خُضْرُ تسرح في الجنة حيث شاءت ، قالوا : يا رسول الله وأرواح الكفار ؟ قال : محبوسة في سِجِّينِ » هذا حديث مرسل .

وأخرج أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه والبيهقي وابن أبي داود في كتابي البعث لهما وغيرهم من طرق عن أبي هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « أولادُ المؤمنين في جبل في الجنة يكفُّهُمُ إبراهيم وسارة حتى يردَّهم إلى آباءهم يوم القيامة » صححه الحاكم .

وأخرج البيهقي في الدلائل وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيريهما وغيرهم من طريق أبي محمد الحمانى عن أبي هرُون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « أتيت بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج ، ما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء ؟ فإن ذلك أعجبه بالمعراج ، فصعدت أنا وجبريل ، فاستفتح باب السماء ، فإذا أنا بآدم تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين ، فيقول : روح طيبة ونفس طيبة ، اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار ، فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة ، اجعلوها في سجين » .

وقال أبو نعيم الأصبهاني : حدثنا أحمد بن إبراهيم الكيال ثنا موسى بن شعيب أبو عمران السمرقندى ثنا محمد بن سهيل ثنا أبو مقاتل السمرقندى ثنا أبو سهل هشام بن مصك عن الحسن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « إن أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة » .

هذا ماوقفت عليه من الأحاديث المرفوعة ، وأما الموقوفة فقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن رجاء ثنا النضر بن شميل ثنا حماد بن سلمة ثنا علي بن يزيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب قال : « أبعثُ بقعة في الأرض إلى الله واديه يقال له برهوت ، فيه أرواح الكفار » .

وأَسْنَدُ البیهقی فی البعث وابن أبی الدنیا فی کتاب المنامات عن سعید بن المسیب أن سلمان الفارسی وعبد الله بن سلام التقیا ، فقال أحدهما لصاحبه : إن لقيت ربك قبلي فأخبرني ماذا لقيت ، فقال : أو يَلْقَى الأحياء الأموات ؟ فقال : نعم ، أما المؤمنون فإن أرواحهم في الجنة وهي تذهب حيث شاءت .

وأَسْنَدُ البیهقی والطبرانی فی الكبير عن عبد الله بن عمرو قال : الجنة مَطْوِيَةٌ في قرون الشمس تنشر في كل عام مرتين ، وأرواح المؤمنین في طير كالزرازير تأكل من شجر الجنة .

وأَسْنَدُ المروزی فی الجنائز عن العباس بن عبد المطلب قال : ترفع أرواح المؤمنین إلى جبریل ، فيقال : أنت وليُّ هذه إلى يوم القيامة .

وأَسْنَدُ عن عبد الله بن عمرو قال : أرواح الكفار تجمع بيهوت سَبَخَةٍ بحضرموت ، وأرواح المؤمنین تجتمع بالجابية .

وأَسْنَدُ البیهقی عن ابن عباس عن كعب قال : جنة المأوى فيها طير خضر ترتقي فيها أرواح الشهداء تسرح في الجنة ، وأرواح آل فرعون في طير سودٍ تغدو على النار وتروح ، وإن أطفال المسلمين في عصافير الجنة .

وأَسْنَدُ أبو نعیم فی الحلیة عن وهب بن منبه قال : إن لله في السماء السابعة داراً يقال لها البيضاء ، تجتمع فيها أرواح المؤمنین ، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم .

وقال ابن أبی الدنیا : حدثنا خالد بن خدّاش سمعت مالك بن أنس يقول : بلغني أن أرواح المؤمنین مُرْسَلَةٌ تذهب حيث شاءت

وأما المسألة الخامسة — وهي هل تجتمع الأرواح ، ويرى بعضهم بعضاً ؟ — فنعم أيضاً ، وقد تقدّم ذلك في حديث أبي أيوب عند الطبرانی ، وفي حديث أم بشر عنده وعند البیهقی ، وفي أثر وهب .

وقال ابن أبی الدنیا : حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع ثنا فضيل بن سليمان

النميري ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن جده قال : « لما مات بشر ابن البراء بن معرور رجدت عليه أمهٌ وجداً شديداً ، فقالت : يا رسول الله إنه لا يزال الهالكُ يهلك من بنى سائمة ، فهل تتعارف الموتى فأرسلُ إلى بشر بالسلام ؟ فقال : نعم ، والذي نفسى بيده إنهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤوس الشجر . »

وكان لا يهلك هالك من بنى سائمة إلا جاءته أمٌ بشر فقالت : يا فلان عليك السلام ، فيقول : وعليك ، فتقول : اقرأ على بشر السلام .

وقال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا الحسن ثنا ابن لهيعة عن دراج عن عيسى ابن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن روحَي المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط . »

وأخرج البزار بسند صحيح عن أبي هريرة رَفَعَهُ أن المؤمن ينزلُ به الموت وبعين ما يعاين يودُّ لو خرجت نفسه ، والله يحب لقاء المؤمن ، وإن المؤمن تصعد روحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفه من أهل الأرض ، فإذا قال : تركت فلانا في الدنيا أعجبهم ذلك ، وإذا قال : إن فلانا قد مات ، قالوا : ما جرى به إلينا .

وأخرج ابن أبي الدنيا بأسانيد عن عبيد بن عمير قال : إذا مات الميت تَلَقَّتْهُ الأرواح ، فيستخبرونه كما يستخير الراكب : ما فعل فلان وفلان .

وعن الحسن قال : إذا اُخْتُصِرَ المؤمنُ حضره خمسمائة ملكٍ يقبضون روحه فيَعْرُجُون به إلى السماء الدنيا ، فتتلقاه أرواحُ المؤمنين الماضين ، فيريدون أن يستخبروه ، فتقول لهم الملائكة : ارفقوا به فإنه خرج من كربٍ عظيم ، فيسأله الرجلُ عن أخيه وعن صاحبه .

وعن سعيد بن جبير قال : إذا مات الميتُ استقبله ولده كما يستقبل الغائب .

وعن ثابت البناني قال : بلغنا أن الميت إذا مات اُخْتُوَشَهُ أهله وأقاربه

الذین قد تقدموه من الموتی ، فهو أفرحُ بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم على أهله .

وأما المسألة السادسة — وهي أن الشهيد هل يسأل ؟ — فجوابه لا ، صرح به جماعة منهم القرطبي ، واستدل بحديث مسلم « أنه صلى الله عليه وسلم سُئل هل يفتن الشهيد ؟ فقال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنةً » قال القرطبي : ومعناه أن السؤال في القبر إنما جعل لامتحان المؤمن الصادق في إيمانه من المنافق ، وثبوته تحت بارقة السيوف أدلُّ دليل على صدقه في إيمانه ، وإلا لفرَّ إلى الكفار .

وأما المسألة السابعة — وهي أن الطفل هل يسأل ؟ — ففيه قولان للحناابلة حكاهما ابن القيم في كتاب الروح ، وقول النووي في الروضة وشرح المهدب « إن التَّائِبِينَ بعد الدفن يختص بالبالغ وإن الصبي الصغير لا يلقن » دليل على اختياره أنه لا يسأل ، والله أعلم .

مسألة : (۱)

| | |
|--------------------------------------|-----------------------------------|
| ماذا يقول إمامُ العصرِ مجتهد | قد فاق سالفه في العُجم والعربِ |
| فيما روى عن رسول الله من كلم | لأهل بدرٍ وقد رُدُّوا إلى القُلبِ |
| وقيل : كلَّمتَ موتى لا سماع لهم | فقال : اسمُ بأسمع جاء في الكتبِ |
| وقال : لا تُسمعُ الموتى إلا له ، وذا | مُعَارِضٌ للذي قلناه في الرُّتبِ |
| لا زالت تُرشدُ عبداً ظل في حلك | بواضح الفرق خالي الشك والريبِ |
| الجواب : | |

| | |
|----------------------------------|---------------------------------|
| الحمدُ لله حمداً دائماً الحقب | ثم الصلاة على المبعوث خير نبي |
| سماعُ موتى كلامَ الخلق معتقداً | جاءت به عندنا الآثارُ في الكتبِ |
| وآية النفي معناها سماع هـ ـ ـ ـ | لا يقبلون ولا يصغون للأدبِ |
| فالنفي جاء على معنى المجاز ، فخذ | واجتمع به بين ذا مع هذه تصبِ |

(۱) قد تقدمت هذه المسألة بهذا النظم مع زيادة ، انظرها في ص ۵۳ من هذا الجزء

مسألة : سؤال منكر ونكير في القبر ، هل هو عام لجميع الخلق أو يستثنى منه أحد ؟ وهل تسأل الأطفال والسقط ؟ .

الجواب : ليس عاماً للخلق ، بل يستثنى منه الشهيد ؛ ففي الحديث « أنه صلى الله عليه وسلم سُئل : أيفتن الشهيد في قبره ؟ فقال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » قال القرطبي في التذكرة نقلاً عن الحكيم الترمذي : معناه أنه لو كان عنده نفاق فرَّ عند التقاء الزحفين وبريق السيوف ؛ لأن من شأن المنافق الفرار عند ذلك ، وشأن المؤمن البذل والتسليم لله ، فلما ظهر صدق ضميره حيث برز للحرب والقتل لم يعد عليه السؤال في القبر الموضوع لامتحان المسلم الخالص من المنافق ، قال القرطبي : وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق من باب أولى ، لأنه أجلُّ قدراً ، ومن يستثنى المرابط ، فقد ورد فيه أحاديث ، والمطعون ، والصابر في بلد الطمن محتسباً ومات بغير الطاعون — صرح به الحافظ ابن حجر في كتاب «بذل الماعون» والأطفال في أصح القولين .

الاحتفال ، بالأطفال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : اختلف في الأطفال ، هل يُفتنون في قبورهم ويسألهم منكر ونكير أولاً ؟ على قولين شهيرين حكاهما ابن القيم في كتاب «الروح» عن أصحابه الحنابلة ، ورأيتهما أيضاً للحنفية وللمالكية ، ويخرجان من كلام أصحابنا الشافعية ، أحدهما : أنهم لا يُسألون ، وبه جزم النسفي من الحنفية ، وهو مقتضى كلام ابن الصلاح والنووي وابن الرفعة والسبكي ، وصرح به الزركشي ، وأفتى به الحافظ ابن حجر ، والثاني : أنهم يُسألون ، رويناها عن الضحاك من التابعين ، وجزم به من الحنفية

البرازي والبيكساري والشيخ أكل الدين ، وهو مقتضى كلام ابن فورك والمتولى وابن يونس من أصحابنا ، ونقله الشيخ سعد الدين التفتازاني عن أبي شجاع ، وجزم به من المالكية القرطبي في التذكرة والفاكهاني وابن ناجي والأقفهسي ، وصححه صاحب المصباح في علم الكلام .

ذكر نقول القول الأول

قال النسفي في بحر الكلام : الأنبياء وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ، ولا عذاب القبر ، ولا سؤال منكر ونكير .

وقال النووي في الروضة من زوائده ، وفي شرح المذهب : التلقين إنما هو في حق الميت المكلف ، أما الصبي ونحوه فلا يلقن ، قال الزركشي في الخادم : هذا تابع فيه ابن الصلاح ، فإنه قال : لا أصل لتلقيه — يعني لأنه لا يُفْتَنُ في قبره — وقل في موضع آخر في الخادم : ما قاله ابن الصلاح والنووي مبنى على أنه لا يسأل في قبره ، انتهى .

وقد تابعهما على ذلك ابن الرفعة في الكفاية ، والسبكي في شرح المنهاج ، وسئل الحافظ ابن حجر عن الأطفال : هل يسألون ؟ فأجاب بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً .

ذكر نقول القول الثاني

أخرج ابن جرير في تفسيره عن جويبر قال : مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام فقال : إذا وضعت ابني في الحادة فأبرز وجهه وحل عقده ؛ فإن ابني مُجَلَسٌ ومُسْتَوَلٌ ، فقلت : عمُّ يُسأل ؟ قال : عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم .

وقال البرازي من الحنفية في فتاويه : السؤال لكل ذي روح ، حتى الصبي والله تعالى أعلم .

وقال الزركشي في الخادم : قد صرح ابن يونس في شرح التعجيز بأنه يستحب

تَلْقِينُ الطِّفْلَ ، واحتجَّ بأن النبي صلى الله عليه وسلم لَقَّنَ ابنه إبراهيم ، قال : وهذا احتجَّ به المتولَّى في أصل المسألة .

وقال السبكي في شرح المنهاج : إنما يلقن الميت المكلف ، أما الصبي فلا يلقن ، وقال في التتمة : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما لحد ابنه إبراهيم لقنه ، وهذا غريب ، انتهى .

وعبارة التتمة : الأصل في التلقين ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دفن إبراهيم قال : « قُلْ اللهُ رَبِّي ، ورسولى أبى ، والإسلام دينى ، فقليل له : يا رسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا ؟ فأنزل الله تعالى : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)^(١) » انتهى .

وقال الشيخ سعد الدين في شرح العقائد : قال أبو شجاع : إن للصبيان سؤالا ، وقال صاحب المصباح : الأصح أن الأنبياء لا يسألون وتسال أطفال المسلمين ، وتوقف أبو حنيفة في سؤال أطفال المشركين .

وقال القرطبي في التذكرة : فإن قالوا : ما حكم الصغار عندهم ؟ قلنا : هم كالبالغين ، وإن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ، ويُبْهَمُونَ الجواب عما يسألون عنه ، هذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار ، وقد جاء أن القبر ينضمُّ عليهم كما ينضم على الكبار .

وقد روى هناد بن السرى عن أبي هريرة أنه كان يصلى على المنفوس ما عمل خطيئة قط ، فيقول : اللهم أجره من عذاب القبر ، انتهى .

والأولون قالوا : إنما يكون السؤال لمن عقل الرسول والمرسل ، فيسأل : هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا ؟ قالوا : والجواب عن حديث أبي هريرة أنه ليس المراد فيه بعذاب القبر عقوبته ، ولا السؤال ، بل مجرد الألم بالغم والهَم والحسرة والوحشة والضغطة التي تم الأطفال وغيرهم ، وقد يستشهد لأصحاب القول الثاني بما أخرجه ابن شاهين

(٣) من الآية ٢٧ من سورة إبراهيم

في السنة قال : حدثنا عبد الله بن سليمان قال : ثنا عمرو بن عثمان قال : ثنا بقية قال :
 حدثني صفوان قال : حدثني راشا قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
 تعلموا حجَّتكم فإنكم مسؤولون ، حتى إن كان أهل البيت من الأنصار يحضر الرجل
 منهم الموت فيوصونه ، والغلام إذا قتل فيقولون له : إذا سألك من ربك ؟ فقل :
 الله ربي ، ومادينك ؟ فقل : الإسلام ديني ، ومن نبيك ؟ فقل : محمد صلى الله عليه وسلم .
 وإنما رجعت القول الأول في كتاب « شرح الصدور » وغيره تبعاً لأهل
 مذهبنا ، فإن الأئمة المتأخرين منهم عليه ، والله تعالى أعلم .

ثم رأيت في شرح الرسالة لأبي زيد عبد الرحمن الجزولي ما نصه : يظهر من
 أكثر الأحاديث أن المؤمنين يفتنون في قبورهم ، سواء كانوا مكلفين أو غير مكلفين ،
 ويؤخذ من بعض الأحاديث أنه إنما أراد المكلفين ، ويظهر من كلام أبي محمد
 هنا ومما يأتي أنه أراد المكلفين وغير المكلفين ؛ لأنه قال فيما يأتي : « وعافه من
 فتنة القبر^(١) » وللشيوخ هنا تأويلان ، فمنهم من ترك الكتاب على ظاهره ، ومنهم
 من قيده فقال : يريد المكلفين ، ولكن يناقضه ما قال في الجنائز ، انتهى .

وقال يوسف بن عمر في شرح الرسالة : المراد بالمؤمنين في قوله : « وأن المؤمنين
 يفتنون في قبورهم » غيرُ المجاهدين الشهيدين في سبيل الله ، وغير الصبيان على قول .
 وقال الشيخ أكمل الدين في الإرشاد : السؤال لكل ميت كبير أو صغير
 يسأل إذا غاب عن الآدميين ، وإذا مات في البحر أو أكله السبع فهو مسئول ،
 والأصح أن الأنبياء عليهم السلام لا يسألون .

ثم رأيت الحديث المشار إليه في تلقين إبراهيم أوردهُ الأستاذ أبو بكر بن
 فورك في كتابه المسمى بالنظامي في أصول الدين مستدلاً به على أصل السؤال ،
 وعبارته : اعلم أن السؤال في القبر حق ، وأنكرت المعتزلة ذلك بناء على أصلهم

(١) في المطبوعات هنا « لأنه قال فيما يأتي إنه أراد المكلفين وعافه من عذاب

القبر » وعبارة « إنه أراد المكلفين » مقحمة هنا يظهر هذا بأدنى تأمل

الواهي ، ويدل على صحة ما قلناه ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لما دُفن ولده إبراهيم وقف على قبره فقال : « يا بني ، القلبُ يحزن ، والعين تدمع ، ولا نقول ما يسخط الرب ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا بني قل : الله ربي ، والإسلام ديني ، ورسول الله أبي ، فبكت الصحابة وبكى عمر بن الخطاب بكاء ارتفع له صوته ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فرأى عمر يبكي والصحابة معه ، فقال : يا عمر ما يبكيك ؟ فقال : يا رسول الله هذا ولدك ، وما بلغ الحلم ، ولا جرى عليه القلم ، ويحتاج إلى ملقن مثلك يلقنه التوحيد في مثل هذا الوقت ، فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك ؟ أى شيء تكون صورته في مثل هذه الحالة ؟ فبكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ، ونزل جبريل ، وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب بكائهم ، فذكر النبي عليه الصلاة والسلام ما قاله عمر ، وما ورد عليهم من قوله عليه السلام ، فصعد جبريل ونزل وقال : ربك يقرئك السلام ويقول : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)^(١) يريد بذلك وقت الموت وعند السؤال في القبر ، فتلا النبي عليه الصلاة والسلام عليهم الآية ، فطابت الأنفس ، وسكنت القلوب ، وشكروا الله تعالى .

ومن النقول الموافقة للقول الثاني قال شمس الدين البيكسارى في شرح عمدة النسفي : السؤال لكل ميت ، صغيراً كان أو كبيراً ، وأبو حنيفة توقف في أطفال المشركين في أنهم هل يسألون ويدخلون الجنة أم لا ؟ وعند غيره يسألون .
وذكر الفاكهاني في شرح الرسالة كلام القرطبي في أن الصغار يسألون ، ثم قال : وقال بعض المتأخرين : وليس في إحياء الأطفال خبرٌ مقطوعٌ به ، والعقل يجوزه .
وقال الجلال الأقفهسي في شرح الرسالة : ظاهر قول الرسالة « وأن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون » أن المكاف^(٢) وغيره يسأل ، وهو الذي يظهر من أكثر الأحاديث .

(١) من الآية ٢٧ من سورة إبراهيم

(٢) في المطبوعات « أن كان المكاف » بإقحام كان .

وقال أبو القاسم بن عيسى بن ناجي في شرح الرسالة : ظاهر كلام الشيخ أن الصبي يفتن ، وهو كذلك ، قاله القرطبي في تذكرته ؛ وقال أيضاً في باب الدعاء للطفل والصلاة عليه عند قوله « وعافه من فتنة القبر » : هذا كالتص في أن الصغير يسأله منكر ونكير .

طلوع الثريا ، بإظهار ما كان خفياً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

سألة : فتنة الموتى في قبورهم سبعة أيام أوردتها غير واحد من الأئمة في كتبهم ؛ فأخرجها الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد ، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب الخلية بالإسناد إلى طاوس أحد أئمة التابعين ، وأخرجها ابن جرير في مصنفه بالإسناد إلى عبيد بن عمير - وهو أكبر من طاوس في التابعين - بل قيل : إنه صحابي - وعزها الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب « أهوال القبور » إلى مجاهد وعبيد ابن عمير ، فحكم هذه الروايات الثلاث حكم المراسيل المرفوعة على ما يأتي تقريره . وفي رواية عبيد بن عمير زيادة « أن المنافق يفتن أربعين صباحاً » وهذه الرواية بهذه الزيادة أوردتها الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد ، والإمام أبو علي الحسين ابن رشيق المالكي في شرح الموطأ ، وحكاها الإمام أبو زيد عبد الرحمن الجزولي من المالكية في الشرح الكبير على رسالة الإمام أبي محمد بن أبي زيد ، والإمام أبو القاسم بن عيسى بن ناجي من المالكية في شرح الرسالة أيضاً ، وأورد الرواية الأولى ، والشيخ كمال الدين الدميري من الشافعية في حياة الحيوان ، وحافظ العصر أبو الفضل ابن حجر في المطالب العالية .

ذكر الرواية المسندة عن طاوس

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في كتاب الزهد له : حدثنا هاشم ابن القاسم قال : ثنا الأشجعي عن سفيان قال : قال طاوس : إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعمائة ، فكانوا يستحبون أن يطعموا عنهم تلك الأيام .

قال الحافظ أبو نعيم في الحلية : حدثنا أبو بكر بن مالك ثنا عبد الله بن أحمد ابن حنبل ثنا أبي ثنا هاشم بن القاسم ثنا الأشجعي عن سفيان قال : قال طاوس : إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعمائة ، فكانوا يستحبون أن يطعمهم عنهم تلك الأيام .

ذكر الرواية المسندة عن عبيد بن عمير

قال ابن جرير في مصنفه عن الحارث بن أبي الحارث عن عبيد بن عمير قال : يفتن رجالان مؤمن ومنافق ؛ فأما المؤمن فيفتن سبعمائة ، وأما المنافق فيفتن أربعين صباحاً .
الكلام على هذا من وجوه :

الوجه الأول : رجال الإسناد الأول رجال الصحيح ، وطاوس من كبار التابعين ، قال أبو نعيم في الحلية : هو أول الطبقة من أهل اليمن ، وروى أبو نعيم عنه أنه قال : أدركت خمسين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وروى غيره عنه [أنه] قال : أدركت سبعين شيخاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ابن سعد : كان له يوم مات بضع وتسعون سنة ، وسفيان : هو الثوري ، وقد أدرك طاوساً ، فإن وفاة طاوس سنة بضع عشرة ومائة في أحد الأقوال ، ومولد سفيان سنة سبع وتسعين ، إلا أن أكثر روايته عنه بواسطة ، والأشجعي : اسمه عبيد الله بن عبيد الرحمن ، ويقال : ابن عبد الرحمن .

وأما الإسناد الثاني فعبيد بن عمير : هو الليثي قاص أهل مكة ، قال مسلم ابن الحجاج صاحب الصحيح : إنه ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال غيره : إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فعلى هذا يكون صحابياً ، وكان يقص بمكة على عهد عمر بن الخطاب ، وهو أول من قص بها ، وكانت وفاته قبل وفاة

ابن عمر ، وأما الحارث : فهو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد بن أبي ذياب
الدؤسی ، روى له البخاری فی خلق أفعال العباد ، ومسلم فی صحيحه ، وروى عنه
ابن جریج والدراوردی وغيرها ، وأما ابن جریج : فهو الإمام عبد الملك بن عبد العزيز
ابن جریج الأموی ، قال أحمد بن حنبل : هو أول من صنف الكتب ، وقال
ابن عُیَينة : سمعت ابن جریج يقول : ما دَوَّنَ العلمَ تدويني أحدٌ ، روى عن خلق
من التابعين ، ومات سنة تسع وأربعين ومائة وقد جاوز المائة .

الوجه الثاني : المقرّرُ فی فن الحديث والأصول أن ما روى مما لا مجال للرأى
فيه كأمر البرزخ والآخرة فإن حكمه الرفع لا الوقف ، وإن لم يصرح الراوى بنسبته
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال العراقي في الألفية :

وَمَا أَتَى عَنْ صَاحِبٍ بِحَيْثُ لَا يُقَالُ رَأْيًا حِكْمُهُ الرَّفْعُ ، عَلَى

مِاقَالٍ فِي الْمَحْصُولِ ، نَحْوُ « مَنْ أَتَى » فَالْحَاكِمُ الرَّفْعَ لِهَذَا أُثْبِتْنَا

وقال في شرحها : ما جاء عن صحابي موقوفاً عليه ومثله لا يقال من قبل
الرأى حكمه حكم المرفوع ، كما قال الإمام فخر الدين في المحصول ، فقال : إذا قال
الصحابي قولاً ليس للاجتهاد فيه مجال فهو محمول على السماع تحسیناً للظن به ، كقول
ابن مسعود « مَنْ أَتَى سَاحِرًا أَوْ عَرَّافًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » تَرَجَّمَ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ « مَعْرِفَةُ الْمَسَانِيدِ الَّتِي لَا يَذْكَرُ
سَنَدُهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فقال : ومثال ذلك ، فذكر ثلاثة
أحاديث هذا أحدها ، وما قاله في المحصول موجودٌ في كلام غير واحد من الأئمة
كأبي عمر بن عبد البر وغيره ، وقد أدخل ابن عبد البر في كتابه « التَّقْصِي » عدة
أحاديث ذكرها مالك في الموطأ ، وقوفة مع أن موضوع الكتاب لما في الموطأ من
الأحاديث المرفوعة ، منها حديثُ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَشْمَةَ فِي صَلَاةِ الْخُوفِ ، وَقَالَ
فِي التَّمْهِيدِ : هَذَا الْحَدِيثُ مَوْقُوفٌ عَلَى سَهْلٍ فِي الْمَوْطَأِ عِنْدَ جَمَاعَةِ الرَّوَاةِ عَنْ مَالِكٍ ،
قَالَ : وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ مِنْ جِهَةِ الرَّأْيِ ، انْتَهَى كَلَامُ الْعِرَاقِيِّ فِي شَرْحِ الْأَلْفِيَّةِ ، وَقَالَ

الحافظ أبو الفضل ابن حجر في شرح التُّخْبَةِ : مثالُ المرفوع من القول حكماً ما يقوله الصحابي مما لا مجالَ للاجتهاد فيه ، ولا تعلق له ببيان لغة أو شرح غريب ، كالأخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء ، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة ، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثوابٌ مخصوص أو عقابٌ مخصوص ، قال : وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره بذلك يقتضى مُخْبِرًا له ، وما لا مجالَ للاجتهاد فيه يقتضى مَوْقِفًا للقائل به ، ولا مَوْقِفًا للصحابة إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو مرفوع ، مثال المرفوع من الفعل حكماً أن يفعل الصحابي ما لا مجالَ للاجتهاد فيه ، فينزل على أن ذلك عنده عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في صلاة عليٍّ في الكسوف « في كل ركعة أكثر من ركوعين » انتهى كلام شرح التُّخْبَةِ .

وقال الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح : ما قاله الصحابي مما لا مجال للاجتهاد فيه فحكمه الرفع ، كإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وقصص الأنبياء ، وعن الأمور الآتية : كالملاحم ، والفتن ، والبعث ، وصفة الجنة والنار ، والإخبار عن عملٍ يحصل به ثوابٌ مخصوص أو عقابٌ مخصوص ؛ فهذه الأشياء لا مجال للاجتهاد فيها ، فيحكم لها بالرفع .

قال أبو عمرو الداني : قد يَحْكِي الصحابي قولاً يوقفه فيخرجه أهل الحديث في المسند لامتناع أن يكون الصحابي ما قاله إلا بتوقف ، كما روى أبو صالح السمان عن أبي هريرة قال : نساء كاسياتٌ عارياتٌ مائلاتٌ مميلاتٌ لا يجدن عَرَفَ الجنة - الحديث ؛ لأن مثل هذا لا يقال بالرأى ، فيكون من جملة المسند .

قال الحافظ ابن حجر : وهذا هو معتمد خلق كثير من كبار الأئمة كصاحبي الصحيح والإمام الشافعي وأبي جعفر الطبري وأبي جعفر الطحاوي وأبي بكر بن مردويه في تفسيره المسند والبيهقي وابن عبد البر في آخرين ، قال : وقد حكى

ابن عبد البر الإجماع على أنه مسند ، وبذلك جزم الحاكم في علوم الحديث والإمام
فخر الدين في المحصول ، انتهى .

وعبارة المحصول : إذا قال الصحابي قولاً لا مجال للاجتهاد فيه حمل على
السمع ؛ لأنه إذا لم يكن من محل الاجتهاد فلا طريق إلا السماع من النبي صلى الله
عليه وسلم ، انتهى .

وقال الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الترمذي : ما رواه المصنف عن
عمر بن الخطاب أن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى
تصلي على نبيك ، هو وإن كان موقوفاً عليه فمثله لا يقال من قبل الرأي ، وإنما هو
أمر توقيفي ، فحكمه حكم المرفوع ، كما صرح به جماعة من الأئمة وأهل الحديث
والأصول ، فمن الأئمة الشافعي رضي الله عنه ونص عليه في بعض كتبه كما نقل عنه ،
ومن أهل الحديث أبو عمر بن عبد البر ، فأدخل في كتاب «التقاضي» أحاديث من
أقوال الصحابة ، مع أن موضوع كتابه للأحاديث المرفوعة ، من ذلك حديث
سهل بن أبي حنيفة في صلاة الخوف ، وقال في التمهيد : هذا الحديث موقوف على
سهل في الموطأ عند جماعة الرواة عن مالك ، ومثله لا يقال من جهة الرأي ،
وكذلك فعل الحاكم أبو عبد الله في كتابه في علوم الحديث ، فقال في النوع السادس
من معرفة الحديث : معرفة المسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ثم روى فيه ثلاثة أحاديث : قول ابن عباس « كفا تميم من
اللبن ، ولا تتوضأ منه » وقول أنس « كان يقال في أيام العشر : كل يوم ألف يوم ،
ويوم عرفة عشرة آلاف يوم » قال : يعني في الفضل ، وقول عبد الله بن مسعود
« من أتى ساحراً أو عرافاً فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » قال :
فهذا وأشباهه إذا قاله الصحابي فهو حديث مسند ، وكل ذلك مخرج في المسانيد .
ومن الأصوليين الإمام فخر الدين الرازي ، فقال في كتابه المحصول : إذا قال
الصحابي قولاً ليس للاجتهاد فيه مجال فهو محمول على السماع .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي عقيب ذكره لقول عمر : ومثلُ هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفاً ؛ لأنه لا يدرك بنظر ، انتهى .

هذا كله إذا صدر ذلك من الصحابي فيكون مرفوعاً متصلاً ، فإن صدر ذلك من التابعي فهو مرفوع مرسل كما ذكر ابن الصلاح ذلك في نظير المسألة ، وصرح به البيهقي في هذه المسألة بخصوصها ؛ فإنه أخرج في شعب الإيمان بسنده عن أبي قلابة قال : في الجنة قصرٌ لصوام رجب ، ثم قال : هذا القول عن أبي قلابة - وهو من التابعين - فمثلُه لا يقول ذلك إلا عن بلاغٍ ممن فوقه عن يأتيه الوحي .

وأخرج البيهقي أيضاً في شعب الإيمان بسنده عن أبي قلابة قال : مَنْ حفظ عشرَ آياتٍ من سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال ، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة ، وإن أدرك الدجال لم يضره ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن قرأ يس غفر له ، ومن قرأها وهو جائع شبع ، ومن قرأها وهو ضال هدى ، ومن قرأها وله ضالة وجدها ، ومن قرأها عند طعام خاف قلبه كفأه ، ومن قرأها عند ميت هَوَّنَ عليه ، ومن قرأها عند والدته عسر عليها ولدها يسر عليها ، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة ، ولكل شيء قلب وقلب القرآن يس ، ثم قال عقبه : هكذا نقل إلينا عن أبي قلابة - وهو من كبار التابعين - ولا يقول ذلك إن صح عنه إلا بلاغاً .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه كان يقول : إن المصلي ليصلي الصلاة وما فاتته وقتها وما فاتته من وقتها أعظم أو أفضل من أهله وماله ، قال ابن عبد البر : هذا له حكم المرفوع ؛ إذ يستحيل أن يكون مثله رأياً ، ويحيى بن سعيد من صفار التابعين .

وروى مالك في الموطأ أيضاً عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول : مَنْ صلى بأرض فلانة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك ، فإن أذن وأقام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال ، قال بعضهم : هذا لا يقال بالرأى ، فهو مرفوع ، وهذا (٢١ - الحاوي ٢)

استدلّ به السبکی فی الحلبیات علی حصول فضیلة الجماعة بذلك .
وروی عبدُ الرزاق عن عكرمة قال : صفوفُ أهل الأرض علی صفوف أهل السماء ، فإذا وافق آمین فی الأرض آمین فی السماء غفر للعبد ، أورده الحافظ ابن حجر فی شرح البخاری فی تفسیر قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن وافق تأمینه تأمین الملائكة » وقال : مثله لا يقال بالرأى ، فالنصير إليه أولى ، وعكرمة تابعى .
وهذا الأثر الذى نحن فيه من ذلك ؛ فإنه من أحوال البرزخ التى لا مدخل للرأى والاجتهاد فيها ، ولا طريق إلى معرفتها إلا بالتوقيف والبلاغ عن يأتيه الوحي ، وقد قال ذلك عبيد بن عمير وطاوس - وهما من كبار التابعين - فيكون حكمه حكم الحديث المرفوع المرسل ، وإن ثبتت صحة عبيد بن عمير فحكمه حكم المرفوع المتصل ، قال ابن عبد البر فى التمهيد فى شرح حديث فتنة القبر وسؤاله : أحكام الآخرة لا مدخل فيها للقياس والاجتهاد ، ولا للنظر والاحتجاج ، والله يفعل ما يشاء لا شريك له .

وقال القرطبي فى التذكرة : هذا الباب ليس فيه مدخل للقياس ، ولا مجال للنظر فيه ، وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد ، انتهى .
ويؤيد ما ذكرناه - من أن هذه الأمور إذا صدرت من التابعين تحمل على الرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما أخرجه ابن أبي الدنيا بسنده عن أبي جعفر محمد بن عليّ قال : كان علي بن حسين يذكر أن العبد إذا احتمل إلى قبره نادى حملته إذا بُشِّرَ بالنار فيقول : يا إخوتاه ، ما علمتم ما عاينت بعدكم ، إن أخاكم بُشِّرَ بالنار ، فيا حسرتاه عل ما فرطت فى جنب الله ، أنشد بالله كل ولد أو جار أو صديق أو أخ إلا احتبسنى عن قبرى فإنه ليس بين صاحبكم وبين النار إلا أن تواروه فى التراب ، والملائكة ينادون : أمض عدو الله ، فإذا دنا من حفرتة يقول : مالى من شفيق مطاع ولا صديق حميم ، ثم إذا أدخل القبر ضرب ضربة تدعُرُ لها كل دابة غير الجن والإنس ، وأما ولى الله إذا احتمل إلى قبره وبشر بالجنة نادى حملته : يا إخوتاه

أما علمتم أنى بشرت بعدكم بالرضا من الله والجنة ، والنجاة من سخطِ الله والنار ، فعبجوا بي إلى حفرتي في (يالَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ، بما غفر لي ربي وجعلني من المرغومين)^(١) والملائكة ينادون : أمض ولياً الله إلى رب كريم يثيب بالشىء اليسير العظيم الجزيل ، اللهم اجعلها غدوة أو روضة إلى الجنة ، فإذا أدخل القبر تلقى بحزمة من ريحان الجنة يجد ريحاً كل ذى ريح غير الإنس والجن ، قال أبو جعفر : كان على بن حسين إذا ذكر أشباه هذا الحديث بكى ثم يقول : إني لأخاف الله أن أكتمه ، وأئن أظهرته ليدخلن على أذى من الفسقة ، وذلك أن على بن حسين ذكر حديث الذى ينادى حملته فقال ضمرة بن معبد - رجل من بنى زهرة - والله يا على ابن حسين لو أن الميت يفعل كما زعمت بمناشدتك حملته إذا لوثب عن أيدي الرجال من سريره ، فضحك أناس من الفسقة ، وغضب على بن حسين ، وقال : اللهم إن ضمرة كذب بما جاء به محمد رسولك فخذ أسف ، فما لبث ضمرة إلا أربعين ليلة حتى مات فجأة ، قال أبو جعفر : فأشهد على مسلم بن شعيب مولاة - وكان ما علمناه خياراً - أنه أتى على بن حسين ليلاً فقال : أشهد إني سمعت ضمرة أعرفه كما كنت أعرف صوته حياً وهو ينادى في قبره وَيْلٌ طَوِيلٌ لضمرة ، الآن يتبرأ منك كل خليل ، وحللت في نار الجحيم ، فيها مبيتك والمقيل ، فقال على بن حسين : نسأل الله العافية ، هذا جزاء من ضحك وأضحك الناس بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فانظر كيف ذكر على بن حسين الحديث أولاً من غير تصريح بعزوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، اتكالا على علم ذلك ؛ لأنه ليس مما يقال من قبيل الرأي ، وإنما مُعْتَمَدُهُ التوقيف والسمع ، ثم لما وقعت هذه القصة صرح بأنه حديث جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالجملة فالحكم على مثل هذا بالرفع من الأمور التي أجمع عليها أهل الحديث .

(١) من الآيتين ٢٧ و ٢٦ من سورة يس

الوجه الثالث : إذا تقرر أن أثر طاوس حكمه حكم الحديث المرفوع المرسل ، وإسناده إلى التابعي صحيح ، كان حجة عند الأئمة الثلاثة أبي حنيفة ومالك وأحمد مطلقاً من غير شرط ، وأما عند إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنه فإنه يحتاج بالمرسل إذا اعتضد بأحد أمور مقررة في محلها ، منها مجيء آخر أو صحابي يوافقه ، والاعتضاد ههنا موجود ، فإنه روى مثله عن مجاهد وعن عبيد بن عمير — وهما تابعيان إن لم يكن عبيد صحابياً — فهذان مرسلان آخران يعضدان المرسل الأول .

قال الترمذي في آخر كتابه : حدثنا أبو بكر عن علي بن عبيد الله قال : قال يحيى بن سعيد : مرسلات مجاهد أحب إلى من مرسلات عطاء بن أبي رباح بكثير ، كان عطاء يأخذ عن كل ضرب ، قال علي : قلت يحيى : مرسلات مجاهد أحب إليك أم مرسلات طاوس ؟ قال : ما أقربهما ، وأما إذا قلنا بثبوت الصحة لعبيد بن عمير فإن الحديث يكون مرفوعاً متصلاً من طريقه ، وأثر طاوس شاهد قوي له يرقبه إلى مرتبة الصحة .

وقد احتج ابن عبد البر بأثر عبيد بن عمير هذا على ما ذهب إليه من اختصاص السؤال بالمنافق ، وأن الكافر الصريح لا يسأل ، ولولا ثبوته عنده وصحته ما احتج به .

وقد قال النووي في شرح مسلم : الحديث المرسل إذا روى من طريق آخر متصلاً تبيّنًا به صحة المرسل ، وجاز الاحتجاج به ، وبصير في المسألة حديثان صحيحان .

الوجه الرابع : قوله « كانوا يستحبون » من باب قول التابعي « كانوا يفعلون » وفيه قولان لأهل الحديث والأصول : أحدهما : أنه أيضاً من باب المرفوع ، وأن معناه كان الناس يفعلون ذلك في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلم به ، ويُقرُّ عليه .

والثاني: أنه من باب العزو إلى الصحابة دون انتهائه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم اختلف على هذا: هل هو إخبارٌ عن جميع الصحابة فيكون نقلاً للاجماع ، أو عن بعضهم؟ على قولين أصحهما في شرح مسلم للنووي الثاني ، قال شمس الدين البرشني في شرح ألفيته المسماة بالمورد الأصفى في علم الحديث: قولُ التابعي « كانوا يفعلون » يدل على فعلِ البعض ، وقيل: يدل على فعل جميع الأمة ، أو البعض وسكوت الباقيين ، أو فعلوا كلهم على وجه ظهر للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يفكره ، انتهى .

وقال الرافعي في شرح المسند: مثل هذا اللفظ يراد به أنه كان مشهوراً في ذلك العهد من غير تكبير .

فقول طاوس « فكانوا يستحبون » إن حُمِلَ على الرفع كما هو القول الأول كان ذلك من تنمة الحديث المرسل ، ويكون الحديث اشتمل على أمرين : أحدهما: أصل اعتقادي ، وهو فتنة الموتى سبعة أيام ، والثاني: حكم شرعي فرعي ، وهو استحباب التصدق والإطعام عنهم مدة تلك الأيام السبعة ، كما استحب سؤال التثبيت بعد الدفن ساعة ، ويكون مجموع الأمرين مرسل الإسناد ؛ لإطلاق التابعي له وعدم تسميته الصحابي الذي بلغه ذلك ؛ فيكون مقبولاً عند من يقبل المرسل مطلقاً ، وعند من يقبله بشرط الاعتضاد لمجيئه عن مجاهد وعن عبيد بن عمير ، وحينئذ فلا خلاف بين الأئمة في الاحتجاج بهذا المرسل .

وإن حملنا قوله « فكانوا يستحبون » على الإخبار عن جميع الصحابة وأنه نقلٌ للاجماع كما هو القول الثاني فهو متصل ؛ لأن طاوساً أدرك كثيراً من الصحابة ، فأخبر عنهم بالمشاهدة وأخبر عن بقية مَنْ لم يدركه منهم بالبلاغ عنهم من الصحابة الذين أدركهم .

وإن حملناه على الإخبار عن بعض الصحابة فقط كما هو القول الثالث - وهو

الأصح - كان متصلا عن ذلك البعض الذين أدركهم ، وحينئذٍ فالحديث مشتمل على أمرين كما ذكرناه ، فأما الثاني فهو متصل كما هو الظاهر ، وأما الأول فإما مرسل على ما تقدم تقريره لأنه قول لا يصدر إلا عن صاحب الوحي وقد أطلقه تابعي ؛ فيكون مرسلا لحذف الصحابي المبالغ له من السند ، وعلى هذا فيكون الأمر الثاني المنقول عن الصحابة أو عن بعضهم عاضداً لذلك المرسل ؛ لأن من وجوه اعتضاد المرسل عندنا أن يوافقه فعل صحابي فيكون هذا عاضداً ثالثاً بعد العاضدين السابقين ، وهما قول مجاهد وقول عبيد بن عمير ، ويكون الحديث مشتملاً على جملة مرفوعة مرسلة ، وجملة موقوفة متصلة عاضدة لتلك الجملة المرسلة ، وإنما أوردها طاوس كذلك لأن قصده توجيه الحكم الشرعي ، وهو استحباب الإطعام عن الموتى مدة سبعة أيام ، فذكر أن سببه ورود فتنهم في تلك الأيام ، ولهذا فرعه عليه بالفاء حيث قال « فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام » .

ونظيرُ هذا الأثر في ذلك ما أخرجه الترمذي والبيهقي في شعب الإيمان عن الزهري قال : إنما كره المنديل بعد الوضوء لأن ماء الوضوء يُوزن ، أراد الزهري - وهو من التابعين - تعليل الحكم الشرعي - وهو ترك التنشيف بعد الوضوء - بسبب لا يؤخذ إلا من الأحاديث المرفوعة ؛ لأن وزن ماء الوضوء لا يدرك إلا بتوقيف ؛ لأنه من أحوال القيامة ، فلما أورد الحديث مورد التعليل أوردته مرسلاً محذوفاً منه الصحابي .

وقد قال النووي في آخر شرح مسلم : قد عملت الصحابة فن بعدهم بهذا ، فيفتي الإنسان منهم بمعنى الحديث عند الحاجة إلى الفتيا دون الرواية ، ولا يرفعه ، فإذا كان في وقت آخر رَفَعَهُ .

وقال الرافعي في شرح المسند : قد يحتج المحتج ويفتي المفتي بلفظ الحديث ولا يسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويحتمل أثر طاوس أمراً ثانياً ، وهو اتصال الجملة الأولى أيضاً ؛ لأن الإخبار عن الصحابة بأنهم كانوا يستحبون الإطعام عن الموتى تلك الأيام السبعة صريحٌ في أن ذلك كان معلوماً عندهم ، وأنهم كانوا يفعلون ذلك لقصد التثبيت عند الفتنة في تلك الأيام ، وإن كان معلوماً عند الصحابة كان ناشئاً عن التوقيف كما تقدم تقريره ، وحينئذٍ يكون الحديثُ من باب المرفوع المتصل لا المرسل ؛ لأن الإرسال قد زال وتبين الاتصال بنقل طاوس عن الصحابة ، ولهذا قلت في أرجوزتي :

إسناده قد صحَّ وهو مُرْسَلٌ وقد يُرَى من جهة يتصل

لأنه وإن كان مرسلًا في الصورة الظاهرة إلا أنه عند التأمل يتبين اتصاله من جهة ما نقله طاوس عن الصحابة من استحباب الإطعام في تلك الأيام المستلزم لكون السبب في ذلك - وهو الفتنة فيها - كان معلوماً عندهم ، وتبين بذلك السر في إرسال طاوس الحديث وعدم تسمية الصحابي المبلغ له ؛ لكونه كان مشهوراً إذ ذاك ، والمبلغون له فيهم كثرة ، فاستغنى عن تسمية أحد منهم ، ولأن في استحباب ذكر مَنْ بلغه طولاً ، وإن سُمي البعض أو هم الاقتصار عليه أنه لم يبلغه إلا من سُمي فقط ، وخصوصاً على القول بأن هذه الصيغة تحمل على الإخبار عن جميع الأمة ، فإن ذلك يكون أبلغ في عدم تسمية أحد من المبلغين .

وعلى كل تقدير فالحديث مقبول ، ويحتج به ؛ لأن الأمر دائر بين أن يكون متصلاً وبين أن يكون مرسلًا عضده مرسلان آخران وفعلُ بعض الصحابة أو كلهم أو كل الأمة في ذلك العصر ، فهذا تقرير الكلام على قبول الحديث والاحتجاج به من جهة فني الحديث والأصول ، والله أعلم .

الوجه الخامس : قال الإمام عبد الجليل بن موسى القصرى في شعب الإيمان ، ونقله عنه الإمام أبو زيد الجزولى في شرح رسالة ابن أبي زيد : البرزخ على ثلاثة أقسام : مكان ، وزمان ، وحال ؛ فالمكان من القبر إلى عليين تعمده أرواح السعداء ، ومن القبر إلى سبعين تعمده أرواح الأشقياء ، وأما الزمان فهو مدة بقاء الخلق فيه من أول

مَنْ مَاتَ أَوْ يَمُوتُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ، وَأَمَّا الْحَالُ فَإِنَّمَا مُنْعَمَةٌ وَإِنَّمَا مَعَذِبَةٌ أَوْ مَحْبُوسَةٌ حَتَّى تَتَخَلَّصَ بِالسُّؤَالِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْفِتَانِينَ ، انْتَهَى .

فَقَوْلُهُ « أَوْ مَحْبُوسَةٌ حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْفِتَانِينَ » صَرِيحٌ أَوْ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ تَكُونُ فِي مَدَّةٍ بِحَيْثُ يَمَكُثُ مَحْبُوسًا لِأَجْلِهَا إِلَى أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهَا ، وَتِلْكَ الْمَدَّةُ هِيَ السَّبْعَةُ الْأَيَّامُ الْوَارِدَةُ ، فَهَذَا تَأْيِيدٌ لِدَلِيلِكَ ، وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا مَا ذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنَ رَجَبٍ فِي كِتَابِ أَهْوَالِ الْقُبُورِ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : الْأَرْوَاحُ عَلَى الْقُبُورِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ مِنْ يَوْمِ دَفْنِ الْمَيِّتِ لِاتْفَارِقِهِ ، فَهَذِهِ آثَارٌ يُؤَيِّدُ بَعْضَهَا بَعْضًا .

الوجه السادس : أَطْبَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ « يَفْتَنُونَ » وَ « بَفْتَنَةِ الْقَبْرِ » سُؤَالَ الْمَلَائِكَةِ مِنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَالْأَحَادِيثُ صَرِيحَةٌ فِيهِ ، وَلِهَذَا سُمِّيَ مَلَكًا السُّؤَالِ الْفِتَانِينَ ، وَرَوَى الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ « أَوْحَى إِلَيَّ أَنْكُمْ تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ ، فَيَقَالُ : مَا أَعْلَمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » الْحَدِيثُ ، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ « أَمَا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تَفْتَنُونَ ، وَعَنَى تَسْأَلُونَ ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحَ أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ ثُمَّ يَقَالُ لَهُ : بِفِيمَ كُنْتَ ؟ » الْحَدِيثُ ، فَانظُرْ كَيْفَ فَسَّرَ قَوْلَهُ : « تَفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ » بِسُّؤَالِ الْمَلَائِكَةِ ، وَرَوَى أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وَضَعَ فِي قَبْرِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَسَأَلَهُ » الْحَدِيثُ ، وَرَوَى أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ أَبِي الزَّبِيرِ أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْفِتَانِ الْقَبْرِ فَقَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تَبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَإِذَا أُدْخِلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ شَدِيدٌ الْإِنْتِهَارِ فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ » الْحَدِيثُ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي الْبَعْثِ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : « قَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا مِنْكَرٌ وَنَكِيرٌ ؟ قَالَ : فَتَانَا الْقَبْرِ » الْحَدِيثُ ، وَرَوَى أَبُو نَعِيمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ مِنْ مَرْسَلِ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مِثْلَهُ ، وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : « قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ : كَيْفَ أَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ مِنْكَرًا وَنَكِيرًا ؟ قَالَ : وَمَا مِنْكَرٌ

ونكير؟ قال : فتاناً القبر» الحديث ، وروى البيهقي عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بي يفتن أهل القبور ، وفيه نزلات هذه الآية (يثبتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت) »^(١) وروى أحمد وأبو داود حديث « كل ميت يحتم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن من فتان القبر » وروى النسائي حديث « أن رجلاً قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة » وروى جويبر من حديث ابن عباس قال : شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة رجل من الأنصار ، فذكر الحديث ، وفيه سؤال الملكين ، وقال : « وهى أشد فتنة تعرض على المؤمن ».

فهذه أحاديث مرفوعة صريحة في أن المراد بفتنة القبر سؤال منكر ونكير ، وكذا ما رواه أبو نعيم من مرسل ضمرة « فتانوا القبر ثلاثة : أنكر ، وناكور ، ورومان » ؛ وما رواه ابن الجوزي عنه أيضاً مرفوعاً « فتانوا القبر أربعة : منكر ، ونكير ، وناكور ، وسيدم رومان ».

وأما كلام العلماء فقال ابن الأثير في النهاية في حديث الكسوف « إنكم تفتنون في القبور » : يريد مسألة منكر ونكير ، من الفتنة الامتحان والاختبار ، وقد كثرت استعاضته من فتنة القبر [وفتنة الدجال ، وفتنة الحيا والمات ، وغير ذلك] ومنه الحديث « فبي تفتنون ، وعنى تسألون » أى تمتحنون بي في قبوركم ، ويتعرف إيمانكم بنبوتى .

وقال النووي في شرح مسلم ، عند قوله صلى الله عليه وسلم : « رأيتكم تفتنون في القبور » : معنى تفتنون تمتحنون ، فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فيقول المؤمن : هو رسول الله ، ويقول المنافق : سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته ، هكذا جاء مفسراً في الصحيح .

(١) من الآية ٢٧ من سورة إبراهيم

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في التمهيد في شرح هذا الحديث : للفتنة وجوه كثيرة ، ومعناها هنا الابتلاء والامتحان والاختبار ، وكذا قال الباجي وابن رشيقي والقرطبي في شروحاتهم على الموطأ .

وقال الإمام أبو محمد بن أبي زيد في الرسالة : « وإن المؤمنين يفتنون في قبورهم ويسألون ، ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » قال يوسف بن عمر في شرح الرسالة : قوله « يفتنون » أي يختبرون ، وهو قوله « ويسألون » أي به تفسيراً لقوله تفتنون .

وقال الجزولي في شرح الرسالة : الفتنة تأتي والمراد بها الكفر وهو قوله تعالى : (والفتنة أشد من القتل)^(١) وتأتي والمراد بها الاحتراق وهو قوله : (يوم هم على النار يفتنون)^(٢) ، وتأتي والمراد بها الميل وهو قوله : (وإن كادوا ليفتنونك)^(٣) وتطلق ويراد بها الضلال قال تعالى : (إن هي إلا فتنتك)^(٤) ، وتطلق ويراد بها المرض قال تعالى : (أولاً يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ)^(٥) ، وتطلق ويراد بها الاختبار وهو قوله تعالى : (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا)^(٦) أي اختبرناك ، قال : وهو المراد هنا ، فيكون قوله « تفتنون » معناه تختبرون .

وقال الإمام علم الدين السخاوي في أرجوزته في أصول الدين :

وكل ما أتاك عن محمد صلى عليه الله خذهُ تَرَشُدُ
من فتنة العباد في القبور والعرض يوم البعث والنشور

قال شارحه : فتنة القبور : سؤال منكر ونكير .

الوجه السابع : إن قال قائل : لم يَرِدْ في سائر الأحاديث تصريح بذكر

سبعة أيام .

- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) من الآية ١٩١ من سورة البقرة | (٢) من الآية ١٣ من سورة الذاريات |
| (٣) من الآية ٧٣ من سورة الإسراء | (٤) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف |
| (٥) من الآية ١٢٦ من سورة التوبة | (٦) من الآية ٤٠ من سورة طه |

قلنا : ولا ورد فيها تصريح بنفيها ، ولا تعرض لكون الفتنة مرة أو أكثر ، بل هي مطلقة صادقة بالمرّة وبأكثر ، فإذا ورد ذكر السبعة من طريق مقبول وجب قبوله ، وكان عند أهل الحديث من باب زيادات الثقات المقبولة ، وعند أهل الأصول من باب حمل المطلق على المقيّد ، ونظيره أن أكثر أحاديث السؤال وردت مطلقة ، وورد في حديثين أن السؤال يعاد عليه في المجلس الواحد ثلاث مرّات فحمل ذلك الإطلاق على هذا ، والحديثان المشار إليهما أحدهما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من حديث أبي قتادة بسند حسن ، والآخر أخرجه ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس بسند ضعيف .

ونظيره أيضاً أنه ورد في أحاديث مجيء ملكين ، وفي أحاديث مجيء ملك واحد ، قال القرطبي : لا تنافي بينهما ؛ لأن الذي روى مجيء ملك لم يقل في روايته ولا يأتيه غيره ، وكذلك نقول : إن الأحاديث المطلقة لم يقل فيها ولا يفتن سوى يوم واحد ، ولا قيل : ولا يأتيان بعد اليوم الأول ؛ فلا تنافي بينها وبين رواية أنهم يفتنون سبعمائة .

الوجه الثامن : إن قيل إعادة السؤال بعد اليوم الأول ، هل هو تأسيس أو تأكيد ؟

فالجواب أنه تأكيد ، فما هو إلا سؤال واحد عن ربه ودينه ونبيه ، وجواب واحد يكرر عليه بعد السؤال ، والجواب الأول [تأسيس ، وما بعده] ^(١) للتأكيد ، وقد ورد الحديث بأنهم لا يسألون عن شيء سوى ذلك ، ونص عليه العلماء .

الوجه التاسع : إن قيل : فما الحكمة في التكرير سبعمائة ، وهلا اكتفى بالأول ؟ فالجواب أولاً أن نقول : هل ظننت أن المقصود من السؤال علم ما عنده ، حتى إذا أجاب أول مرة حصل المقصود ؟ معاذ الله ! لا يظن ذلك عاقل ، قد علم الله ما هو عليه قبل السؤال ، بل وعلم ذلك الملاك أيضاً ، ولذا ورد في الصحيحين أنهما

(١) زيادة يقتضها الكلام ، ولا يصح بدونها .

يقولان له إذا أجاب : تمّ صالحاً ، فقد علمنا إن كنت لمؤمناً ، وإنما المقصود من السؤال أمور :

أحدها : إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم ومكاته وخصوصيته ومزيتته على سائر الأنبياء ؛ فإن سؤال القبر إنما جعل تعظيماً له وخصوصية شرف بأن الميت يسأل عنه في قبره ، ولم يُعطَ ذلك نبي قبله ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فأما فتنة القبر فبئ تفتنون ، وعنى تسألون » الحديث ، أخرجه أحمد والبيهقي من حديث عائشة بسند صحيح .

قال الحكيم الترمذي : سؤال القبور خاص بهذه الأمة ؛ لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة ، فإذا أبوا كَفَتِ الرسلُ ، واعتزلوهم ، وعوجلوا بالعذاب ، فلما بعث الله سبحانه وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام مَنْ دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ الإيمان في قلبه ، فمن هذا ظهر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلمون الإيمان ، فكانوا بين المسلمين في ستر ، فلما ماتوا قَبِضَ اللهُ لَهُمْ فَتَنَى القبر ليستخرج سرهم بالسؤال ، ولتميز الله الخبيث من الطيب .

الثاني : قال الحلبي من أصحابنا في شعب الإيمان : لعلّ المعنى في السؤال — والله أعلم — أن الميت قد حوّل من ظهر الأرض إلى بطنها الذي هو الطريق إلى الهاوية فيجىء هناك ويوقف ويسأل ، فإن كان من الأبرار عرّجت الملائكة بنفسه وروحه إلى عليين ، وهو نظير إبقائه في المحشر على شفيع جهنم واستعراض عمله حتى إذا وجد من الأبرار أجزى على الصراط ، وإن كان من الفجار ألقى في النار ، انتهى كلام الحلبي .

الثالث : قال بعضهم : جعلت فتنة القبر تكرامة للمؤمن ، وإظهاراً لإيمانه ، وتمحيصاً لذنوبه .

وقال بعض العلماء : من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أشياء : أن

يتوب فيتاب عليه ، أو يستغفر فيغفر له ، أو يعمل حسنة فتمحوها فإن الحسنات يذهبن السيئات ، أو يبتلى في الدنيا بمصائب فتكفر عنه ، أو في البرزخ بالضغطة والفتنة فتكفر عنه ، أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له ، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه ، أو يبتلى في عرصات القيامة بأهوال تكفر عنه ، أو تدركه شفاعة نبيه ، أو رحمة ربه ، انتهى .

الرابع : قال عبد الجليل القصرى في شعب الإيمان : المعنى في سؤال الملكين الفتانين في القبر أن الخلق في التزام الشرائع وقبول الإيمان لا بد لهم من الاختبار لأمر الله ومن النظر فيه وفي أمر الرسل وما جاءت به وهو المعبر عنه بأول الواجبات عند عرض الشرائع على العقول فيعتقد كل أحد في قلبه وسره على حسب ما قدر له حين تعترضهم أفكار النظر والفكر فيما جاءت به الرسل من أمور الغيب ، فمن بين منكر جاحد أو شاك مرتاب ، ومن بين مؤمن مصدق وموقن مطمئن ثابت ، هذه حال الكل مدة الدنيا من أول ما وجبت عليهم الواجبات إلى حين الموت ، فلما حصل الخلق في الآخرة فتنوا بالجزاء عن عقائدهم وأحوالهم جزاءً وفاقا ، ولذلك يقول الملكان للمسئول : قد علمنا إن كنت لمؤمناً ، ولا دريت ولا تليت ، وعلى الشك حيتت وعليه مت ، على حسب اختلاف أسرار الخلق في الدنيا ، ثم بعد ذلك يفتح لكل أحد باب إلى الجنة وباب إلى النار ، وينظر إلى مقعده منهما ، ومعنى ذلك أن الرسل جاءت من عند الله ، وفتحت للعقول أبواب دين الإسلام حين عرضته على العقول ، وحين وجوب الواجبات ، وأمرت بالدخول فيه ، وأمرت بالتزام الطاعات وترك المعاصي ، وذكرت العقول أن من التزم الطاعات جوزى بالجنة ودخلها ومن أعرض وأبى وقع في الكفر ودخل النار ، فمن بين داخل مفتوح له في الإسلام والشرائع ومن بين خارج نافر ، فيقال للعبد ذلك الوقت : هذا مقعدك من الجنة أو النار أبدلك الله به مقعداً من النار أو الجنة كما صنع هو بنفسه في دار الدنيا ، فافهم .

الخامس : قال الباجي في شرح الموطأ : ليس الاختبار في القبر بمنزلة التكليف والعبادة ، وإنما معناه إظهار العمل وإعلام بالمآل والعاقبة كاختبار الحساب ؛ لأن العمل والتكليف قد انقطع بالموت ، قال مالك : مَنْ مات فقد انقطع عمله ، وفتنة الرجل لمعنى التكليف والتعبد ، لكنه شبهها بها لصعوبتها وعظم المحنة بها وقلة الثبات معها ، انتهى .

إذا عرفت المقصود من السؤال عرفت منه حكمة التكرير ، أما على المعنى الأول فلأن التكرير أبلغ في إظهار شرف المصطفى وخصوصيته ومكانته ، وأما على المعنى الثاني فلأن ذلك هو وقت العروج بالروح إلى عليين ، والجنة كما قال صلى الله عليه وسلم : « غالية لا تدرك بالهويناً » ولهذا جعل الصراط الذي هو أحد من السيف وأدق من الشعر طريقاً إلى وصول الإنسان إليها بيدنه ، ولا شك في شدة ذلك الطريق ، فجعل عوضه لوصول الروح إليها تكرير الفتنة سبعة أيام ، ولهذا جعله الحلبي نظير الإيقاف على الصراط ، وأما على المعنى الثالث فواضح ؛ لأنه قد يكون على المؤمن من صفات الذنوب ما يقتضى التشديد عليه بذلك ، وهو رحمة من الله في حقه حيث اكتفى منه بذلك وكفر عنه به ، ولو شاء لانتقم منه بعذاب القبر الذي هو أشد من السؤال بكثير ، ولكنه لطف بعباده المؤمنين فكفر عنهم الصفات بمقاساة أهوال السؤال ونحوه ، وخص عذاب القبر بالكبائر ، ونظيره في الأحكام الشرعية مَنْ وجب عليه تعزيرٌ فصولح من العقوبة على الإغلاظ في القول والانتهاز رحمة له ورفقا به أو لكونه من ذوى الهيئات الذين يكتفى في تعزيرهم بمثل ذلك ، وقد ورد في الحديث أن فتنة القبر أشد فتنة تعرض على الموقن ، فمن تمام شدتها تكريرها سبعة أيام .

الوجه العاشر : إن قيل : فما الحكمة في هذا العدد بخصوصه ؟

فالجواب : أن السبع والثلاث لها نظر في الشرع ، فما أريد تكريره فإنه يكرر في الغالب ثلاثاً ، فإذا أريد المبالغة في تكريره ككرر سبعاً ، ولهذا كررت الطهارة

في الوضوء والغسل ثلاثاً ، ولما أريد المبالغة في طهارة النجاسة الكأبية كررت سبعاً ، فلما كانت هذه الفتنة أشد فتنة تعرض على المؤمن جعل تكريرها سبعاً ؛ لأنه أشد نوعى التكرير وأبلغه .

وفيه مناسبة ثانية ، وهى أن استعراض الأعمال على الصراط يكون على سبع عقبات ، ويروى على سبع قناطر ، وقد تقدم عن الحلیمی أنه جعل سؤال القبر نظير إيقافه على الصراط ، فكان السؤال فى القبر فى سبعة أيام على نمط السؤال على الصراط فى سبعة أمكنة .

ومناسبة ثالثة ، وهى أن الغالب الوقوع فى الأحكام الشرعية يكون ثلاثاً ، والنادر الوقوع يكون سبعاً ، ولهذا كانت غسلات الوضوء والغسل وتسيبجات الركوع والسجود ونحو ذلك ثلاثاً ، وأشواط الطواف والسعى وتكبيرات الركعة الأولى من صلاة العیدین والاستسقاء سبعاً ، فلما كان السؤال لا يقع فى الدهر للانسان إلا نوبة واحدة كرر سبعاً .

ومناسبة رابعة ، وهى أن أيام الأسبوع سبعة ، ولا ثامن للأيام فى الدنيا ، بل ولا فى الآخرة ، وقد ورد الحديث أن أيام الأسبوع تشهد للانسان بما عمل فيها من خير وتشهد عليه بما عمل فيها من شر ، فناسب أن يسأل أول ما ينزل قبره مدة الأيام السبعة الشاهدة له وعليه .

ومناسبة خامسة ، وهى أن السؤال يعقبه الخلاص من الهوى إلى سجين وذلك تحت سبع أرضين ، والعروج إلى عليين وذلك فوق سبع سموات ، فناسب أن يسأل سبعة أيام ليكون كل يوم فى مقابلة خلاص من أرض وعروج إلى سماء .

ومناسبة سادسة ، وهى أن الحديث ورد أن مدة الدنيا كلها جمعة من جمع الآخرة ، وذلك سبعة آلاف سنة ؛ لأن يوماً عند ربك كآلف سنة مما تعدون ، فناسب أن يكون السؤال الموصل للجنة مدة جمعة من جمع الدنيا ، وذلك سبعة أيام .

ومناسبة سابعة ، وهى أن السؤال إذا أحسن الجواب عنه ثبت إيمانه وخلص

بذلك من أن يكون من أهل جهنم ، وهي سبع طبقات لها سبعة أبواب ، فناسب أن يسأل سبعا ؛ ليكون كل يوم في مقابلة الخلاص من طبقة و باب .
فهذه سبع مناسبات في السبعة ، والسبع المعتبرة في الشرع والخلق كثيرة جداً ، وقد استدلل ابن عباس على أن ليلة القدر — ليلة سبع — بأن الله جعل السموات سبعا ، والأرض سبعا ، والسعى سبعا ، والطواف سبعا ، وخلق الإنسان من سبع ، وما أنبتت الأرض سبع ، وورد في أثر « أن الإنسان يميز في سبع ، ثم يحتمل في سبع ، ثم يكمل طوره في سبع ، ثم يكمل عقله في سبع » فظهر مناسبة اعتبار هذا العدد بخصوصه ، وقد قلت في ذلك أبياتاً :

| | |
|--|------------------------------------|
| في عام سَبَعِ أتى سبع المنية إذ | من بعد سبع وسَبَعِ كان قد غَبَرَا |
| إذ مرَّ من أشهر القبطى سبع ربي | لبرهات الذي بالطعن قد شهرا |
| وشاع في هذه الأيام مسألة | النقلُ عَنِّيَ فيها في الوري أثرَا |
| بأن مَيَّتَ هذا الخلق يسأل في | سبع من الدهر مهما غاب أو قبرا |
| فتار فيها هرير من أولى سفه | فجاءهم أى سبع في الوغى كسرا |
| أبديت في حكمة الأعداد مبتكراً | من التناسب سبعا أنجما زهرا |
| يارب من سَبَعِ نيرانِ أجرني بالسبع المثنى وَجُدْ بالعفو مقتدرا | |

الوجه الحادى عشر : أخرج الحكيم الترمذى بسنده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال : في القبر حساب ، وفي الآخرة حساب ، فمن حوسب في القبر نجاء ، ومن حوسب في القيامة عذب .

وقال ابن أبى شيبه في المصنف : حدثنا عبد الرحيم بن سليمان عن مجالد عن محمد بن المنتشر عن ابن حراش عن حذيفة بن اليمان قال : « إن في القبر حسابا ويوم القيامة عذابا » قال الحكيم الترمذى : إنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهونَ عليه عذابا في الموقف ، فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر وقد اقتص منه ، انتهى ، وهذا وإن كان صورته صورة الموقف على حذيفة فإن حكمه حكم المرفوع كما تقدم تقريره

وشاهدته ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له ، يرى المسلم عمله في قبره » .
وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« اتقوا البول ؛ فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر » .

وأخرج البيهقي في كتاب «عذاب القبر» عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال
« إن عذاب القبر من ثلاثة من الغيبة والنميمة والبول ؛ فإياكم وذلك » وله شواهد كثيرة ، قال ابن رجب : قد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر ، وهو أن القبر أول منازل الآخرة وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب ، والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان : حق لله ، وحق لعباده ، وأول ما يقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء .
وأما البرزخ فيقضى فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلهما ، فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث ، ومقدمة الدماء النميمة والوقية في الأعراض - وهما أيسر أنواع الأذى - فيبدأ في البرزخ بالحاسبة والعقاب عليهما ، انتهى ، قال ابن رجب : وروى ابن عجلان عن عون بن عبد الله قال : يقال إن العبد إذا دخل قبره سُئل عن صلاته أول شيء يسأل عنه ، فإن جازت له صلاته نظر فيما سوى ذلك من عمله ، وإن لم يجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد .

الوجه الثاني عشر : إن قيل : مقتضى كون الفتنة سبعة أيام مشروعية التلقين في الأيام السبعة .

فالجواب : لا ، أما أولاً فلأن التلقين لم يثبت فيه حديث صحيح ولا حسن ، بل حديثه ضعيف باتفاق المحدثين ، ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة ، وآخر من أفتى بذلك الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وإنما استجبه ابن الصلاح وتبعه النووي نظراً إلى أن الحديث الضعيف يتسامح به في فضائل الأعمال ، وثانياً أن هذه أمور توقيفية لا مدخل للرأى فيها ، ولم يرد التلقين إلا ساعة الدفن خاصة

وورد في سائر الأيام الإطعام ، فاتبع الوارد في ذلك .

فإن قلت : هل يظهر لاختصاص التلقين باليوم الأول من حكمة ؟

قلت : ظهر لي حكمتان ، الأولى أن المخاطبَ بذلك من حضر الدفن من المؤمنين الشفعاء ، وذلك إنما يكون في اليوم الأول ؛ لأن الشرع لم يرد بتكليف الناس المشي مع الميت إلى قبره إلا لدفنه خاصة ، ولم يكلفهم التردد إلى قبره بعد ذلك ، فلم يشرع التلقين في سائر الأيام ؛ لما في تكليفهم التردد إليه طول الأسبوع من المشقة ، فاقصر على ساعة الدفن ، الثانية : أن كل مبتدأ صعب ، وأول نزوله قبره ساعة لم يتقدم له مثلها قط ، فأنس بالتلقين وسؤال التثبيت ، فإذا اعتاد بالسؤال أول يوم وألفه سهل عليه بقية الأيام ، فلم يحتاج إليه ، وشرع الإطعام لأنه قد يكون له ذنوب يحتاج إلى ما يكفرها من صدقة ونحوها ، فكان في الصدقة عنه معونة له على تخفيف الذنوب ليخفف عنه هول السؤال وصعوبة خطاب الملكين وإغلاظهما واتهارهما .

الوجه الثالث عشر : لم يرد تصريح ببيان الوقت الذي يجيء فيه الملكان في سائر الأيام ، وإنما ورد أنهما يأتيانه في اليوم الأول إذا انصرف الناس من دفنه ، وقد يؤخذ من قول عبيد بن عمير « يفتن المؤمن سبعا ، والكافر أربعين صباحاً » أنهما يأتيان في سائر الأيام أول النهار ، وقد يكون أراد بقوله « أربعين صباحاً » أربعين يوماً كما جرت عادتهم بذلك ، أن يكنوا عن اليوم بالصباح إطلاقاً للجزء وإرادة للكل ، فلا يكون فيه دلالة على مجيئهما أول النهار ، ويحتمل أن يأتيا في سائر الأيام في مثل الساعة التي جاء فيها أول يوم دفن ، والعلم في ذلك عند الله تعالى . وإذا كنا لم نعلم وقت مجيئهما من النهار ؛ لكون ذلك من المغيبات التي لا اطلاع لأحد عليها إلا بتوقيف من صاحب الوحي ، ولا طريق إلى الاستدلال عليها بالنظر فكيف يظن أن أخبار طاوس وغيره بوقوع الفتنة سبعة أيام صدر عنهم من غير توقيف أو سماع أو بلاغ ممن فوقهم عن يأتيه الوحي ؟ حاشا وكلا ، لا يظن ذلك من له أدنى تمييز .

الوجه الرابع عشر : ورد في أحاديث السؤال المطلقة أن الملكين يعيدان عليه السؤال ثلاث مرات في المجلس ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ، ولم يرد في حديث الأيام السبعة تصريح بمثل ذلك ؛ فيحتمل جريان ذلك كل يوم بناء على أن الأحاديث المتعددة إذا كان في كل واحد منها إطلاق من وجه وتقييد من وجه يُقيد إطلاق كل حديث بتقييد الآخر كما هو قاعدة الأصول ، وهذا منه .

الوجه الخامس عشر : قال قائل في حديث البخارى : إنه يقال له عقب السؤال « نَمَّ صالحاً » فدلَّ على أنه لاشيء بعده .

والجواب : أن هذا كلامٌ مَنْ لَمْ يَتَّسِعْ نظره في الحديث ، ولا اطلع على مصطلحات العلماء المتكلمين على الأحاديث ، حيث يجمعون طرق الأحاديث كلها ورواياتها ، ويضمون بعضها إلى بعض ، ويأخذون من كل حديث ما فيه من فائدة زائدة ، ويقولون فيما خلا من تلك الزيادة : هذا حديث مختصر ورد في غيره زيادة عليه ، والحديث الذى فى البخارى لفظه : عن أسماء بنت أبى بكر أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنه قد أوحى إلى أنكم تُفْتَنُونَ فى القبور فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن - أو المؤمن - فيقول : هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتبعنا ، فيقال له : نَمَّ صالحاً ، قد علمنا إن كنت لمؤمناً ، وأما المنافق - أو المرتاب - فيقول : ما أدري ، سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلته » هذا لفظ البخارى من غير زيادة عليه ، وهو أخصر حديث ورد فى السؤال ، وقد ورد سواه أحاديث مطولة صحيحة فيها زيادات كثيرة اعتمدها الناس ولا يسعهم إلا اعتمادها ، فإن أخذ هذا الرجل بهذا الحديث فقط وترك ما سواه لزمه ردُّ ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة ، ولا يقع فى ذلك عاقل ، من ذلك أنه لم يُذكر فى هذا الحديث السؤال عن ربه ودينه ، وهو ثابت فى غيره ، وأن المؤمن يقول فى الجواب : ربي الله ، ودينى الإسلام ، ومن ذلك أنه لم يُسمَّ فيه الملكان بمنكر ونكير ، وهو ثابت فى حديث الترمذى ، وقد أطبق أهل السنة على اعتباره ، ولم يخالف فيه

إلا المعتزلة فقالوا : لا يجوز أن تسمى الملائكة بمنكر ونكير ، ولم يلتفت أهل السنة إلى قولهم ، اعتماداً على ما جاء في بعض طرق الحديث ، إلى غير ذلك من الزيادات الواقعة في أحاديث السؤال على كثرتها ؛ فإنها أكثر من سبعين حديثاً ، ما من حديث منها إلا وفيه زيادة ليست في غيره ، فمن لم يقف إلا على حديث واحد من سبعين حديثاً حقه أن يسكت مع الساكتين ، ولا يُقدِّم على رد الأحاديث وإلغائها وتأويل حديث البخاري أنه يقال له «نم صالحاً» عند آخر جواب يجيب به في آخر يوم يسأل فيه ، وذلك من المحذوفات المطوى ذكرها في الحديث كسائر ما حذف منه ، وما أحسن ما وقع للحافظ أبي عمر بن عبد البر حيث تكلم على الحديث في الموطأ وغيره ، أن جبريل لم يصل في وقت فرض الصلاة بالنبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس إلا مرة واحدة ، فقال : والجواب عن ذلك أنه ثبت إمامة جبريل لوقتتين ، وقوله «ما بين هذين وقت» وهذه زيادة يجب قبولها والعمل بها ؛ لنقل العدول لها وليس ترك الإتيان بذلك بحجة ، وإنما الحجة في شهادة من شهد لافي رواية من أجل واختصر ، انتهى كلام ابن عبد البر ، ووقع له أيضاً أنه تكلم على حديث ، ثم روى من طرق مرسله زيادة عليه ، ثم قال : ومراسيل مثل هؤلاء عند مالك حجة ، وهو خلاف ظاهر حديث الموطأ ، وحديث هؤلاء بالصواب أولى ؛ لأنهم زادوا وأوضحوا وفسروا ما أجمله غيرهم وأمله ، هذه عبارته .

وقال القرطبي في شرح مسلم في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص في صومه وقيامه : هذا الحديث اشهر وكثرت روايته فكثير اختلافه ، حتى ظن من لا بصيرة عنده أنه مضطرب ، وليس كذلك ، فإنه إذا تتبع اختلافه وضم بعضه إلى بعض انتظمت صورته وتناسب مسأله ؛ إذ ليس فيه اختلاف تناقض ولا تهاتر ، بل يرجع اختلافه إلى أن بعضهم ذكر ما سكت عنه غيره وفصل بعض ما أجمله غيره ، انتهى .

ولا شك في أنه لا منافاة بين حديث السبعة وحديث البخاري ؛ فإنه يجمع

بينهما بأن معنى حديث البخارى قد أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور فيقال : ما علمك إلى آخره أن ذلك يقع في سبعة أيام ؛ لأنه لفظ مطلق صادق بالمرّة وبأكثر، فإذا روى الثقة أن ذلك يقع سبعا وجب قبوله ، وحمل آخر الحديث - وهو قوله ثم صالحا - على أن ذلك يقع عند انتهاء الفتنة ، وذلك بأخر يوم منها .

ولنختم الكتاب بلطائف، الأولى : أن سنة الإطعام سبعة أيام بلغنى أنها مستمرة إلى الآن ، بمكة والمدينة ؛ فالظاهر أنها لم تترك من عهد الصحابة إلى الآن ، وأنهم أخذوها خلفاً عن سلف إلى الصدر الأول [ورأيت] في التواريخ كثيراً في تراجم الأئمة يقولون : وأقام الناس على قبره سبعة أيام يقرءون القرآن .

وأخرج الحافظ الكبير أبو القاسم ابن عساكر في كتابه المسمى « تبیین كذب المفترى ، فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » سمعت الشيخ الفقيه أبا الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوى المصيصى يقول : توفي الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسى في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربعمائة بدمشق ، وأقمنا على قبره سبع ليالٍ نقرأ كل ليلة عشرين ختمة .

الثانية : قد عرف أنه يستثنى جماعة لا يسألون أصلاً ، كالصديق والشهيد والمرابط ومن ألحق بهم ، ومن اللطائف في ذلك ما أورده الجزولى من أئمة المالكية في شرح الرسالة قال : روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن منكرًا ونكيرًا ينزلان بالبيت في قبره ، وهما فظان غليظان أسودان أزرقان يطآن في شـمورها وينتحتان الأرض بأنيابهما ، يمشيان في الأرض كما يمشى أحدكم في الضباب ، بيد كل واحد منهما مرزبة من حديد لو وضعت على أعلى جبل في الدنيا لذاب كما يذوب الرصاص ، فيسألانه ، فقال له عمر : وأنا كما أنا الآن ؟ قال : نعم ، فقال : إذن والله أخاصمهما ، فرآه أبنة عبد الله بعد موته ، فقال له : ما كان منك ؟ فقال له : أتانى الملك فقال لى : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ فقلت : ربى الله ، ونبى محمد ، وأنما من ربكما ، فنظر أحدهما إلى الآخر فقال : إنه عمر ، فواليا عنى .

قال الجزولي : ومثله يروى عن أبي المعالي أنهما وقفا عليه وهابا أن يكلماه ، فقال لهما : ما شأنكما ؟ أنتما ملكا ربّي ، أفنيت في ذكره عمري ، وبسرت لنصرته ، فما عسى أن تقولوا وقد امتلأت الدنيا بأقواله ، وسُميتُ فيها أبا المعالي ؟ فقالا : قد علمنا أنك أبو المعالي ، نتم هنيئاً ولا تبالي .

قلت : أبو المعالي هو إمام الحرمين ، وهذا الذي وقع له من بركة العلم ، فلو لم يكن من بركة العلم إلا هذا الإكرام لكان فيه كفاية .

ويشبهه هذا ما أخرجه الحافظ أبو الطاهر السلفي في الطيوريات عن سهل بن عمار قال : رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : أتاني في قبري ما كان فظان غليظان فقالا : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فأخذت باحيتي البيضاء ، وقلت : لمثلي يقال هذا وقد علمتُ الناس جوابكما ثمانين سنة ؟ فذهباً .

وقال الحافظ أبو القاسم اللالكائي في السنة : أخبرنا محمد بن المظفر بن حرب ثنا إبراهيم بن محمد بن عثمان النيسابوري قال : سمعت أحمد بن محمد الحيري المزكي يقول : حدثني عبدُ الله بن الحارث الصنعاني قال : سمعت حوثة بن محمد المنقري البصري يقول : رأيت يزيد بن هرون الواسطي في المنام بعد موته بأربع ليال ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ فقال : تقبّل مني الحسنات ، وتجاوز عن السيئات ، ووهب لي التبعات ، قلت : وما كان بعد ذلك ؟ قال : وهل يكون من الكريم إلا الكرم ؟ غفر لي ذنوبي وأدخلني الجنة ، قلت : فبم نلت الذي نلت ؟ قال : بمجالس الذكر ، وقول الحق ، وصدق في الحديث ، وطول قيامي في الصلاة ، وصبري على الفقر ، قلت : ومنكرونا كبير حق ؟ قال : إي والله الذي لا إله إلا هو ، لقد أقماني وسألاني وقال لي : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ فجعلت أنفض لحييتي البيضاء من التراب فقلت : مثلي يُسأل ؟ أنا يزيد بن هرون الواسطي ، وكنت في دار الدنيا ستين سنة أعلمُ الناس ، فقال أحدهما : صدق ، هو يزيد بن

هرون ، ثم نومة العروس ، فلا رَوْعَة عليك بعد اليوم .

وقال الحافظ أبو طاهر السلفي في انتخابه لحديث الفراء : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن حمد الأرتاحي أنبأنا أبو الحسن علي بن الحسين الفراء أنا أبو زكريا عبد الرحيم بن أحمد بن نصر البخاري الحافظ ثنا القاضي أبو الحسن محمد بن إسحاق الملحمي ثنا أحمد بن محمد بن مسروق ثنا محمد بن كثير بن بنت يزيد بن هرون قال : رأيت جدي يزيد بن هرون في النوم فقلت له : يا جدي كيف رأيت منكراً ونكيراً ؟ فقال : يا بني جا آي فأجلساني في قبري وقال لي : مَنْ ربك؟ فقلت لهما : ألى يقال هذا وقد كنت أعلم الناس الدين منذ ثمانين سنة ؟ .

الثالثة : عجبت ممن استغرب سؤال الميت سبعة أيام ، وقد صرح الغزالي بما هو أعظم من ذلك ، ذكر الشيخ تاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى في ترجمة الشيخ أبي الفتوح أخى الغزالي أنه حكى يوماً على رأس منبره قال : سمعت أخى حجة الإسلام قدس الله روحه يقول : إن الميت من حين يوضع على النعش يوقف في أربعين موقفاً يسأله ربه عز وجل ، قال السبكي : فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على دينه ، ويحتم لنا بخير بمنه وكرمه .

الرابعة : أخرج ابن سعد في الطبقات من طريق ليث عن طاوس قال : ما تعلمت فتعلمه لنفسك ؛ فإن الناس قد ذهب منهم الأمانة ، قال : وكان يعدّ الحديث حرفاً حرفاً .

وأخرج أبو نعيم في الحلية من طريق ايث قال : قال لي طاوس : ما تعلمت فتعلمه لنفسك ؛ فإن الأمانة والصدق قد ذهباً من الناس .

وقال أبو محمد عبيد الله بن محمد بن عليّ [بن عبد الرحمن بن منصور بن زياد الكاتب في أماليه : ثنا الحسن بن عليّ] بن راشد قال : سمعت أبا الربيع العتكي يقول : سمعت سفیان بن عيينة يقول : إني أخذت من كل طير ريشة ، ومن كل ثوب خرقة ، قال : وسمعت سفیان بن عيينة يقول لأصحاب الحديث : إني لأحرم

جلسائی الحدیث الغریب لموضع رَجُل واحد ثقیل .

أحوال البعث

مسألة : هل يمر إبليس وكفار الإنس والجن على الصراط ؟

الجواب : صرح ابن بركان في الإرشاد بأن الكفار لا يمرون على الصراط ، وفي الأحاديث ما يشهد له ، وفي أحاديث آخر ما يقتضي خلاف ذلك وأنهم يمرون ، فحملت ذلك على المنافقين ؛ لكون بعض الروايات فيها ما يدل على ذلك ، ثم رأيت القرطبي صرح بأن في الآخرة صراطين ، صراط لعموم الخلق إلا من يدخل الجنة بغير حساب ومن يلتقطهم عنق النار ، وصراط للمؤمنين خاصة ، وهذا جمع حسن ، وعرف منه أن من يلتقطهم عنق النار - وهم طوائف مخصوصة من الكفار - لا يمرون على الصراط أصلا ، وكذلك بعث النار الذي يخرج من الخلق إليها قبل نصب الصراط ، دانت الأحاديث على أنهم لا يمرون على الصراط أصلا وهم طوائف من الكفار ، والظاهر أنه لا يمر على الصراط من الكفار إلا المنافقون وأهل الكتابين اليهود والنصارى ، فإن هؤلاء الفرق الثلاث وردت في الحديث أنهم يحملون عليه فيسقطون منه في النار ، وكذلك من ينصب له الميزان من الكفار ، وهم طائفة مخصوصة منهم ، يمرون عليه فيحضروا وزنهم فإن الميزان إنما هو على الصراط ، هذا ملخص القول في ذلك ، وبسطه في كتابنا المسمى بالبدور السافرة في أمور الآخرة ، والله أعلم .

مسألة : قوله صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةَ عُرَاةٍ » هل هو على

عمومه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَكْسِي إِبْرَاهِيمَ » أو هو مخصوص بغير الأنبياء ؟

الجواب : هو مخصوص ، وليس على عمومه ، فقد نص البيهقي على أن بعض

الناس يحشر عاريا ، وبعضهم يحشر في أكفانه ، وحمل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « يُبْعَثُ الْمَيِّتُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا » رواه أبو داود وابن حبان والحاكم ، وقول معاذ بن جبل « أحسنوا أكفان موتاكم ؛ فإن الناس يحشرون في أكفانهم » رواه ابن أبي الدنيا ، وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن عمر بن الخطاب مثله ، وهذان الموقوفان لهما حكم الرفع ، ونص القرطبي على أن حديث الحشر عرارة مخصوصٌ بغير الشهداء ، وأن حديث أبي داود ونحوه في الشهداء ، وأخرج الدينوري في المجالسة عن الحسن قال : « يُحْشَرُ النَّاسُ كُلُّهُمْ عُرَارَةً مَا خَلَا أَهْلَ الزَّهْدِ » وإذا خصَّ من الحديث الشهداء أو أهل الزهد فالأبيناء من باب أوئى .

مسألة (١) : أحاديث الحشر عرارة عارضها أحاديث أخر صرح فيها بأن الناس يحشرون في أكفانهم ، واختلف العلماء في ذلك ، فمنهم من سلك مسلك الترجيح فرجح أحاديث الحشر في الأكفان على أحاديث الحشر عرارة ، وهذا رأى القليل ، والأكثر سلكوا مسلك الجمع ؛ فجمعوا بين الأحاديث بأن أحاديث الحشر في الأكفان خاصة بالشهداء ، وأحاديث الحشر عرارة في غيرهم ، هكذا نقله القرطبي ، وجمع البيهقي بأن بعض الناس يحشر عاريا ، وبعضهم يحشر في أكفانه ، ولم يعين شهداء ولا غيرهم ، ويؤيد ذلك ما أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي ذر قال : حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أن الناس يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَفْوَاجٍ : فَوْجٌ طَاعِمِينَ كَاسِينَ رَاكِبِينَ ، وَفَوْجٌ يَمْشُونَ وَيَسْمَعُونَ ، وَفَوْجٌ تَسْجِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ ، وَمِنْ حَدِيثِ مَعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ ، وَفِي الْمَجَالِسَةِ لِلدِّينَوْرِيِّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : يُحْشَرُ النَّاسُ كُلُّهُمْ عُرَارَةً مَا خَلَا أَهْلَ الزَّهْدِ ، وَهَذَا لَهُ حُكْمُ الْمَرْفُوعِ الْمُرْسَلِ .

(١) هكذا ، ولم يذكر هنا سؤال وجواب على عادة الكتاب

مسألة :

سألتكم رجال العلم عما
هل الإيمان يوزن يوم حشر
فإن قلتم بوزن هل تقولوا
وإن قلتم مع الحسنات يبقى
ويرجع بعد ذلك بسيئات
من أهل الحق والتوحيد نفس
أوزن مطلقاً أو لا تقولوا
أجيبوا العبد فهو لكم محبب
فلا زلتم لمعضلة تحملوا
الجواب :

لرب العرش حمداً لا يحاكي
والمختار تسليماً ثناء
لقد نص الحكيم الترمذي في
وعنه حكاة نقلها قرطبي
بأن الوزن مختص بمحشر
وما الإيمان موزوناً فإن الموازن حاله ضد هناك
أجمع واحد ككفراً وضداً
وفي خبر البطاقة جاء وزن
فأولها بنسب في ادكار
ومن يقصد لبسط في اتران
وناظمه ابن الاسيوطي أبدى
بنظم ناسج منسوال حسن

وأشكره ، وما أولى بذاكا
كعرف الزهر ينبت في رباكا
نواده التي حسنت حباكا
بتذكرة تنمقها حياكا
بأعمال فتنسلك انسلاكا
الموازن حاله ضد هناك
ليتزنا ؟ محال فرض ذاك
لتوحيد وأخبار كذاكا
فحقاً أعظم الحسنات ذاك
ففي تأليف بعث لي دراكا
جواباً لم يفادره مساكا
على نسق يحاك ولا يحاكي

مسألة :

ما قول حبر بحر أفكاره
 وفاض منه أنهرها بالهدى
 تأليفه صاغ لنا عسجداً
 حكى لنظم الدر في جيبه
 في الطفل إن مات صغيراً ، فهل
 وفي جنان الخلد يبقى كذا
 وهل له في الحوار من زوجة
 وأمر ولدان حكاهم لنا
 أمن بنى آدم أم خلقهم
 لكم علوم أعجزت من مضي
 وسلوا ، إن الذي نلتمو
 يثيبكم جناته مثل ما
 الجواب :

الحمد لله على يسره
 الطفل يأتي مثل ما قد مضى
 وعند ما يدخل جناته
 وكم له في الخلد من زوجة
 والحوار والولدان جنس سوى
 وأشكر الهادي على نشره
 في خلقه والقدر في حشره
 يزداد كالبالغ في قدره
 من بشر والحوار في قصره ؟
 ليسوا بنى آدم فاستقره

تحفة الجلساء ، برؤية الله للنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

مسألة : رؤية الله تعالى يوم القيامة في الموقف حاصلة لكل أحد الرجال والنساء بلا نزاع ، وذهب قوم من أهل السنة إلى أنها تحصل فيه للمنافقين أيضاً ، وذهب آخرون منهم إلى أنها تحصل للكافرين أيضاً ثم يجنبون بعد ذلك ليكون عليهم حسرة ، وله شاهد روينا عن الحسن البصري .

وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصدّيقين من كل أمة ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة ، واختلف بعد ذلك في صور :

أحداها : النساء من هذه الأمة ، وفيهن ثلاثة مذاهب للعلماء حكاه جماعة منهم الحافظ عماد الدين بن كثير في أواخر تاريخه ، أحدها : أنهن لا يرين ؛ لأنهن مقصورات في الحيام ، ولأنه لم يرد في أحاديث الرؤية تصريح برؤيتهن ، والثاني : أنهن يرين ؛ أخذاً من عمومات النصوص الواردة في الرؤية ، والثالث : أنهن يرين في مثل أيام الأعياد ، فإنه تعالى يتجلى في مثل أيام الأعياد لأهل الجنة تجلياً عاماً فيرينه [في مثل هذه الحال دون غيرها ، قال ابن كثير : وهذا القول يحتاج] إلى دلائل خاص عليه .

وقال الحافظ ابن رجب في اللطائف : كل يوم كان للمسلمين عيداً في الدنيا ، فإنه عيد لهم في الجنة ، يجتمعون فيه على زيارة ربهم ، ويتجلى لهم فيه ، ويوم الجمعة يدعى في الجنة يوم المزيد ، ويوم الفطر والأضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة ، وروى أنه يشارك النساء الرجال فيهما كما كنّ يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة ، هذا لعموم أهل الجنة ، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم بكرة وعشيا ، انتهى .

قلت : الحديثُ الذي أشار إليه ابن رجب - ولم يقف عليه ابن كثير - أخرجهُ الدارقطني في كتاب الرؤية قال : حدثنا أحمد بن سلمان بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان بن محمد ثنا مروان بن جعفر ثنا نافع أبو الحسن مولى بني هاشم ثنا عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم عز وجل ؛ فأخذتهم عهداً بالنظر إليه في كل جمعة ، ويراها المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر » .

الثانية : الملائكة ، فذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام إلى أنهم لا يرون ربهم ؛ لأنهم لم يثبت لهم ذلك كما ثبت للمؤمنين من البشر ، وقد قال تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الأبصار)^(١) خرج منه مؤمنو البشر بالأدلة الثابتة ، فبقى على عمومهِ في الملائكة ، ولأن للبشر طاعاتٍ لم يثبت مثلها للملائكة كالجهاد والصبر على البلايا والمحن والرزايا وتحمل المشاق في العبادات لأجل الله ، وقد ثبت أنهم يرون ربهم ويسلم عليهم ويبشرهم بإحلال رضوانه عليهم أبداً ، ولم يثبت مثل هذا للملائكة ، انتهى .

وقد نقله عنه جمع من المتأخرين ولم يتعقبوه بنكير ، منهم الإمام بدر الدين الشبلي صاحب « آكام المرجان ، في أحكام الجنان » والعلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع ، ولكن الأقوى أنهم يرونه ، فقد نص على ذلك إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري قال في كتابه « الإبانة ، في أصول الديانة » ومنه نقلت ما نصه : أفضل لذات الجنة رؤية الله تعالى ، ثم رؤية نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين وملائكته المقربين وجماعة المؤمنين والصدِّقين النَّظَرَ إلى وجهه عز وجل ، انتهى .

وقد تابعه على ذلك الإمامُ الحافظ البيهقي ، قال في كتاب الرؤية « باب ماجاء في رؤية الملائكة ربهم ، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأحمد بن الحسن قالا :

(٢) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن أبيه سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم قال : خلق الله الملائكة لعبادته أصنافا ، وإن منهم لملائكة قياما صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة ركوعا خشوعا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة ، وملائكة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم تبارك وتعالى ونظروا إلى وجهه الكريم ، قالوا : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك ، وأخبرنا محمد بن عبد الله وأحمد بن الحسن قالا : ثنا أبو العباس ثنا محمد بن إسحاق ثنا روح بن عبادة ثنا عباد بن منصور قال : سمعت عدی بن أرطاة يخطب على منبر المدائن ، فجعل يعظنا حتى بكى وأبكانا ، ثم قال : كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه : يا بني أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت ، واقد سمعت فلانا - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن لله ملائكة ترعدُ فرأئصهم من مخافته ، ما منهم ملكٌ تقطر دمعة من عينه إلا وقعت ملكا يسبح ، قال : وملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة [وركوعا لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة] وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة ، فإذا كان يوم القيامة تجلى لهم ربهم فينظرون إليه ، قالوا : سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك » أخرج أبو الشيخ في العظمة ، ولفظه « فإذا رفعوا ونظروا إلى وجه الله تعالى قالوا : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك » .

ومن قال رؤية الملائكة من المتأخرين العلامة شمس الدين بن القيم ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني ، وهو الأرجح بلا شك ، ومنهم من قال : إن جبريل عليه السلام يراه دون سائر الملائكة ؛ لأنه وقف على الحديث الذي ورد فيه رؤيته ، ولم يقف على الحديثين السابقين في رؤية الملائكة على العموم ،

ومشى عليه أبو إسحاق [إسماعيل] الصفار البخارى من الحنفية ، فإني رأيت في أسئلته المشهورة ما نصه : سُئِلَ عن الملائكة هل يرون ربهم ؟ فأجاب اعتمادُ والدي الشهيد [أنهم] لا يرون ربهم ، سوى جبريل ؛ فإنه يرى ربه مرة واحدة ، ولا يرى أبداً ، انتهى .

والصواب العموم ، والحديث المذكور أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه من طريق إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تمد الأرض يوم القيامة مداً لعظمة الرحمن ، ثم لا يكون لبشر من بنى آدم إلا موضع قدميه ، ثم أذعى أول الناس فأخيراً ساجداً ، ثم يؤذن لى فأقوم فأقول : يارب ، أخبرنى هذا ، لجبريل - وهو عن يمين الرحمن ، والله ما رآه جبريل قبلها قط - أنك أرسلته إلىَّ ، قال : وجبريل ساكت لا يتكلم حتى يقول الله : صدق ، ثم يؤذن لى فى الشفاعة فأقول : يارب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض فذلك المقام المحمود » قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، قال : لكن أرسله معمر عن ابن شهاب عن علي بن حسين بنحوه ، وأخرجه الحاكم من طريق ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن علي بن حسين عن رجل من أهل [العلم] ولم يسمه « إن الأرض تمد يوم القيامة » الحديث .

وقال عبد الرزاق فى تفسيره : أنا معمر عن الزهرى عن علي بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يوم القيامة مدَّ الله الأرض مدَّ الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه ، قال : فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين العرش ، والله ما رآه قبلها ، فأقول : أى رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلىَّ ، فيقول الله عز وجل : صدق ، ثم أشفع فأقول : يارب عبدوك فى أطراف الأرض ، وهو المقام المحمود » أخرجه ابن جرير .

وقال ابن أبى حاتم فى تفسيره : حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب ثنا عمى ثنا إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن علي بن حسين قال : أخبرنى رجل من أهل

العلم أن النبی صلی الله علیه وسلم قال : « تمدُّ الأرض يوم القيامة مدَّ الأدریم لعظمة الرحمن ، ولا يكون لبشر من بنی آدم فيها إلا موضع قدمه ، فأذعنى أول الناس ، فأخرت ساجدا ، ثم يؤذن لى فأقول : يارب ، أخبرنى هذا ، لجبریل - وجبریل عن یمین الرحمن ، والله ما رآه جبریل قطُّ قبلها - أنك أرسلته إلى ، وجبریل ساكتٌ لا يتكلم ، حتى يقول الرحمن تبارك وتعالى : صدقت ، قال : ثم يؤذن لى فى الشفاعة فأقول : أى ربَّ عبادك عبَّدرك فى أطراف الأرض ، فذلك المقام المحمود .»

الثالثة : الجن ، وقد نقل صاحب « آكام المرَّجان » مقالة الشيخ عز الدين فى الملائكة ، ثم قال : والجنُّ أولى بالمنع منهم ، وقال الجلال البلقينى : لم أقف على كلام أحد من العلماء تعرض لهذه المسألة ، ولم تثبت الرؤية إلا للبشر ، ثم نقل كلام الشيخ عز الدين فى أن الملائكة لا يرون ، ثم قال : وإذا كان ذلك فى الملائكة فى الجن بطريق الأولى ، ثم قال : وقد يتوقف فى الأولوية ؛ لأن الإيمان فى عرف الشرع يشمل مؤمنى الثقليين ، ثم قرَّر ثبوت الرؤية للملائكة ، ثم قال : وعلى مقتضى استدلال الأئمة والأشعرى تثبت الرؤية لمؤمنى الجن .

الرابعة : مؤمنو الأمم السابقة ، وفيهم احتمالان لابن أبى بجرمة ، وقال : إن الأظهر مساواتهم لهذه الأمة فى الرؤية ، والله أعلم .

مسألة : قال الدارقطنى : أخبرنا الحسن بن إسماعيل أنا أبو الحسن على بن عبدة ثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبى ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله ليتجلى للناس عامَّةً ، ويتجلى لأبى بكر خامسة » فى المعنى للذهبي : على بن عبدة وضاع ، وقلتم فى تأليفكم النكت البديعيات على الموضوعات : إن للحديث طريقا على شرط الحسن ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک بالفظ « يتجلى للخلائق » فلم لم تستدلوا به على رؤية الملائكة يوم القيامة مع ذينك الحديثين ، واللفظ الأول يستدل به على الرؤية لبني آدم مطلقا الرجال والنساء فى العيد وغيره ، وأنه ليس مقيدا بوقت معلوم ، لا سيما وهو حسن .

الجواب: الاستدلال إنما يكون بالألفاظ التي لا يطرقتها الاحتمال، ومتى طرق اللفظ الاحتمال سقط به الاستدلال، والخلائق يحتمل أن يحمل على بنى آدم فلا يستدل به على الملائكة، خصوصاً وقد ورد بلفظ «الناس» الخاص ببنى آدم وهذا التجلي العام يمكن حمله أولاً على الذكور الذين يحضرون الزيارة فيكون من خصوص الأفراد، ويمكن حمله على التجلي أيام الأعياد فيكون من خصوص الأوقات ويشمل الإناث، ويمكن حمله - وهو الأظهر - على التجلي في الموقف، وذلك شامل للخلق بأسرهم الإنس والجن والملائكة والذكور والإناث، وإن ورد في بعض ألفاظه «يوم القيامة» قوى هذا الحمل الأخير، فانزاح الإشكال، والله أعلم.

مسالك الحنفيا، في والدي المصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى.

مسألة: الحكم في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم أنهما ناجيان وليسا في النار، صرح بذلك جمع من العلماء، ولهم في تقرير ذلك مسالك:

المسلك الأول: أنهما ماتا قبل البعثة، ولا تعذيب قبلها، لقوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) وقد أطبقت أئمتنا الأشاعرة من أهل الكلام والأصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا، وأنه لا يُقاتل حتى يدعى إلى الإسلام، وأنه إذا قُتل يُضمَّن بالدية والكفارة، نص عليه الإمام الشافعي رضي الله عنه وسائر الأصحاب، بل زاد بعض الأصحاب وقال: إنه يجب في قتله القصاص، ولكن الصحيح خلافه؛ لأنه ليس بمسلم حقيقي، وشَرَطُ القصاص

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء

المكافأة ، وقد علل بعضُ الفقهاء كونه إذا مات لا يعذب بأنه على أصل الفطرة ، ولم يقع منه عناد ، ولا جاءه رسول فكذبه ، وهذا المسلك أول ما سمعته في هذا المقام الذي نحن فيه من شيخنا شيخ الإسلام شرف الدين المناوي ، فإنه سئل عن والد النبي صلى الله عليه وسلم هل هو في النار ؟ فزار في السائل زارةً شديدةً ، فقال له السائل : هل ثبت إسلامه ؟ فقال : إنه مات في الفترة ، ولا تعذيب قبل البعثة ، ونقله سبط ابن الجوزي في كتاب « مرآة الزمان » عن جماعة ، فإنه حكى كلامَ جده على حديث إحياء أمه صلى الله عليه وسلم ثم قال مانصه : وقال قومٌ : قد قال الله تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(١) والدعوة لم تبلغ أباه وأمه ، فما ذنبهما ؟ وجزم به الأبي في شرح مسلم ، وسأذ كر عبارته ، وقد ورد في أهل الفترة أحاديثُ أنهم يمتحنون يوم القيامة وآياتٌ مشيرةٌ إلى عدم تعذيبهم ، وإلى ذلك مال حافظُ العصر شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر في بعض كتبه ، فقال : والظنُّ بآله صلى الله عليه وسلم - يعني الذين ما توا قبل البعثة - أنهم يُطعمون عند الامتحان إكراماً له صلى الله عليه وسلم لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ، ثم رأيتُه قال في الإصابة : ورد من عدة طرق في حق الشيخ الهرم ومن مات في الفترة ومن ولد أكمه أعمى أصم ومن ولد مجنوناً أو طراً عليه الجنون قبل أن يبلغ ونحو ذلك أن كلامهم يُدلى بحجة ويقول : لو عقلت أو ذكرت لآمنت ، فترفع لهم نار ويقال : ادخلوها ، فمن دخلها كانت له برزداً وسلاماً ، ومن امتنع أدخلها كرهاً ، وهذا معنى ما ورد من ذلك ، قال : وقد جمعت طرقه في جزء مفرد ، قال : ونحن نرجو أن يدخل عبدُ المطلب وآل بيته في جملة من يدخلها طائفاً فينجو ، إلا أبا طالب ؛ فإنه أدرك البعثة ولم يؤمن ، وثبت [في الصحيح] أنه في ضحَضَاح من نار ، وقد جعلت قصة الامتحان داخلة في هذا المسلك مع أن الظاهر أنها مسلك مستقل ، لكنني وجدت ذلك لمعنى دقيق ، لا يخفى على ذوى التحقيق .

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء

ذکر الآيات المشيرة إلى ذلك

الأولى : قوله تعالى : (وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(۱) ، وهذه الآية هي التي أطبقت أئمة السنة على الاستدلال بها في أنه لا تعذيب قبل البعثة ، وردوا بها على المعتزلة ومن وافقهم في تحكيم العقل .
أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما عن قتادة في قوله : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)^(۱) قال : إن الله ليس بمعذب أحداً حتى يسبق إليه من الله خبر أو تأتيه من الله بينة .

الآية الثانية قوله تعالى : (ذلك أن لم يكن رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ)^(۲) أورد هذه الآية الزركشي في شرح جمع الجوامع استدلالاً على قاعدة أن شكر المنعم ليس بواجب عقلاً ، بل بالسمع .

الثالثة قوله تعالى : (ولولا أن تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(۳) ، أورد هذه الآية الزركشي أيضاً .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الهالك في الفترة يقول : ربِّ لم يأتني كتاب ولا رسول ، ثم قرأ هذه الآية (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)^(۳) » .

الرابعة قوله تعالى : (ولو أنا أَهْلَكْنَاَّهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَاقَالُوا : رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى)^(۴) ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية عن عطية العوفي قال : الهالك في الفترة يقول : ربِّ لم يأتني كتاب ولا رسول ، وقرأ هذه الآية : (ولو أنا أَهْلَكْنَاَّهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ

(۱) من الآية ۱۵ من سورة الإسراء (۲) من الآية ۱۳۱ من سورة الأنعام

(۳) من الآية ۴۷ من سورة القصص (۴) من الآية ۱۳۴ من سورة طه

قبله لقالوا) (١) إلى آخر الآية .

الخامسة : قوله تعالى : (وما كان ربك مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) (٢) ، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس وقتادة في الآية قالا : لم يهلك الله ملة حتى يبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، فلما كذبوا وظلموا بذلك هلكوا .

السادسة : قوله تعالى : (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا ، لعلكم ترحمون ، أن تقولوا : إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا ، وإن كنا عن دراستهم لغافلين) (٣) .

السابعة : قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا لها مُنذِرُونَ ، ذكرى وما كنا ظالمين) (٤) ، أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم عن قتادة في الآية قال : ما أهلك الله من قرية إلا من بعد الحجّة والبينة والعدر حتى يرسل الرسل وينزل الكتب ، تذكرة لهم وموعظة وحجة لله (ذكرى وما كنا ظالمين) يقول : ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البينة والحجة .

الثامنة قوله تعالى : (وهم يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ، أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ) (٥) . قال المفسرون : احتج عليهم ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو المراد بالندير في الآية .

ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يتمتعون يوم القيامة

فَمَنْ أَطَاعَ مِنْهُمْ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَى أُدْخِلَ النَّارَ

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه

(١) من الآية ١٣٤ من سورة طه (٢) من الآية ٥٩ من سورة القصص

(٣) الآيتان ١٥٥ و ١٥٦ من سورة الأنعام (٤) الآيتان ٢٠٨ و ٢٠٩ من سورة الشعراء

(٥) الآية ٣٧ من سورة فاطر

في مسنديهما والبيهقي في كتاب « الاعتقاد » وصححه عن الأسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يُمتَحَنون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هَرِم ، ورجل مات في قَتْرَة ، فأما الأصم فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الأحمق فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبر ، وأما الهَرِم فيقول : ربّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول : ربّ ما أتاني لك رسول ، فيأخذ موثيقهم ليطيعنّه ، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار ، فَمَنْ دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها يسحب إليها . »

الحديث الثاني : أخرج أحمد وإسحاق بن راهويه في مسنديهما وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في « الاعتقاد » عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة يمتحنون ، فذكر مثل حديث الأسود بن سريع سواء . »

الحديث الثالث : أخرج البزار في مسنده عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بالهالك في الفترة والمعتوه والمولود ، فيقول الهالك في الفترة : لم يأتني كتاب ولا رسول ، ويقول المعتوه : أي ربّ لم تجعل لي عقلاً أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود : لم أدرك العمل ، قال : فيرفع لهم نار فيقال لهم : ردّوها - أو قال ادخلوها - فيدخلها مَنْ كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها مَنْ كان في علم الله شقيماً لو أدرك العمل ، فيقول تبارك وتعالى : إياي عصيتم ، فكيف برسلي بالغيب ؟ في إسناده عطية العوفي ، فيه ضعف ، والترمذي يحسن حديثه ، وهذا الحديث له شواهد تقتضي الحكم بحسنه وثبوته . »

الحديث الرابع : أخرج البزار وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يُؤْتَى بأربعة يوم القيامة : بالمولود ، والمعتوه ، ومن مات في الفترة ، وبالشيخ الفاني ، كلُّهم يتكلم بحجّته ، فيقول الله تبارك

وتعالی لعنق من جهنم : أُبرُزِی ، فيقول لهم : إني كنت أبعثُ إلى عبادي رسلا من أنفسهم وإني رسولُ نفسي إليكم ، ادخلوا هذه ، فيقول مَنْ كتب الله عليه الشقاء : يا ربُّ اُدْخِلْنَاهَا وَمِنْهَا كُنَّا نَفْرَقُ ، وَمَنْ كتب له السعادة فيمضي فيقتحم فيها مسرعا ، فيقول الله : قد عصيتُموني فأنتم لرسلي أشدُّ تكذيباً ومعصية ، فيدخل هؤلاء الجنة ، وهؤلاء النار .

الحديث الخامس : أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال : إذا كان يومُ القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والأصم والأبكم والشيوخ الذين لم يدركوا الإسلام ، ثم أرسل إليهم رسولا أن ادخلوا النار ، فيقولون : كيف ولم تأتينا رسل ؟ قال : وأيم الله لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً ، ثم يرسل إليهم فيطيعه مَنْ كان يريد أن يطيعه ، قال أبو هريرة : أقرءوا إن شئتم : (وَمَا كُنَّا مَعَذِبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(۱) « إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ومثله لا يقال من قبل الرأي ؛ فله حكم الرفع .

الحديث السادس : أخرج البزار والحاكم في مستدرکه عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كان يومُ القيامة جاء أهل الجاهلية يَحْمِلُونَ أوثانهم على ظهورهم ، فيسألهم ربهم فيقولون : رَبَّنَا لِمَ ترسل إلينا رسولا ، ولم يأتنا لك أمر ، ولو أرسلت إلينا رسولا لكننا أطوعَ عبادك ، فيقول لهم ربهم : أرايتكم إن أمرتكم بأمرٍ تطيعوني ؟ فيقولون : نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها ، فينطلقون حتى إذا دنوا منها وجدوا لها تغيظاً وزفيراً ، فرجعوا إلى ربهم فيقولون : رَبَّنَا أَجِرْنَا مِنْهَا ، فيقول لهم : ألم تزعموا أني إن أمرتكم بأمرٍ تطيعوني ، فيأخذ على ذلك مَوَائِقَهُمْ ، فيقول : اعمدوا إليها فادخلوها ، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا ورجعوا فقالوا : رَبَّنَا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها ، فيقول : ادخلوها داخرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً

(۱) من الآية ۱۵ من سورة الإسراء

وسلاماً » قال الحاكم : صحيح على شرط البخارى ومسلم .
 الحديث السابع : أخرج الطبرانى وأبو نعيم عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا ، وبالهالك فى الفترة ، وبالهالك صغيراً ، فيقول المسوخ عقلا : يا رب لو آتيتنى عقلا ما كان من آتيته عقلا بأشعد بعقله منى ، وذكر فى الهالك فى الفترة والصغير نحو ذلك ، فيقول الرب : إني أمرم بأمر فتطيعون ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : اذهبوا فادخلوا النار ، قال : ولو دخلوها ما ضررتهم ، فتخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شىء ، فيرجعون سراعاً ، ثم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك ، فيقول الرب : قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون ، وعلى علمى خلقتكم ، وإلى علمى تصيرون ، ضميهم ، فتأخذهم » .

قال الكيا الهراسى فى تعليقه فى الأصول فى مسألة شكر المنعم : اعلم أن الذى استقر عليه آراء أهل السنة قاطبة أنه لا مدرك للأحكام سوى الشرع المنقول ، ولا يتلقى حكم من قضايا العقول ، فأما من عدأ أهل الحق من طبقات الخلق كالرافضة والكرامية والمعتزلة وغيرهم فإنهم ذهبوا إلى أن الأحكام منقسمة ، فمنها ما يتلقى من الشرع المنقول ، ومنها ما يتلقى من قضايا العقول ، قال : وأما نحن فنقول : لا يجب شىء قبل مجىء الرسول ، فإذا ظهر وأقام المعجزة تمكّن العاقل من النظر ، فنقول : لا يُتلم أول الواجبات إلا بالسمع ، فإذا جاء الرسول وجب عليه النظر ، وعند هذا يُسأل المستطرفون فيقولون : ما الواجب الذى هو طاعة وليس بقربة ؟ وجوابه أن النظر الذى هو أول الواجبات طاعة وليس بقربة ؛ لأنه ينظر المعرفة فهو مطيع وليس بمتقرب ؛ لأنه إنما يتقرب إلى من يعرفه ، قال : وقد ذكر شيخنا الإمام فى هذا المقام شيئاً حسناً فقال : قبل مجىء الرسول تتعارض الخواطر والطرق ؛ إذ ما من خاطر يعرض له إلا ويمكن أن يقدر أن يخطر خاطر آخر على نقيضه ، فتعارض الخواطر ، ويقع العقل فى حيرة ودهشة ،

فيجب التوقف إلى أن تنكشف الغمة ، وليس ذلك إلا بمجيء الرسول ،
وهنا قال الأستاذ أبو إسحاق : إن قول « لا أدري » نصف العلم ، ومعناه أنه انتهى
علمي إلى حد وقف عند مجازة العقل ، وهذا إنما يقوله من دقق في العلم ، وعرف
مجازي العقل ، مما لا يجري فيه ويقف عنده ، انتهى .

وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول : شكر المنعم لا يجب عقلا ، خلافا
المعتزلة ، لئلا أنه لو تحقق الوجوب قبل البعثة لعذب تاركه ، فلا وجوب ،
أما المألزمة فيبينة ، وأما أنه لا تعذيب فلقوله سبحانه : (وما كنا مُعَذِّبِينَ
حتى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(١) نفي التعذيب إلى غاية البعثة ، فينتفي ، وإلا وقع الخلف في
قول الله ، وهو محال ، انتهى . وذكر أتباعه مثل ذلك كصاحب الحاصل والتحصيل
والبيضاوي في منهاجه .

وقال القاضي تاج الدين السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب : على مسألة
شكر المنعم تتخرج مسألة من لم تبلغه الدعوة ، فعندنا يموت ناجيا ، ولا يقاتل
حتى يدعى إلى الإسلام ، وهو مضمون بالكفارة والدية ، ولا يجب القصاص على
قاتله على الصحيح .

وقال البغوي في التهذيب : أما من لم تبلغه الدعوة فلا يجوز قتله قبل أن
يدعى إلى الإسلام ، فإن قتل قبل أن يدعى إلى الإسلام وجب في قتله الدية
والكفارة ، وعند أبي حنيفة لا يجب الضمان بقتله ، وأصله أنه عندم محجوج عليه
بقتله ، وعندنا هو غير محجوج عليه قبل بلوغ الدعوة إليه لقوله : (وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا)^(١) فثبت أنه لا حجة عليه قبل مجيء الرسول ، انتهى .

وقال الرافعي في الشرح : من لم تبلغه الدعوة لا يجوز قتله قبل الإعلام والدعاء
إلى الإسلام ، ولو قتل كان مضمونا ، خلافا لأبي حنيفة ، وبني الخلاف على أنه
محجوج عليه بالعقل عنده ، وعندنا من لم تبلغه الدعوة لا تثبت عليه الحجة ، ولا تتوجه

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء

المؤاخظة ، قال تعالى : (وما كنا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا)^(١) انتهى .
 وقال الغزالي في البسيط : مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةَ يَضْمَنُ بِالذِّمَّةِ وَالْكَفَّارَةَ لِأَبْلِ الْقَصَاصِ
 عَلَى الصَّحِيحِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مُسْلِمًا عَلَى التَّحْقِيقِ ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَعْنَى الْمُسْلِمِ ، وَقَالَ
 ابْنُ الرَّفْعَةِ فِي الْكِفَايَةِ : لِأَنَّهُ مَوْلُودٌ عَلَى الْفِطْرَةِ وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ عِنَادٌ .
 وَقَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ فِي مَسْأَلَةِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ : الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ
 الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
 نَبْعَثَ رَسُولًا)^(١) قَالَ : وَإِذَا كَانَ لَا يَعْذِبُ الْبَالِغَ لِكُونِهِ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةَ فَغَيْرُهُ
 أَوْلَى ، انْتَهَى .

فإن قلت : هذا المسلك الذي قررتَه هل هو عام في أهل الجاهلية كلهم ؟
 قلت : لا ، بل هو خاص بمن لم تبلغه دعوة نبي أصلاً ، أما مَنْ بَلَغَتْهُ مِنْهُمْ
 دَعْوَةُ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ، ثُمَّ أَصْرَّ عَلَى كُفْرِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ قَطْعًا ، وَهَذَا
 لَا نِزَاعَ فِيهِ .

وَأَمَّا الْأَبْوَانِ الشَّرِيفَانِ فَالظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِمَا مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ عَدَمِ
 بَلُوغِهِمَا دَعْوَةَ أَحَدٍ ، وَذَلِكَ لِجُمُوعِ أُمُورٍ : تَأَخَّرَ زَمَانُهُمَا ، وَبَعْدَ مَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ
 الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ ؛ فَإِنَّ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ بَعْثَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِيسَى عَلَيْهِ
 السَّلَامُ ، وَكَانَتْ الْفِتْرَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَعْثَةِ نَبِيِّنَا نَحْوَ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُمَا كَانَا فِي زَمَنِ
 جَاهِلِيَّةٍ ، وَقَدْ طَبَّقَ الْجَهْلُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا ، وَقَدْ مَنْ يَعْرِفُ الشَّرَائِعَ ، وَيُبَلِّغُ
 الدَّعْوَةَ عَلَى وَجْهِهَا ، إِلَّا نَفَرًا بِسِيرًا مِنْ أَحْبَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ مُفْرَقِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
 كَالشَّامِ وَغَيْرِهَا ، وَلَمْ يَمُودْ لَهَا تَقَلُّبٌ فِي الْأَسْفَارِ سِوَى إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَا عُمرًا عَمْرًا
 طَوِيلًا بِحَيْثُ يَقَعُ لَهَا فِيهِ التَّنْقِيبُ وَالتَّفْتِيشُ ، فَإِنَّ وَالِدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لَمْ يَعْشَ مِنَ الْعَمْرِ إِلَّا قَلِيلًا .

قال الإمام الحافظ صلاح الدين العلامي في كتابه الدرر السنية في مولد سيد

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء

البرية : كان سن عبد الله حين حملت منه أمه آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمانية عشر عاما ، ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله ، فمات بها عند أخواله من بني النجار ، والنبي صلى الله عليه وسلم تحمل على الصحيح ، انتهى . وأمه قريبة من ذلك ، لا سيما وهي امرأة مَصُونَةٌ مُحَجَّجَةٌ في البيت عن الاجتماع بالرجال ، والغالبُ على النساء أنهن لا يعرفن ما الرجالُ فيه من أمر الديانات والشرائع ، خصوصاً في زمان الجاهلية الذي رجاله لا يعرفون ذلك فضلاً عن نسائه ، ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم تعجَّبَ من بعثته أهلُ مكة وقالوا : (أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا) ^(١) وقالوا : (ولو شاء اللهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ، مَأْسَمِعَنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ) ^(٢) فلو كان عندهم علم من بعثة الرُّسُلِ مَا أَنْكَرُوا ذَلِكَ ، وربما كانوا يظنون أن إبراهيم بُعِثَ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَنْ يَبْلَغُهُمْ شَرِيعَةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى وَجْهِهَا لِذُنُورِهَا ، وَقَدْ مَنْ يَعْرِفُهَا ؛ إِذْ كَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ أَزِيدٌ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ سَنَةٍ ، فَاتَّضَحَ بِذَلِكَ صِحَّةَ دُخُولِهِمَا فِي هَذَا الْمَسْلَكِ .

ثم رأيت الشيخ عز الدين بن عبد السلام قال في أماليه ما نصه : كل نبي إنما أرسل إلى قومه ، إلا نبينا صلى الله عليه وسلم ، قال : فعلى هذا يكون ما عدا قوم كل نبي من أهل الفترة ، إلا ذرية النبي السابق ، فإنهم يُخَاطَبُونَ ببعثة السابق ؛ إلا أن تدرس شريعة السابق فيصير الكل من أهل الفترة - هذا كلامه .

فبان بذلك أن الوالدين الشريفين من أهل الفترة بلا شك ، لأنهما ليسا من ذرية عيسى ولا من قومه ، ثم يرشح ما قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر « إن الظن بهما أن يطعما عند الامتحان » أمران ، أحدهما : ما أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه عن ابن مسعود ، قال : « قال شابٌ من الأنصار - لم أر رجلاً كان أكثر سؤالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه - يارسول الله ، أرايت أبواك في النار ، فقال : ما سألتها ربي فيطعني فيها ، وإني لقاتم يومئذ المقام المحمود » فهذا الحديث يشعر بأنه يرتجى

(١) من الآية ٩٤ من سورة الإسراء (٢) من الآية ٢٤ من سورة المؤمنين

لهما الخير عند قيامه المقام المحمود ، وذلك بأن يشفع لهما فيوفقا للطاعة إذا امتحننا حينئذ كما يتمن أهل الفترة ، ولا شك في أنه يقال له عند قيامه ذلك المقام: سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تشفع ، كما في الأحاديث الصحيحة ، فإذا سأل ذلك أعطيه ، الأمر الثاني : ما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس في قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)^(١) قال : من رضا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، ولهذا عمم الحافظ ابن حجر في قوله : الظن بآل بيته كلهم أن يطيعوا عند الامتحان ، وحديث^٢ ثالث ، أخرج أبو سعد في شرف النبوة ، والملاني سيرته عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألتُ ربي أن لا يُدْخِلَ النارَ أحداً من أهل بيتي ، فأعطاني ذلك » أورده الحافظ محب الدين الطبري في كتابه « ذخائر العقبى » ، وحديث رابع أصرح من هذين ، أخرج تمام الرازي في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يوم القيامة شفعت لأبي وأمي وعمي أبي طالب وأخ لي كان في الجاهلية » أورده المحب الطبري وهو من الحفاظ والفقهاء في كتابه « ذخائر العقبى ، في مناقب ذوى القربى » وقال : إن ثبت فهو مؤوّل في أبي طالب على ماورد في الصحيح من تخفيف العذاب عنه بشفاعته ، انتهى ، وإنما احتاج إلى تأويله في أبي طالب دون الثلاثة أبيه وأمه وأخيه - يعنى من الرضاة - لأن أبا طالب أدرك البعثة ولم يسلم ، والثلاثة ماتوا في الفترة ، وقد ورد هذا الحديث من طريق آخر أضعف من هذا الطريق من حديث ابن عباس ، أخرجه أبو نعيم وغيره ، وفيه التصريح بأن الأخ من الرضاة .

فهذه أحاديث عدة يشد بعضها بعضها ؛ فإن الحديث الضعيف يتقوى بكثرة طرقه ، وأمثلهما حديث ابن مسعود ، فإن الحاكم صححه .

ومما يرشح ما نحن فيه ما أخرجه ابن أبي الدنيا قال : ثنا القاسم بن هاشم

(١) من الآية ٤ من سورة الضحى

السمسار ثنا مقاتل بن سليمان الرملي عن أبي معشر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سألت ربي أبناء العشرين من أمتي فوهبهم لي » .

ومما ينضم إلى ذلك - وإن لم يكن صريحا في المقصود - ما أخرجه الديلمي عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول من أشفع له يوم القيامة أهل بيتي ، ثم الأقرب فالأقرب » ، وما أورده المحب الطبري في « ذخائر العقبى » وعزاه لأحمد في المناقب عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر بني هاشم ، والذي بعثني بالحق نبيا لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم » وهذا أخرجه الخطيب في تاريخه من حديث يغم عن أنس ، وما أورده أيضا وعزاه لأبي البختری عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينتفع ، بلي حتى تبلغ حكم - وهم أحد قبيلتين من اليمن - إني لأشفع فأشفع ، حتى إن من أشفع له ليشفع فيشفع ، حتى أن إبليس ليتناول طمعا في الشفاعة » .

ونحو هذا ما أخرجه الطبراني من حديث أم هانئ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما بال أقوال يزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي وأن شفاعتي تنال حاء وحكم ^(١) » .

لطيفة : نقل الزركشي في الخادم عن ابن دحية أنه جعل من أنواع الشفاعات التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين ؛ لسروره بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وإعتاقه ثويبة حين بُشِّر به ، قال : وإنما هي كرامة له صلى الله عليه وسلم .

تنبية : ثم رأيت الإمام أبا عبد الله محمد بن خلف الأبي بسط الكلام على هذه المسألة في شرح مسلم عند حديث « إن أبي وأباك في النار » فأورد قول النووي فيه : إن من مات كافرا في النار ، ولا تنفعه قرابة الأقربين ، ثم قال : قلت انظر هذا

(١) في النهاية لابن الأثير هما - أي حاء وحكم - قبيلتان جافيتان من وراء بربن .

الإطلاق ، وقد قال السهيلي : ليس لنا أن نقول ذلك ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات » وقال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله) (١) ولعله يصح ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل الله سبحانه فأحيا له أبويه فأمنأ به ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوق هذا ، ولا يُعجز الله سبحانه شيء .

ثم أورد قول النووي : « وفيه أن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار ، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة ؛ لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الرسل » ، ثم قال : « قلت تأمل ما في كلامه من التناقض ، فإن مَنْ بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة ، فإن أهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسل إليهم الأول ، ولا أدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم ، والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين ، ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون التي بين عيسى والنبي صلى الله عليه وسلم » ، ولما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أنهم غير معذبين .

فإن قلت : صحت أحاديث بتعذيب أهل الفترة كصاحب المحجن وغيره .

قلت : أجاب عن ذلك عقيل بن أبي طالب بثلاثة أجوبة :

الأول : أنها أخبار آحاد ، فلا تعارض القاطع ، الثاني : قصر التعذيب [على هؤلاء ، والله أعلم بالسبب ، الثالث : قصر التعذيب] المذكور في هذه الأحاديث على مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ الشَّرَائِعَ ، وشرع من الضلال ما لا يعذر به ؛ فإن أهل الفترة ثلاثة أقسام :

الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ، ثم من هؤلاء مَنْ لم يدخل في شريعة كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه .

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب

القسم الثاني : من بدل وغير وأشرك ، ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم ، وهم الأكثر كعمرو بن لحي أول من سن للعرب عبادة الأصنام ، وشرع الأحكام فبحر البجيرة ، وسبب السائبة ، ووصل الوصيلة ، وحمى الحامى ، وزادت طائفة من العرب على ما شرعه أن عبدوا الجن والملائكة وخرقوا البنين والبنات ، واتخذوا بيوتاً جعلوا لها سدنة وحجاباً يضاؤون بها الكعبة كالثلاث والعزى ومناة .

القسم الثالث : من لم يشرك ولم يوحد ، ولا دخل في شريعة نبي ، ولا ابتكر لنفسه شريعة ، ولا اخترع ديناً ، بل بقي عمره على حال غفلة عن هذا كله ، وفي الجاهلية من كان كذلك .

فإذا انقسم أهل الفترة إلى الثلاثة الأقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثاني ؛ لكفرهم بما لا يعذرون به ، وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة ، وهم غير معذبين للقطع كما تقدم ، وأما القسم الأول فقد قال صلى الله عليه وسلم في كل من قس وزيد : إنه يبعث أمة وخذة ، وأما تبع ونحوه فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه ، ما لم يلحق أحد منهم الإسلام الناسخ لكل دين ، انتهى ما أورده الأبي .

المسلك الثاني : أنهما لم يثبت عنهما شرك ، بل كانا على الحنيفية دين جدّهما إبراهيم عليه السلام ، كما كان على ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وغيرهما ، وهذا المسلك ذهبت إليه طائفة منهم الإمام فخر الدين الرازى ، فقال في كتابه «أسرار التنزيل» ما نصه : قيل إن آزر لم يكن والد إبراهيم ، بل كان عمه ، واحتجوا عليه بوجوه ، منها أن آباء الأنبياء ما كانوا كفاراً ، ويدل عليه وجوه ، منها قوله تعالى : (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ، وَتَقْلِبُكَ فِي السَّاجِدِينَ) (۱) قيل : معناه أنه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد ، وبهذا التقدير فالآية دالة على أن جميع آباء محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بأن والد

(۱) الآيتان ۲۱۸ و ۲۱۹ من سورة الشعراء

إبراهيم ما كان من الكافرين ، إنما ذاك عمه ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى : (وتقلبك في الساجدين)^(١) على وجوه أخرى ، وإذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وَجَبَ حمل الآية على الكل ، ومتى صح ذلك ثبت أن والد إبراهيم ما كان من عبدة الأوثان ، ثم قال : وما يدل على أن آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام : « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات » وقال تعالى : (إنما المشركون نجس)^(٢) فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا - هذا كلام الإمام فخر الدين بحروفه ، وناهيك به إمامة وجمالة ؛ فإنه إمام أهل السنة في زمانه ، والقائم بالرد على فرق المبتدعة في وقته ، والناصر لمذهب الأشاعرة في عصره ، وهو العالم المبعوث على رأس المائة السادسة ليجدد لهذه الأمة أمر دينها .

وعندي في نصرّة هذا المسلك وما ذهب إليه الإمام فخر الدين أمور .
أحدها : دليل استنبطته مرّكب من مقدمتين : الأولى أن الأحاديث الصحيحة [دلت] على أن كل أصل من أصول رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم إلى أبيه عبد الله فهو من خير أهل قرّنه وأفضلهم ، والثانية أن الأحاديث والآثار دلت على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ثم إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة يعبدون الله ويوحّدونه ، ويصلون له ، وبهم تحفظ الأرض ، ولولا هم لهلكت الأرض ومن عليها ، وإذا قارنت بين هاتين المقدمتين أنتج منهما قطعاً أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فيهم مشرك ؛ لأنه قد ثبت في كل منهم أنه من خير قرّنه ، فإن كان الناس الذين هم على الفطرة هم إياهم فهو المدعى ، وإن كانوا غيرهم وهم على الشرك لزم أحد أمرين : إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم ، وهو باطل بالإجماع ، وإما أن يكون غيرهم خيراً منهم ، وهو باطل ؛ لخالفة الأحاديث الصحيحة ، فوجب قطعاً أن لا يكون فيهم مشرك

(١) من الآية ٢١٩ من سورة الشعراء (٢) من الآية ٢٨ من سورة التوبة

ليكونوا من خير أهل الأرض كل في قرّنه .

ذكر أدلة المقدمة الأولى

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنَا فَرْنَا ، حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ » .

وأخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَا افْتَرَقَ النَّاسَ فِرْقَتَيْنِ إِلَّا جَعَلَنِي اللَّهُ فِي خَيْرِمَا ، فَأَخْرَجْتَ مِنْ بَيْنِ أَبِيي ، فَلَمْ يَصْنِي شَيْءٌ مِنْ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَخَرَجْتَ مِنْ نِكَاحٍ ، وَلَمْ أَخْرَجْ مِنْ سَفَاحٍ ، مِنْ لَدُنِ آدَمَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أَبِي وَأُمِّي ، فَأَنَا خَيْرُكُمْ نَفْسًا وَخَيْرُكُمْ أَبًا » .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصْنِفِي مُهَذَّبًا ، لَا تَنْشَعِبُ شَعْبَتَانِ إِلَّا كُنْتُ فِي خَيْرِمَا » .

وأخرج مسلم والترمذي وصححه عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قَرِيشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ » وقد أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث وائلة بلفظ « إِنْ اللَّهُ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِبْرَاهِيمَ وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا ، وَاصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نِزَارًا ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ نِزَارٍ مُضَرَ ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ مِضَرَ كِنَانَةَ ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قَرِيشًا ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ قَرِيشَ بَنِي هَاشِمٍ ، ثُمَّ اصْطَفَى مِنْ بَنِي هَاشِمِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، ثُمَّ اصْطَفَانِي مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » أورده الحب الطبري في ذخائر العقبى .

وأخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الْعَرَبِ مُضَرٌ ، وَخَيْرُ مُضَرَ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، [وَخَيْرُ بَنِي الْمُطَّلِبِ] بَنُو هَاشِمٍ ،

وخير بني هاشم بنو عبد المطلب ، والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق الخلق فاختر من الخلق بني آدم ، واختر من بني آدم العرب ، واختر من العرب مضر ، واختر من مضر قريشا ، واختر من قريش بني هاشم ، واخترني من بني هاشم ، فأنا من خيار إلى خيار إلى خيار » .

وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن ابن عباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الله حين خلقني جعلني من خير خلقه ، ثم حين خلق القبائل جعلني من خيرهم قبيلة ، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم ، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا » .

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إن الله قسم الخلق قسمين ؛ فجعلني في خيرهما قسما ، ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا ، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها [قبيلة] ، ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا » .

وأخرج أبو علي بن شاذان فيما أورده المحب الطبري في ذخائر العقبي - وهو في مسند البزار - عن ابن عباس قال : « دخل ناس من قريش على صفية بنت عبد المطلب ، فجعلوا يتفاخرون ويذكرون الجاهلية ، فقالت صفية : منّا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : تنبت النخلة أو الشجرة في الأرض الكبا^(١) ، فذكرت ذلك صفية لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، فغضب وأمر بلالا فنادى في الناس ، فقام على المنبر فقال : أيها الناس من أنا ؟ قالوا : أنت رسول الله ، قال : انسبوني ،

(١) وجد على هامش نسخة « الكبا كإلى - مقصورا - الكناسه ، وفي النهاية كباهي بالكسر والقصر : الكناسه ، وجمعها كباء » .

قالوا : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، قال : فما بال أقوام ينزلون أصلي ؟ فوالله إني لأفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً .

وأخرج الحاكم عن ربيعة بن الحارث قال : بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن أن قوما نالوا منه ، فقالوا : إنما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في كناس ، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « إن الله خلق خلقه فجعلهم فرقتين ، فجعلني في خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلاً ، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً ، ثم قال : أنا خيركم قبيلاً وخيركم بيتاً . »

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن عائشة قالت : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام « قال لي جبريل : قلبت الأرض مشارقها ومغاربها ، فلم أجد رجلاً أفضل من محمد ، ولم أجد نبياً أب أفضل من بني هاشم » قال الحافظ ابن حجر في أماليه : لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن ، ومن المعلوم أن الخيرية والاصطفاء والاختيار من الله والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك .

ذكر أدلة المقدمة الثانية

قال عبد الرزاق في المصنف عن معمر بن ابن جريج قال : قال ابن المسيب : قال علي بن أبي طالب : لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها ، هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، ومثله لا يقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع ، وقد أخرجه ابن المنذر في تفسيره عن الدبري عن عبد الرزاق به .

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لم تبق الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض وتخرج بركتها ، إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن قتادة في قوله تعالى : (قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما

يأتينكم متى هدى فمن تبع هداي) (١) الآية قال : ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم ، ما أخلى الله الأرض لإبليس إلا وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته .

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : روى ابن القاسم عن مالك قال : بلغني عن ابن عباس أنه قال : لا يزال لله تعالى في الأرض ولي مادام فيها للشيطان ولي . وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في الزهد والخلال في كرامات الأولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، هذا أيضاً له حكم الرفع .

وأخرج الأزرقي في تاريخ مكة عن زهير بن محمد قال : لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ، لولا ذلك لأهلكت الأرض ومن عليها .

وأخرج الجندی في فضائل مكة عن مجاهد قال : لم يزل على الأرض سبعة مسلمون فصاعداً ، لولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد عن كعب قال : لم يزل بعد نوح في الأرض أربعة عشر يدفع بهم العذاب .

وأخرج الخلال في كرامات الأولياء عن زاذان قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من اثني عشر فصاعداً يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن ابن جريج في قوله : (رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي) (٢) قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام ناس على الفطرة يعبدون الله ، وإنما وقع التقييد في هذه الآثار الثلاثة بقوله « من بعد نوح » لأنه من قبل نوح كان الناس كلهم على الهدى .

وأخرج البزار في مسنده وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيرهم والحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس في قوله تعالى : (كان الناس أمة

(١) من الآية ٣٨ من سورة البقرة (٢) من الآية ٤٠ من سورة إبراهيم

واحدة^(١) قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ،
فاختلفوا ، فبعث الله النبيين قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود (كان
الناس أمة واحدة فاختلفوا)^(١) .

وأخرج أبو يعلى والطبراني وابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس في قوله :
(كان الناس أمة واحدة)^(١) قال : على الإسلام كلهم .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية ، قال : ذكر لنا أنه كان بين آدم
ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى ، وعلى شريعة من الحق ، ثم اختلفوا بعد ذلك
فبعث الله نوحاً وكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض .

وأخرج ابن سعد في الطبقات من وجه آخر عن ابن عباس قال : ما بين نوح
إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام .

وأخرج ابن سعد من طريق سفیان بن سعيد النوري عن أبيه عن عكرمة قال :
كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام .

وفي التنزيل حكاية عن نوح عليه السلام (رب اغفر لي ولوالدي ولئن دخل
بيتي مؤمناً)^(٢) وولد نوح سام ، مؤمن بالإجماع والنص ؛ لأنه نجما مع أبيه في السفينة
ولم ينج فيها إلا مؤمن ، وفي التنزيل (وجعلنا ذريته همُّ الباقين)^(٣) بل ورد في
أثر أنه كان نبياً ، أخرجه ابن سعد في الطبقات والزيبر بن بكار في الموقيات وابن
عساکر في تاريخه عن الكلبي ، وولده إرفخشذ ، صرح بإيمانه في أثر عن ابن عباس
أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر ، وفيه أنه أدرك جدّه نوحاً وأنه دعا له أن
يجعل الله الملك والنبوة في ولده ، وولد إرفخشذ إلى تارح ، ورد التصريح بإيمانهم
في أثر ، وأخرج ابن سعد في الطبقات من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس أن نوحاً عليه السلام لما هبط من السفينة هبط إلى قرية ، فبنى كل رجل منهم

(١) من الآية ٢١٣ من سورة البقرة

(٢) من الآية ٢٨ من سورة نوح

(٣) من الآية ٧٧ من سورة الصافات

بيتنا ، فسميت سوق الثمانين ، ففرق بنو قاييل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام ، فلما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف وهم على الإسلام ، ولم يزالوا على الإسلام وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، فدعاهم نمرود إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، هذا لفظ هذا الأثر .

فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين بيقين ، من آدم إلى زمن نمرود ، وفي زمنه كان إبراهيم عليه السلام وآزر ، فإن كان آزرُ والد إبراهيم فيسْتَنْبِي من سلسلة النَّسَب ، وإن كان عمه فلا استثناء ، وهذا القول - أعني أن آزر ليس أبا إبراهيم - ورد عن جماعة من السلف ، أخرج ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس في قوله : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) ^(١) قال : إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر ، وإنما كان [اسمه] تارح ، وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن مجاهد قال : ليس آزرُ أبا إبراهيم ، وأخرج ابن المنذر بسند صحيح عن ابن جريج في قوله : (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) ^(١) قال : ليس آزر بأبيه ، إنما هو إبراهيم بن تيرح - أو تارح - بن شاروخ بن ناحور بن فالخ ، وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن السدي أنه قيل له : اسم أبي إبراهيم آزر ؟ فقال : بل اسمه تارح ، وقد وُجِّه من حيث اللغة بأن العرب تطلق لفظ الأب على العم إطلاقاً شائعاً وإن كان مجازاً ، وفي التنزيل (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدي ؟ قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق) ^(٢) فأطلق على إسماعيل لفظ الأب وهو عم يعقوب كما أطلق على إبراهيم وهو جدّه ، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه كان يقول : الجدُّ أبٌ ، ويتلو (قالوا : نعبد إلهك وإله آبائك) ^(٢) الآية ، وأخرج عن أبي العالية في قوله : (وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل) ^(٢) قال : سمى العم أبا ، وأخرج

(١) من الآية ٧٤ من سورة الأنعام (٢) من الآية ٣٣ من سورة البقرة

عن محمد بن كعب القرظي قال : الخال والد ، والعم والد ، وتلا هذه الآية .
فهذه أقوال السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، ويرشحه أيضا ما أخرجه
ابن المنذر في تفسيره بسند صحيح عن سلمان بن صرد قال : لما أرادوا أن يلقوا
إبراهيم في النار جعلوا يجمعون الحطب حتى إن كانت العجوز لتجمع الحطب ، فلما
أن أرادوا أن يلقوه في النار قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فلما ألقوه قال الله :
(يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم)^(١) فقال عم إبراهيم : من أجل دفع عنه ،
فأرسل الله عليه شرارة من النار فوقت على قدمه فأحرقته ، فقد صرح في
هذا الأثر بعم إبراهيم ، وفيه فائدة أخرى وهو أنه هلك في أيام إلقاء إبراهيم في
النار ، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في القرآن بأن إبراهيم ترك الاستغفار له لما
تبين له أنه عدو لله ، ووردت الآثار بأن ذلك تبين له لما مات مشركاً وأنه لم يستغفر
له بعد ذلك

أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس قال : مازال إبراهيم يستغفر
لأبيه حتى مات ، فلما مات تبين له أنه عدو لله فلم يستغفر له ، وأخرج عن محمد بن
كعب وقتادة ومجاهد والحسن وغيرهم قالوا : كان يرجوه في حياته ، فلما مات على
شركه تبرأ منه ، ثم هاجر إبراهيم عقب واقعة النار إلى الشام كما نص الله على ذلك
في القرآن ، ثم بعد مدة من مهاجره دخل مصر ، وانفق له فيها مع الجبار ما اتفق
بسبب سارة وأخدمته هاجر ، ثم رجع إلى الشام ، ثم أمره الله أن ينقلها وولدها
إسماعيل إلى مكة ، فنقلهما ودعا فقال : (ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير
ذی زرع)^(٢) إلى قوله : (ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)^(٣)
فاستغفر لوالديه ، وذلك بعد هلاك عمه بمدة طويلة .

فيستنبط من هذا أن الذي ذكر في القرآن بالكفر والتبري من الاستغفار له
هو عمه ، لا أبوه الحقيقي ، فله الحمد على ما ألهم .

(١) من الآية ٦٩ من سورة الأنبياء (٢) الآية ٣٧ من سورة إبراهيم

روى ابن سعد في الطبقات عن الكلبي قال : هاجر إبراهيم من بابل إلى الشام — وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة — فأتى حرَّانَ فأقام بها زماناً ، ثم أتى الأزدنَّ فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع أرضاً بين إيلياء وفلسطين ، ثم إن بعض أهل البلد آذوهُ فتحوَّل من عندهم فنزل منزلاً بين الرملة وإيلياء .

وروى ابن سعد عن الواقدي قال : وُلِدَ لإبراهيم إسماعيلُ وهو ابن تسعين سنة .

فعرف من هذين الأثرين أن بين هجرته من بابل عقب واقعة النار وبين الدعوة التي دعا بها بمكة بضماً وخمسين سنة .

تتميم : ثم استمرَّ التوحيد في ولد إبراهيم وإسماعيل ، قال الشهرستاني في الملل والنحل : كان دين إبراهيم قائماً ، والتوحيد في صدر العرب شائعاً ، وأول مَنْ غَيَّرَهُ واتخذ عبادة الأصنام عمرو بن لحي .

قلت : وقد صح بذلك الحديثُ ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ عمرو بن عامر الخزاعي يجرُّ قُصْبَهُ في النار ، كان أولَ من سَيَّبَ السَّوَابِ » .

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أولَ من سَيَّبَ السَّوَابِ وَعَبَدَ الأصنامَ أبو خزاعة عمرو بن عامر ، وإني رأيته يجرُّ أمعاه في النار » .

وأخرج ابن إسحاق وابن جرير في تفسيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتُ عمرو بن لحي بن قِمَعَةَ بن خِنْدِفَ يجرُّ قُصْبَهُ بالنار ، إنه أولَ من غَيَّرَ دينَ إبراهيم » ولفظ ابن إسحاق « إنه كان أولَ من غير دينَ إسماعيل ، ونَصَبَ الأوثانَ ، وبحرِ البَحِيرَةِ ، وسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، ووصل الوصيلة وحى الحامى » وله طريق أخرى .

وأخرج البزار في مسنده بسند صحيح عن أنس قال : كان الناس بعد إسماعيل على الإسلام ، وكان الشيطان يحدثُ الناسَ بالشيء يريد أن يردهم عن الإسلام ، حتى أدخل عليهم في التلبية : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، قال : فما زال حتى أخرجهم عن الإسلام إلى الشرك . قال السهيلي في الروض الأنف : كان عمرو بن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب رباً ، لا يتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شريعة ؛ لأنه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم .

وقد ذكر ابن إسحاق أنه أول من أدخل الأصنام الحرام ، وحمل الناس على عبادتها ، وكانت التلبية من عهد إبراهيم « لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك ، لبيك » حتى كان عمرو بن لحي ، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه ، فقال عمرو : « لبيك لا شريك لك » فقال الشيخ « إلا شريكاً هو لك » فذكر ذلك عمرو ، وقال : وما هذا ؟ فقال الشيخ : قل « تملكه وما ملك » فإنه لا بأس بهذا ، فقالها عمرو ، ودانت بها العرب ، انتهى كلام السهيلي .

وقال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه : كانت العرب على دين إبراهيم ، إلى أن ولي عمرو بن عامر الخزاعي مكة ، وانتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحدث عمرو المذكور عبادة الأصنام ، وشرع للعرب الضلالات من السوائب وغيرها ، وزاد في التلبية بعد قوله « لبيك لا شريك لك » قوله « إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك » فهو أول من قال ذلك ، وتبعته العرب على الشرك ، فشابهوا بذلك قوم نوح وسائر الأمم المتقدمة ، وفيهم على ذلك بقايا من دين إبراهيم ، وكانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاثمائة سنة ، وكانت ولايتهم مشثومة ، إلى أن جاء قصى جد النبي صلى الله عليه وسلم فقاتلهم ، واستعان على حربهم بالعرب ، وانتزع ولاية البيت منهم ، إلا أن العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه لها عمرو الخزاعي من عبادة الأصنام وغير ذلك ، لأنهم رأوا ذلك ديناً في

نفسه لا ينبغي أن يغير، انتهى .

ثبت أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو [المذكور] كلهم مؤمنون بيقين، وتأخذ في الكلام على الباقي وعلى زيادة توضيح لهذا القدر .

الأمر الثاني مما ينتصر به لهذا المسلك: آيات وآثار وردت في ذرية إبراهيم وعقبه .

الآية الأولى - وهي أصرحها - قوله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه: إني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرنى فإنه سديد، وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره بسنده عن ابن عباس في قوله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) قال: لا إله إلا الله باقية في عقب إبراهيم .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد في قوله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) قال: لا إله إلا الله، وقال عبد بن حميد: حدثنا يونس عن شيبان عن قتادة في قوله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) قال: شهادة أن لا إله إلا الله والتوحيد، لا يزال في ذريته من يقولها من بعده، وقال عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن قتادة في قوله: (وجعلها كلمة باقية في عقبه)^(١) قال: الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريته من يوحد الله ويعبده، أخرجه ابن المنذر ثم قال: وقال ابن جريج في الآية: في عقب إبراهيم فلم يزل بعد من ذرية إبراهيم من يقول لا إله إلا الله، قال: وقول آخر فلم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله حتى تقوم الساعة .

وأخرج عبد بن حميد عن الزهري في الآية قال: العقب ولداه المذكور والإناث وأولاد الذكور .

(١) من الآيات ٢٦ - ٢٨ من سورة الزخرف

وأخرج عن عطاء قال : العقب ولده وعصبته .

الآية الثانية : قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً
واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام)^(١) أخرج ابن جرير في تفسيره عن مجاهد في
هذه الآية قال : فاستجاب الله لإبراهيم دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنماً
بعد دعوته ، واستجاب الله له ، وجعل هذا البلد آمناً ، ورزق أهله من الثمرات ،
وجعله إماماً ، وجعل من ذريته من يقيم الصلاة .

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن وهب بن منبه أن آدم لما أهبط إلى
الأرض استوحش ، فذكر الحديث بطوله في قصة البيت الحرام ، وفيه من قول الله
لآدم في حق إبراهيم عليهما السلام : وأجعلهُ أمةً واحداً قانتاً بأمرى داعياً إلى سبيلى
أجتيه وأهديه إلى صراط مستقيم ، وأستجيبُ دعوته في ولده وذريته من بعده ،
وأشفعه فيهم ، وأجعلهم أهل ذلك البيت ووُلاته وحَماته — الحديث .

هذا الأثر موافقٌ لقول مجاهد المذكور آنفاً ، ولا شك أن ولاية البيت كانت
معروفة بأجداد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية إبراهيم ، إلى أن
انتزعا منهم عمرو الخزاعي ، ثم عادت إليهم .

فعرف أن كل ما ذكر عن ذرية إبراهيم فإن أولى الناس به سلسلة الأجداد
الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء ، وانتقل إليهم نور النبوة واحداً بعد واحد ؛ فهم
أولى بأن يكونوا هم البعض المشار إليهم في قوله : (رب اجعلني مقيم الصلاة
ومن ذريتي)^(٢) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة أنه سئل : هل عبَدَ أحدٌ من ولد
إسماعيل الأصنام ؟ قال : لا ، ألم تسمع قوله : (وأجنبني وبنى أن نعبد الأصنام)^(١) ؟
قيل : فكيف لم يدخل ولد إسحاق وسائر ولد إبراهيم ؟ قال : لأنه دَعَا لأهل
هذا البلد أن لا يعبدوا ؛ إذ أسكنهم إياه فقال : (اجعلْ هذا البلد آمناً)^(١) ولم يدعُ

(١) من الآية ٣٥ من سورة إبراهيم (٢) الآية ٤٠ سورة إبراهيم

لجميع البلدان بذلك فقال : (وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) ^(١) فيه ، وقد خص أهله وقال : (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْحَرَمِ ، رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) ^(٢) ، فانظر إلى هذا الجواب من سُفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ ، وهو أحد الأئمة المجتهدين ، وهو شيخ إمامنا الإمام الشافعي رضي الله عنهما .

الآية الثالثة : قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام : (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) ^(٣) .

أخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) ^(٣) قال : فلن يزال من ذرية إبراهيم ناسٌ على الفطرة يعبدون الله .

آية رابعة : أخرج أبو الشيخ في تفسيره عن زيد بن علي قال : قالت سارة لما بَشَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ : (يَا وَيْلَتَا أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) ^(٤) فقالت الملائكة [تردُّ على سارة (أتعجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)] ^(٥) قال : فهو كقوله : (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) ^(٦) محمد وآله من نسبه عقب إبراهيم داخل في ذلك .

وقد أخرج ابن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال : كان عدنان ومعد وربيعة ومُضَرٌّ وخزَيمَة وأسد على ملة إبراهيم ، فلا تذكروهم إلا بخير ، وذكر أبو جعفر الطبري وغيره أن الله أوحى إلى أرميا أن أذهب إلى بخت نصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب ، وأمر الله أرميا أن يحتمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النعمة ، فإني مستخرجٌ من صلبه نبياً كريماً أختم به الرسل ، ففعل أرميا ذلك ، واحتمل معداً إلى أرض الشام ، فنشأ مع بني إسرائيل ، ثم عاد بعد أن هدأت الفتن .

(١) من الآية ٣٥ من سورة إبراهيم

(٢) من الآية ٤٠ من سورة إبراهيم

(٣) من الآية ٧٣ من سورة هود

(٤) من الآية ٣٧ من سورة إبراهيم

(٥) من الآية ٧٣ من سورة هود

(٦) من الآية ٧٣ من سورة هود

وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد الله بن خالد قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا مضرًا ؛ فإنه كان قد أسلم » .
وقال السهيلي في الروض الأنف في الحديث المروي : لا تسبوا مضر ولا ربيعة ، فإنهما كانا مؤمنين .

قلت : وقفت عليه مسنداً ، فأخرجه أبو بكر محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع في كتاب الغرر من الأخبار قال : حدثنا إسحاق بن داود بن عيسى المروزي ثنا أبو يعقوب الشعرائي ثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ثنا عثمان بن قايد عن يحيى ابن طلحة بن عبيد الله عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا ربيعة ولا مضر ؛ فإنهما كانا مسلمين » .

وأخرج بسنده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا نبياً وضبةً ؛ فإنهما كانا مسلمين » .

وأخرج بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا قُتًا ؛ فإنه كان مسلماً » .

ثم قال السهيلي : ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا إلياس ؛ فإنه كان مؤمناً » .

وذكر أنه كان يسمع في صلته تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج .
قال : وكعب بن لؤي أول من جمع يوم العروبة ، وقيل : هو أول من سماها الجمعة ، فكانت قریش تجتمع إليه في هذا اليوم ، فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعلمهم أنه من ولده ، ويأمرهم باتباعه والإيمان به ، وينشدهم في هذا أبياتاً منها قوله :

يا لَيْتَنِي شَاهِدَ فُجُوءِ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تُبَغِّي الْحَقَّ خِذْلَانَا

قال : وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الأعلام له ، انتهى .

قلت : هذا الخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة بسندٍ عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وفي آخره : وكان بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة - والماورديُّ المذكور هو أحد أئمة أصحابنا ، وهو صاحب الحاوي الكبير ، له كتاب « أعلام النبوة » في مجلد كثير الفوائد ، وقد رأيتُه ، وسأنتقل منه في هذا الكتاب .

فحصل مما أوردناه أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم من عهد إبراهيم إلى كعب ابن لؤي كانوا كلهم على دين إبراهيم ، وولد كعب مُرَّة ، الظاهرُ أنه كذلك ؛ لأن آباء أوصاه بالإيمان ، وبقي بينه وبين عبد المطلب أربعة آباء - وهم كلاب وقصى وعبد مناف وهاشم - ولم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا ، وأما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال :

أحدها - وهو الأشبه - : أنه لم تبلغه الدعوة ؛ لأجل الحديث الذي في البخاري وغيره .

والثاني : أنه كان على التوحيد وملة إبراهيم ، وهو ظاهر عموم كلام الإمام فخر الدين ، وما تقدم عن مجاهد وسفيان بن عيينة وغيرهما في تفسير الآيات السابقة .
والثالث : أن الله أحيأه بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمن به وأسلم ثم مات ، حكاه ابن سيد الناس ، وهذا أضعف الأقوال وأسقطها وأوهاها ؛ لأنه لا دليل عليه ، ولم يرد قط في حديث لا ضعيف ولا غيره ، ولا قال هذا القول أحد من أئمة السنة ، إنما حكوه عن بعض الشيعة ، ولهذا اقتصر غالبُ المصنفين على حكاية القولين الأوَّلين ، وسكتوا عن حكاية الثالث ؛ لأن خلاف الشيعة لا يعتد به ، قال السهيلي في الروض الأنف : وفي الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل وابن أبي أمية فقال : يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغبُ عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب » قال : فظاهرُ هذا الحديث يقتضي

أن عبد المطلب مات على الشرك ، قال : وَوَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ
 اخْتِلافًا فِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَنَّهُ قَدْ قِيلَ فِيهِ : مَاتَ مُسْلِمًا ؛ لِمَا رَأَى مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى نُبُوَّةِ
 مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَبْعَثُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ ، غَيْرَ أَنَّ فِي مَسْنَدِ
 الْبِزَارِ وَكِتَابِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ لِفَاطِمَةَ وَقَدْ عَزَّتْ قَوْمًا مِنَ الْأَنْصَارِ عَنْ مِيْتِهِمْ : لَعَلَّكَ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى؟^(١)
 فَقَالَتْ : لَا ، فَقَالَ : لَوْ كُنْتَ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا
 جَدُّ أَبِيكَ » قَالَ : وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهِ « حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكَ »
 قَالَ : وَفِي قَوْلِهِ « جَدُّ أَبِيكَ » وَلَمْ يَقُلْ جَدُّكَ تَقْوِيَةً لِلْحَدِيثِ الضَّعِيفِ الَّذِي قَدِمْنَا
 ذِكْرَهُ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَا أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأَمَّنَا بِهِ ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ . قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ
 تَخْوِيفَهَا بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ ، وَبَلُوغَهَا مَعَهُمُ الْكُدَى لَا يُوجِبُ
 خُلُودًا فِي النَّارِ ، هَذَا كُلُّهُ كَلَامُ السَّهْبِيِّ بِحُرُوفِهِ .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : ظهر نور النبي صلى الله عليه وسلم
 في أسارير عبد المطلب بعض الظهور ، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح
 ولده ، وببركته كان يأمر ولده بترك الظلم والبغى ، ويحثهم على مكارم الأخلاق ،
 وينهاهم عن ذنبيات الأمور ، وببركة ذلك النور كان يقول في وصاياه : إنه لن
 يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة ، إلى أن هلك رجل ظلوم
 لم تصبه عقوبة ، فقيل لعبد المطلب في ذلك ، ففكر وقال : والله إن وراء هذه الدار
 دارا يُجْزَى فيها المحسنُ بإحسانه ، ويعاقب فيها المسيءُ بإساءته ، وببركة ذلك النور
 قال لأبرهة : إن لهذا البيت ربًّا يحفظه ، ومنه قال وقد صعد أبا قبيس :

لَا مُمَّ إِلَّا الْمَرْءُ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاَمْنَعُ رِحَالِكَ
 لَا يَغْلِبُنَّ صَلْبِيَهُمْ وَمَحَالَهُمْ يَوْمًا مَحَالِكَ

(١) الكدى - بضم الكاف - المقابر ، قال ابن الأثير : وذلك لأنها كانت مقابرهم ،
 وقد كانت في مواضع صلبة ، وهى جمع كدية ، ويروى بالراء .

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

انتهى كلام الشهرستاني .

ويناسق ما ذكره ما أخرجه ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قال : كانت الدية عشرة من الإبل ، وعبد المطلب أول من سنّ دية النفس مائة من الإبل ، فجزت في قريش والعرب مائة من الإبل ، وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وينضم إلى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم انتسب إليه يوم حنين فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهذا أقوى ما تقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن واقفه ؛ لأن الأحاديث

وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء الكفار .

روى البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي بن كعب ومعاذ بن جبل أن

رجلين انتسبا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهما : أنا فلان بن

فلان أنا فلان بن فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتسب رجلان

على عهد موسى ، فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان ، إلى تسعة ، وقال الآخر : أنا

فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى : هذان المنتسبان أما أنت أيها

المنتسب إلى تسعة آباء في النار فأنت عاشرهم في النار ، وأما أنت أيها المنتسب

إلى اثنين فأنت ثالثهما في الجنة . »

وروى البيهقي أيضاً عن أبي ريمانة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من

انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وشرفا فهو عاشرهم في النار . »

وروى البيهقي أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تفتخروا بأبائكم الذين ماتوا في الجاهلية ، فوالذي نفسي بيده لما يدحرج

الجمل بأنفه خير من آبائكم الذين ماتوا في الجاهلية . »

وروى البيهقي أيضاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، اينتهين أقوام يفتخرون

برجال إنما هم فخم من فخم جهنم أو ليسكونن أهونَ على الله من الجفلان التي تدفع
النتن بأنفها .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، وأوضح من ذلك في التقرير أن البيهقي
أورد في شعب الإيمان حديث مسلم « إن في أمتي أربعا من أمر الجاهلية ليسوا
بتاركين : الفخر في الأحساب - الحديث » .

وقال عقبه : فإن عورض هذا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في اصطفاؤه من
بنى هاشم ، فقد قال الحلبي : لم يرد بذلك الفخر ، إنما أراد تعريف منازل
المذكورين ومراتبهم ، كرجل يقول : كان أبي فقيها ، لا يريد به الفخر ،
وإنما يريد به تعريف حاله دون ما عداه ، قال : وقد يكون أراد به الإشارة
بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر ، وليس ذلك من الاستطالة والفخر
في شيء ، انتهى .

فقوله : « أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم ، أو الإشارة بنعمة الله عليه
في نفسه وآبائه على وجه الشكر » فيه تقوية لمقالة الإمام ، وإجرائها على عمومها
كما لا يخفى ؛ إذ الاصطفاء لا يكون إلا لمن هو على التوحيد ، ولا شك أن
الترجيح في عبد المطلب بخصوصه عسير جدا ؛ لأن حديث البخاري مصادم قوي ،
وإن أخذ في تأويله لم يوجد تأويل قريب ، والتأويل البعيد ياباه أهل الأصول ،
ولهذا لما رأى السهيلي تصادم الأدلة فيه لم يقدر على الترجيح فوقف ، وقال :
فإنه أعلم ، وهذا يصلح أن يمدَّ قولاً رابعا فيه ، وهو الوقف ، وأكثر ما خطر لي
في تأويل الحديث وجهان بعيدان فتركتهما .

وأما حديث النسائي فتأويله قريب ، وقد فتح السهيلي بابه وإن لم يستوفه ،
وإنما سهل الترجيح في جانب عبد الله مع أن فيه معارضا قويا وهو حديث مسلم ؛
لأن ذلك سهل تأويله بتأويل قريب في غاية الجلاء والوضوح ، وقامت الأدلة على
رجحان جانب التأويل فسهل المصير [إليه] ، والله أعلم .

ثم رأيت الإمام أبا الحسن الماوردي أشار إلى نحو ما ذكره الإمام فخر الدين ، إلا أنه لم يصرح كتصريحه ، فقال في كتابه أعلام النبوة : لما كان أنبياء الله صفوة عباده وخيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والإرشاد لخلقهم استخلصهم من أكرم العناصر ، واجتنبهم بحكم الأواصر ، فلم يكن لنسبهم من قدح ، ولنصيبهم من جرح ، لتكون القلوب لهم أصفى ، والنفوس لهم أوطأ ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ، ولأوامرهم أطوع ، وإن الله استخلص رسوله صلى الله عليه وسلم من أطيب المناكح ، وحمّاه من دنس الفواحش ، ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة ، وقد قال ابن عباس في تأويل قول الله : (وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)^(١) أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً ؛ فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه ، ثم لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتفاء صفوتها إليه ، وقصور نسبهما عليه ، ليكون مختصاً بنسب جملة الله للنبوة غاية ، ولتفرده نهاية ، فيزول عنه أن يشارك فيه ويمثّل فيه ، فلذلك مات عنه أبواه في صغره ، فأما أبوه فمات وهو حبل ، وأما أمه فماتت وهو ابن ست سنين ، وإذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة مولده علمت أنه سلالة آباء كرام ، ليس في آبائه مسترذل ، ولا مغموز مستبذل ، بل كلهم سادة قادة ، وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة ، انتهى كلام الماوردي بحروفه .

وقال أبو جعفر النحاس في معاني القرآن في قوله : (وتقلبك في الساجدين)^(١)

روى عن ابن عباس أنه قال : قلبه في الظهور حتى أخرجه نبياً .

وما أحسن قول الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى :

تنقل أحمد نوراً عظيماً تلالاً في جباه الساجدين
تقلب فيهم قرناً قرناً إلى أن جاء خير المرسلينا

(١) الآية ٢١٩ من سورة الشعراء

وقال أيضاً :

حَفِظَ الإِلَهُ كِرَامَةَ مُحَمَّدِ آبَاءِ الأَمْجَادِ صَوْنًا لِأَنبِيِهِ
تَرَكَوا السَّفَاحَ فَلَمْ يُصِيبْهُمُ عَارُهُ مِنْ آدَمَ حَتَّى أَيْبَهُ وَأُمَّهُ
وقال الشرف البوصيري صاحب البردة :

كَيْفَ تَرَقَى رَقِيكَ الأَنْبِيَاءِ يَا سَمَاءُ مَا طَاوَأْتَهَا سَمَاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِي عُلَاكَ وَقَدْ حَالَ سَنَى مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ
إِنَّمَا مَثَّلُوا صِفَاتِكَ لِلنَّاسِ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ المَاءُ
أَنْتَ مُصْبِحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنِ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ
لَكَ ذَاتُ العُلُومِ مِنَ عَالَمِ الغَيْبِ ، وَمِنْهَا لآدَمَ الأَسْمَاءُ
لَمْ تَنْزَلْ فِي ضَمَائِرِ الغَيْبِ تَحْتًا رُ لَكَ الأَمَمَاتُ والآبَاءُ
مَا مَضَتْ فَتْرَةٌ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بَشَرْتَ قَوْمَهَا بِكَ الأَنْبِيَاءُ
تَبَاهَى بِكَ العُصُورُ وَتَسْمُو بِكَ عَلِيَاءُ بَعْدَهَا عَلِيَاءُ
وَبَدَأَ لِلوُجُودِ مِنْكَ كَرِيمٍ مِنْ كَرِيمِ آبَاؤِهِ كَرَمَاءُ
نَسَبٌ تَحْسِبُ العَالَمَ بِجَلَالِهِ قَدَدَتْهَا نَجْمُومَهَا الجُوزَاءُ
ومنها :

فَهَيْئَتًا بِهِ لِأَمْنَةِ الفُضْلِ الِذِي شَرَّفَتْ بِهِ حَوَاءُ
مِنْ لِحْوَاءِ أَنَّهَا حَمَلَتْ أَحْمَدَ أَوْ أَنَهَا بِهِ نُفْسَاءُ
يَوْمَ نَالَتْ بَوْضَهُ ابْنَةَ وَهْبٍ مِنْ فِخَارِ مَا لَمْ تَنْسَلِهُ النِّسَاءُ
وَأَنْتَ قَوْمَهَا بِأَفْضَلِ مِمَّا قَدْ أَنْتَ قَبْلَ مَرِيَمُ العُذْرَاءُ

فائدة : قال ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي ثنا موسى بن أيوب النصيبي
ثنا ضمرة عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين آدم
تسعة وأربعون أباً .

الأمر الثالث : أثر ورد في أم النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، أخرج أبو نعيم

في دلائل النبوة بسند ضعيف من طريق الزهري عن أم سماعة بنت أبي رهم عن أمها قالت : شهدت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت فيها ومحمد غلامٌ يَفْعُ له خمس سنين عند رأسها ، فنظرت إلى وجهه ثم قالت :

بارك فيك، الله من غلام يا ابن الذي من حومة الحمام
نجما يعون الملك المنعم فودي غداة الضرب بالسهم
بمئة من إبل سوام إن صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام من عند ذي الجلال والإكرام
تبعث في الحل وفي الحرام تبعث بالتحقيق والإسلام
دين أبيك البر إبراهيم فالله أنهاك عن الأصنام

* أن لا تواليا مع الأوثام *

ثم قالت : كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفتنى ، وأنا ميتة وذكري باق ، وقد تركت خيراً ، وولدت طهوراً ، ثم ماتت ، فكنا نسمع نوح الجن عليها ، فحفظنا من ذلك :

نبكى الفتاة البرة الأمانة ذات الجلال العفة الرزينة
زوجة عبد الله والقرينة أم نبي الله ذى السكينة
وصاحب المنبر بالمدينة صارت لدى حفرتها رهينة

فأنت ترى هذا الكلام منها صريحاً في النهي عن موالاة الأصنام مع الأوثام ، والاعتراف بدين إبراهيم وبيعت ولدها إلى الأنام ، من عند ذي الجلال والإكرام بالإسلام . وهذه الألفاظ منافية للشرك .

وقولها « تبعث بالتحقيق » كذا هو في النسخة ، وعندى أنه تصحيف ، وإنما هو بالتخفيف .

ثم إنى استقرت أمهات الأنبياء عليهم السلام فوجدتهن مؤمنات ؛ فأم إسحاق وموسى وهرون وعيسى وحواء أم شيث مذكورات في القرآن ، بل قيل بنبوتهن ،

ووردت الأحاديث بإيمان هاجر أم إسماعيل وأم يعقوب وأمّهات أولاده وأم داود وسليمان وزكريا ويحيى وشمويل وشمعون وذى الكفل ، ونص بعض المفسرين على إيمان أم نوح وأم إبراهيم ، ورجّحه أبو حيان في تفسيره ، وقد تقدم عن ابن عباس أنه لم يكن بين نوح وآدم والد كافر ، ولهذا قال : (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا)^(١) وقال إبراهيم : (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ)^(٢) ولم يعتذر عن استغفار إبراهيم في القرآن إلا لأبيه خاصة ، دون أمه ، فدلّ على أنها كانت مؤمنة ، وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه عن ابن عباس قال : كانت الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد عليهم السلام ، وبنو إسرائيل كلهم كانوا مؤمنين ، لم يكن فيهم كافر ، إلى أن بعث عيسى فكفر به من كفر ، فأمهات الأنبياء الذين من بني إسرائيل كلهن مؤمنات ، وأيضاً فغالب أنبياء بني إسرائيل كانوا أولاد أنبياء أو أولاد أولادهم ، فإن النبوة كانت تكون في سبطٍ منهم يتناسلون كما هو معروف في أخبارهم ، وأما العشرة المذكورون من غير بني إسرائيل فقد ثبت إيمان أم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ، وبقى أم هود وصالح ولوط وشعيب يحتاج إلى نقل أو دليل ، والظاهر - إن شاء الله تعالى - إيمانهن ، فكذلك أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان السرّ في ذلك ما يرينه من النور ، كما ورد في الحديث .

أخرج أحمد والبخاري والطبراني والحاكم والبيهقي عن العرّ باض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إني عبدُ الله وخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم عن ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت » وكذلك أمّهات النبيين يرين ، وإن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعتّه نوراً أضاءت له قصور الشام ، ولا شك أن الذي رآته أم النبي صلى الله

(١) من الآية ٢٨ من سورة نوح (٢) الآية ٤١ من سورة إبراهيم

عليه وسلم في حال حملها به وولادتها له من الآيات أكثر وأعظم مما رآه سائر أمهات الأنبياء ، كما سُقنا الأخبار بذلك في كتاب المعجزات ، وقد ذكر بعضهم أنه لم تُرضعه مرضعة إلا أسلمت ، قال : ومرضعته أربع : أمه ، وحليمة السعدية ، وثويبة ، وأم أيمن ، انتهى .

فإن قلت : فما تصنع بالأحاديث الدالة على كفرها وأنها في النار ، وهي حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليت شعري ما فعل أبواي ؟ » فنزلت (ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم)^(١) ، وحديث أنه استغفر لأمه فضرب جبريل في صدره ، وقال : لا تستغفر لمن مات مشركا ، وحديث أنه نزل فيها (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين)^(٢) ، وحديث أنه قال لابن مليكة : « أمكما في النار فشق عليهما ، فدعاها ، فقال : إن أمي مع أمكما . »

قلت : الجواب أن غالب ما يروى من ذلك ضعيف ، ولم يصح في أم النبي صلى الله عليه وسلم سوى حديث أنه استأذن في الاستغفار لها فلم يؤذن له ، ولم يصح أيضاً في أبيه إلا حديث مسلم خاصة ، وسيأتي الجواب عنهما .

وأما الأحاديث التي ذكرت فحديث « ليت شعري ما فعل أبواي ؟ » فنزلت الآية ، لم يخرج في شيء من كتب [الحديث] المعتمدة ، وإنما ذكر في بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ، ولا يُعَوَّل عليه ، ولو جئنا نحتج بالأحاديث الواهية لعارضناك بحديث واهٍ أخرجه ابن الجوزي من حديث علي مرفوعاً « هبط جبريل عليّ ، فقال : إن الله يقرئك السلام ، ويقول : إني حرمت النار على صُلبٍ أنزلت ، وبطن حملك ، وحجر كفلك » ، ويكون من باب معارضة الواهي بالواهي إلا أنا لا نرى ذلك ، ولا نحتج به .

ثم إن هذا السبب مردود بوجوه أخرى من جهة الأصول والبلاغة وأسرار البيان ، وذلك أن الآيات من قبل هذه الآية ومن بعدها كلها في اليهود من قوله

(١) من الآية ١١٩ من سورة البقرة (٢) من الآية ١١٣ من سورة التوبة

تعالى : (يا بني إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ، وَإِيَّاي فَارْهَبُونَ)^(١) إلى قوله : (وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ)^(٢) ولهذا ختمت القصة بمثل ما صدرت به ، وهو قوله تعالى : (يا بني إسرائيل اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)^(٣) الآيتين ، فتبين أن المراد بأصحاب الجحيم كفار أهل الكتاب ، وقد ورد ذلك مصرحاً به في الأثر ، أخرج عبد بن حميد والقرطبي وابن جرير وابن المنذر في تفاسيرهم عن مجاهد قال : مِنْ أَوْلِ الْبَقْرَةِ أَرْبَعُ آيَاتٍ فِي نِعْتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَثَلَاثُ عَشْرَةَ آيَةً فِي نِعْتِ الْمُنَافِقِينَ ، وَمِنْ أَرْبَعِينَ آيَةً إِلَى عَشْرِينَ وَمِائَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ أَنَّ السُّورَةَ مَدْنِيَّةٌ ، وَأَكْثَرُ مَا خُوِّطَ فِيهَا الْيَهُودُ ، وَيُرْشِحُ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ الْمُنَاسِبَةُ أَنَّ الْجَحِيمَ اسْمٌ لِمَا عَظُمَ مِنَ النَّارِ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى اللَّغَةِ وَالْآثَارِ ، أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي مَالِكٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (أَصْحَابِ الْجَحِيمِ)^(٤) قَالَ : الْجَحِيمُ مَا عَظُمَ مِنَ النَّارِ ، وَأَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ ابْنِ جُرَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ)^(٥) قَالَ : أُولَٰهَا جَهَنَّمُ ، ثُمَّ لَظَى ، ثُمَّ الْحَطْمَةُ ، ثُمَّ السَّعِيرُ ، ثُمَّ سَقَرٌ ، ثُمَّ الْجَحِيمُ ، ثُمَّ الْهَٰوِيَّةُ ، قَالَ : وَالْجَحِيمُ فِيهَا أَبُو جَهْلٍ ، إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ أَيْضًا ؛ فَالْآثِقُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مَنْ عَظُمَ كُفْرُهُ ، وَاشْتَدَّ وَزْرُهُ ، وَعَانَدَ عِنْدَ الدَّعْوَةِ وَبَدَّلَ وَحَرَّفَ وَجَعَدَ بَعْدَ عِلْمٍ ، لَا مَنْ هُوَ بِمُظَنَّةِ التَّخْفِيفِ .

وإذا كان قد صحَّ في أبي طالب أنه أهونُ أهل النار عذاباً لقربته منه صلى الله عليه وسلم وبره به مع إدراكه الدعوةَ وامتناعه من الإجابة وطول عمره ، فما ظنُّكَ بأبويِّه اللذين هما أشد منه قرباً ، وآكد حياءً ، وأبسطُ عذراً ، وأقصر عمراً ، فماذا لله أن يظن بهما أنهما في طبقة الجحيم ، وأن يشدد عليهما العذاب العظيم ، هذا لا يفهمه من له أدنى ذوق سليم .

(١) من الآية ٤٠ من سورة البقرة

(٢) من الآية ١٣٤ من سورة البقرة

(٣) من الآية ١٢٢ من سورة البقرة

(٤) من الآية ١١٩ من سورة البقرة

(٥) من الآية ٤٤ من سورة الحجر

وأما حديث أن جبريل ضرب في صدره ، وقال : لا تستغفر لمن مات مشركاً ، فإن البزار أخرجه بسندٍ فيه مَنْ لا يعرف .

وأما حديث نزول الآية في ذلك فضعيف أيضاً ، والثابت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب وقوله صلى الله عليه وسلم له : « لأستغفرنَ لك ما لم أنه عنك » .

وأما حديث « أمي مع أمك » فأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : صحيح ، وشأن المستدرک في تساهله في التصحيح معروف ، وقد تقرر في علوم الحديث أنه لا يقبل تفرد بالتصحيح ، ثم إن الذهبي في مختصر المستدرک لما أورد هذا الحديث ونقل قول الحاكم « صحيح » قال عقبه : قلت لا والله ، فعمان بن عمير ضعفه الدارقطني ، فبين الذهبي ضعف الحديث وحلف عليه يمينا شرعياً ، وإذا لم يكن في المسألة إلا أحاديث ضعيفة كان للنظر في غيرها مجال .

الأمر الرابع : مما ينتصر به لهذا المسلك أنه قد ثبت عن جماعة كانوا في زمن الجاهلية أنهم تحنّفوا ، وتدينوا بدين إبراهيم عليه السلام ، وتركوا الشرك ، فما المانع أن يكون أبوا النبي صلى الله عليه وسلم سلكوا سبيلهم في ذلك ، قال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في التلخيص : « تسمية مَنْ رَفَضَ عبادة الأصنام في الجاهلية : أبو بكر الصديق ، زيد بن عمرو بن نفيل ، عبيد الله بن جحش ، عثمان بن الحويرث ، وِرْقَةُ بن نوفل ، رباب بن البراء ، أسعد أبو كرب الحميري ، قس بن ساعدة الإيادي ، أبو قيس بن صرمة » انتهى .

وقد وردت الأحاديث بتحنّف زيد بن عمرو ، وورقة ، وقيس ، وقد روى ابن إسحاق وأصله في الصحيح تعليقا عن أسماء بنت أبي بكر قالت : لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مستنداً ظهره إلى الكعبة يقول : يا معشر قريش ، ما أصبح منكم أحدٌ على دين إبراهيم غيري ، ثم يقول : اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به ، ولكني لا أعلم .

قلت : وهذا يؤيد ما تقدم في المسلك الأول أنه لم يبق إذ ذاك من يبلغ الدعوة ويعرف حقيقتها على وجهها .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن عمرو بن عبسة السلمى قال : رَغِبْتُ عن آلهة قومي في الجاهلية ، ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة .
وأخرج البيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل من طريق الشعبي عن شيخ من جهينة أن عمير بن حبيب الجهني ترك الشرك في الجاهلية ، وصلى لله ، وعاش حتى أدرك الإسلام .

وقال إمام الأشاعرة الشيخ أبو الحسن الأشعري : « وأبو بكر ما زال بعين الرضا منه » فاختلف الناس في مراده بهذا الكلام ، فقال بعضهم : إن الأشعري يقول إن أبا بكر الصديق كان مؤمنا قبل البعثة ، وقال آخرون : بل أراد أنه لم يزل بحالة غير مغضوب فيها عليه ، لعلم الله تعالى بأنه سيؤمن ويصير من خلاصة الأبرار ، قال الشيخ تقي الدين السبكي : لو كان هذا مراده لاستوى الصديق وسائر الصحابة في ذلك . وهذه العبارة التي قالها الأشعري في حق الصديق لم تحفظ عنه في حق غيره ، فالصواب أن يقال : إن الصديق لم يثبت عنه حالة كفر بالله ، فلعل حاله قبل البعث كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانه ، فلماذا خصص الصديق بالذكر عن غيره من الصحابة ، انتهى كلام السبكي .

قلت : وكذلك نقول في حق أبوي النبي صلى الله عليه وسلم إنهما لم يثبت عنهما حالة كفر بالله ، فلعل حالهما كحال زيد بن عمرو بن نفيل وأبي بكر الصديق وأضرابهما ، مع أن الصديق وزيد بن عمرو إنما حصل لهما التحنُّف في الجاهلية ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنهما كانا صديقين له قبل البعثة ، وكانا يوادِّانه كثيرا ، فأبواه أولى بهود بركته عليهما ، وحفظهما مما كان عليه أهل الجاهلية .

فإن قلت : بقيت عُقْدَةٌ واحدة ، وهي ما رواه مسلم عن أنس « أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قَفَى دَعَاءَهُ ، فقال : إن أبي وأباك في

النار » وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم « استأذن في الاستغفار لأمه فلم يؤذن له » فأخلل هذه العقدة .

قلت : على الرأس والعين ، الجواب أن هذه اللفظة - وهي قوله : إن أبي وأباك في النار - لم يتفق على ذكرها الرواة ، وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ، وهي الطريق التي رواه مسلم منها ، وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر « إن أبي وأباك في النار » ولكن قال له : إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار ، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وسلم بأمر البتة ، وهو أثبت من حيث الرواية ، فإن معمر أثبت من حماد ، فإن حمادا تكلم في حفظه ، ووقع في أحاديثه مناكير ، ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه ، وكان حماد لا يحفظ ، فحدث بها فوهم فيها ، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً ، ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت ، قال الحاكم في المدخل : ما خرّج مسلم لحماد في الأصول إلا مع حديثه عن ثابت ، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة ، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ، ولا استنكر شيء من حديثه ، وانفق على التخريج له الشيخان ، فكان لفظه أثبت ، ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فأخرج البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « أين أبي ؟ قال : في النار ، قال : فأين أبوك ؟ قال : حينما مررت بقبر كافر فبشره بالنار » وهذا إسناد على شرط الشيخين ؛ فتعين الاعتماد على هذا اللفظ ، وتقديمه على غيره ، وقد زاد الطبراني والبيهقي في آخره « قال فأسلم الأعرابي بعد ، فقال : لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار » ، وقد أخرج ابن ماجه من طريق إبراهيم بن سعد عن الزهري عن سالم عن أبيه قال : « جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن أبي كان يصلّ الرّحيم ، وكان ، فأين هو ؟ قال : في النار ، قال : فكأنه وجد من ذلك ، فقال :

يا رسول الله ، فأين أبوك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حينما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار ، قال : فأسلم الأعرابي بعدُ ، قال : لقد كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعباً ، ما مررتُ بقبر كافر إلا بشرته بالنار .

فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدرَ منه صلى الله عليه وسلم ، وراه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتنان فلم يسعه إلا امتثاله ، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة ؛ فعلم أن هذا اللفظ الأول من تصرف الراوي ، رواه بالمعنى على حسب فهمه ، وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي وغيره أثبت منه كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة ، وقد أعلاه الإمام الشافعي رضي الله عنه بذلك ، وقال : إن الثابت من طريق آخر نفي سماعها ؛ ففهم منه الراوي نفي قراءتها ، فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ ، ونحن أجبناً عن حديث مسلم في هذا المقام بنظير ما أجاب به إمامنا [الإمام] الشافعي رضي الله عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة .

ثم لو فرض اتفاق الرواة على اللفظ الأول كان معارضاً بما تقدم من الأدلة ، والحديث الصحيح إذا عارضه أدلة أخرى هي أرجح منه وجب تأويله ، وتقديم تلك الأدلة عليه كما هو مقرر في الأصول .

وبهذا الجواب الأخير يجاب عن حديث عدم الإذن في الاستغفار لأمه ، على أنه يمكن فيه دعوى عدم الملازمة ، بدليل أنه كان في صدر الإسلام ممنوعاً من الصلاة على من عليه دين وهو مسلم ، فلهذا كانت عليها تبعات غير الكفر ؛ فمنع من الاستغفار لها بسببها ، والجواب الأول أقعد ، وهذا تأويل في الجملة .

ثم رأيت طريقاً أخرى للحديث مثل لفظ رواية معمر وأزيد وضوحاً ، وذلك أنه صرح فيه بأن السائل أراد أن يسأل عن أبيه صلى الله عليه وسلم فعَدَلَ عن ذلك تجملاً وتادباً ، فأخرج الحاكم في المستدرک وصححه عن لقيط بن عامر « أنه خرج

وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق ، فقال : قدمنا المدينة لانسلاخ رجب ، فصلينا معه صلاة الغداة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس خطيبا ، فذكر الحديث إلى أن قال : فقلت يا رسول الله هل [في] أحد من مضي منا في جاهلية من خير ؟ فقال رجل من عرض قريش : إن أباك المنتفق في النار ، فكأنه وقع حرًّا بين جلد وجهي ولحي مما قال لأبي علي رهوس الناس ، فهممت أن أقول : وأبوك يا رسول الله ، ثم نظرت فإذا الأخرى أجل ، فقلت : وأهلك يا رسول الله ، فقال : ما أتيت عليه من قبر قرشي أو عامري مشرك فقل : أرسلني إليك محمدٌ فأبشر بما يسوءك « هذه رواية لا إشكال فيها ، وهي أوضح الروايات وأبينها .

تقرير آخر : ما المانع أن يكون قول السائل فإين أبوك ؟ وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس « إن أبي » إن ثبت المرادُ به عمه أبو طالب ، لا أبوه عبد الله ؟ [كما] قال بذلك الإمام فخر الدين في أبي إبراهيم إنه عمه ، وقد تقدم نقله عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدي ، ويرشحه هنا أمران :

الأول : أن إطلاق ذلك على أبي طالب كان شائعا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا كانوا يقولون له « قل لابنك يرجع عن شتم آلهتنا » وقال لهم أبو طالب مرة - لما قالوا له أعطنا ابنك نقتله وخذ هذا الولد مكانه - : « أعطيك ابني تقتلونه ، وأخذ ابنكم أكفله لكم » ولما سافر أبو طالب إلى الشام ومعه النبي صلى الله عليه وسلم نزل له بحيرًا فقال له : ما هذا منك ؟ قال : هو ابني ، فقال : ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا ، فكانت تسمية أبي طالب أبا للنبي صلى الله عليه وسلم شائعة عندهم ؛ لكونه عمه ، وكونه ربًّا وكفله من صغره ، وكان يحوطه ويحفظه وينصره فكان مظنة السؤال عنه .

والأمر الثاني : أنه وقع في حديث يشبه هذا ذكر أبي طالب في ذيل القصة ، أخرج الطبراني عن أم سلمة « أن الحارث بن هشام أتى النبي صلى الله عليه وسلم

يوم حَجَّةِ الْوَدَّاعِ ، فقال : يا رسول الله ، إنك تحثُّ على صلة الرحم والإحسان إلى الجار وإيواء اليتيم وإطعام الضيف وإطعام المسكين ، وكلُّ هذا كان يفعله هشام ابن المغيرة ، فما ظنك به يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ قَبْرٍ لَا يَشْهَدُ صَاحِبُهُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهُوَ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَقَدْ وَجَدْتُ عَمِّي أَبَا طَالِبٍ فِي طَمْطَامٍ مِنَ النَّارِ ؛ فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ لِمَكَانِهِ مِنِّي وَإِحْسَانِهِ إِلَيَّ ، فَجَعَلَهُ فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ النَّارِ .

تنبيه : قد استراح جماعة من هذه الأجوبة كلها ، وأجابوا عن الأحاديث الواردة [فيهما بأنها منسوخة ، كما أجابوا بذلك عن الأحاديث الواردة] في أطفال المشركين أنهم في النار ، وقالوا : الناسخ لأحاديث أطفال المشركين قوله تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)^(١) ولأحاديث الأبوين قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)^(٢) ومن اللطائف كون الجملتين في الفريقين مقترنتين في آية واحدة متعاطفتين متناسقتين في النظم . وهذا الجواب مختصر مفيد يفنى عن كل جواب ، إلا أنه إنما يتأني على المسلك الأول دون الثاني كما هو واضح ؛ فلهذا احتجنا إلى تحرير الأجوبة عنها على المسلك الثاني .

تمة : قد ثبت في الحديث الصحيح أن أهونَ أهل النار عذاباً أبو طالب ، وأنه في ضحضاح من النار ، في رجليه نعلان يغلي منهما دماغه ، وهذا مما يدل على أن أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار ؛ لأنهما لو كانا فيها لكانا أهونَ عذاباً من أبي طالب ، لأنهما أقربُ منه مكاناً ، وأبسطُ عذراً ؛ فإنهما لم يدركا البعثة ، ولا عُرِضَ عليهما الإسلام فامتنعا ، بخلاف أبي طالب ، وقد أخبر الصادق المصدوق أنه أهون أهل النار عذاباً فليس أبواه من أهلها ، وهذا يسمى عند أهل الأصول دلالة الإشارة .

(١) من الآية ١٥ من سورة الإسراء (٢) من الآية ١٥ من سورة الإسراء أيضاً

نصب ميدان جدلي

المجادلون في هذا الزمان كثير ، خصوصاً في هذه المسألة ، وأكثرتهم ليس لهم معرفة بطرق الاستدلال ، قال الكلام معهم ضائع ، غير أني أنظر الذي يجادل وأكلمه بطريقة تقرب من ذهنه ، فإنه أكثر ما عنده أن يقول : الذي ثبت في صحيح مسلم يدل على خلاف ما تقول .

فإن كان الذي يجادل بذلك من أهل مذهبنا شافعي المذهب أقول له : قد ثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم ، وأنت لاتصحح الصلاة بدون البسملة ، وثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فلا تختلفوا عليه ، فإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا ، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا ربنا لك الحمد ، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون » وأنت إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده تقول : سمع الله لمن حمده ، مثله ، وإذا صلى جالساً لعذر وأنت قادر تصلي خلفه قائماً ، لا جالساً ، وثبت في الصحيحين في حديث التيمم « إنما يكفيك أن تقول بيديك هكذا ، ثم ضرب يديه ضربة واحدة ومسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه ووجهه » وأنت لا تكفي في التيمم بضربة واحدة ، ولا بالمسح إلى الكوعين ، فكيف خالفت الأحاديث التي ثبتت في الصحيحين أو أحدهما ؟ فلا بُدَّ إن كانت عنده راحة من العلم أن يقول : قامت أدلة أخرى معارضة لهذه ، فقدمت عليها ، فأقول له : وهذا مثله ، لا يحتاج عليه إلا بهذه الطريقة ، فإنها ملزمة له ولأمثاله .

وإن كان المجادل مالكي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيحين « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » وأنت لاتثبت خيار المجلس ، وثبت في صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ولم يمسح كل رأسه ، وأنت توجب في الوضوء مسح كل الرأس ، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيح ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه ، فأقول له : وهذا مثله .

وإن كان المجادل حنفي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيح « إذا ولغ الكلب في إناء أحكم فليغسله سبعا » وأنت لا تشترط في النجاسة الكلبية سبعا ، وثبت في الصحيحين « لأصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » وأنت تصحح الصلاة بدونها ، وثبت في الصحيحين « ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما » وأنت تصحح الصلاة بدون الطمأنينة في الاعتدال ، وصح في الحديث « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا » وأنت لا تعتبر القلتين ، وصح في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم باع المدبر ، وأنت لا تقول ببيع المدبر ، فكيف خالفت هذه الأحاديث الصحيحة ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة لها فقدمت عليها ، فأقول له : وهذا مثله .

وإن كان المجادل حنبلي المذهب أقول له : قد ثبت في الصحيحين « من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم » وثبت فيهما « لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين » وأنت تقول بصيام يوم الشك ، فكيف خالفت ما ثبت في الصحيحين ؟ فيقول : قامت أدلة أخرى معارضة له فقدمت عليه ، فأقول له : وهذا مثله .

هذا أقرب ما يقرب به لأذهان الناس اليوم ، وإن كان المجادل مما يكتب الحديث ولا فقه عنده يقال له : قد قالت الأقدمون المحدث بلا فقه كعطار غير طيب ؛ فالأدوية حاصلة في دكانه ولا يدري لماذا تصلح ، والفقيه بلا حديث كطبيب ليس بعطار ، يعرف ما تصلح له الأدوية إلا أنها ليست عنده ، وإني بحمد الله قد اجتمع عندي الحديث والفقه والأصول وسائر الآلات من العربية والمعاني والبيان وغير ذلك ، فأنا أعرف كيف أتكلم وكيف أقول وكيف أستدل وكيف أرجح ، وأما أنت يا أخي وفقني الله وإياك فلا يصلح لك ذلك ؛ لأنك لا تدري الفقه ولا الأصول ولا شيئا من الآلات ، والكلام في الحديث والاستدلال به ليس بالهين ، ولا يحل الإقدام على التكلم فيه لمن لم يجمع هذه العلوم ، فاقصر على ما آتاك الله ، وهو أنك إذا سئلت عن حديث تقول : ورد

أو لم يرد ، وصححه الحفاظ وحسنوه وضعفوه ، ولا يحل لك في الإفتاء سوى هذا القدر ، وخلاً ما عدا ذلك لأهله .

لا تحسب المجد تماً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلمق الصبراً
 ونمّ أمر آخر أخاطب به كل ذي مذهب من مقلدي المذاهب الأربعة ،
 وذلك أن مسلماً روى في صحيحه عن ابن عباس أن الطلاق الثلاث كان يجعل
 واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدرأ من إمارة عمر ،
 فأقول لكل طالب علم : هل تقول أنت بمقتضى هذا الحديث ، وأن من قال
 لزوجته : أنت طالق ثلاثاً ، تطلق واحدة فقط ؟ فإن قال نعم أعرضت عنه ، وإن
 قال لا أقول له : فكيف تخالف ما ثبت في صحيح مسلم ؟ فإن قال : لما عارضه ،
 أقول له : فاجعل هذا مثله ، والمقصود من سياق هذا كله أنه ليس كل حديث
 في صحيح مسلم يقال بمقتضاه ؛ لوجود المعارض له .

المسلك الثالث : أن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به ، وهذا المسلك مال
 إليه طائفة كثيرة من حفاظ الحديث وغيرهم ، منهم ابن شاهين والحافظ أبو بكر
 الخطيب البغدادي والسهيلي والقرطبي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين ابن المنير
 وغيرهم ، واستدلوا لذلك بما أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ والخطيب
 البغدادي في السابق واللاحق والدارقطني وابن عساكر كلاهما في غرائب مالك
 بسندٍ ضعيفٍ عن عائشة قالت : حجّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ،
 فمرّ بي على عقبة بالحجون وهو باكٍ حزينٍ مُتَمِّمٍ ، فنزل فمكث عني طويلاً ،
 ثم عاد إلي وهو فرحٌ متبسّم ، فقلت له ، فقال : ذهبت لقبر أمي ، فسألت الله أن
 يحييها ، فأحيأها ، فأمنت بي وردّها الله - هذا الحديث ضعيف باتفاق الحديثين ،
 بل قيل : إنه موضوع ، لكن الصواب ضعفه لا وضعه ، وقد ألفت في بيان ذلك
 جزءاً مفرداً .

وأورد السهيلي في الروض الأنف بسندٍ قال : إن فيه مجهولين عن عائشة أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه ، فأحيها له ، فأمنأ به ، ثم أمانهما .

وقال السهيلي بعد إirاده : الله قادر على كل شيء ، وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ، ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل أن يختص بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته .

وقال القرطبي : لا تعارض بين حديث الإحياء وحديث النهي عن الاستغفار ، فإن إحياءهما متأخر عن الاستغفار لهما ، بدليل حديث عائشة أن ذلك كان في حجة الوداع ، ولذلك جمعه ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار .

وقال العلامة ناصر الدين بن المنير المالكي في كتاب « المقتفي » ، في شرف المصطفى « : قد وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم إحياء الموتى نظير ما وقع لعيسى ابن مريم ، إلى أن قال : وجاء في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما منع من الاستغفار للكفار دعا الله أن يحيي له أبويه فأحيها له فأمنأ به وصدقا وماتا مؤمنين .

وقال القرطبي : فضائل النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل تتوالى وتتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه ، قال : وليس إحياءها وإيمانها به يتمتع عقلا ولا شرعاً ؛ فقد ورد في القرآن إحياء قتيل بنى إسرائيل ، وإخباره بقائه ، وكان عيسى عليه السلام [يحيي الموتى ، وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم] أحيأ الله على يديه جماعة من الموتى ، قال : وإذا ثبت هذا فما يتمتع من إيمانها بعد إحيائهما زيادة كرامة في فضيلته ؟ .

وقال الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في سيرته بعد ذكر قصة الإحياء ، والأحاديث الواردة في التعذيب : وذكر بعض أهل العلم في الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل راقياً في المقامات السنية ، صاعداً في الدرجات العلية ، إلى أن قبض الله روحه الطاهرة إليه ، وأزلقه بما خصه به لديه ،

من الكرامة حين القدوم عليه ، فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد أن لم تكن ، وأن يكون الإحياء والإيمان متأخراً عن تلك الأحاديث ؛ فلا تعارض ، انتهى .

وقد أشار إلى ذلك بعض العلماء فقال بعد إيراد خبر حليمة وما أسداه صلى الله عليه وسلم إليها حين قدومها عليه :

هذا جزاء الأم عن إرضاعه
وكذا الأرزجوان يكون لأمه
ويكون أحياءها الإله وأمنت
فلربما سعدت به أيضاً كما
لكن جزاء الله عنه عظيم
عن ذلك آمنة يد ونعيم
بمحمد فحديثها معلوم
سعدت به بعد الشقاء حليم

وقال الحافظ شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي في كتابه المسمى « مورد

الصادي ، في مولد الهادي » بعد إيراد الحديث المذكور مُنْشِداً لنفسه :

حباً الله النبي مريد فضل
فأحياً أمه ، وكذا أبوه
فسلم فالقديم بذات قدير
وإن كان الحديث به ضعيفاً
على فضل ، وكان به رءوفاً
لإيمان به فضلاً لطيفاً

خاتمة : وجمع من العلماء لم تقو عندهم هذه المسالك ، فأبتوا حديثي مسلم ونحوها

على ظاهرهما من غير عدول عنهما بدعوى نسخ ولا غيره ، ومع ذلك قالوا : لا يجوز لأحد أن يذكر ذلك .

قال السهيلي في الروض الأنف بعد إيراد حديث مسلم : وليس لنا نحن أن

نقول ذلك في أبيه صلى الله عليه وسلم ، لقوله : « لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات »

وقال تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله)^(١) الآية ، وسئل القاضي أبو بكر

ابن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال : إن أبا النبي صلى الله عليه وسلم في

النار ، فأجاب بأن من قال ذلك فهو ملعون ؛ لقوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب

ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة^(١) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه في النار .

ومن العلماء من ذهب إلى قول خامس — وهو الوقف — قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني في كتابه الفجر المنير : الله أعلم بحال أبيه ، وقال الباجي في شرح الموطأ : قال بعض العلماء : إنه لا يجوز أن يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم بفعل مباح ، ولا غيره ، وأما غيره من الناس فيجوز أن يؤذى بمباح ، وليس لنا المنع منه ، ولا يأنم فاعل المباح وإن وصل بذلك أذى إلى غيره ، قال : ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم — إذ أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة أبي جهل — : « إنما فاطمة بضعة مني ، وإني لا أحرم ما أحل الله ، ولكن والله لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا » فجعل حكما في ذلك أنه لا يجوز أن يؤذى بمباح ، واحتج على ذلك بقوله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله)^(١) الآيتين ، فشرط على المؤمنين أن يؤذوا بغير ما اكتسبوا ، وأطلق الأذى في خاصة النبي صلى الله عليه وسلم من غير شرط ، انتهى .

وأخرج ابن عساکر في تاريخه من طريق يحيى بن عبد الملك بن أبي غنينة قال : حدثنا نوفل بن الفرات — وكان عاملا لعمر بن عبد العزيز — قال : كان رجل من كتاب الشام مأمونا عندهم ، استعمل رجلا على كورة الشام ، وكان أبوه يُزَنُّ بالمانانية^(٢) ، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فقال : ما حملك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يُزَنُّ بالمانانية^(٢) ؟ قال : أضلح الله أمير المؤمنين ، وما علي ؟ كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا ، فقال عمر : آه ثم سكت ثم رفع رأسه ، فقال : أقطع لسانه ؟ أقطع يده ورجله ؟ أضرب عنقه ؟ ثم قال : لا تلي لي شيئا ما بقيت .

وقد سئلت أن أنظم في هذه المسألة أبياتا أختم بها هذا التأليف ، فقلت :

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب . (٢) المانانية : نسبة إلى ماني غير قياسية

إن الذي بعث النبي محمداً
ولأمه وأبيه حكم شائع
فجماعة أجزواهما مجزى الذي
والحكم فيمن لم تجبته دعوة
فبذاك قال الشافعية كلهم
وبسورة الإسراء فيه حجة
ولبعض أهل الفقه في تعليمه
ونحا الإمام الفخر رازي الورى
إذ هم على الفطر التي ولدوا، ولم
قال: الأولى ولدوا النبي المصطفى
من آدم لأبيه عبد الله ما
فالمشركون كما بسورة توبة
وبسورة الشعراء فيه تقاب
هذا كلام الشيخ فخر الدين في
فجزاه رب العرش خير جزائه
فلقد تدين في زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ، ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة للأشعري ، وما سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما
فلأمه وأبوه أخرى ، سيما
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً
أنجى به الثقلين مما يحفف
أبداه أهل العلم فيما صنفوا
لم يأت خبر الدعاء المسعف
أن لا عذاب عليه حكم يؤلف
والأشعرية ، ما بهم متوقف
وبنفحو ذا في الذكر أي تعرف
معنى أرق من النسيم وأطف
منحى به للسامعين تشف
يظهر عناد منهم وتحلف
كل على التوحيد إذ يتحنف
فيهم أخو شرك ولا مستنكف
نجس ، وكلهم بطهر يوصف
في الساجدين ، فكلام متحنف
أشهره ، هطلت عليه الذرف
وحباه جنات النعيم تزخرف
فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ، ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة للأشعري ، وما سواه مزيف
إذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما
فلأمه وأبوه أخرى ، سيما
وجماعة ذهبوا إلى إحيائه
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً

هذه مسالك لو تفرد بعضها لكفى ، فكيف بها إذا تألف؟
 وبحسب من لا يرتضيها صمته أدباً ، ولكن أين من هو منصف؟
 صلى الإله على النبي محمد ما جدد الدين الخفيف مخنف
 حديث متعلق بهما : قال البيهقي في شعب الإيمان : أخبرنا أبو الحسين ابن بشران
 أخبرنا أبو جعفر الرزاز حدثنا يحيى بن جعفر أخبرنا زيد بن الحباب أخبرنا يس بن
 معاذ حدثنا عبد الله بن قريد عن طلق بن علي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول : « لو أدركت والدي أو أحدهما وأنا في صلاة العشاء وقد قرأت فيها
 بفاتحة الكتاب تنادى يا محمد لأجبتها لبيك »^(١) قال البيهقي : يس بن معاذ ضعيف .
 فائدة : قال الأزرق في تاريخ مكة : حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز
 ابن عمران عن هشام بن عاصم الأسلمي قال : لما خرجت قريش إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان بن حرب :
 لو بحتتم قبر أم محمد فإنه بالأبواء ، فإن أسر أحدكم افتديتم به كل إنسان
 يارب من آرابها ، فذكر ذلك أبو سفيان لقريش ، فقالت قريش : لا تفتح علينا
 هذا الباب ، إذا تبحت بنو بكر موتانا .

فائدة : من شعر عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوردته الصلاح
 الصفدي في تذكروته :

لقد حكم السارون في كل بلدة بأن لنا فضلا على سادة الأرض
 وأن أبي ذو المجد والسود الذي يشار به ما بين نثر إلى خفض
 وجد وآباء له أثلوا الملاء قديماً بطيب العرق والحسب المحض
 فائدة : قال الإمام موفق الدين بن قدامة الحنبلي في المقنع : ومن قذف
 أم النبي عليه الصلاة والسلام قتل ، مسلماً كان أو كافراً .

(١) هكذا في الأسلوب شيء .

الفتاوى المتعلقة بالتصوف

مسألة : فيما نقله الحافظ أبو نعيم في الحلية عن أبي عبد الله محمد بن الوراق لما سئل عن أشياء ، فعدّ منها بأن قال : من اكتفى بالفقه دون الزهد يُفسق ؛ فما معنى ذلك ؟ وما هو الزهد الذي يكتفى بالفقه دونه ؟ وهل الفقيه إذا اكتفى بالفقه وخرج من الخلاف هل يعدُّ هذا من الزهد الذي عناه الشيخ هنا ؟

الجواب : هذا كلام رجل صوفي تكلم بحسب مقامه ، فإن الخواص يطلقون لفظ الكفر والفسق على مالا يُطلقه الفقهاء ، كما قال بعض السلف : حسنات الأبرار سيئات المقرّبين ، فأطلق على الحسنات سيئات بالنسبة إلى عليّ مقامهم ، وكما قال ابن الفارض رضى الله عنه :

وإن خَطَرَتْ لِي فِي سِوَاكَ إِرَادَةٌ

عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَضَيْتُ بَرْدَتِي

ومعلوم أن هذا ليس بردة حقيقة ، ومن هذا النمط قول الصوفية : إن الغيبة تفتقر الصائم ؛ فكل هذا من طريقة الخواص ، يُلزِمون أنفسهم بما لا يلزم العامة .

مسألة : في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلسٍ ذكرٍ ، ثم إن شخصاً من الجماعة قام من المجلس ذا كراً ، واستمرّ على ذلك لواردٍ حصل له ، فهل له فعل ذلك سواء كان باختياره أم لا ؟ وهل لأحدٍ منعه وزجره عن ذلك ؟ .

الجواب : لا إنكار عليه في ذلك ، وقد سئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني ، فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك ، وليس لمانع التعديّ منعه ، ويلزم المتعدى بذلك التعزير ، وسئل عنه العلامة برهان الدين الأبناسي فأجاب بمثل ذلك ، وزاد أن صاحب الحال مغلوبٌ ، والمنكرٌ محرومٌ ، ماذا لذّة التواجد ، ولا صفا له المشروب - إلى أن قال في آخر جوابه : وبالجملة فالسلامة في

تسليم حال القوم، وأجاب أيضاً بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة.

أقول : وكيف ينكر الذكر قائماً والقيام ذاكراً ، وقد قال الله تعالى : (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم)^(١) . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان النبي عليه الصلاة والسلام يذكر الله على كل أحيائه ، وإن انضم إلى هذا القيام رقص أو نحوه فلا إنكار عليهم ، فذلك من لذات الشهود أو المواجيد . وقد ورد في الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقي وخالقي ، وذلك من لذة هذا الخطاب ، ولم ينكر ذلك عليه النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكان هذا أصلاً في رقص الصوفية لما يدركونه من لذات المواجيد ، وقد صحَّ القيام والرقص في مجالس الذكر والسماع عن جماعة من كبار الأئمة منهم شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام .

مسألة : في قول الشيخ أبي العباس المرسي في حزبه : « إلهي معصيتك نادتنى بالطاعة ، وطاعتك نادتنى بالمعصية ، فني أيهما أخافك ؟ وفي أيهما أرجوك ؟ إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك فلم تدع لي خوفاً ، وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاءاً ، فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك ؟ أم كيف أجهل فضلك مع عصبانك ؟ ق ج سران من سرك ، وكلاهما دالان على غيرك ، فبالسر الجامع الدال عليك لا تدعني لغيرك ؛ إنك على كل شيء قدير » .

الجواب حسبما ظهر ، قوله : « إلهي معصيتك نادتنى بالطاعة » يعني لما يتسبب عنها من الندم والخوف والانكسار والذل ورجاء النوبة والاعتراف بالتقصير ونزول المرتبة « وطاعتك نادتنى بالمعصية » لما قد ينشأ عنها من أضداد ذلك ، ومن مخالطة العجب والرياء ، وفي معنى ذلك ما أخرجه أبو الشيخ بن حيان في كتاب الثواب عن

(١) من الآية ١٩١ من سورة آل عمران

كليب الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله عز وجل : « لولا أن الذنب خيرٌ لعبدى المؤمن من العُجْب ما خَلَّيْتُ بين عبدى المؤمن وبين الذنب » وما أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة مرفوعاً « لولا أن المؤمن يُعجَبُ بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهَمُّ به ، ولكن الذنب خير له من العُجْب » ، وما أخرجه أبو نعيم وغيره من حديث أنس وأبي سعيد مرفوعاً « لو لم تكونوا تُذنبونَ لخَلَّفْتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك ، العجب العجيب » . وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وأبو نعيم في الحلية من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل « يقول الله : وإن من عبادى المؤمنين لمن يسألنى البابَ من العبادة فأَكْفُهُ أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك » ذكره في أثناء حديث طويل ، وأيضاً فالطاعة قد تكون مذمومة لنقصانها بتخلف أمور ينبغى أن لا تتخلف عنها ، كالذكر ينبغى أن يقارنه حضور القلب ، ولهذا قال بعض الأولياء : استغفارنا يحتاج إلى استغفار ، وكالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينبغى أن يقارنه الائتمار والانتهاز ، ولهذا قال تعالى فى معرض الإنكار والتوبيخ : (أتأمرُونَ الناس بالبر وتَنسُونَ أَنفُسَكُمْ)^(١) فى أحاديث كثيرة فى ذم مَنْ أَمَرَ بالمعروف ولم يَأْتِمْر به ونهى عن المنكر ولم ينته عنه ، وكالصلاة ينبغى أن تكون ناهيةً عن الفحشاء والمنكر كما وصفها الله تعالى بذلك ، وكالصوم ينبغى أن ينزه عن الغيبة ونحوها كما قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِى أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشِرَابَهُ » إلى غير ذلك من أفراد الطاعات التى لا تُحْمَدُ ما لم تبلغ رتبة الكمال ، وتخلص من شوائب النقصان .

قوله : « إن قلت بالمعصية قابلتني بفضلك » أى ذكرتني فضلك وسعة رحمتك ومغفرتك ، فلم تدع لي خوفاً ، وفتحت لي أبواب الرجاء ، فى الحديث « لولا أنكم

(١) من الآية ٤٤ من سورة البقرة

تذنبون لجاء الله بقوم يُذنبون فيستغفرون فيغفر لهم « إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا المعنى .

قوله : « وإن قلت بالطاعة قابلتني ، بعد ذلك » أي ذكرتني مالي من الذنوب ، وما في طاعتني من التقصير الذي يكاد أن يمنعه من الاعتداد بها ، فضلا عن تكفير الخواتم

قوله : « فلم تدع لي رجاء لا تساع الخوف حينئذ علي » في الحديث أن رجلا يُجرى على وجهه من يوم وُلد إلى أن يموت هرماً في مرضاة الله لخفره يوم القيامة .

قوله : « فليت شعري كيف أرى إحساني مع إحسانك » أي كيف أعدّه إحساناً يستوجب الجزاء مع أن إقداري عليه إحسانٌ منك ونعمة تستوجب الشكر والمزيد في العمل ، وكلما وقع مني شيء من ذلك فالأمر فيه كذلك ، وهلم جرا ، مع مزيد الإحسان وجزيل الإفضال الخارج عن ذلك ، وهذه الجملة تناسب جملة الخوف .

قوله : « أم كيف أجهل فضلك بالحلم والإمهال والإنعام مع عصياني لك ؟ » وهذه الجملة تناسب جملة الرجاء .

قوله : « ق ج سران من سرك » الظاهر والله أعلم أنه أخذ هذين الحرفين من وصفين من صفاته تعالى ، كما هو رواية عن ابن عباس في أوائل السور ألم وطس وق ون وص إنها حروف مُقَطَّعة من أسماء الله تعالى ، وفي رواية أنها من الاسم الأعظم ، وعن الشعبي أنها من أسرار الله تعالى ، فالقاف مأخوذة من قدير أو مقتدر ، والجيم من جواد ، وكلاهما مناسبان لما تقدم من الخوف والرجاء ، فالخوف يناسبه القدرة أو الاقتدار ، والرجاء يناسبه الجود .

قوله : « وكلاهما دالان على غيرك » يحتمل أمرين : أحدهما أن المراد أن لهما تعلقاً بالغير ؛ فإن القدرة تتعلق بمقدور ، والاقتدار بمقدور عليه ، والجود بمتفضل عليه .

الثاني : أن المراد أنه يجوز شرعاً أن يوصفَ بهما غيره تعالى ، وأن يطلقاً عليه ولذا قال عَقِبَهُ : « فبالسر الجامع الدال عليك » أى بالاسم الخاص بك ، وهو الله ، فإنه لا تعلق له بالغير ، ولا يجوز أن يسمى به غيره تعالى ، وهو الاسمُ الأعظمُ فيما روى عن غير واحد من السلف ، وهو الدال على الذات ، وهو الجامع لجميع الصفات ، بخلاف سائر الأسماء ؛ فإنها خاصة بالوصف بدلوها .

قوله : « لا تدعنى لغيرك ، بل اجعلنى لك عبادتى ودعائى وخوفى ورجائى وتوجهى وحركاتى وسكناتى » ، هذا ما ظهر .

ثم رأيت بعد ذلك كلاماً للشهاب أحمد بن عبد الواحد بن الميلىق على هذا الفصل ، قال : قول الأستاذ — يعنى أبا العباس المرسي رضى الله عنه — « إلهى معصيتك نادتنى بالطاعة » يحتمل — والله أعلم — أن يكون مشيراً إلى أنه سبق تعلق علمك بها ، وقدرتك بإيجادها ، وإرادتك بتخصيصها ، فتعين وجودها على حسب تعلق العلم والقدرة والإرادة تعييناً لزومياً للعبد ، ضرورة بطلان تعلق العلم وتبدله جهلاً ، وتعلق القدرة وتبدلها مجزاً ، وتعلق الإرادة وتبدلها قسراً ، فليس إلا وقوع هذا المقتضى على حسب سابق القضاء ، فأنى يمكن العبد الحوّلُ عنها ووقوعها منه حتماً عدلاً من القهار ، لا ظلاماً ؟ فلماذا كانت منادية عليه بالطاعة ، أى بالدخول تحت مَجَارِي القهر ، استسلاماً للقهار ، كما قال جل وعلا : (ثم استوى إلى السماء وهى دُخَانٌ فقال لها وللأرض : أثتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا : أتينا طائعين^(١)) فهذه الطاعة المشار إليها فى كلام الأستاذ والله أعلم ، وسيأتى بيان أنها مجاز فى تلو هذا الكلام .

وقوله رضى الله عنه : « وطاعتك نادتنى بالمعصية » يحتمل والله أعلم أن يكون مشيراً إلى ما سبق [من] تعلق العلم والقدرة والإرادة كما ذكرنا ، بدأ بالطاعة التى جرت على يد العبد ؛ فكان الحق وقوعها والباطل امتناعها لما تقدم بيانه ، هذا مع أن

(١) الآية ١١ من سورة فصلت

العبد يرى أنه قد أطاع وما خالف ، فيكون منادياً على نفسه بلسان حال رؤيته طاعته مولاه بدعوى القدرة على المخالفة في حال الإطاعة حقيقة ، فعدل عن المخالفة للطاعة فأطاع ، وإذا كان بهذه الحالة في حال جريان الفضل المقدر المسمى بالطاعة فهو في عين المعصية ، فتبين من هنا أن نسبة الطاعة له مجاز كنسبتها للسماوات والأرض ، وقد فهم الغرض إن شاء الله ، ومن هذا الموطن يفهم معنى قوله عز وجل لسيد خلقه عليه أفضل الصلاة والسلام : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ)^(١) وقوله تعالى أيضاً له صلى الله عليه وسلم : (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ)^(٢) .

ثم قال : « ففي أيهما [أخافك ؟ وفي أيهما] أرجوك ؟ إن قلت بالمعصية قبلتني بفضلك فلم تدع لي خوفاً ، أو قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاءاً » يريد والله أعلم إن رأيت معصيتي لك مني من حيث الأدب الشرعي قام الخوف بي منك فأطفأه وارد الفضل منك على بإشهادي الحقيقة من لدنك (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها)^(٣) فيزهق الخوف هنا .

وقوله رضى الله عنه : « وإن قلت بالطاعة قابلتني بعدلك فلم تدع لي رجاءاً » يريد والله أعلم وإن رأيت طاعتي مني لك من حيث النسب الشرعي قام الرجاء بي فأفاد وارد العدل منك على بإشهادي الحقيقة من لدنك (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٤) .

وإذا تقرر هذا فلتعلم أن للفضل تعلقات ، وللعدل تعلقات ، وكلاهما دالان على غناه عن كل شيء ، فمن تعلقات فضله ما يعامل به من عصاه من ستر وبر وعطف ولطف وحنان وإحسان وجود وبسط يد الرحمة للعاصي من غير حدود ، ومن متعلقات عدله ما يعامل به من أطاعه من قبض الرزق ودحوض بين الخلق وضعف

(١) من الآية ١٢٨ من سورة آل عمران (٢) من الآية ١٢٣ من سورة هود

(٣) من الآية ١٣ من سورة السجدة (٤) الآية ٦٨ من سورة القصص

في الجسد وقلة حظّ في الأهل والمال والبلد والإخوان والأخذان والوالد .
 وإذ قد تبين هذا فاعلم أن مقابلة العاصي بأثر من آثار الفضل في حال عصيانه
 ربما يزيل عنه الخوف ، ومقابلة الطائع بأثر من آثار العذل في حال طاعته ربما
 يزيل عنه الرجاء ، وذلك لأنه لا بدّ له من ورود أثر الفضل على سلامة العاقبة
 ولا بدّ له من ورود أثر العذل على عطب العاقبة ، وإذا كان الأمر كذلك وقع الإبهام
 على الخلق ، فجاء المراد بقوله تعالى : (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل
 عليه) ^(١) وهو رؤية الأشياء منه حقيقة مع التبرّي من الحول والقوة منها حقيقة ،
 وردّ الأشياء الثلاثة بالنسب للعباد كسباً شريعة مع الانسلاخ عن لحوظ الحظوظ ،
 توكلأ عليه ، واستسلاماً إليه ، وفناءً له بين يديه ، وهذا مقتضى العبودية والعبادة
 في ضمن ما أشار الأستاذ إليه حسب فهمي عنه في هذا القول ، والله أسأل المغفرة ،
 وهو حسبي ونعم الوكيل .

ثم بعد مدة رأيت فائدة .

لقد رمز الأشياخُ سرّاً مكثماً عن القاف لم يُبدؤوا لها أبداً حلاً
 يقولون: عند القاف قف اتري الذي أردناه ، لا تبغى به بدلاً أصلاً

وسئل عن ذلك الشيخُ عبدُ السلام البغدادي ، فأجاب :

يريدون قاف الرق إذا انتهى فكُن بمقصودهم كي تُدرك العلم والفضلا
 ففي الخبر المشهورهم يزعمون من دراهم برق وانكسار وذلة
 وقد جاء في نص القرآن دليلهم بأخسر آي الذاريات تراهم
 ثلثائة علم لمن شاء فهمها منازل سير السالكين بعدها
 بمقصودهم كي تُدرك العلم والفضلا
 دري نفسه فهو الذي عرف المولى
 وخالقه ربُّ له المثل الأعلى
 هي المبتغى من خلقه ، حَقَّقِ النقلا
 بتأويلهم كي يعرفوا حبذا وصلا
 من الراء والقاف اجعلان ذلك الأصلا
 بأقسام عشر فاجعلان مائة عدلا

(١) من الآية ١٢٣ من سورة هود

فأولها باب الإنابة يفتي وأخرها التوحيد والمطلب الأعلى
ثلاث علوم من طباق أنى بها هو الشيخ عبد الله جاد بها نقلا
عوام خواص ثم خاص خواصها فكان أوحدياً عارفاً راتماً فحلا
فـهذا جواب من فقير محصل وطالب فهم ألهم الرمز والحلا
ومولده دار السلام واسمه بعبد السلام مصر كم نازلا حلا
إلى العالم النحرير نعمان ينتمى إمام الهدى والفقه ، كم مشكل حلا
وأجاب سيدي محمد بن سلطان العزى رحمه الله تعالى ونفعنا الله ببركاته :

أيا سائلا عن سر رمز مكمتم توقف فذا قاف غدا فاؤه أصلا
يشير بمحمول نعمين وحاؤه بوضع مبسوط له مورداً أصلا
وكبراه قد أبدى نتيجة داله وصغراه محذور ، لقد حقق الوصلا
هيولاؤه وافى بشكل مضمّن وتسديس ذلك الشكل جهرا أقداملى
وأخره جيم فراء بأوجهها حضيض لصاد سينه حرر النقلا
فهذا جواب من فقير جويهل مسيء جرىء أكثر النوم والأكلا
دعى بابن سلطان محمد فى الورى وخادم فتى كيلان ذى النسب الأعلى

القول الأشبه

فى حديث « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فقد كثر السؤال عن معنى الحديث الذى اشتهر على الألسنة
« مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ » وربما فهم منه معنى لا صحة له ، وربما نسب
إلى قوم أكابر ، فرقت فى هذه الكراسة ما يبين الحال ، ويزيل الإشكال ،
وفيه مقالان :

المقال الأول : أن هذا الحديث ليس بصحيح ، وقد سئل عنه النووي في فتاويه فقال : إنه ليس بثابت ، وقال ابن تيمية : موضوع^(١) وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة : ذكر ابن السمعاني أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي .

المقال الثاني : في معناه ، قال النووي في فتاويه : معناه مَنْ عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله والعبودية له عرف ربه بالقُوَّة والرَّبوبية والسَّكَم المطلق والصفات العُلَى .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في لطائف المنن : سمعتُ شيخنا أبا العباس المرسي يقول : في هذا الحديث تأويلان :

أحدهما : أن مَنْ عرف نفسه بذلِّها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه ؛ فتكون معرفة النفس أولاً ثم معرفة الله من بعد .

والثاني : أن مَنْ عرف نفسه فقد دلَّ ذلك منه على أنه عرف الله من قبل ؛ فالأول حال السالكين ، والثاني حال المجذوبين .

وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب : معناه إذا عرفت صفات نفسك في معاملة الخلق ، وأنت تكره الاعتراض عليك في أفعالك وأن يُعَابَ عليك ما تصنعه ، عرفت منها صفات خالقك ، وأنه يكره ذلك ، فأرضَ بقضائه ، وعامله بما تحب أن تعامل به .

وقال الشيخ عز الدين : قد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ، ويستحسن وصفه ، وهو أن الله سبحانه وتعالى وضعَ هذه الروح الروحانية ، في هذه الجثة الجثمانية ، لطيفة لاهوتية ، موضوعة في كتيفه ناسوتية ، دالة على وحدانيته وربانيته .

ووجه الاستدلال بذلك من عشرة أوجه :

الأول : أن هذا الهيكل الإنساني لما كان مفتقراً إلى مدبر ومحرك وهذه الروح

(١) في بعض الأصول بياض مكان لفظ « موضوع »

مدبرة ومحركة علمنا أن هذا العالم لا بدءاً له من مدبر ومحرك .

الوجه الثاني : لما كان مدبر الهيكل واحداً ، وهو الروح ، علمنا أن مدبر هذا العالم واحداً لا شريك له في تدبيره وتقديره ، ولا جائز أن يكون له شريك في ملكه ، قال الله تعالى : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(١) ، وقال تعالى : (لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً^(٢) وقال تعالى : (وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ، إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ ، وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ)^(٣) .

الوجه الثالث : لما كان هذا الجسد لا يتحرك إلا بإرادة الروح وتحريكها له ، علمنا أنه مريداً لما هو كائن في كونه لا يتحرك متحرك بخير أو شر إلا بتقديره وإرادته وقضائه .

الوجه الرابع : لما كان لا يتحرك في الجسد شيء إلا بعلم الروح وشعورها به لا يخفى على الروح من حركات الجسد وسكناته شيء علمنا أنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

الوجه الخامس : لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء ، بل هو قريب إلى كل شيء في الجسد ، علمنا أنه أقرب إلى كل شيء ، ليس شيء أقرب إليه من شيء ، ولا شيء أبعد إليه من شيء ، لا بمعنى قرب المسافة ؛ لأنه مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ .

الوجه السادس : لما كان الروح موجوداً قبل وجود الجسد ، ويكون موجوداً بعد عدم الجسد ، علمنا أنه سبحانه وتعالى موجود قبل كونه خلقه ، ويكون موجوداً بعد فقد خلقه ، ما زال ولا يزال ، ونقدس عن الزوال .

(٢) من الآية ٢٢ من سورة الأنبياء (٢) من الآيتين ٤٢ و٤٣ من سورة الإسراء

(٣) من الآية ٩١ من سورة المؤمنين

الوجه السابع : لما كان الروح في الجسد لا يعرف له كيفية ، علمنا أنه مقدّس عن الكيفية .

الوجه الثامن : لما كان الروح في الجسد لا يعلم له أيّنيّة علمنا أنه منزّه عن الكيفية والأيّنيّة ؛ فلا يوصف بأين ولا كيف ، بل الروح موجودة في كل الجسد ، ما خلا منها شيء من الجسد ، وكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود في كل مكان ، ما خلا منه مكان ، وتنزه عن المكان والزمان .

الوجه التاسع : لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ، ولا يمثل بالصور ، علمنا أنه لا تدركه الأبصار ، ولا يمثل بالصور والآثار ، ولا يشبه بالشموس والأقمار (ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير)^(١) .

الوجه العاشر : لما كان الروح لا يحس ولا يمس ، علمنا أنه منزّه عن الحس واللمس واللمس ؛ فهذا معنى قوله « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ » فطوبى لمن عرف ، وبذنبه اعترف .

وفي هذا الحديث تفسير آخر ، وهو أنك تعرف أن صفات نفسك على الضد من صفات ربك ؛ فمن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء ، ومن عرف نفسه بالجفاء والخطأ عرف ربه بالوفاء والعطاء ، ومن عرف نفسه كما هي عرف ربه كما هو .

واعلم أنه لا سبيل لك إلى معرفة إياك كما إياك ، فكيف لك سبيل إلى معرفة إياه كما إياه ؟ فكأنه في قوله « مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ » علق المستحيل على مستحيل ؛ لأنه مستحيل أن تعرف نفسك وكيفيتها وكميتها ؛ فإنك إذا كنت لا تطيق بأن تصف نفسك التي هي بين جنبيك بكيفية وأينية ولا بسجية ولا هيكلية ولا هي برئية ، فكيف يليق بعبوديتك أن تصف الربوبية بكيف وأين وهو مقدس عن الكيف والأين ؟ وفي ذلك أقول :

(١) من الآية ١١ من سورة الشورى

قُلْ لِمَنْ يَفْهَمُ عَنِّي مَا أَقُولُ : قَصَّرَ الْقَوْلَ ، فَذَا شَرَحَ يُطَوَّلُ
 هُوَ سِرٌّ غَامِضٌ مِنْ دُونِهِ ضُرِبَتْ وَاللَّهُ أَعْنَاقُ الْفُحُولِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ إِيَّاكَ ، وَلَمْ تَدْرِ مَنْ أَنْتَ وَلَا كَيْفَ الْوُصُولِ
 لَا ، وَلَا تَدْرِ صِفَاتِ رُكْبَتِ فَيْكَ حَارَتْ فِي خَفَايَاهَا الْعُقُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الرُّوحُ فِي جَوْهَرِهَا هَلْ تَرَاهَا فَتَرَى كَيْفَ تَجُولِ ؟
 هَذِهِ الْأَنْفَاسُ هَلْ تَحْصُرُهَا ؟ لَا ، وَلَا تَدْرِ مَتَى مِنْكَ تَزُولِ
 أَيْنَ مِنْكَ الْعَقْلُ وَالْفَهْمُ إِذَا غَابَ النَّوْمُ فَقُلْ لِي يَا جَهُولِ ؟
 أَنْتَ أَكَلِ الْخَبْزِ لَا تَعْرِفُهُ كَيْفَ يَجْرِي مِنْكَ أَمْ كَيْفَ تَبُولِ ؟
 فَإِذَا كَانَتْ طَوَايِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ كَذَا فِيهَا خُلُولِ

كَيْفَ تَدْرِ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى

لَا تَقُلْ كَيْفَ اسْتَوَى ، كَيْفَ النَّزُولِ ؟
 كَيْفَ تَجَلَّى اللَّهُ ؟ أَمْ كَيْفَ يُرَى ؟ فَلَعَمْرِي لَيْسَ ذَا إِلَّا فُضُولِ
 هُوَ لَا كَيْفَ ، وَلَا أَيْنَ لَهُ وَهُوَ رَبُّ الْكَيْفِ ، وَالْكَيفُ يَحُولِ
 وَهُوَ فَرَّقَ الْفَوْقَ ، لَا فَوْقَ لَهُ وَهُوَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي لَا يَزُولِ
 جَلٌّ ذَاتًا ، وَصِفَاتٍ ، وَسَمًا وَتَعَالَى قَدْرُهُ عَمَّا أَقُولِ

وقال القونوي في شرح التعرف : ذكر بعضهم في هذا الحديث أنه من باب التعليق بما لا يكون ، وذلك أن معرفة النفس قد سدَّ الشارعُ بابها لقوله : (قل الروحُ من أمرِ ربِّي)^(١) فنبه بذلك على أن الإنسان إذا عجزَ عن إدراك نفسه التي هي من جملة المخلوقات ، وهي أقرب الأشياء إليه ، فهو عن معرفة خالقه أعجز ، بل هو عاجز عن إدراك حقيقة قواه وحواسه كسمعه وبصره وشمه وكلامه وغير ذلك ، فإن للناس في كل منها اختلافات ومذاهب لا يحصل الناظر منها على طائل ، كاختلافهم في أن الإبصار بالانطباع أو بخروج الشعاع ، وأن الشم بتكيف الهواء وبانبثاث

(٣) من الآية ٨٥ من سورة الإسراء

الأجزاء من ذى الرأحة ، إلى غير ذلك من الاختلافات المشهورة ، فإذا كان الحال في هذه الأشياء الظاهرة التي يُلابسها الإنسان على هذا المنوال ، فكيف يكون الحال في معرفة الكبير المتعال ؟ وقد تحصل مما سُقناه في معنى هذا الأثر أقوال ، والله أعلم .

الخبر الدال ، على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الحمد لله الذي فاوتَ بين خلقه في المراتب ، وجعل في كل قرن سابقين بهم يحيى ويميت وينزل الغمام الساكب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البدر المنير ، وعلى آله وأصحابه الهداة الكواكب .

وبعد ، فقد بلغني عن بعض مَنْ لا عِلْمَ عنده إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء ، من أن منهم أبدالاً ونقباءً ونجباءً وأوتاداً وأقطاباً ، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك ؛ فجمعتها في هذا الجزء لتستفاد ، ولا يعول على إنكار أهل العناد ، وسميته « الخبر الدال ، على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » ، والله الموفق .

فأقول : ورد في ذلك مرفوعاً وموقوفاً من حديث عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وأنس وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وابن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود وعوف بن مالك ومعاذ بن جبل ووائلة بن الأسقع وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وأبي الدرداء وأم سلمة ، رضى الله تعالى عنهم ، ومن مرسل الحسن وعطاء وبكر بن خنيس ، ومن الآثار عن التابعين ومَنْ بعدهم ما لا يحصى .

حدیث عمر - قال أبو طاهر المخلص : أنا أحمد بن عبد الله بن سعيد ثنا السري
ابن يحيى ثنا شعيب بن إبراهيم حدثنا سيف بن عمر عن أبي عمر عن زيد بن أسلم
عن أبيه قال : كان الشام قد أسكن ، فإذا أقبل جند من اليمن ومن بين المدينة واليمن
فاختار أحد منهم الشام قال عمر رضی الله تعالى عنه : يا ليت شعري عن الأبدال ،
هل مرت بهم الركاب ؟ أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق .
وأخرج أيضاً من طريق سيف بن عمر عن محمد وطلحة وسهل قال : كتب عمر
إلى أبي عبيدة : إذا أنت فرغت من دمشق إن شاء الله فاضرف أهل العراق إلى
العراق ؛ فإنه قد أتى في روعي أنكم ستفتحونها ، ثم تدركون إخوانكم فتتصرونهم
على عدوهم ، وأقام عمر بالمدينة لمرور الناس به ، وذلك أنهم ضربوا إليه من بلدانهم ،
فجعل إذا سرح قوما إلى الشام قال : ليت شعري عن الأبدال ، فهل مرت بهم
الركاب أم لا ؟ وإذا سرح قوما إلى العراق قال : ليت شعري كم في هذا الحى
من الأبدال ؟

حدیث علی - قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده : ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان
عن شريح بن عبيد قال : ذُكرَ أهل الشام عند علي بن أبي طالب - وهو بالعراق -
فقالوا : ألعنهم يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول : «الأبدال بالشام ، وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ،
يسقى بهم الغيث ، وينتصر بهم على الأعداء ، ويضرفُ عن أهل الشام بهم
العذابُ » رجاله رجال الصحيح ، غير شريح بن عبيد ، وهو ثقة .

طريق ثمانية : قال ابن عساكر في تاريخه : أنا أبو القاسم الحسيني ثنا عبدالعزیز
ابن أحمد الكنانی أنا أبو محمد بن أبي نصر أنا الحسن بن حبيب ثنا زكريا بن
يحيى ثنا الحسن بن عرفة ثنا إسماعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو السكسكي عن
شريح بن عبيد الحضرمي ، قال : ذُكرَ أهل الشام عند علي بن أبي طالب فقالوا :
يا أمير المؤمنين ألعنهم ؟ فقال : لا ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن الأبدال بالشام يكونون ، وهم أربعون رجلاً ، بهم تُسْتَقَوْنَ النَيْث ، وبهم تنصرون على أعدائكم ، وَيُصْرَفُ عن أهل الأرض البلاء والفرق » قال ابن عساكر : هذا منقطع بين شريح وعلي ؛ فإنه لم يَلْقَه .

طريق أخرى عنه - قال ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء : حدثني أبو الحسن خلف بن محمد الواسطي ثنا يعقوب بن محمد الزهرى ثنا مجاشع بن عمرو عن ابن لهيعة عن إبراهيم عن عبد الله بن زهير عن علي : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الأبدال ؟ قال : « هم ستون رجلاً ، فقلت : يا رسول الله حاتم لي ، قال : ليسوا بالمتنطعين ، ولا بالمبتدعين ، ولا بالمتعقلين ، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة ، ولكن بسخاء الأنفس ، وسلامة القلوب ، والنصيحة لأئمتهم » أخرجه الخلال في كرامات الأولياء ، وفيه بدل ولا بالمتعقلين « ولا بالمعجبين » وزاد في أخرى « إنهم يا علي في أمي أقل من الكبريت الأحمر » .

طريق أخرى عنه - قال الطبراني : ثنا علي بن سعيد الرازي ثنا علي بن الحسين الخواص الموصلي ثنا زيد بن أبي الزرقاء ثنا ابن لهيعة ثنا عياش بن عباس القتيبي عن عبد الله بن زهير النافقي عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تُسَبُّوا أهل الشام ؛ فإن فيهم الأبدال » قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث إلا زيد بن أبي الزرقاء ، قال ابن عساكر : هذا وهم من الطبراني ، بل رواه الوليد بن مسلم أيضاً عن ابن لهيعة ، ثم قال : أنا أبو طاهر محمد بن الحسين أنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن سعدان أنا محمد بن سليمان الربعي ثنا علي بن الحسين بن ثابت ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن لهيعة به ، قال : ورواه الحارث بن يزيد المصري عن ابن زهير ، فوقته علي علي ، ولم يرفعه ، أخبرناه أبو بكر محمد بن محمد أنا أبو بكر محمد بن علي المقرئ أنا أحمد بن عبد الله بن الخضر ثنا أحمد بن علي بن محمد أنا أبي أنا أبو عمرو محمد بن مروان بن عمرو السعدي ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الله بن صالح حدثني أبو شريح أنه سمع الحارث بن

یزید یقول : حدثنی عبد الله بن زریر الفافقی أنه سمع علی بن أبی طالب یقول : لا تسبوا أهل الشام فإن فیهم الأبدال ، وسبوا ظلمتهم ، أخرجه الحاكم فی المستدرک من طریق أحمد بن الحارث بن یزید به ، وقال : صحیح ، وأقره الذهبی فی مختصره .

طریق أخرى عنه موقوفة : وبه إلى أبی عمرو السعیدی : ثنا زیاد بن یحیی أبو الخطاب ثنا أبو داود الطیالسی عن الفرّج بن فضالة ثنا عمرو بن روم اللخمی عن رجاء بن حیوة عن الحارث بن حومل عن علی بن أبی طالب قال : لا تسبوا أهل الشام فإن فیهم الأبدال ، وقال الحارث : یارجاء اذ کُرّ لی رجلین صالحین من أهل بیسان ؛ فإنه بلغنی أن الله تعالی اختصّ أهل بیسان برجلین صالحین من الأبدال لا یموت واحد إلا أبدل الله مكانه واحداً ، ولا تذکر لی منهما متماوتا ولا طعانا علی الأئمة ؛ فإنه لا یكون منهما الأبدال ، له طرق عن الفرّج بن فضالة .

طریق أخرى عن علی موقوفة : قال الله أبی الدنيا : ثنا الحسن بن أبی الربیع أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهری عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل یوم صیفین : اللهم العن أهل الشام ، فقال علی : لا تسب أهل الشام ، فإن فیها الأبدال فإن فیها الأبدال ، فإن فیها الأبدال ، أخرجه البیهقی والخلال وابن عساکر ، وله طرق عن الزهری ، وفي بعضها عن صفوان بن عبد الله ، بدل عبد الله بن صفوان ، وفي بعضها عن الزهری عن أبی عثمان بن سنة عن علی ، وفي بعضها عن الزهری عن علی .

طریق أخرى عنه : قال یعقوب بن سفیان : ثنا یحیی بن عبد الحمید ثنا شریک عن عثمان بن أبی زرعة عن أبی صادق قال : سمع علی رجلاً وهو یلعن أهل الشام ، فقال علی : لا تعمم ؛ فإن فیهم الأبدال .

طریق أخرى عنه : قال ابن عساکر : أنبأنا أبو البرکات الأنماطی أنا المبارک ابن عبد الجبار أنا أبو بکر عبد الباقي بن عبد الکریم بن عمر الشیرازی أنا عبد الرحمن

ابن عمر بن أحمد بن حمزة أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبه ثنا جدى
ثنا عثمان بن محمد ثنا جرير عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل
قال : خطبنا على فذكر الخوارج ، فقام رجل فلعن أهل الشام ، فقال له : ويحك
لا تعمم ، فإن منهم الأبدال ومنكم العصب .

وبالسند السابق إلى أبي عمرو السعيدى ثنا الحسين بن عبد الرحمن أنا
وكيع عن قطر عن أبي الطفيل عن علي رضى الله عنه قال : الأبدال بالشام ،
والنجباء بالكوفة .

وقال ابن عساكر : أنبأنا أبو الغنائم عن محمد بن علي بن الحسن الحسنى ثنا محمد
ابن عبد الله الجعفي ثنا محمد بن عمار العطار ثنا علي بن محمد بن خبيبة ثنا عمرو بن حماد
ابن طلحة ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن قطر عن أبي الطفيل عن علي قال :
إذا قام قائم آل محمد جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزح
الخريف ، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمن أهل الشام .

طريق أخرى عنه : وبه إلى محمد بن عمار ثنا جعفر بن علي بن نجيع ثنا
حسن بن حسين عن علي بن القاسم عن صباح بن يحيى المزني عن سعيد بن
الوليد الهجرى عن أبيه قال : قال علي : ألا إن الأوتاد من أبناء الكوفة ، ومن
أهل الشام أبدال .

طريق أخرى : قال الخلال : ثنا علي بن عمرو بن سهل الحريرى ثنا علي بن
محمد بن كاس ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا زيد بن الحباب حدثني ابن لهيعة عن
خالد بن يزيد السكسكى عن سعيد بن أبي هلال عن علي رضى الله تعالى عنه قال :
قبة الإسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنجباء بمصر ، والأبدال بالشام وهم قليل ،
أخرجه ابن عساكر من طريق أبي سعيد بن الأعرابي عن الحسن بن علي بن عفان به .
طريق أخرى عنه : قال ابن عساكر : أنا نصر بن أحمد بن مقاتل عن أبي
الفرج سهل بن بشر الإسفرايينى أنا أبو الحسن علي بن منير بن أحمد الخلال أنا

الحسن بن رشيق ثنا أبو علي الحسين بن حميد العك ثنا زهير بن عباد ثنا الوليد بن مسلم عن الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتباني أن علي بن أبي طالب قال : الأبدال من الشام ، والنجباء من أهل مصر ، والأخيار من أهل العراق .
طريق أخرى عنه : قال الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء :
ثنا عبد الله بن عثمان الصغار أنا محمد بن مخلد الصغار ثنا أحمد بن منصور زاج ثنا حسين بن علي عن زائدة عن عمار الذهبي عن حبيب بن أبي ثابت ^(١) عن رجل عن علي قال : إن الله تعالى ليدفع عن القرية بسبعة مؤمنين يكونون فيها .

حديث أنس — قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : ثنا عمر بن يحيى ابن نافع الأيلي (ح) وقال ابن عدى وابن شاهين والحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء معا : ثنا محمد بن زهير بن الفضل الأيلي ثنا عمر بن يحيى ابن نافع ثنا العلاء بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البلاء أربعون رجلا ، اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم ، فعند ذلك تقوم الساعة » .

طريق ثان عنه : قال الحافظ أبو محمد الخلال في كتاب كرامات الأولياء :
أنا أبو بكر بن شاذان ثنا عمر بن محمد الصابوني ثنا إبراهيم بن الوليد الجشاش ثنا أبو عمر القداني ثنا أبو سلمة الخراساني عن عطاء عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأبدال أربعون رجلا وأربعون امرأة ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا ، وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة » أخرجه الديلمي في مسند الفردوس من طريق أخرى عن إبراهيم بن الوليد .

طريق ثالث عنه : قال ابن لال في مكارم الأخلاق : ثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق ثنا محمد بن عبد العزيز الدينوري ثنا عثمان بن الهيثم ثنا عوف عن

(١) في نسخة « عثمان » بدل « ثابت » .

الحسن عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بُدِّلَ أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ، ولكن دَخَلُوهَا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ وَسَخَاوَةِ أَنْفُسِهِمْ » أخرجه ابن عدى والخللال ، وزاد في آخره « والنصح للمسلمين » .

طريق رابع عنه : قال ابن عساكر : قرأت بخط تمام بن محمد أنا أبو علي محمد ابن هارون بن شعيب الأنصارى حدثنا زكريا بن يحيى ثنا المنذر بن العباس بن نجيح القرشى حدثني أبي عن الوليد بن مسلم عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن دعامة أمتي عصب اليمن وأبدال الشام ، وهم أربعمائة رجل كلما هلك رجل أبدل الله مكانه آخر ، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهاككين ولا المتناوشين ، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صوم ولا صلاة ، وإنما بلغوا ذلك بالسجاء وصحة القلوب والمناسحة لجميع المسلمين » .

وقال ابن عساكر أيضاً : أنبأنا أبو الفضل محمد بن ناصر أنا أحمد بن عبد القادر ابن محمد بن يوسف البغدادي أنا أبو الحسن محمد بن علي بن محمد بن صخر الأزدي البصرى بمكة ثنا أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن ثنا بكر بن محمد بن سعيد ثنا نصر بن علي ثنا نوح بن قيس عن عبد الملك بن معقل عن يزيد الرقاشى عن أنس به .

طريق أخرى عنه : قال الطبرانى فى الأوسط : ثنا^(١) عن أنس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن ، فبهم يُسَقَوْنَ ، وبهم يُنصَرُونَ ، مامات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر » قال قتادة : لسنا نشك أن الحسن منهم ، قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى مجمع الزوائد : إسناده حسن .

حديث حذيفة بن اليمان - قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول : ثنا أبى ثنا سليمان ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة عن محمود بن لبيد عن حذيفة بن اليمان

(١) يياض فى جميع النسخ

قال : الأبدال بالشام ، وهم ثلاثون رجلا على منهاج إبراهيم ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر ، عشرون منهم على منهاج عيسى ابن مريم ، وعشرون منهم قد أوتوا من مزَامير آل داود .

حديث عبادة بن الصامت - قال الإمام أحمد في مسنده : ثنا عبد الوهاب ابن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا » أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والخلال في كرامات الأولياء ، ورجاله رجال الصحيح ، غير عبد الواحد وقد وثقه المجلي وأبو زرعة^(١) .

طريق ثان عنه : قال الطبراني في الكبير : ثنا عبد الله بن [الإمام] أحمد بن حنبل حدثني محمد بن الفرغ ثنا زيد بن الحباب أخبرني عمر البزار عن عبيسة الخواص عن قتادة عن أبي قلابة عن أبي الأشعث عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « [لا يزال] الأبدال في أمتي ثلاثين ، بهم تقوم الأرض ، وبهم تُمَطَّرُون ، وبهم تنصرون » قال قتادة : إني أرجو أن يكون الحسن منهم .

حديث ابن عباس - قال الإمام أحمد في الزهد : ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، أخرجه الخلال .
حديث ابن عمر - قال الطبراني : ثنا محمد بن الخزر الطبراني ثنا سعيد بن أبي زيدون ثنا عبد الله بن هارون الصوري ثنا الأوزاعي عن الزهري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خِيَارُ أمتي في كل قرن خمسمائة ، والأبدال أربعون ، فلا الخمسمائة ينقصون ، ولا الأربعون ، كلما مات رجل أبدل

(١) وجد على هامش بعض النسخ « عبد الواحد بن قيس صدوق له أوهام »

الله من الخمسمائة مكانه وأدخل من الأربعين مكانه ، قالوا : يا رسول الله ، دُلنا على أعمالهم ، قال : يعفون عمَّن ظلمهم ، ويحسنون إلى من أساء إليهم ، ويتواسون فيما آتاهم الله ، « أخرجه أبو نعيم وتمام وابن عساكر من هذا الطريق ، وأخرجه ابن عساكر أيضاً من طريق آخر عن محمد بن الخزر ، ولفظه « كلمات بديل » وأخرجه من طريق آخر عن سعيد بن عبدوس عن عبد الله بن هارون بلفظ « كلمات أحد يدل الله من الخمسمائة مكانه وأدخل في الخمسمائة مكانه » .

طريق ثان : قال الخلال في كتاب كرامات الأولياء : ثنا أحمد بن محمد بن يوسف ثنا عبد الصمد بن علي بن مكرم ثنا محمد بن زكريا الغلابي ثنا يحيى بن بسطام ثنا محمد بن الحارث ثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يزال أربعون رجلاً يحفظ الله بهم الأرض ، كلمات رجل أبدل الله مكانه آخر ، وهم في الأرض كلها » .

وأخرج أبو نعيم في الحلية : ثنا عبد الله بن جعفر ثنا إسماعيل بن عبد الله ثنا سعيد بن أبي مریم ثنا يحيى بن أيوب عن ابن عجلان عن عياض بن عبد الله عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لكل قرن من امتي سابقون » وقال الحكيم الترمذي : حدثنا أبي ثنا محمد بن الحسن ثنا عبد الله بن المبارك ثنا ليث بن سعد عن محمد بن عجلان قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « في كل قرن من امتي سابقون » .

حديث ابن مسعود — قال أبو نعيم : ثنا محمد بن أحمد بن الحسن ثنا محمد بن السري القنطري ثنا قيس بن إبراهيم بن قيس السامري ثنا عبد الرحيم بن يحيى الأرمني ثنا عثمان بن عماره ثنا المعافى بن عمران عن سفیان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، والله في الخلق

أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ، والله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، والله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، والله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكايل عليه السلام ، والله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، فبهم يحيى ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء » قيل لعبدالله ابن مسعود : وكيف بهم يحيى ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرهم ، ويدعون على الجبابرة فيقصمون ، ويستسقون فيسقون ، ويسألون فتنت لهم الأرض ، ويدعون فيدفع بهم أنواع البلاء » أخرجه عساكر .

طريق آخر : قال الطبراني في الكبير : أخبرنا أحمد بن داود المكي حدثنا ثابت بن عياش الأحذب ثنا أبو رجاء الكلابي ثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « لا يزال أربعون رجلاً من أمتي قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، يقال لهم الأبدال ، إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة ، قالوا : يا رسول الله فيم أدركوها ؟ قال : بالسخاء والنصيحة للمسلمين » .

حديث عوف بن مالك — قال الطبراني : ثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي ثنا محمد بن المبارك الصوري ثنا عمرو بن واقد عن يزيد بن أبي مالك عن شهر بن حوشب قال : لما فتحت مصر سبوا أهل الشام ، فأخرج عوف بن مالك رأسه من برنيسه ، ثم قال : يا أهل مصر أنا عوف بن مالك ، لاتسبوا أهل الشام ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « فيهم الأبدال ، بهم تنصرون ، وبهم ترزقون » أخرجه ابن عساكر من هذا الطريق ومن طريق

هشام بن عمار عن عمرو بن واقد ، ورجال الإسناد ثقاتٌ غيره فإن الجمهور ضعفوه ،
ووثقه محمد بن مبارك الصُّورِي ، وشهر : مختلف فيه .

حديث معاذ بن جبل — قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب سنن الصوفية :
ثنا أحمد بن علي بن الحسن ثنا جعفر بن عبد الوهاب السرخسي ثنا عبيد بن آدم
عن أبيه عن أبي حمزة عن ميسرة بن عبد ربه عن المغيرة بن قيس عن شهر بن
حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مِنَ الْأَبْدَالِ الَّذِينَ بِهِمْ قَوَامُ الدُّنْيَا وَأَهْلُهَا :
الرضا بالقضاء ، والصبر عن محارم الله ، والغضب في ذات الله » أخرجه الديلمي
في مسند الفردوس .

حديث وائلة — قال ابن عساكر : قرىء علي أبي محمد بن الأَكْفَانِي
وأنا أسمع عن عبد العزيز بن أحمد أنا عبد الوهاب بن جعفر الميذاني أنا أبو الحارث
أحمد بن محمد بن عمارة بن أبي الخطاب الليثي الدمشقي ثنا أبو سهل سعيد بن الحسن
الأصبهاني ثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا هشام بن خالد الأزرق ثنا الوليد بن مسلم
حدثنا ابن جابر عن عبد الله بن عامر عن وائلة بن الأسقع قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « ستكون دِمَشْقُ في آخر الزمان أكثر المدن أهلاً ،
وأكثره أبدالاً ، وأكثره مساجد ، وأكثره زهاداً ، وأكثره مالا ورجالا ،
وأقله كفاراً ، وهي مَعْقِلٌ لأهلها » .

حديث أبي سعيد الخدري — قال البيهقي في شعب الإيمان : أنا علي بن أحمد
ابن عبدان أنا أحمد بن عبيد ثنا ابن أبي شيبة ثنا محمد بن عمران بن أبي ليلى
أنا سلمة بن رجاء — كوفي — عن صالح المري عن الحسن بن أبي سعيد الخدري
— أو غيره — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أبدال أمتي لم يدخلوا
الجنة بالأعمال [ولكن] إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور
ورحمة لجميع المسلمين » قال البيهقي : رواه عثمان الدارمي عن محمد بن عمران فقال :

عن أبي سعيد لم يقل « أو غيره » وقيل : عن صالح المري عن ثابت عن أنس .
 حديث أبي هريرة — قال ابن حبان في التاريخ : ثنا محمد بن المسيب ثنا
 عبد الرحمن بن مرزوق ثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف عن محمد بن عمرو عن
 أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لن تخلو
 الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن ، بهم تغاثون ، وبهم ترزقون ،
 وبهم تمطرون » .

طريق ثان عنه — قال الخلال : كتب إلى أحمد بن هشام بالكوفة يذكر
 أن عبد الله بن زيدان حدثهم ثنا أحمد بن حازم ثنا الحكم بن سليمان الحلبي
 ثنا سيف بن عمر عن موسى بن أبي عقيل البصرى عن ثابت البناني عن أبي هريرة
 قال : « دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ يَدْخُلُ عَلَيَّ مِنْ
 هَذَا الْبَابِ السَّاعَةَ رَجُلٌ مِنْ أَحَدِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بِهِمْ ،
 فَإِذَا حَبَشَى قَدْ طَلَعَ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ أَقْرَعٌ أَجْدَعٌ عَلَى رَأْسِهِ جِرَّةٌ مِنْ مَاءٍ ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبَا هُرَيْرَةَ هُوَ هَذَا . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : مَرْحَبًا بَيْسَارَ ، وَكَانَ يَرِشُ الْمَسْجِدَ وَيَكْنِسُهُ ، وَكَانَ غَلَامًا
 لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ » .

حديث أبي الدرداء — قال الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : ثنا عبد الرحيم
 ابن حبيب ثنا داود بن محبر عن ميسرة عن أبي عبد الله الشامي عن مكحول عن
 أبي الدرداء رضى الله عنه قال : إن الأنبياء كانوا أوتاد الأرض ، فلما انقطعت النبوة
 أبدل الله مكانهم قوماً من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الأبدال ، لم يفضلوا
 الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح ، ولكن بحسن الخلق ، وبصدق الورع ،
 وحسن النية ، وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين ، والنصيحة لله .

حديث أم سلمة — قال أبو داود في سننه : ثنا محمد بن المثني ثنا معاذ بن هشام
 حدثني أبي عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة زوج النبي

صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يكون اختلاف عند موت خليفة ، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة ، فيخرجونه وهو كاره ، فيبأيعونه بين الركن والمقام ، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبأيعونه » الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي شيبة في المصنف ، وأبو يعلى والحاكم والبيهقي ، وله طرق سمي في بعضها المبهم مجاهداً ، وفي بعضها عبد الله بن الحارث .

مرسل الحسن — قال ابن أبي الدنيا في كتاب السخاء : ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن بسام ثنا صالح المري عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاتهم ولا صيامهم ، ولكن دخلوها بسلامة الصدور وسخاوة أنفسهم » وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبد الله الحافظ عن أبي حامد أحمد بن محمد بن الحسين عن داود بن الحسين عن يحيى بن يحيى عن صالح المري به ، وأخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول : ثنا أبي ثنا عبد العزيز ابن المغيرة البصرى ثنا صالح المري عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة بجميع المسلمين » .

مرسل عطاء — قال أبو داود : ثنا محمد بن عيسى بن الطباع ثنا ابن فضيل عن أبيه عن الرجال بن سالم عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأبدال من الموالى » أخرجه الحاكم في الكنى .

مرسل بكر بن خنيس — قال ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء : حدثني عبد الرحمن بن صالح الأزدي ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن بكر بن خنيس يرفعه « علامة أبدال أمتي لا يلعنون شيئاً أبداً » .

الآثار — أنر عن الحسن : أخرج ابن عساكر عن الحسن البصرى قال : لن

تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ سَبْعِينَ صَدِيقًا ، وَهَمُّ الْأَبْدَالِ ، لَا يَهْلِكُ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ مَكَانَهُ مِثْلَهُ ، أَرْبَعُونَ بِالشَّامِ ، وَثَلَاثُونَ مِنْ سَائِرِ الْأَرْضِينَ .» .

أثر عن قتادة : أخرج ابن عساكر عن قتادة قال : لن تخلو الأرض من أربعين ، بهم يُغاثُ الناسُ ، وبهم يُنصرون ، وبهم يرزقون ، كلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه رجلاً ، قال قتادة : والله إنى لأرجو أن يكون الحسن منهم .
أثر عن خالد بن معدان : أخرج الخلال وابن عساكر عن خالد بن معدان قال : قالت الأرض : ربِّ كيف تدعني وليس على نبى ، قال : سوف أدعُ عليك أربعين صديقاً بالشام .

أثر عن شهر : أخرج ابن جرير فى تفسيره عن شهر بن حوشب قال : لن تبقى الأرض إلا وفيها أربعة عشر يدفع الله بهم عن أهل الأرض ، ويخرج بركتها ، إلا زمن إبراهيم فإنه كان وحده .

أثر عن أبى الزاهرية ومن بعده : أخرج ابن عساكر عن أبى الزاهرية قال : الأبدال ثلاثون رجلاً بالشام ، بهم يحاربون ، وبهم يرزقون ، إذا مات منهم رجل أبدل الله مكانه ، وأخرج عن الفضل بن فضالة قال : الأبدال بالشام ، فى حمص خمسة وعشرون رجلاً ، وفى دمشق ثلاثة عشر ، وبيسان اثنان ، وأخرج عن الحسن بن يحيى الخشنى قال : بدمشق من الأبدال سبعة عشر نفساً ، وبيسان أربعة .
وأخرج ابن أبى خيثمة وابن عساكر عن ابن شوذب قال : الأبدال سبعون ، فستون بالشام ، وعشرون بسائر الأرضين^(١) ، وأخرج من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه قال : الأبدال أربعون إنساناً ، قلت له : أربعون رجلاً ؟ قال : لا تقل أربعون رجلاً ، ولكن قل أربعون إنساناً ، لعل فيهم نساء .

وأخرج ابن عساكر من طريق أحمد بن أبى الحواري قال : سمعت أبا سليمان يقول : الأبدال بالشام ، والنجداء بمصر ، والعصب باليمن ، والأخيار بالعراق .

(١) مجموع ذلك ثمانون ، والأصل أنهم سبعون ١١ وانظر أول هذه الصفحة

وأخرج هو والخطيب من طريق عبيد الله بن محمد العبسي قال : سمعت الكنانى يقول : النقباء ثلاثمائة ، والنقباء سبعون ، والبلاء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعمد أربعة ، والغوث واحد ، فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النقباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سياحون فى الأرض ، والعمد فى زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة ، فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ، ثم النقباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمد ، فإن أجيبوا وإلا ابتهل الغوث ، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته .

وأخرج ابن أبى الدنيا ثنا محمد بن إدريس أبو حاتم الرازى ثنا عثمان بن مطيع ثنا سفيان بن عيينة قال : قال أبو الزناد : لما ذهبت النبوة - وكانوا أوتاد الأرض - أخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الأبدال ، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه ، وهم أوتاد الأرض ، قلوب ثلاثين منهم عل مثل يقين إبراهيم ، لم يفضلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الخلية ، ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة لجميع المسلمين ابتغاء مرضاة الله ، بصبر حلیم ، ولب رحيم ، وتواضع فى غير مذلة ، لا يلعنون أحدا ، ولا يؤذون أحدا ، ولا يتطاولون على أحدٍ تحتهم ، ولا يحقرونه ، ولا يحسدون أحدا فوقهم ، ليسوا بمتخشعين ، ولا متماوتين ، ولا معجبين ، لا يحبون الدنيا ، ولا يحبون الدنيا ، ليسوا اليوم فى وحشة ، ولا غداً فى غفلة .

وأخرج الخلال عن إبراهيم النخعى قال : ما من قرية ولا بلدة إلا يكون فيها من يدفع الله به عنهم .

وأخرج عن زاذان قال : ما خلت الأرض بعد نوح من اثني عشر فصاعدا ، يدفع الله بهم عن أهل الأرض .

وأخرج الإمام أحمد فى الزهد عن كعب قال : لم يزل من بعد نوح فى الأرض أربعة عشر يدفع الله بهم العذاب .

وأخرج أبو الحسين بن المنادي في جزء جمعه في أخبار الخضر قال : ثنا أحمد ابن ملاعب ثنا يحيى بن سعيد السعدي أخبرني أبو جعفر الكوفي عن أبي عمر النصيبي قال : خرجت أطلب مسألة من مَصْقَلَة بالشام ، وكان يقال إنه من الأبدال ، فلقيته بوادي الأردن ، فقال لي : ألا أخبرك بشيء رأيتَه اليوم في هذا الوادي ؟ فقلت : بلى ، قال : دخلت فإذا أنا بشيخ يصلي إلى شجرة ، فالتقي في روعي أنه إلياس ، فدنوت منه فسأمت عليه فردّ عليّ ، فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا إلياس النبي ، فقلت : يا نبي الله هل في الأرض اليوم من الأبدال أحد ؟ قال : نعم هم ستون رجلاً ، منهم خمسون بالشام فيما بين العريش إلى الفرات ، ومنهم ثلاثة بالمصيصة ، وواحد بأنطاكية ، وسائر العشرة في سائر أمصار العرب .

وأخرج إسحاق بن إبراهيم الختلي في كتاب الديباج له بسنده عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي عن رجل كان صرابطاً بعسقلان قال : بينا أنا أسير بالأردن ؛ إذ أنا برجل في ناحية الوادي قائم يصلي ، فوقع في قلبي أنه إلياس ، فذكر نحو ما قبله — ولفظه « قلت : فكم الأبدال ؟ قال : هم ستون رجلاً ، خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطئ الفرات ، ورجلان بالمصيصة ، ورجل بأنطاكية ، وسبعة في سائر الأمصار ، بهم تُسَقَوْنَ الغيث ، وبهم تنصرون على العدو ، وبهم يقيم الله أمر الدنيا ، حتى إذا أراد أن يهلك الدنيا أماتهم جميعاً » .

وفي كفاية المعتقد لليافعي — نفعنا الله تعالى ببركته — قال بعض العارفين : الصالحون كثير مخالطون للعوام لصالح الناس في دينهم ودنياهم ، والنجباء في العدد أقلّ منهم ، والنجباء في العدد أقلّ منهم ، وهم مخالطون للخواص ، والأبدال في العدد أقلّ منهم ، نازلون في الأمصار العظام ، لا يكون في المصر منهم إلا الواحد بعد الواحد ؛ فطوبى لأهل بلدة كان فيها اثنان منهم ، والأوتاد واحد باليمن ، وواحد بالشام ، وواحد في المشرق ، وواحد في المغرب ، والله سبحانه يدير القطب في الآفاق الأربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء ، وقد سترت أحوال

القطب — وهو الفَوْثُ — عن العامة والخاصة غَيْرَةً من الحق عليه ، غير أنه يُرَى عالماً كجاهل ، أبله كفطن ، تاركاً آخذاً ، قريباً بعيداً ، سهلاً عسيراً ، آمناً حذراً ، وكشف أحوال الأوتاد للخاصة ، وكشف أحوال البدلاء للخاصة والعارفين ، وسَتَرَ أحوال النُجباء والنقباء عن العامة خاصة ، وكشف بعضهم لبعض ، وكشف حال الصالحين للعموم والخصوص ، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، وعدة النُجباء ثلاثمائة ، والنقباء أربعون ، والبدلاء قيل ثلاثون ، وقيل أربعة عشر ، وقيل سبعة — وهو الصحيح — والأوتاد أربعة ، فإذا مات القطب جعل مكانه خيار الأربعة ، وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار السبعة ، وإذا مات أحد الأربعة جعل مكانه خيار الأربعمائة ، وإذا مات أحد الأربعمائة جعل مكانه خيار الثلاثة ، وإذا مات أحد الثلاثة جعل مكانه خيار الأربعمائة ، وإذا مات أحد الأربعمائة جعل مكانه خيار الأربعمائة ، وإذا أراد الله أن يقيم الساعة أماتهم أجمعين ، وبهم يدفع الله عن عباده البلاء ، ويُنزل قطر السماء ، انتهى .

ثم قال : وقال بعض العارفين : والقطب هو الواحد المذكور في حديث ابن مسعود أنه على قلب إسرافيل ، ومكانه من الأولياء كالنقطة في الدائرة التي هي مركزها ، به يقع صلاح العالم ، قال : وقال بعضهم : لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحداً على قلبه ، إذ لم يخلق الله في عالم الخلق والأمر أعز والطف وأشرف من قلبه صلى الله عليه وسلم ؛ فقلوب الأنبياء والملائكة والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال الشمس ، انتهى .

وأخرج القشيري في الرسالة بسنده عن بلال الخواص قال : كنت في تيسه بنى إسرائيل فإذا رجل يماشيني ، فعمجبت ، فألهمت أنه الخضر عليه السلام ، فقلت له : بحق الحق من أنت ؟ قال : أخوك الخضر ، قلت : أريد أن أسألك ، قال : سل ، قلت : ما تقول في الشافعي ؟ قال : هو من الأوتاد ، قلت : وما تقول في أحمد بن حنبل ؟ قال : رجل صديق ، قلت : ما تقول في بشر الحافي ؟ قال : لم يخلق بعده مثله ، قلت : بأي وسيلة رأيتك ؟ قال : ببركة أمك .

وأخرج الإمام أحمد في الزهد وابن أبي الدنيا وأبو نعيم والبيهقي وابن عساكر عن جليس وهب بن منبه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت : يا رسول الله ، أين بُدِّلَ أمتك ؟ فأوماً بيده نحو الشام ، فقلت : يا رسول الله أما بالعراق منهم أحد ؟ قال : بلى ، محمد بن واسع وحسان بن أبي سنان ومالك بن دينار الذي يمشى في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه .

وأخرج أبو نعيم عن داود بن يحيى بن يمان قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقلت : يا رسول الله ، من الأبدال ؟ قال : الذين لا يضربون بأيديهم شيئاً ، وإن وكيع بن الجراح منهم .

وأخرج ابن عساكر عن أبي مطيع معاوية بن يحيى أن شيخاً من أهل حمص خرج يريد المسجد وهو يرى أنه قد أصبح ، فإذا عليه ليلٌ ، فلما صار تحت القبة سمع صوت جرس الخيل على البلاط ، فإذا فوارس قد لقي بعضهم بعضاً ، قال بعضهم لبعض : من أين قدمتم ؟ قالوا : أو لم تكونوا معنا ؟ قالوا : لا ، قالوا : قدمنا من جنازة البديل خالد بن معدان ، قالوا : وقد مات ؟ ما علمنا بموته ، فن استخلفتم بعده ؟ قالوا : أرطاة بن المنذر ، فلما أصبح الشيخ حدث أصحابه ، فقالوا : ما علمنا بموت خالد بن معدان ، فلما كان نصف النهار قدم البريد بخبر موته .

وفي كفاية المعتقد لليافعي عن بعض أصحاب الشيخ عبد القادر الكيلاني قال : خرج الشيخ عبد القادر من داره ليلةً ، فناولته إبريقاً فلم يأخذه ، وقصد باب المدرسة فانفتح له الباب فخرج وخرجت خلفه ، ثم عاد الباب مُغلقاً ، ومشى إلى قرب من باب بغداد فانفتح له فخرج وخرجت معه ثم عاد الباب مغلقاً ، ومشى غير بعيد فإذا نحن في بلد لا أعرفه ، فدخل فيه مكاناً شبيهاً بالرباط ، وإذا فيه ستة نفر ، فبادروا إلى السلام عليه ، والتجأت إلى سارية هناك ، وسمعت من جانب ذلك المكان أنينا ، فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكن الأنين ، ودخل رجلٌ وذهب إلى الجهة التي سمعتُ فيها الأنين ، ثم خرج بحمل شخصاً على عاتقه ، ودخل آخر مكشوف الرأس طويل

الشارب وجلس بين يدي الشيخ ، فأخذ عليه الشيخُ الشهادتين ، وقصَّ شعر رأسه وشاربه ، وألبسه طاقية ، وسمَّاه محمداً ، وقال لأولئك النفر : قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت ، قالوا : سماعاً وطاعة ، ثم خرج الشيخُ وتركهم ، وخرجت خلفه ، ومشينا غير بعيد وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأول مرة ، ثم أتى المدرسة فانفتح له بابها ودخل داره ، فلما كان الغدُ أفسمت عليه أن يبين لي ما رأيت ، قال : أما البلد فنهاوند ، وأما الستة فهم الأبدال ، وصاحب الأئین سابعهم كان مريضاً فلما حضرته وفاته جئت أحضره ، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً فأبو العباس الخضر عليه السلام ذهب به ليتولَّى أمره ، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فرجل من أهل القسطنطينية ، كان نصرانياً وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى فأتى به فأسلم على يديَّ وهو الآن منهم .

فائدة : أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي يزيد البسطامي أنه قيل له : إنك من الأبدال السبعة الذين هم أوتاد الأرض ؟ فقال : أنا كل السبعة .

فائدة : أخرج الشيخُ نصرُ المقدسي في كتاب « الحجة » ، على تارك الحجَّة « بسنده عن أحمد بن حنبل أنه قيل له : هل لله في الأرض أبدال ؟ قال : نعم ، قيل : من هم ؟ قال : إن لم يكن أصحاب الحديث هم الأبدال فما أعرف لله أبدالاً .

وقال الحافظ محب الدين بن النجار في تاريخ بغداد : أنشدنا محمد بن ناصر السلامي أنشدنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي أنشدنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري لنفسه :

عَابَ قَوْمٌ عِلْمَ الْحَدِيثِ وَقَالُوا : هُوَ عِلْمٌ طَالِبُهُ جُهَالٌ
عَدَلُوا عَنْ مَحَجَّةِ الْعِلْمِ لَمَّا ذُقُّوا مِنْهُمْ فَهَمُّ الْعِلْمِ وَقَالُوا
إِنَّمَا الشَّرْعُ يَا أَخِي كِتَابُ اللَّهِ لَا هَوَءٌ بِهِ وَلَا إِشْكَالٌ
ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ قَاضٍ يَقْضِي إِلَيْهِ الْمَالَ
وَطَرِيقُ الْآثَارِ تَعْرِفُ بِالنَّقْلِ ، وَلِلنَّقْلِ فَاعْلَمْنَاهُ رِجَالٌ

همُّهم نَقَلَهُ وَتَقَى الَّذِي قَدْ وَضَعَتْهُ عَصَابَةُ ضَالَالٍ
 لَمْ يَنْوُوا فِيهِ جَاهِدِينَ وَلَمْ تَقْطَعُهُمْ عَنْ طِلَابِهِ الْأَشْفَالِ
 وَقَضَوْا لَذَّةَ الْحَيَاةِ اغْتِبَاطًا بِالَّذِي حَرَّرُوهُ مِنْهُ وَقَالُوا
 وَرَضُوهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِدِيلًا فَلَعَمْرِي لَنَعْمَ ذَاكَ الْبَدَالِ
 وَاقْدِ جَاءَنَا عَنِ السَّيِّدِ الْمَا جِدِ حَلْفِ الْعُلِيَاءِ فِيهِمْ مَقَالِ
 أَحْمَدِ الْمُقْتَمِيِّ إِلَى حَنْبَلٍ، أَكْرِمَ بِهِ، فِيهِ مَفْخَرٌ وَجَمَالِ
 إِنَّ أَبْدَالَ أُمَّةِ الْمُصْطَفِيِّ أَحْمَدَ حِينَ تَذَكَّرَ الْأَبْدَالَ
 فَائِدَةٌ: قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: صَارَتِ الْأَبْدَالَ أَبْدَالَ بِأَرْبَعَةٍ: قَلَّةُ الْكَلَامِ،
 وَقَلَّةُ الطَّعَامِ، وَقَلَّةُ الْمَنَامِ، وَاعْتِزَالُ الْأَنَامِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحَلِيمَةِ عَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّهُ سَثَلَ عَنِ التَّوَكُّلِ فَقَالَ:
 اضْطَرَابٌ بِلَا سَكُونٍ رَجُلٌ يَضْطَرِبُ بِجَوَارِحِهِ وَقَلْبُهُ سَاكِنٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا إِلَى
 عَمَلِهِ، وَسَكُونٌ بِلَا اضْطَرَابٍ رَجُلٌ سَاكِنٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِلَا حَرَكَةٍ، وَهَذَا عَزِيزٌ،
 وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ الْأَبْدَالِ.

وَأَخْرَجَ عَنِ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ قَالَ: مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَشْرَ مَرَّاتٍ: اللَّهُمَّ
 أَصْلِحْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ فَرِّجْ عَنِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، كَتَبَ مِنَ الْأَبْدَالِ.
 وَأَخْرَجَ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَبَاجِيِّ قَالَ: إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ تَكُونُوا أَبْدَالَ فَاحْبَبُوا
 مَا شَاءَ اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ مَا شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَنْزَلْ بِهِ مِنْ مَقَادِيرِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا أَحَبَّهُ.

فَائِدَةٌ: فِي كِتَابِ «كَفَايَةِ الْمُعْتَقِدِ» لِلْيَافِيِّ نَفَعْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ «قِيلَ: إِنَّمَا سَمِيَ
 الْأَبْدَالَ أَبْدَالَ لِأَنَّهِمْ إِذَا غَابُوا تَبَدَّلَ فِي مَكَانِهِمْ صُورٌ رُوحَانِيَّةٌ تَخْلُفُهُمْ، وَبَنَى عَلَى
 ذَلِكَ مَا حَكَى عَنِ الشَّيْخِ مَفْرَجِ الدَّمَامِيلِيِّ أَنَّهُ رَأَى بَعْضَ أَصْحَابِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ [بِعَرَفَةَ]
 وَرَأَى آخَرَ فِي مَكَانِهِ مِنْ زَاوِيَتِهِ بِدَّمَامِيلٍ لَمْ يَفَارِقْهُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا رَجَعَ
 الْحَاجُّ ذَكَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ذَلِكَ لِصَاحِبِهِ، وَتَفَارَعَا فِي ذَلِكَ، وَحَلَفَ كُلُّ
 بِالطَّلَاقِ، فَاخْتَصَمَا إِلَيْهِ، فَأَقْرَمَا وَأَبْقَى كِلَا مِنْهُمَا عَلَى الزَّوْجِيَّةِ، فَسَثَلَ عَنِ الْحِكْمَةِ

في عدم حث الاثنين مع كون صدق أحدهما يوجب حث الآخر ، فقال : الولي إذا تحقق في ولايته مُكَنَّ من التصور في صور عديدة ، وتظهر روحانيته في وقت واحد في جهات متعددة ، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة حق ، والصورة التي رآها الآخر في مكانه في ذلك الوقت حق ، وكل منهما صادق في يمينه ، ولا يلزم من ذلك وجود شخص في مكانين في وقت واحد ؛ لأن ذلك إثبات تعدد الصور الروحانية لا الجسائية ، انتهى .

وقد قررت نظير ذلك في الروح بعد الموت في باب مقر الأرواح في كتاب البرزخ قال الشمس الداودي : قال مؤلفه شيخنا رضى الله عنه وأرضاه : ألقته يوم السبت ثامن محرم سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، أحسن الله ختامها بمحمد وآله أجمعين .

تنوير الحلك ، في إمكان رؤية النبي والملك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فقد كثرت السؤال عن رؤية أرباب الأحوال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، وإن طائفة من أهل العصر ممن لا قدم لهم في العلم بالغوا في إنكار ذلك والتعجب منه ، وادَّعَوْا أنه مستحيل ، فألفت هذه الكراسة في ذلك ، وسميتها « تنوير الحلك ، في إمكان رؤية النبي والملك » وتمسكت بالحديث الصحيح الوارد في ذلك .

أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسَيْرًا بِي فِي الْيَقْظَةِ ، وَلَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي » .

وأخرج الطبراني مثله من حديث مالك بن عبد الله الخثعمي ، ومن حديث أبي بكر .

وأخرج الدرامي مثله من حديث أبي قتادة [الأنصاري] .

قال العلماء : اختلفوا في معنى قوله « فسيراني في اليقظة » فقيل : معناه فسيرانى في القيامة ، وتعقب بأنه لا فائدة في هذا التخصيص ؛ لأن كل أمته يرويه يوم القيامة مَنْ رآه منهم وَمَنْ لم يره ، وقيل : المراد مَنْ آمن به في حياته ولم يره لكونه حينئذٍ غائباً عنه ، فيكون مبشراً له أنه لا بد أن يراه في اليقظة قبل موته ، وقال قوم : هو على ظاهره ؛ فمن رآه في النوم فلا بد أن يراه في اليقظة — يعني بمعنى رأسه — وقيل : بعين في قلبه ، حكاهما القاضي أبو بكر بن العربي ، وقال الإمام أبو محمد بن أبي جَمْرَةَ في تعليقه على الأحاديث التي انتقاهما من البخاري : هذا الحديث يدل على أنه مَنْ رآه صلى الله عليه وسلم في النوم فسيراها في اليقظة ، وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته ؟ وهل ذلك لكل من رآه مطلقاً ، أو خاص بمن فيه الأهلية والاتباعُ لسنته عليه السلام ؟ اللفظ يعطى العموم ، وَمَنْ يدعى الخصوصَ فيه بغير تخصيص منه صلى الله عليه وسلم فمتعسف ، قال : وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه ، وقال على ما أعطاه عقله : وكيف يكون مَنْ قد مات يراه الحي في عالم الشاهد ؟ قال : وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران ، أحدهما عدم التصديق لقول الصادق عليه السلام الذي لا ينطق عن الهوى ، والثاني الجهل بقدرة القادر وتمجيزها كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله تعالى : (أضربوه ببعضها ، كذلك يحيي الله الموتى)^(١) وقصة إبراهيم عليه السلام في الأربع من الطير ، وقصة عَزِيرٍ ؛ فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سبباً لحياته ، وجعل دعاء إبراهيم سبباً لإحياء الطيور ، وجعل تعجب عَزِيرٍ سبباً لموته وموت حماره ثم لإحيائهما بعد مائة سنة ، قادرٌ أن يجعل رؤيته صلى الله عليه وسلم في النوم سبباً لرؤيته في اليقظة ، وقد ذكر عن بعض الصحابة — أظنه ابن عباس رضي الله عنهما — أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ،

(١) من الآية ٧٣ من سورة البقرة

فتذكر هذا الحديث ، وبقى يفكر فيه ، ثم دخل على بعض أزواج النبي — أظنها ميمونة — فقصَّ عليها قصته ، فقامت وأخرجت له مرآته صلى الله عليه وسلم ، قال رضى الله عنه : فنظرتُ في المرآة فرأيتُ صورة النبي صلى الله عليه وسلم ولم أرَ لنفسى صورة ، قال : وقد ذكر عن بعض السلف والخلف وهم جرا [عن جماعة] ممن كانوا ممن يصدقون بهذا الحديث ، فرأوه بعد ذلك في اليقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين ، فأخبرهم بتفريجها ، ونصَّ لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها ، فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص .

قال : والمنكر لهذا لا يخلو إما أن يصدق بكرامات الأولياء ، أو يكذب بها ، فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحثُ معه ، فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة ، وإن كان مصدقاً بها فهذه من ذلك القبيل ؛ لأن الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالمين العلويِّ والسفليِّ عديدة ، فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك ، انتهى كلام ابن أبي جمرة .

وقوله «إن ذلك عام وليس بخاص بمن فيه الأهلية والاتباعُ لسنته عليه السلام» مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة على الرؤية في المنام ولو مرة واحدة ، تحقيقاً لوعده الشريف الذي لا يخلف ، وأكثر ما يقع ذلك للعامَّة قبيلَ الموت عند الاحتضار ؛ فلا يخرج روحه من جسده حتى يراه وفاء بوعده ، وأما غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم إما كثيراً وإما قليلاً بحسب اجتهادهم ومحافظةهم على السنة ، والإخلالُ بالسنة مانعٌ كبير .

أخرج مسلم في صحيحه عن مطرف قال : قال لى عمران بن حصين : قد كان يُسَلِّم على حتى اُكْتُوِبَتْ فترك ، ثم تركت الكيِّ فماد .

وأخرج مسلم من وجه آخر عن مطرف قال : بعث إلى عمران بن حصين في مرضه الذي توفي [فيه] فقال : إني محدثك فإن عشت فاكتُم عني ، وإن مت

فحدث بها إن شئت ، إنه قد سُلمَ عليّ ، قال النووي في شرح مسلم : معنى الحديث الأول أن عمران بن حصين كانت به بؤاسير ، فكان يبصر على أهما ، وكانت الملائكة تُسلمُ عليه ، واكتوى وانقطع سلامهم عليه ، ثم ترك السكى فعاد سلامهم عليه .

قال : وقوله في الحديث الثاني « فإن عشت فاكنم عنى » أراد به الإخبار بالسلام عليه ؛ لأنه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته ، لما فيه من التعرض للفتنة ، بخلاف ما بعد الموت .

وقال القرطبي في شرح مسلم : يعني أن الملائكة كانت تسلمُ عليه إكراماً له واحتراماً ، إلى أن اكتوى فتركت السلام عليه ؛ ففيه إثبات كرامات الأولياء ، انتهى .

وأخرج الحاكم في المستدرک وصححه من طريق مطرف بن عبد الله عن عمران بن حصين قال : اعلم يا مطرف أنه كانت تسلمُ عليّ الملائكة ، عند رأسي وعند البيت ، وعند باب الحبرة ، فلما اكتويت ذهب ذلك ، قال : فلما برأ كلمه ، قال : اعلم يا مطرف أنه عاد إلى الذي كنت [عليه] ، أكنتم عليّ حتى أموت ، فانظر كيف حجب عمران عن سماع تسليم الملائكة لكونه ؛ اكتوى مع شدة الضرورة الداعية إلى ذلك ؛ لأن السكى خلاف السنة .

قال البيهقي في شعب الإيمان : لو كان النهي عن السكى على طريق التحريم لم يكتوى عمران مع علمه بالنهي ، غير أنه ركب المكروه ففارقه ملك كان يسلم عليه فحزن على ذلك وقال هذا القول ، ثم قد روى أنه عاد إليه قبل موته ، انتهى .

وقال ابن الأثير في النهاية : يعني أن الملائكة كانت تسلمُ عليه ، فلما اكتوى بسبب مرضه تركوا السلام عليه ؛ لأن السكى يقدر في التوكل والتسليم إلى الله والصبر على ما يبئلى به العبد وطلب الشفاء من عنده ، وليس ذلك قادحاً في جواز السكى ، ولكنه قادح في التوكل ، وهي درجة عالية وراء مباشرة الأسباب .

وأخرج ابن سعد في الطبقات عن قتادة أن الملائكة كانت تصافح عمران بن حصين حتى اكتوى فتنحت عنه .

وأخرج أبو نعيم في دلائل النبوة عن يحيى بن سعيد القَطَّان قال : ما قدم علينا البصرة من الصحابة أفضل من عمران بن حصين ، أتت عليه ثلاثون سنة تُسَلِّمُ عليه الملائكة من جوانب بيته .

وأخرج الترمذى في تاريخه وأبو نعيم والبيهقى في دلائل النبوة عن غزالة قالت : كان عمران بن حصين يأمرنا أن نكس الدار ، ونسمع « السلام عليكم ، السلام عليكم » ولا نرى أحداً ، قال الترمذى : هذا تسليم الملائكة .

وقال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في كتاب « المنقذ من الضلال » : ثم إننى لما فرغت من العلوم أقبلت بهمتى على طريق الصوفية ، والقدر الذى أذكره لينتفع به أننى علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة ، وأن سيرهم وسيرتهم أحسن السير ، وطريقهم أصوب الطرق ، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ، بل لو جمع عقل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا إليه سبيلاً ؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم فى ظواهرهم وبواطنهم مقتبسة [من نور مشكاة النبوة] وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به ، إلى أن قال : حتى إنهم وهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجاتٍ يضيق عنها نطاق النطق ، هذا كلام الغزالي .

وقال تلميذه القاضى أبو بكر بن العربى أحدُ أئمة المالكية فى كتاب « قانون التأويل » : ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للانسان طهارة النفس فى تزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخُلطة بالجنس والإقبال على الله تعالى بالسكينة علماً دائماً وعملاً مستمراً كُشِفَتْ له القلوب ، ورأى

الملائكة ، وسمع أقوالهم ، واطلع على أرواح الأنبياء ، وسمع كلامهم .
ثم قال ابن العربي من عنده : ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن
للمؤمن كرامة ، وللكافر عقوبة ، انتهى .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى : وقال ابن الحاج في
المدخل : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضيق ، وقل من يقع له ذلك
إلا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان ، بل عدت غالباً ، مع أننا
لا ننكر من يقع له هذا من الأكابر الذين حفظهم الله في ظواهرهم وبواطنهم ، قال :
وقد أنكر بعض علماء الظاهر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ، وعلل ذلك
بأن قال : العين الفانية لا ترى العين الباقية ، والنبي صلى الله عليه وسلم في دار البقاء ،
والرائي في دار الفناء ، وقد كان سيدي أبو محمد بن أبي جرة يحل هذا الإشكال ،
ويرده بأن المؤمن إذا مات يرى الله وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم
سبعين مرة ، انتهى .

وقال القاضي شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي في كتاب « توثيق
عري الإيمان » : قال البيهقي في كتاب الاعتقاد : الأنبياء بعدما قبضوا رُدَّت إليهم
أرواحهم ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج جماعة منهم ، وأخبر - وخبره صدق - أن صلاتنا معروضة عليه ، وأن سلامنا
يبلغه ، وأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء .

قال البارزي : وقد سمع من جماعة من الأولياء في زماننا وقبله أنهم رأوا النبي
صلى الله عليه وسلم في اليقظة حياً بعد وفاته ، قال : وقد ذكر ذلك الشيخ الإمام
شيخ الإسلام أبو البيان نبا بن محمد بن محفوظ الدمشقي في نظيمته ، انتهى .

وقال الشيخ أكمل الدين البابرقي الحنفي في شرح المشارق في حديث من رأى :
الاجتماع بالشخصين يقظة ومناماً لحصول ما به الاتحاد ، وله خمسة أصول كلية :
الاشتراك في الذات ، أو في صفة فصاعداً ، أو في حال فصاعداً ، أو في الأفعال ،

أوفى المراتب ، وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة ، وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل ، وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان ، وقد يكون بالعكس ، ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء .

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته ، والشيخ عفيف الدين اليافعي في روض الرياحين : قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشي : لما جاء الغلاء الكبير إلى ديار مصر توجهتُ لأن أدعو ، فقيل لي : لا تدعُ فما يسمع لأحد منكم في هذا الأمر دعاء ، فسافرت إلى الشام ، فلما وصلت إلى قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقاني الخليلُ فقلت : يا رسول الله ، اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر ، فدعاهم ، ففرج الله عنهم ، قال اليافعي : وقوله « تلقاني الخليل » قول حق لا يفكره إلا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض ، وينظرون الأنبياء أحياءاً غير أموات كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى موسى عليه السلام في الأرض ، ونظره أيضاً هو وجماعة من الأنبياء في السموات وسمع منهم مخاطبات ؛ وقد تقرر أن ما جاز للأنبياء معجزةً جاز للأولياء كرامةً بشرط عدم التحدّي ، انتهى .

وقال الشيخ سراج الدين بن الملقن في طبقات الأولياء : قال الشيخ عبد القادر الكيلاني : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الظهر ، فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت : يا أبتاه أنا رجلٌ أعجمي كيف أتكلم على فصحاء بغداد ؟ فقال : افتح فاك ، ففتحته فتفَلَّ فيه سبعمائة ، وقال : تكلم على الناس وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، فصليت الظهر ، وجلست ، وحضرتي خلق كثير فأرتج على ، فرأيت علياً قائماً بإزائي في المجلس ، فقال لي : يا بني لم لا تتكلم ؟ قلت : يا أبتاه قد أرتج على ، فقال : افتح فاك ، ففتحته فتفَلَّ فيه ستاً ، فقلت : لم لا تكلمها

سبعاً؟ قال : أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تواري عنى ، فقلت : غواصُ
الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر ،
فينادى عليها ترجان اللسان ، فتشتري بنفائس أمان حسن الطاعة في بيوتِ أذن الله
أن ترفع .

وقال أيضاً في ترجمة الشيخ خليفة بن موسى النهروانى : كان كثيرَ الرؤيةِ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقظةً ومناماً ، فكان يقال : إن أكثر أفعاله مُتَلَقَّاةٌ
منه بأمر منه إما يقظةً وإما مناماً ، وراه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة قال له في
إحداهن : يا خليفة لا تضجر منى ، كثيراً من الأولياء مات بحسرة رؤيتى .

وقال الكحل الأذفوى في «الطامع السعيد» في ترجمة الصفي أبي عبد الله محمد بن
يحيى الأسوانى زيل أخميم من أصحاب أبي يحيى بن شافع : كان مشهوراً بالصلاح ،
وله مكاشفات وكرامات ، كتب عنه ابن دقيق العيد وابن النعمان والقطب العسقلانى ،
وكان يذكر أنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم ويتمتع به .

وقال الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى في كتابه الوحيد : من أصحاب الشيخ
أبي يحيى أبو عبد الله الأسوانى المقيم بأخميم ، كان يخبر أنه يرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في كل ساعة حتى لا تنكاد ساعة إلا ويخبر عنه ، وقال في الوحيد أيضاً :
كان للشيخ أبي العباس المرسى وَضَلَّةٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، إذا سلم على النبي
صلى الله عليه وسلم ردَّ عليه السلام ، ويجاوبه إذا تحدَّث معه .

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في «لطائف المنن» : قال رجل للشيخ
أبي العباس المرسى : ياسيدى صافحنى بكفك هذه فإنك لقيت رجلاً وبلاداً ، فقال :
والله ما صافحتُ بكفى هذه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقال الشيخ :
لو حُجِبَ عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عدت نفسى
من المسلمين .

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في رسالته ، والشيخ عبد الغفار في

الوحيد : حكى عن الشيخ أبى الحسن الونانى قال : أخبرنى الشيخ أبو العباس الطنجى قال : وَرَدْتُ عَلَى سَيْدَى أَحْمَدَ بْنِ الرَّفَاعَى ، فَقَالَ لى : مَا أَنَا شَيْخُكَ ، شَيْخُكَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بَقْنَا ، فَسَافَرْتُ إِلَى قَنَا ، فَدَخَلْتُ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، فَقَالَ لى : عَرَفْتَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : رُحْ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ [حَتَّى تَعْرِفَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ] فَحِينَ وَضَعْتَ رِجْلَى وَإِذَا بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ وَالسُّكْرَسَى مَمْلُوءَةً مِنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فَرَجَعْتُ إِلَى الشَّيْخِ ، فَقَالَ لى : عَرَفْتَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : الْآنَ كَمَلْتَ طَرِيقَتَكَ ، لَمْ تَكُنِ الْأَقْطَابَ أَقْطَابًا وَالْأَوْتَادَ أَوْتَادًا وَالْأَوْلِيَاءَ أَوْلِيَاءَ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وَقَالَ فى الْوَحِيدِ : وَمَنْ رَأَيْتَهُ بِمَكَّةَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الدَّلَاصَى ، أَخْبَرَنى أَنَّهُ لَمْ تَصِحَّ لَهُ صَلَاةٌ فى عَمْرِهِ إِلَّا صَلَاةً وَاحِدَةً ، قَالَ : وَذَلِكَ أَنى كُنْتُ بِالمَسْجِدِ الحَرَامِ فى صَلَاةِ الصُّبْحِ ؛ فَلَمَّا أَحْرَمَ الْإِمَامُ وَأَحْرَمْتُ أَخَذْتَنى أَخْذَةً فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَصَلَّى إِمَامًا وَخَلْفَهُ الْعَشْرَةَ ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُمْ ، وَكَانَ ذَلكَ فى سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِمَاةً ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فى الرُّكْعَةِ الْأُولَى سُورَةَ المَدْثَرِ ، وَفى الثَّانِيَةِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، فَلَمَّا سَلَّمَ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِينَ ، غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ ، لَا طَمَعًا فى بَرَكٍ وَلَا رَغْبَةً فى مَا عِنْدَكَ ؛ لِأَنَّ لَكَ المِنَّةَ عَلَيْنَا بِإِيجَادِنَا قَبْلَ أَنْ لَمْ نَكُنْ ، فَلَكَ المَحْدُ عَلَى ذَلكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، فَلَمَّا فَرَّغَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، سَلَّمَ الْإِمَامُ ، فَعَقَلْتُ تَسْلِيمَهُ ، فَسَلَّمْتُ .

وقال الشيخ صفى الدين فى رسالته : قال لى الشيخ أبو العباس الحرار : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم مرة فوجدته يكتب مناشير الأولياء بالولاية ، وكتب لأخى محمد منهم منشوراً .

قال : وكان أخو الشيخ كبيراً فى الولاية ، كان على وجهه نور لا يخفى على أحد أنه ولى ، فسألنا الشيخ عن ذلك ، فقال : نفخ النبي صلى الله عليه وسلم فى وجهه فأثرت النفخة هذا النور .

قال الشيخ صفی الدین : ورأيت الشيخ الجليل الكبير أبا عبد الله القرطبي أجل أصحاب الشيخ القرشي ، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية ، وكان له بالنبي صلى الله عليه وسلم وُصلة وأجوبة وردت للسلام ، حمَّله رسولُ الله صلى الله عليه وسلم رسالة للملك الكامل ، وتوجَّه بها إلى مصر ، وأدَّأها ، وعاد إلى المدينة .

قال : وممن رأيت بمصر الشيخ أبا العباس المسقلاني أخص أصحاب الشيخ القرشي زاهد مصر في وقته ، وكان أكثر أوقاته في آخر عمره بمكة ، يقال : إنه دخل مرة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أخذَ الله بيدك يا أحمد .

وحكى عن بعض الأولياء أنه حضر مجلس فقيه ، فروى ذلك الفقيه حديثاً ، فقال له الولي : هذا الحديث باطل ، فقال الفقيه : ومن أين لك هذا ؟ فقال : هذا النبي صلى الله عليه وسلم واقف على رأسك يقول : إني لم أقل هذا الحديث ، وكُشِفَ للفقير فرآه .

وفي كتاب المنح الإلهية في مناقب السادة الوفاية لابن فارس قال : سمعت سيدي علياً رضي الله عنه يقول : كنت وأنا ابنُ خمس سنين أقرأ القرآن على رجل يقال له الشيخ يعقوب ، فأتيته يوماً ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً وعليه قميص أبيض قطن ، ثم رأيت القميص على ، فقال لي : اقرأ ، فقرأت عليه سورة والضحي وألم نشرح ، ثم غاب عني ، فلما أن بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمتُ لصلاة الصبح بالقرافة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قبالة وجهي ، فماتني ، وقال لي : وأما بنعمة ربك فحدث ، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت ، انتهى .

وفي بعض الجاميع : حجَّ سيدي أحمد الرفاعي ، فلما وقف تجاه الحجرة الشريفة أنشد :

في حالة البعد رُوحِي كُنتُ أُرْسِلُهَا تُقْبَلُ الأَرْضَ عَنِّي وَهِيَ نَائِبَتِي

وهذه دَوَاةُ الأشباح قد حَضَرَتْ فامدُّدْ يَمِينَكَ كي تحظى بها شفقتي
فخرجت اليَدُ الشريفة من القبر الشريف فقبلها .

وفي معجم الشيخ برهان الدين البقاعي قال : حدثني الإمام أبو الفضل بن
أبي الفضل النويري أن السيد نور الدين الأيجي والد الشريف عفيف الدين لما
ورد إلى الروضة الشريفة وقال : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ،
سمع مَنْ كان بحضرتة قائلاً من القبر يقول : وعليك السلام يا ولدي .
وقال الحافظ محبُّ الدين بن النجار في تاريخه : أخبرني أبو أحمد داود بن
علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة أنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النعمور ،
قال : حكى شيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعد الصوفي
الكرخي قال : حَجَجْتُ وَزُرْتُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فبينما أنا جالس عند
الحجرة إذ دخل الشيخُ أبو بكر الديار بكرى ووقف بإزاء وجه النبي عليه الصلاة
والسلام ، وقال : السلام عليك يا رسول الله ، فسمعت صوتاً من داخل الحجرة :
وعليك السلام يا أبا بكر ، وسمعه مَنْ حَضَرَ .

وفي كتاب « مصباح الظلام ، في المستغيثين بخير الأنام » للإمام شمس الدين
محمد بن موسى بن النعمان قال : سمعت يوسف بن علي الزناتي يحكي عن امرأة
هاشمية كانت مجاورة بالمدينة ، وكان بعض الخدام يؤذيها ، قالت : فاستغثتُ
بالنبي عليه الصلاة والسلام ، فسمت قائلاً من الروضة يقول : أمالك في أسوة ؟
فاضبري كما صبرتُ - أو نحو هذا - قالت : فزال عني ما كنت فيه ، ومات الخدام
الثلاثة الذين كانوا يؤذونني .

وقال ابن السمعاني في الدلائل : أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفرج أخبرنا
أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف الخطيب أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن
عمر بن تميم المؤدب حدثنا علي بن إبراهيم بن علان أخبرنا علي بن محمد بن علي
حدثنا أحمد بن الهيثم الطائي حدثني أبي عن أبيه عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قدم علينا أعرابي بعد ما دفننا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرمى بنفسه على قبر النبي عليه الصلاة والسلام وحثاً من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ، قلتَ فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله فأوعينا عنك ، وكان فيما أنزل الله عليك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً)^(١) ، وقد ظلمت نفسي وجنتك تستغفر لي ، فنودي من القبر : إنه قد غفر لك .

ثم رأيت في كتاب « مزيل الشبهات ، في إثبات الكرامات » للإمام عماد الدين إسماعيل بن هبة الله بن باطيس ما نصه :

ومن الدليل على إثبات الكرامات آثار منقولة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم ؛ منهم الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قال لعائشة رضي الله عنها : إنما هما أخواك وأختاك ، قالت : هذان أخواي محمد وعبد الرحمن ، فمن أختاي وليس لي إلا أسماء ؟ فقال : ذو بطن ابنة خارجة ، قد أتى في روعي أنها جارية ، فولدت أم كلثوم .

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قصة سارية ، حيث نادى - وهو في الخطبة - يا سارية الجبل الجبل ، فأسمع الله سارية كلامه وهو بنهاؤند ، وقصته مع نيل مصر ومراسلته إياه وجر يانه بعد انقطاعه .

ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قال عبد الله بن سلام : ثم أتيت عثمان لأسلم عليه - وهو محصور - فقال : مرحباً بأخي ، رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخوخة ، فقال : يا عثمان حَصْرُوك ؟ قلت : نعم ، قال : عطشوك ؟ قلت : نعم ، فأذلي لي دلوأ فيه ماء فشربت حتى رويتُ حتى إنني لأجد برده بين يدي وبين كتفي ، فقال : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا ، فاخترت أن أفطر عنده ، فقتل ذلك اليوم ، انتهى .

(١) من الآية ٦٤ من سورة النساء

وهذه القصة مشهورة عن عثمان ، مُخْرَجَةٌ في كتب الحديث بالإسناد ، أخرجها الحارث بن أبي أسامة في مسنده وغيره ، وقد فهم المصنف منها أنها رؤية يقظة ، وإن لم يصلح عدّها في الكرامات ؛ لأن رؤية المنام يستوى فيها كل أحد ، وليست من الخوارق الممدودة في الكرامات ، ولا ينكرها من ينكر كرامات الأولياء .

ومما ذكره ابن باطيس في هذا الكتاب قال : ومنهم أبو الحسين محمد بن سمعون البغدادي الصوفي ، قال أبو طاهر محمد بن علي العلان : حضرت أبا الحسين بن سمعون يوماً في مجلس الوعظ وهو جالس على كرسیه يتكلم ، فكان أبو الفتح القواس جالساً إلى جنب الكرسي ، فغشيه النعاسُ ونام ، فأمسك أبو الحسين ساعة عن الكلام حتى استيقظ أبو الفتح ورفع رأسه ، فقال له أبو الحسين : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في نَوْمِكَ ؟ قال : نعم ، قال أبو الحسين : لذلك أمسكت عن الكلام خوف أن تنزعج وينقطع ما كنت فيه ؛ فهذا يُشعرُ بأن ابن سمعون رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لما حضرَ وراه أبو الفتح في نومه .

وقال أبو بكر بن أبيض في جزئه : سمعت أبا الحسن بنانا الجمال الزاهد يقول : حدثني بعض أصحابنا قال : كان بمكة رجل يعرف بابن ثابت قد خرج من مكة إلى المدينة ستين سنة ليس إلا للسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرجع ، فلما كان في بعض السنين تخلف لشغل أو سبب ، فقال : فبينما هو قاعد في الحجره بين النائم واليقظان إذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : يا ابن ثابت ، لم ترزُناً فزرناك .

تنبيهات

الأول : أكثر ما تقع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة بالقلب ، ثم يترقى إلى أن يرى بالبصر ، وقد تقدّم الأمران في كلام القاضي أبي بكر بن العربي ، لكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض ،

(٢٩ - الحاوي ٢)

وإنما هي جمعية حالية ، وحالة برزخية ، وأمر وجداني ، لا يدرك حقيقته إلا من باشره ، وقد تقدم^(١) عن الشيخ عبد الله الدلاصي : « فلما أحرّم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » فأشار بقوله « أخذة » إلى هذه الحالة .

الثاني : هل الرؤية لذات المصطفى صلى الله عليه وسلم بجسمه وروحه ، أو لمثاله ؟ الذين رأيتهم من أرباب الأحوال يقولون بالثاني ، وبه صرح الغزالي ، فقال : ليس المراد أنه يرى جسمه وبدنه ، بل مثاله ، صار ذلك المثال آلة يتأدّى بها المعنى الذي في نفسه .

قال : والآلة تارة تكون حقيقية ، وتارة تكون خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل ، فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شخصه ، بل هو مثال له على التحقيق .

قال : ومثل ذلك من يرى الله تعالى في المنام ، فإن ذاته منزهة عن الشكل والصورة ، ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس ، من نور أو غيره ، ويكون ذلك المثال حقاً في كونه واسطة في التعريف ، فيقول الرائي : رأيت الله سبحانه وتعالى في المنام ، لا يعني أني رأيت ذات الله كما تقول في حق غيره ، انتهى .
وفصل القاضي أبو بكر بن العربي فقال : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ، ورؤيته على غير صفته إدراك للمثال ، وهذا الذي قاله في غاية الحسن ، ولا يمتنع رؤية ذاته الشريفة بجسده وروحه ، وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء - أحياء رُدّت إليهم أرواحهم بعد ما قبضوا ، وأذن لهم بالخروج من قبورهم والتصرف في الملكوت العلوي والسفلي .

وقد ألف البيهقي جزءاً في حياة الأنبياء ، وقال في « دلائل النبوة » : الأنبياء أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقال في كتاب الاعتقاد : الأنبياء بعد ما قبضوا ردت

(١) انظر القصة في ص ٤٤٥

إليهم أرواحهم ؛ فهم أحياء عند ربهم كالشهداء .

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي : قال المتكلمون المحققون من أصحابنا : إن نبينا صلى الله عليه وسلم حي بعد وفاته ، وإنه يبشر بطاعات أمته ، ويحزن بمعاصي العصاة منهم ، وإنه تبلغه صلاة مَنْ يصلي عليه من أمته ، وقال : إن الأنبياء لا يبلمون ، ولا تأكل الأرض منهم شيئا ، وقد مات موسى في زمانه فأخبر نبينا صلى الله عليه وسلم أنه رآه في قبره مصليا ، وذكر في حديث المعراج أنه رآه في السماء الرابعة ، ورأى آدم وإبراهيم ، وإذا صح لنا هذا الأصل قلنا : نبينا صلى الله عليه وسلم قد صار حيا بعد وفاته ، وهو على نبوته ، انتهى .

وقال القرطبي في التذكرة في حديث الصفة نقلا عن شيخه : الموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى ، وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، ورأى موسى قائما يصلي في قبره ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أنه يرد السلام على كل مَنْ يسلم عليه ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيبوا عنا بحيث لا ندرهم ، وإن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يراهم أحد من نوعنا إلا مَنْ خصه الله تعالى بكرامته ، انتهى .

وأخرج أبو يعلى في مسنده والبيهقي في كتاب حياة الأنبياء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون » .

وأخرج البيهقي عن أنس عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور » .

وروى سفیان الثوري في الجامع قال : قال شيخ لنا عن سعيد بن المسيب قال : ما مكث نبي في قبره أكثر من أربعين ليلة حتى يرفع ، قال البيهقي : فعلى هذا يصيرون كسائر الأحياء يكونون حيث ينزلهم الله تعالى .

وروى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري عن أبي المقدم عن سعيد بن المسيب قال : ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً ، وأبو المقدم هو ثابت بن هرمز [الكوفي] شيخ صالح .

وأخرج ابن حبان في تاريخه ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية عن أس قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « ما من نبي يموت في قبره إلا أربعين صباحاً » .

وقال إمام الحرمين في النهاية ثم الرافي في الشرح : روى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال : « أنا أكرم على ربِّي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث - زاد إمام الحرمين « وروى أكثر من يومين » - وذكر أبو الحسن بن الزاغوني الحنبلي في بعض كتبه حديثاً « إن الله لا يترك نبياً في قبره أكثر من نصف يوم » .

وقال الإمام بدر الدين بن الصاحب في تذكرته : فصل في حياته عليه الصلاة والسلام بعد موته في البرزخ ، وقد دلَّ على ذلك تصريح الشارع وإمناؤه ومن القرآن قوله تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون)^(١) فهذه الحالة - وهي الحياة في البرزخ بعد الموت - حاصلة لأحد الأمة من الشهداء ، وحالهم أعلى وأفضل ممن لم تكن له هذه الرتبة لاسيما في البرزخ ، ولا تكون رتبة أحد من الأمة أعلى من رتبة النبي عليه الصلاة والسلام ، بل إنما حصل لهم هذه الرتبة بتزكيتهم وتبعيتهم ، وأيضاً فإنما استحقوا هذه الرتبة بالشهادة ، والشهادة حاصلة لرسول الله عليه الصلاة والسلام على أتم الوجوه ، وقال عليه الصلاة والسلام : « مرَّرتُ على موسى ليلة أسرى بي عند الكئيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره »

(١) من الآية ١٦٩ من سورة آل عمران

وهذا صريح في إثبات الحياة لموسى ، فإنه وَصَفَهُ بالصلاة ، وأنه كان قائماً ، ومثل هذا لا يوصف به الروح ، وإنما وصف به الجسد ، وفي تخصيصه بالقبر دليل على هذا ؛ فإنه لو كان من أوصاف الروح لم يحتاج لتخصيصه بالقبر ؛ فإن أحداً لم يقل إن أرواح الأنبياء مسجونة في القبر مع الأجساد ، وأرواح الشهداء أو المؤمنين في الجنة .

وفي حديث ابن عباس « سِرْنَا مع رسول الله عليه الصلاة والسلام بين مكة والمدينة ، فمررنا بوادٍ ، فقال : أى وادٍ هذا ؟ فقالوا : وادى الأزرق ، فقال : كأنى أنظر إلى موسى واضعاً أصبعيه في أذنيه له جُوار إلى الله بالتلبية ، ماراً بهذا الوادى ، ثم سرنا حتى أتينا على نَذِيَّة قال : كأنى أنظر إلى يونس على ناقة حمراء عليه جبة صوف ، ماراً بهذا الوادى مُلَبِّياً » سئل هنا كيف ذكر حجهم وتلبيتهم وهم أموات وهم في الأخرى وليست دار عمل ؟ وأجيب بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ، فلا يبعد أن يحجوا وبصلوا ويتقربوا بما استطاعوا ، وأنهم وإن كانوا في الأخرى ، فإنهم في هذه الدنيا التى هى دار العمل ، حتى إذا فنيت مدتها واعتقبتها الأخرى التى هى دار الجزاء انقطع العمل ، هذا لفظ القاضى عياض ، فإذا كان القاضى عياض يقول : إنهم يحجون بأجسادهم ، ويفارتون قبورهم ، فكيف يستنكر مفارقة النبي عليه الصلاة والسلام لقبره ؟ فإن النبي عليه الصلاة والسلام إذا كان حاجاً وإذا كان مصلياً فجسده في السماء ، وليس مدفوناً في القبر ؟ انتهى .

فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى يجسده وروحه ، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الممالك ، وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء ، وأنه مُغَيَّبٌ عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم ، فإذا أراد الله رفع الحجاب عن أحد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التى هو عليها ، لا مانع من ذلك ، ولا داعى إلى التخصيص برؤية المثال .

الثالث : سئل بعضهم كيف يراه الرامون المتعددون في أقطار متباعدة ؟ فأشدهم :

كالشمس في كبدِ السماء وضوؤها يَفْشَى البلادَ مشارقا ومغاربا

وفي مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن بعض تلامذته ، قال : حججت فلما كنت في الطواف رأيت الشيخ تاج الدين في الطواف ، فنويت أن أسلم عليه إذا فرغ من طوافه ، فلما فرغ من الطواف جئت فلم أره ، ثم رأيت في عرفة كذلك ، وفي سائر المشاهد كذلك ، فلما رجعت إلى القاهرة سألت عن الشيخ ، فقيل لي : طيب ، فقلت : هل سافر؟ قالوا : لا ، فجئت إلى الشيخ وسألت عليه ، فقال لي : مَنْ رأيت؟ فقلت : ياسيدي رأيتك ، فقال : يافلان ، الرجل الكبير يملاً الكون ، لو دعى القطبُ من جُحْرٍ لأجاب ، فإذا كان القطبُ يملاً الكون فسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم من باب أولى ، وقد تقدّم عن الشيخ أبي العباس الطنجي أنه قال^(١) : وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرابع : قال قائل : يلزم على هذا أن تثبت الصحبة لمن رآه ، والجواب أن ذلك ليس بلازم ، أما إن قلنا بأن المرئي المثل فواضح ؛ لأن الصحبة إنما تثبت بروؤية ذاته الشريفة جسداً وروحاً ، وإن قلنا « المرئي الذات » فشرط الصحبة أن يراه وهو في عالم الملك ، وهذه رؤية وهو في عالم الملكوت ، وهذه الرؤية لا تُثَبِّتُ صحبته ، ويؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ، ولم تثبت الصحبة للجميع ؛ لأنها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبته .

خاتمة : أخرج أحمد في مسنده والخراطي في مكارم الأخلاق من طريق أبي العالية عن رجل من الأنصار قال : خرجتُ من أهلي أريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا به قائم ورجل معه مقبل عليه ، فظننت أن لها حاجة ، قال الأنصاري : لقد قام رسول الله عليه الصلاة والسلام حتى جعلت أرتي له من طول القيام ، فلما انصرف قلت : يا رسول الله لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرتي لك من طول

(١) انظر هذه القصة في ص ٤٤٥ .

القيام ، قال : ولقد رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : أتدرى مَنْ هو ؟ قلت : لا ، قال :
ذاك جبريل مازال يوصيني بالجارحتى ظننت أنه سيُورثه ، ثم قال : أما إنك لو سلمت
ردّ عليك السلام .

وأخرج أبو موسى المديني في المعرفة عن تميم بن سلمة قال : بينا أنا
عند رسول الله عليه الصلاة والسلام إذ انصرفت من عنده رجل ، فنظرت
إليه مؤلياً معتماً بعمامة قد أرسلها من ورائه ، قلت : يا رسول الله مَنْ هذا ؟ قال :
هذا جبريل .

وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الدلائل عن حارثة بن النعمان قال : مررت
على رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه جبريل ، فسلمت عليه ومررت ، فلما رجعنا
وانصرف النبي عليه الصلاة والسلام قال : هل رأيت الذي كان معي ؟ قلت : نعم ،
قال : فإنه جبريل ، وقد ردّ عليك السلام .

وأخرج ابن سعد عن حارثة قال : رأيت جبريل من الدهر مرتين .
وأخرج أحمد والبيهقي عن ابن عباس قال : كنت مع أبي عند رسول الله
عليه الصلاة والسلام وعنده رجل يناجيه ، فكان كالمعرض عن أبي ، فخرجنا فقال
لي أبي : يا بني ألم تر إلى ابن عمك كالمعرض عني ؟ قلت : يا أبت إنه كان عنده
رجل يناجيه ، فرجع فقال : يا رسول الله قلت لعبد الله كذا وكذا فقال : إنه كان
عندك رجل يناجيك ، فهل كان عندك أحد ؟ قال : وهل رأيتهُ يا عبد الله ؟
قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل ، هو الذي يشغلني عنك .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : رأيت جبريل مرتين .
وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال : عاد رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلاً
من الأنصار ، فلما دنا من منزله سمعه يتكلم في الداخل ، فلما دخل لم ير أحداً ، فقال
رسول الله عليه الصلاة والسلام : مَنْ كنت تكلم ؟ قال : يا رسول الله دخل عليّ
داخل ما رأيت رجلاً قط بعدك أكرم مجلساً ولا أحسن حديثاً منه ، قال : ذاك

جبریل ، وإن منکم لرجالاً لو أن أحدهم یقسم علی الله لأبره .
وأخرج أبو بکر بن أبی داود فی کتاب المصاحف عن أبی جعفر قال : کان
أبو بکر یسمع مناجاة جبریل للنبی علیه الصلاة والسلام .

وأخرج محمد بن نصر المروزی فی کتاب الصلاة عن حذیفة بن الیمان أنه أتى
النبی علیه الصلاة والسلام ، فقال له : بیننا أنا أصلى إذ سمعت متکلما یقول : اللهم
لک الحمد کله ، ولک الملك کله ، ویدک الخیر کله ، وإلیک یرجع الأمر کله ، علانیته
وسرّه ، أهل أن تُحمدَ ؛ إنک علی کل شیء قدير ، اللهم اغفر لی جمیع ما مضی
من ذنوبی ، واعصمینی فیما بقی من عمری ، وارزقنی عملاً زاکیاً ترضی به
عنی ، فقال رسول الله علیه الصلاة والسلام : ذاک ملک أتاک یعلمک تحمید ربک .

وأخرج محمد بن نصر عن أبی هريرة قال : بیننا أنا أصلى إذ سمعت متکلما
یقول : اللهم لک الحمد کله ، قال : فذکر الحدیث نحوه .

وأخرج ابن أبی الدنيا فی کتاب الذکر عن أنس بن مالک قال : قال أبی بن
کعب : لأدخلن المسجد فلاصلین ولأحمدن الله بحماد لم یحمده بها أحد ، فلما
صَلَّی وجلس لیحمد الله ویثنی علیه إذا هو بصوت عالٍ من خلف یقول : اللهم لک
الحمد کله ، ولک الملك کله ، ویدک الخیر کله ، وإلیک یرجع الأمر کله ، علانیته
وسرّه ، لک الحمد إنک علی کل شیء قدير [اللهم] اغفر لی ما مضی من ذنوبی ،
واعصمینی فیما بقی من عمری ، وارزقنی أعمالاً زاکیة ترضی بها عنی ، وتُبْ عَلَیَّ ،
فأتی رسول الله صلی الله علیه وسلم فقص علیه ، فقال : ذاک جبریل .

وأخرج الطبرانی والبیهقی عن محمد بن مسلمة قال : مررت علی رسول الله
صلی الله علیه وسلم واضعاً خدّه علی خدّ رجل ، فلم أسلم ، ثم رجعت فقال لی :
ما منعک أن تسلم ؟ قلت : یا رسول الله رأیتک فعلت بهذا الرجل شیئاً ما فعلته
بأحدٍ من الناس ، فکرهت أن أقطع علیک حدیثک ، فمن کان یا رسول الله ؟
قال : جبریل .

وأخرج الحاكم عن عائشة قالت : رأيت جبريل واقفا في حجرتي هذه ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناجيه ، فقلت : يا رسول الله من هذا ؟ قال : بمن
شبهته ؟ قلت : بِدِحْيَةَ ، قال : لقد رأيت جبريل .

وأخرج البيهقي عن حذيفة قال : صَلَّى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم خرج فتبعته فإذا عارضٌ قد عرض له ، فقال لي : يا حذيفة هل رأيت العارض
الذي عرض لي ؟ قلت : نعم ، قال : ذاك ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض
قبلها ، استأذن ربه فسلم عليّ وبشرني بالحسن والحسين أنهما سيذا شباب أهل الجنة ،
وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة .

وأخرج أحمد والبخاري تعليقا ومسلم والنسائي وأبو نعيم والبيهقي كلاهما
في دلائل النبوة عن أسيد بن حضير أنه بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة
وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت فسكت
فسكنت ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هي بمثل الظلّة فيها أمثال المصابيح عرجت
إلى السماء حتى ما يراها ، فلما أصبح حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ،
فقال : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت تنظر الناس إليها
لا تتواري منهم .

وأخرج الواقدي^(١) وابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : رأيت يوم
بدر رجلين ، عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما ، وعن يساره أحدهما ،
يقاتلان أشد القتال ، ثم ثلثهما ثالث من خلفه ، ثم ربعهما رابع أمامه .

وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده وابن جرير في تفسيره وأبو نعيم والبيهقي
كلاهما في دلائل النبوة عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه أنه قال بعد ما عمي :
لو كنت معكم ببدر الآن ومعى بصرى لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه
الملائكة ، لا أشك ولا أتمارى .

(١) في بعض النسخ الواحدى بدل « الواقدي » .

وأخرج البيهقي عن أبي بريدة بن نيار قال : جئت يوم بدر بثلاثة رهوس ، فوضعتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله أما رأسان فقتلتهما ، وأما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه فأخذت رأسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك فلان من الملائكة .

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال : كان الملك يتصور في صورة من تعرفون من الناس يثبتونهم فيقول : إني دنوت منهم فسمعتهم يقولون : لو حملوا علينا ما ثبتنا ، ليسوا بشيء ، فذلك قوله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا)^(١) .

وأخرج أحمد وابن سعد وابن جرير وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : كان الذي أسرت العباس أبو اليسر كعب بن عمرو ، وكان أبو اليسر رجلا جموعا ، وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا اليسر كيف أسرت العباس ؟ فقال : يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيت قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم .

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عمار بن أبي عمار أن حمزة بن عبد المطلب قال : يا رسول الله أرني جبريل في صورته ، قال : أقعد ، فقعد ، فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : ارفع طرفك [فانظر ، فرفع طرفه] فرأى قدميه مثل الزبرجد الأخضر .

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب القبور والطبراني في الأوسط عن ابن عمر قال : بينما أنا أسير بجنابت بدر إذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة ، فناداني : يا عبد الله اسقني ، وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني : يا عبد الله لا تسقه فإنه كافر ، ثم ضربه بالسوط حتى عاد إلى حفرة ، فأتيت

(١) من الآية ١٢ من سورة الأنفال

النبي عليه الصلاة والسلام فأخبرته ، فقال لى : أو قد رأيتَه ؟ قلت : نعم ، قال :
ذاك عدوُّ الله أبو جهل ، وذاك عذابه إلى يوم القيامة .
محل الاستدلال رؤيته الرجل الذى خرج عقبه وضر به بالسوط ؛ فإنه الملاك
الموكل بتعذيبه .

وأخرج ابن أبي الدنيا والطبرانى وابن عساكر من طريق عمرو بن رؤيم
عن العرياض بن سارية الصحابى رضى الله عنه أنه كان يحبُّ أن يقبض ، فكان
يدعو : اللهم كبرتُ سنى ووهنَ عظمى فاقبضنى إليك ، قال : فبينما أنا يوماً فى مسجد
دمشق وأنا أصلى وأدعو أن أقبضَ إذا أنا بفتى شاب من أجمل الرجال وعليه دُواج
أخضر ، فقال : ما هذا الذى تدعو به ؟ قلت : وكيف أدعو ؟ قال : قل اللهم
حسن العمل ، وبلغ الأجل ، قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رتابيل الذى
يسألُ الحزن من صدور المؤمنين ، ثم التفتُ فلم أر أحداً .

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن سعيد بن سنان قال : أتيت بيت المقدس
أريد الصلاة ، فدخلت المسجد ، فبينما أنا على ذلك إذ سمعت حفيفاً له جناحان
قد أقبل ، وهو يقول : سبحان الدائم القائم ، سبحان الحى القيوم ، سبحان الملك
القدوس ، سبحان ربِّ الملائكة والروح ، سبحان الله وبحمده ، سبحان العلىّ
الأعلى ، سبحانه وتعالى ، ثم أقبل حفيفٌ يتلود يقول مثل ذلك ، ثم أقبل حفيف
بعد حفيف يتجاوبون بها حتى امتلأ المسجد ، فإذا بعضهم قريب منى ، فقال :
آدميُّ ؟ قلت : نعم ، قال : لا رَوْعَ عليك ، هذه الملائكة .

تذنيب : ومما يمكن أن يدخل هنا ما أخرجه أبو داود من طريق أبي عمير بن
أنس عن عمومة له من الأنصار أن عبد الله بن زيد قال : يا رسول الله إني كَبِينُ
نَائِمٍ وَيَقْظَانِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الْأَذَانَ ، وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل
ذلك فكتمه عشرين يوماً .

وفى كتاب الصلاة لأبي نعيم الفضل بن دُكين أن عبد الله بن زيد قال :

لولا اتهمى لنفسى لقلت إني لم أكن نائماً .

وفي سنن أبي داود من طريق ابن أبي ليلى : جاء رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله رأيت رجلاً كأن عاياه ثوبين أخضرين فأذن ، ثم قعد قعدة ، ثم قام فقال مثلها ، إلا أنه يقول : قد قامت الصلاة ، ولولا أن يقول الناس لقلت : إني كنت يَظُنّاً غير نائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أراك الله خيراً . قال الشيخ ولي الدين العراقي في شرح سنن أبي داود : قوله « إني لَبَيِّنٌ نَائِمٌ وَيَقْظَانٌ » مشكل ؛ لأن الحال لا يخلو عن نوم أو يقظة ، فكان مراده أن نومه كان خفيفاً قريباً من اليقظة ؛ فصار كأنه درجة متوسطة بين النوم واليقظة .

قلت : أظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعترى أرباب الأحوال ، ويُشاهدون فيها ما يشاهدون ، ويسمعون ما يسمعون ، والصحابة رضي الله عنهم هم رؤوس أرباب الأحوال .

وقد ورد في عدة أحاديث أن أبا بكر وعمر وبلالا رأوا مثل ما رأى عبد الله بن زيد ، وذكر إمام الحرمين في النهاية والغزالي في البسيط أن بضعة عشر من الصحابة كلهم قد رأى مثل ذلك .

وفي الحديث [أن] الذي نادى بالأذان فسمعه عمر وبلال جبريل ، أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده .

ويشبه هذا ما أخرجه ابن عساكر في تاريخه عن محمد بن المنكدر ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر ، فرآه ثقيلًا ، فخرج من عنده ، فدخل على عائشة ليخبرها بوجع أبي بكر إذ دخل أبو بكر يستأذن ، فدخل ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يتمجّب لما عجل الله له من العافية ، فقال : ما هو إلا أن خرجت من عندي ففقوت ، فأتاني جبريل عليه السلام فسمعتني سمطة ، فقامت وقد برأت ، فعمل هذه غفوة حال ، لا غفوة نوم .

الفتاوى النحوية ، وما ضم إليها

مسألة : قول ابن المصنف : حدّ النحو في الاصطلاح عبارة عن «العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب ، أعني أحكام الكلم في ذواتها ، وما يعرض لها بالتركيب» هل قوله « وما يعرض لها » بأو أو بالواو ؟ وما معنى ذلك ؟

الجواب : هو بالواو ، قَصَدَ بذلك حدّ النحو على مصطلح أبيه الشامل للإعراب والتصريف معاً ؛ فأحكام الكلم في ذواتها هو المبحوث عنه في التصريف ، وما يعرض لها بالتركيب هو المبحوث عنه في الإعراب ، ويطلق النحو إطلاقاً آخرَ على ما يرادف الإعراب ويقابل التصريف ، وله حد غير ما ذكر .

مسألة : في قوله صلى الله عليه وسلم : مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ « هل الجنة بالرفع أو النصب ؟

الجواب : هو بالنصب لا يجوز غيره ؛ لأنه الذي يستقيم به المعنى ، ولا ينافي هذا قول النحاة : يجوز الرفع بعد استكمال الخبر ؛ لأنه حيث جاز أن يكون مستأنفاً ، والاستئناف هنا ينحل بالمعنى ؛ إذ يصير المراد الإخبار بأن الجنة حق ، وليس مراداً ، وإنما المراد إدخاله في المشهود به ، فتمين النصب .

مسألة : ما إعراب قوله صلى الله عليه وسلم : « حُبِّبَ إِلَىٰ مِنْ دُنْيَا كَمْ ثَلَاثِ النِّسَاءِ وَالطَّيِّبِ وَقُرَّةِ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » ؟

الجواب : ليس في الحديث لفظ « ثلاث » وأما إعرابه « حُبِّبَ » فعل مبني للمفعول ، والظرفان بعده متعلقان به ، و « الطَّيِّبُ » مرفوع به نائباً عن الفاعل و « النساء » معطوف عليه . وأما بقية الحديث فلفظ « وجعل قرّة عيني في الصلاة » و « قرّة » مفعول جعل الأول أقيم مقام فاعله لمّا بني للمفعول ، والجار والمجرور مفعوله الثاني ، ومَنْ زَادَ فِي الْحَدِيثِ لَفْظَةَ «ثَلَاثِ» فَقَدْ وَهَمَّوهُ ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا ؛ فَالْمَخْصُوصُ بِحَبِّهِ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا اثْنَانِ النِّسَاءُ وَالطَّيِّبُ - وَهُمَا بِالنِّسْبَةِ

إليه دين لا دنيا - ولهذا قال « من دنياكم » ولم يقل من دنياي ولا من الدنيا ، فأشار بهذه الإضافة إلى أنهما من دنيا الناس ؛ لأنهم يقصدونهما للاستلذاذ وحفظ النفس ، وهو صلى الله عليه وسلم مُنَزَّهٌ عن ذلك ، وإنما حُبب إليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومجزاته الباطنة وأحكام الشريعة التي لا يطلع عليها الرجال غالباً ، وللقيام بأودهن ، ولينتشر أصحابه بمصاهرتهم ، وغير ذلك من الفوائد الدينية ، وحبب إليه الطيب ملاقاته الملائكة وهم يحبونه ويكرهون الريح الخبيثة ، ولهذا امتنع من أكل الثوم ونحوه ؛ لأجل أن جبريل يأتيه ، وقد ورد في الملائكة أنهم لا يأكلون ولا يشربون ، ولكن يجدون الريح .

مسألة : قوله عليه الصلاة والسلام للجارية التي دعت له لحاجتها : « اجلسي في أي سلك المدينة شئت اجلس إليك » هل « اجلس » بالجزم أم بالرفع أم بالوجهين ؟

الجواب : المعروف في هذا وأمثاله الجزم ، وبه ورد القرآن ، قال تعالى : (قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة)^(١) ، والأشهر في توجيهه أنه جواب شرط محذوف

مسألة : قول الخرجية :

إذا استكمل الأجزاء بيت كحشوه
عروض وضرب ثم أوخولت وفا
علام رفع قوله عروض وضرب ؟

الجواب : عروض مبتدأ ، وضرب عطف عليه ، والجار والمجرور - وهو كحشوه - الخبر ، وتقديمه هو الذي سوغ الابتداء بالنكرة ، والتقدير كالحشو في الاستكمال العروض والضرب .

مسألة : في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : « لو كان ذلك وأنا حي فاستغفر لك » هل لفظ فاستغفر بالنصب أو بالرفع ؟

(١) من الآية ٣١ من سورة إبراهيم

الجواب : هو بالنصب بتقدير أن بعد الفاء في جواب لو ، وهي للتمنى لا للشرط ، على حد قوله تعالى : (فَلَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)^(١) .
ولا يصح كون « لو » في الحديث للشرط لوجوه :

أحدها : أن هذا إخبار عن مستقبل و « لو » إنما تقع شرطا في الماضي ، وإذا وقع المضارع بعدها أول بالماضي .

الثاني : أن لو الشرطية لا يقع جوابها مضارعا ، بل ماضى اللفظ والمعنى .
الثالث : أن جواب الشرط إذا كان مضارعا لا يجوز اقترانه بالفاء بالإجماع ، فعلم بذلك كله أن لو هنا للتمنى لا للشرط .

مسألة : في إعراب تركيب وقع في بعض الكتب نصه « ولا يمكن الوارث أخذها » هل الوارث مرفوع على الفاعلية وأخذها بالنصب على المفعولية ، أو بالعكس ؟
الجواب : الوارث هو المفعول المنصوب ، وأخذها هو الفاعل المرفوع ، لا يجوز غير ذلك ، ومن عكس فهو عارٍ من علم العربية بالسكانية ، وذلك مأخوذ من قاعدة قررها أهل النحو ، واتفقوا عليها ، منهم الزجاجي في الجمل ، وابن هشام في المغنى ، فقالا : إذا اشتبه عليك الفاعل من المفعول فرد الاسم إلى الضمير ، فما رجع إلى ضمير المتكلم المرفوع فهو الفاعل ، وما رجع إلى ضميره المنصوب فهو المفعول ؛ قال ابن هشام : تقول « أمكن المسافر السفر » بنصب المسافر لأنك تقول : أمكنني السفر ، ولا تقول : أمكنت السفر ، انتهى .

وكذلك التركيب المسئول عنه ، لو رجعت الوارث إلى الضمير لقلت في التكلم : ولا يمكنني أخذها ، وفي الخطاب : ولا يمكنك أخذها ، وفي الغيبة ، ولا يمكنه أخذها ، فالضام تركبها منصوبة ، وأخذها هو الفاعل ، وكذا الوارث الواقع موقعه ، ومن ظن أن الوارث هو الفاعل لكونه من ذوى العقل دون الأخذ فهو في غاية الوهم ، كيف والإمكان وعدمه إنما هو متعلق بالأخذ ، لا بالوارث .

(١) من الآية ١٠٢ من سورة الشعراء

ومن نظائر ذلك قوله تعالى : (كمثل غيْثٍ أَفْجَبَ الكفَّارَ نَبَاتُهُ)^(١) ،
وقوله تعالى : (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)^(٢) ، في آيات أخرى ترى الفاعل فيها
غير أولى العقل .

مسألة : فيمن سمع إنساناً ينشد قول العلامة ناصح الدين الأرجاني :

هذا الزَّمانُ على ما فيه من كَدَرٍ حكى انْقِلَابَ لِيَالِيهِ بِأَهْلِيهِ
غدير ماء تراءى في أسافله خيالُ قوم تمشوا في نواحيه
فأرأسُ يُنظَرُ مَنكوساً أسافلهُ والرَّجُلُ يُنظَرُ مرفوعاً أعاليه

فأعرب الرأس مبتدأ ، وينظر المبني لما لم يسم فاعله خبر ، والضمير المستتر فيه
العائد إلى الرأس معمول لينظر ، ومنكوساً حال منه ، وأسافل منصوب على الظرف
والضمير المتصل به عائد إلى الغدير ؛ وتقدير الكلام : ينظر الرأسُ حال كونه
منكوساً أسافل الغدير ، والظرف متعلق بينظر ، وكذا النصف الثاني ، فيكون
تقديره : ينظر الرجل حال كونه مرفوعاً في أعالي الغدير ، فيكون الشاعر قد شبه
رأس الزمان برأس الإنسان والرجل بالأسافل ، والغدير في حال تمثيل الأشكال
فيه منقلبة بالزمان في انقلابه بأهله ، ومراتب العلو والسفل الواقع في الحسن بمشاهدة
الأشكال المنتكسة في الغدير الموهومة أنها سطوح ، وقيعان الغدير مراتب الدنيا
ومناصبها ، ويكون سكن ياء أعاليه للضرورة ، فهل هذا الإعراب صحيح مستقيم ،
أو فاسد باطل ؟ أو له وجه ما في الجملة ، أو ما قاله من ردّ على هذا المعرب هو
الصواب ، وهو أن أسافل مرفوع على أنه معمول لينظر ، أعني أنه النائب عن
الفاعل ، والمراد به أعني الأسافل الأرجل ، والضمير المتصل به عائد إلى الرأس ،
والمرادُ بالرأس هنا الإنسان من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، وإن هذا مثل
قولهم « فلان رأسُ بني فلان » و « عندي خمسون رأساً من الإبل » ومنكوساً
حال من الرأس ؛ فيكون تقدير الكلام : يُنظَرُ أسافل الإنسان حال كون

(١) من الآية ٢٠ من سورة الحديد (٢) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة

الإنسان منكوساً ، فهل هذا الإعراب صحيح ؟ وما اعتبره من مجاز الرأس معتبر علاقته بينة وقرينته الصارفة عن اللفظ المستعمل عما وضع له في التخاطب سالحة أو لا ؛ لأنه لا اعتبار لكون الإنسان شريفاً أو وضيعاً بالنسبة إلى تمثل خياله في الغدير ، وإنما الاعتبار في إنكاس الرأس المشبهة بصاحب الفضل والكمال والشرف المعتبر عند أهل النظر والعقل ، وارتفاع الرُّجُل المشبه بأراذل الناس وسُقَاطهم ، وعلى تقدير صحة كل ذلك هل يتمشى ذلك له في النصف الثاني من البيت ؟

وهل قول القائل : إن إطلاق الرأس على الإنسان في مثل هذا الموضع —

أعنى حيث لا علاقة ولا قرينة — لم يستعمله أحد من العرب ولا من غيرهم من المولدين وأرباب البلاغة والفصاحة ، مثل أن يقال « رأيت رأساً » ويريد شخصاً من الإنسان من غير حصول قرينة تدلّ على ذلك ، وإن مثل ذلك غير فصيح ، بل غير جائز ، وإن قيل بجوازه فهو مستهجن غير مألوف صحيح ؟ وهل يكون قول القائل في جواز ذلك « صرح الأصواريون بعدم اشتراط الوضع في المجاز » سفسطة وهدياناً ؟

الجواب : الإعراب الأول هو الصواب ، والثاني الذي قاله الرادّ خطأ بالكلية

لا وجه له ، ولو أعرب به على وجه آخر فقال : إن النائب عن الفاعل ضمير ينظر ، وأسافله مرفوع بالوصف قبله على أنه نائب فاعل اسم المفعول على حد « زيدٌ يصبح مضروباً غلامه » وكذا المصراع الثاني لكان له وجه في الجملة ، ومع إمكان هذا الوجه فالأول هو الصواب ، ولهذا الوجه قادح خفي .

وأما الوجه الذي قاله الرادّ فلا وجه له البتة ، وهو خطأ صُراح ، والقُدْحُ فيه

أظهر من أن ينبه عليه ، وكيف يصح ما ذكره من المعنى ، وهو أن التقدير ينظر أسافل الإنسان حال كون الإنسان منكوساً ، وهو ينظر بجملة أسافله وأعاليه معاً ؟ وأيضاً فلا يتم له التشبيه الذي عقد البيت لأجله ، وأيضاً فالتكسُّ قَبْلُ الأعلى أسفل ، لا عكسه الذي قرره هذا الرادّ وهو قلب الأسفل أعلى ، فذاك يسمى رُفْعاً

(٣٠ — الحاوي ٢)

لا نكساً ، فلهذا عبّر الشاعرُ في الرأسِ بمنكوس ، وفي الرَّجُلِ بمرفوع .
ولو كان ما قرره هذا الراد كانت العبارة : فالإنسان أو فالرأس أي الإنسان
ينظر مرفوعة أسافله ، وأيضا فجعل منكوساً حالاً من الرأس يقدر فيه بأمرين :
كونه من المبتدأ وأكثرُ النجاة على منعه ، وكونه يشعر بأن الإنسان إذا قام على
القدير يكون له حالتان : حالة يكون فيها منكوساً ، وحالة لا يكون فيها كذلك ،
وليس الأمر كذلك ، بل لا يكون إلا منكوساً ، والأصلُ في الحال الانتقالُ ، فإذا
جعل حالاً من ضمير « يُنظر » خلا من هذا القادح .

واستعمالُ الرأس هنا بمعنى الإنسان لا يمكن تصحيحه ، أما أولاً فلفساد المعنى
المراد من التشبيه الذي ساق الشاعر الكلام لأجله ؛ وأما ثانياً فلأن مقابله
بالرجل تأتي ذلك ، هذا هو المَعْوَلُ عليه هنا في إبطال ذلك .

وأما عدمُ القرينة والتنظير بـ « رأيت رأساً » فلا مدخل له هنا .

وأما قول القائل في جواب ذلك : « صرح الأصوليون بعدم اشتراط الوضع في
المجاز » فكلامٌ غير واقع موقعه ، ولا له تعلق بالمقصود ، وهذا البيت لا تؤخذ
معرفة من علم الأصول ، بل من علم البلاغة وتوابعه ، وكذلك البيان والبديع
والإنشاء والترسل ونقد الشعر .

وللعلوم رجال يُعرفون بها وللدواوين كُتّابٌ وحُسابٌ

مسألة : ما الفرق بين المثل والشبيه والنظير ؟

الجواب : المثل أخصُّ الثلاثة ، والشبيه أعم من المثل وأخص من النظير ،
والنظير أعم من الشبيه ، وبيان ذلك أن المماثلة تستلزم المشابهة وزيادةً ، والمشابهة
لا تستلزم المماثلة ؛ فلا يلزم أن يكون شبه الشيء مماثلاً له ، والنظير قد لا يكون
مُشابهاً .

وحاصل هذا الفرق أن المماثلة تقتضي المساواة من كل وجه ، والمشابهة تقتضي
الاشتراك في أكثر الوجوه لا كلها ، والمناظرة تسكفي في بعض الوجوه ولو وجهاً

واحدًا ، يقال « هذا نظير هذا في كذا » وإن خالفه في سائر جهاته .
ويؤيد هذا الذي قلته من المنقول ما نقله الشيخ سعد الدين في شرح العقائد
عن الأشعرية أن المائلة عندهم إنما تثبت بالاشتراك في جميع الأوصاف ، حتى لو
اختلفا في وصف واحد انتفت المائلة ، وأما اللغويون فإنهم جعلوا المثل والشبيه
والنظير بمعنى واحد .

مسألة : قول الداعي : « اللهم أرنا وجهَ نبينا وأوردنا حوضَه » هل صوابه
وأوردنا أو أوردنا ؟ وهل بينهما فرق من جهة المادة والنقل والمعنى ؟
الجواب : الصواب « أوردنا » من الورود ، والماضي « أورد » ومضارعه
« يُورد » وأما أوردنا فهو من الإرادة ، ولا معنى له هنا .

مسألة : في قوله صلى الله عليه وسلم « أو نُخْرِجِيَهُمْ ؟ » كيف عطف وهو
إنشاء على قول ورقة « إذ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ » وهو خبر ، وعطفُ الإنشاء على الخبر
لا يجوز ، وأيضاً فهو عطف جملة على جملة والمتكلم مختلف ؟

الجواب : القول بأن عطف الإنشاء على الخبر لا يجوز هو رأى أهل البيان ،
والأصح عند أهل العربية جوازه ، وأهلُ البيان يقدرُون في مثل ذلك جملة بين
الهمزة والواو ، وهي المعطوف عليها ؛ فالتركيبُ سائغ على رأى أهل الفنين ،
أما المجوزون لعطف الإنشاء على الخبر فواضح ، وأما المانعون فعلى التقدير
المذكور .

أقول : ويصح أن تكون جملة الاستفهام معطوفة على جملة التمني في قوله :
« ليتنى أكون حياً إذ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ » بل هذا هو الظاهر ، فيكون المعطوف
عليه أولَ الجملة لا ذيلها الذي هو ظرف متعلق بها ، والتمني إنشاء ، فهو من عطف
الإنشاء على الإنشاء .

وأما العطف على جملة في كلام الغير فسائغ معروف في القرآن والكلام الفصيح ،
قال تعالى : (وَإِذْ أُنزِلَتْ بِرَبِّهِ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ : إني جاعلك للناس

إماماً ، قال : ومن ذريتي (١).

مسألة : قال الشاعر :

وَمُسْتَوْدِعٌ عِنْدِي حَدِيثًا يَخَافُ مِنْ

إِذَاعَتِهِ فِي النَّاسِ أَنْ يَنْفَدَ الْعَمْرُ

هل يجوز أن يقدر فيه إلى ؛ لأن المعنى ينحلُّ إلى أن المودع يخاف إذاعة سره

في الناس ما دام حياً إلى حين نفاذ عمره ، أو يمتنع تقدير إلى ؟ وقول الآخر :

وَمُودِعٌ سَرَّهُ عِنْدِي وَيَحْذَرُ أَنْ أَبْدِيَهُ مِنِّي إِلَى أَنْ يَنْفَدَ الْعُمُرُ

هل دخول إلى في هذا البيت ممتنع ؟ وإذا لم يمتنع فهل يجوز أن يكون هذا

البيت شاهداً على تقدير إلى في البيت الأول ؟

الجواب : البيت الأول وإن أمكن أن يقدر فيه إلى على بُعدٍ لكن الأظهر

أن لا تقدر فيه ؛ لأن أن ينفد في محل مفعول يخاف ، فمتى قدر فيه إلى لزم كون

يخاف بلا مفعول ، فيصير المعنى ركيكاً ، ولأن تقدير إلى التي هي لانتهاى الغاية

لا تكون إلا بعد تقدم من التي هي لابتداء الغاية ، والبيت خالٍ منها ؛ فيكون

تقديرها من حيث اللفظ ركيكاً ، فلما اجتمع في تقديرها ركاكة اللفظ والمعنى

وجب العدول عنه .

وأما البيت الثاني فمفعول « يحذر » موجود ، وهو أن وصلتها ، وابتداء

الغاية موجود ، وهو متى ، فجاز أن يقابلَ بإلى ، وكلُّ بيت له معنى يخصه

أوجب ذلك .

ثم تذكرت قاعدة في العربية تقتضى أن البيت الأول لا يجوز تقدير إلى فيه

بوجهٍ من الوجوه ، وذلك أن النحاة نصُّوا على أن « أن ، وأن » المصدريتين لا يحذف

معهما من حروف الجر إلا ما دل عليه الفعل السابق لكونه يُعدَّى بذلك الحرف ،

فيقال مثلاً « عجبت أن تقوم » فيقدر من ؛ لأن عجبت يتعدى بمن ، و « فرحت

(١) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة

أن تقوم « فتقدر الباء ؛ لأن فرح يتعدى بالباء ، و « رغبت أن تجيء » فيقدر في ؛ لأن رغبت يتعدى بفي ، وهذا البيت فيه من الأفعال « يخاف » وهو إنما يتعدى بمن لا يالي ، ومن المعدية له موجودة ، فلا يجوز تقدير إلى فيما بعده ؛ لأن الفعل لا يدل عليها ، وهذه قاعدة نفيسة ينبغي أن تحفظ .

مسألة :

يا عالماً فاق أهلَ العَصْرِ والأَثَرِ
هَلْ لَامٌ يَطَّلِعُ مضمومٌ ويضبطها
أو يَنْصِبُوها وضمُّ اللامِ ذا خطأ
وما تحقق من قول الذين مَضَوْا
لا زال مجـدك محروساً بأربعة
وزان أهلَ النَّهْيِ في الخُبْرِ والخبر
بذاك ذا كرها في البدو والحضر
كما تَفَوَّهَ شَخْصٌ من أولى الفكر
وصنّفوا كتباً في الصرف للبشر
بالعز والنصر والإقبال والظفر

الجواب :

الحمد لله مُزجِي الشُّحْبِ بالمطر
بالضمُّ يطلع منقولٌ، وشاهد
ثم الصلاة على المختار من مضر
تطلع على قومٍ المقرُّوءِ في الزبر

مسألة :

يا عالماً زاده ربُّ العُـلَا شرفاً
هل رَسْمٌ أرجو وأشباه لها كتبوا
أو واؤها آخراً، فاكشف لنا كرباً
على رجال سَمَوْا بالفضل والأدب
بالواو مع ألف أمضوه في الحقب
لا زلت تُنجِدُنَا في السلم والحرب

الجواب :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً
ما كان فعلاً لفرْدٍ ما به ألفٌ
ثم الصَّلَاةُ على خير الهدى العربي
وفعل جمع به زدٌ هذه تُصِيبُ

مسألة : خطيبٌ قال في خطبته « والله لنشرين كاساً أمالت الرءوس ودقت

عنقاً » قالها بضم الدال ، فاعترضه معترض ، وقال : إنما هي بفتح الدال مبني للفاعل ، وعنقاً مفعول .

الجواب : الخطيبُ مصيبٌ والمعترضُ مخطيءٌ ، ودقت : بضم الدال مبني للمفعول ، وعنقاً : تمييز محول عن النائب عن الفاعل ، وكان الأصل : أمالت الرؤوسَ ودقت أعناقها ، فلما حُوِّلَ أسند دقت إلى ضمير الرؤوس ، وانتصب ما بعده تمييزاً فأفرد كما هو من قواعد التمييز ، ويوهى كونه بالفتح ونصب عنقاً مفعولاً الذي جنح إليه المعترضُ كونُ العنق بصيغة الإفراد والكأس لم تدقَّ عنقاً واحدة ، بل دقت أعناقاً كثيرة ، كما أمالت رؤوساً كثيرة ، فذكر العنق بالإفراد على أنها مفعول في مقابلة الرؤوس التي هي جمع ركيك .

مسألة : حديث « كما تكونوا يوئى عليكم » لم حذفت النونُ من تكونوا ، دون ناصب وجازم ؟ .

الجواب : هذا الحديث روى هكذا بلا نون في شعب الإيمان للبيهقي وغيره ، وقد خرَّجَ على ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه على لغة مَنْ يحدفُ النون دون ناصب وجازم كقول الشاعر :

* أبيتُ أسرى وتبيتي تذلُكي *^(١)

وخرج على هذه اللغة من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدْخُلُوا الجنةَ حتى تُؤْمِنُوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا » .

الثاني - وهو رأى الكوفيين والبرد - أنه منصوب ، أورده شاهداً على مذهبهم أن « كما » تنصب ، وعدوها من نواصب المضارع ، وهو مذهب ضعيف .
والثالث : أنه من تغييرات الرواة .

مسألة : قول الموثقين « زوجا بابٍ » ما مدلول هذا اللفظ ؟ .

الجواب : مدلوله كمدلول « مِصْرَاعِيِ البابِ » وهما الفردتان المركبتان عليه ، قال في الصحاح : الزوج خلاف الفرد ، وكل منهما يسمى زوجاً ، يقال : ها زوجان

(١) هذا صدر بيت من الرجز ، وعجزه قوله :

* شعرك بالعنبر والمسك الذكي *

للأثنين ، وهما زوج ، كما يقال : هما سيان ، وهما سواء ، وتقول : اشتريت زوجي حمّام ، وأنت تعني ذكراً وأنتي ، « وعندي زوجا نعلٍ » ، وقال تعالى : (من كل زوجين اثنين)^(١) .

مسألة : في إعراب تركيب وقع في بعض الكتب نصه « يقضى بالشفعة دافعاً عهدتها الدفع إلى ذي اليد » هل دافعاً حال من الفاعل وهو الدفع ، أو من النائب عنه وهو بالشفعة ؟ .

الجواب : الوجه إعرابه حالاً من النائب عن الفاعل وهو بالشفعة ، لا من الدفع الذي هو فاعل اسم الفاعل ، وهو دافع ، والذي ذكر أنه حال منه إنما هو تفسير معنى لا تفسير إعراب ، وتفسير المعنى يتسمح فيه من غير مراعاة ما تقتضيه الصناعة الإعرابية ، والذي تقتضيه الصناعة قطعاً هو كونه حالاً من « بالشفعة » وإن كان في المعنى إنما هو صفة للدفع ، فهو حال سببية جارية على غير مَنْ هي له كالصفة السببية والخبر السببي ، فهو كقولك : جرى بهندٍ ضارباً أبوها عمراً ، فضارباً حال من بهند ، لا من أبوها الفاعل به ، وإن كان في المعنى له ، ونظيره في الصفة « مرتت بامرأة ضارب أبوها عمراً » ، وفي الخبر « هند ضارب أبوها عمراً » فضارب صفة لامرأة ، لا لأبيها ، وخبر عن هند لا عن أبيها ، وإن كان في المعنى إنما هو للأب ، وتفكيك العبارة : يُقضى بالشفعة حال كونها دافعاً عهدتها الدفع - إلى آخره ، ولو أعرب حالاً من الدفع لكان حقه التأخير ، وحينئذ يصير التركيب : يقضى بالشفعة الدفع إلى ذي اليد دافعاً عهدتها ، وهذا تركيبٌ مقلت غير ملتئم .

وأعجب من ذلك أن يظن أن دافعاً حال من الدفع وهو فاعل به ، وفي ذلك محذوران من جهة العربية :

أحدهما : أنه باعتبار كونه حالاً منه حقه التأخير عنه ، وباعتبار كونه عاملاً في الدفع الفاعلية حقه التقديم عليه ، وهذان أمران متناقضان .

(١) من الآية ٤٠ من سورة هود

الثاني : أن اسم الفاعل هنا - وهو دافع - إنما سَوَّغَ عمله الفاعلية والمفعولية كونه حالاً كما تقرر في العربية أنه إنما يعمل في مواضع مخصوصة ، منها كونه حالاً ، فلا بُدُّ أن يكون حالاً قبل العمل حتى يصح عمله ؛ فلا يصح أن يعمل الفاعلية ثم يصير حالاً من الفاعل ؛ لأنه عمل قبل وجود الشرط ، وذلك باطل بالإجماع .

مسألة : في قول القاضي عياض في الفصل الخامس عقب الكلام على آيات النجم : « اشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتركية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الآفات في هذا المشرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه » وقع في بعض النسخ فزكى قلبه بقوله تعالى : (ما كَذَّبَ الفؤاد)^(١) الآية بالفاء ، وفي بعضها بالواو ، فهل يتعين الإتيان بالفاء أو الواو ؟ فإن قلم بالأول فما وجهه ، أو بالثاني فما وجهه ؟ .

الجواب : يتعين في مثل هذا التعبير بالفاء ، وهي تفسيرية ، ولا يجوز التعبير بالواو . ومن أمعن النظر في القرآن والحديث وكلام العرب والعلماء والبلغاء لم يمتز في ذلك ؛ فمن أمثلة ذلك قوله تعالى : (أَهْلَكُنَّاها فِجاءها بِأُسْنا)^(٢) فإن قوله : (فِجاءها بِأُسْنا)^(٣) تفسير لأهلَكنا ، والفاء تفسيرية .

وفي صحيح البخاري : أنهم شكوا سعداً فشكوا أنه لا يحسن أن يصلى ، قال سُراحه : الفاء هنا تفسيرية .

وقال جماعة في قوله تعالى : (فَتُوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم)^(١) : إن الفاء في (فاقتلوا) تفسيرية ، لأن توبتهم كانت نفس القتل ، وكذا قول صاحب الشفاء « فزكى قلبه بقوله » إلى آخره تفسير لقوله قبله فزكى فؤاده ، وقوله فزكى فؤاده ولسانه

(١) من الآية ١١ من سورة النجم

(٢) من الآية ٤ من سورة الأعراف

(٣) من الآية ٥٤ من سورة البقرة

وجوارحه تفسير لقوله : اشتملت هذه الآيات على إعلام الله بتزكية جملته ، والتعبير في مثل ذلك بالواو مُخِلّ بالمعنى ، والله أعلم .

مسألة : في تعريف اللفظ بالصوت المشتمل على بعض الحروف ، هل هو غير جامع ؟ وإذا قلتم إنه غير جامع فلم اقتصر عليه الموضح وغيره من النحاة مع أنه زاده في موضع آخر ، فقال : هو الصوت المشتمل على بعض الحروف أو ما هو في قوة ذلك ، وهو المراد بقول بعضهم : بالفعل أو بالقوة ؟ .

الجواب : نعم هو غير جامع ؛ لأنه يخرج عنه الحرف الواحد كواو العطف وفائه وباء الجر ولامه ؛ إذ لا يقال في الجر : إنه مشتمل على نفسه ، وقد اعترض المحققون بذلك على ابن المصنف في حياته وسلمه . قال بعضهم : فالأحسن تعريف اللفظ بالصوت المعتمد على مَقْطَع فإنه تعريف سالم من كل إيراد ، ولهذا عبرت به في شرحي .

مسألة : « يا حبذا أنت الوسيلة والقصد » هل هو تركيب صحيح أولاً ؟ وإذا كان صحيحاً فما وجه نصب الوسيلة والقصد ؟ وهل يجوز رفعهما ؟

الجواب : النصب في مثل هذا واجب ، لكن شرطه أن يقع نكرة ، واختلف هل هو حال أو تمييز ، كقول الشاعر :

* ألا حبذا قوماً سُئِمَ فإنه

وقول الآخر :

حبذا الصَّبْرُ شِيمَةً لِمِصرىءِ رَا مَ مُبَارَاةَ مُولِعٍ بِالْمَعَالِي
فتعريفه إما على حد تعريف الحال في قراءة مَنْ قَرَأَ (ليخْرُجَنَّ الْأَعْرُضُ مِنْ آ
الأذَلِّ)^(١) أو التمييز في قوله :

* وَطِبَّتِ النَّفْسَ يَاقِيْسُ عَنْ عَمْرُو *

(١) من الآية ٨ من سورة المناقين

لكن يحتاج إلى ثبوت أن النحاة يجيزون وقوع المعرف بعد حين قبل
مخصوصها أو بعده ، وهو شيء لم يُصرحوا به .

مسألة : في قول بعض الشعراء :

خُذُوا قَوَدِي مِنْ أَسِيرِ الْكِلِّانِ فَوَاعَجَبًا مِنْ أَسِيرِ قَتْلِ
هل المراد به الجفون ؟

الجواب : الكِلِّانُ هنا جمع كلمة ، وهي ستر مربع ، وقال الهروي : هو ستر
رقيق يخاط كالبيت ، ويطلق أيضا على الهودج والصوامع والقباب ، ولا يصح
إرادة الجفون هنا ؛ لأن الشاعر أراد بالأسير هنا المرأة المخدرة المحجوبة ، ولا يصح
أن تكون أسيرة لجفونها ، وإنما أسير جفونها هو الشاعر نفسه .

مسألة :

يامن غدا بمرح الصرف مشغولا وحاز مافيه منقولا ومعقولا
ما الراح سابق رَحْرَاحٍ بخطبته أفدهُ من لغة بقيت منقولا
موافقا للذي قال الشروح فكم من فاضل صار بالأفضال مشمولا
وقوله قيل مردوفا بأخره بأجوف في بناء الفعل مجهولا
فإب معلومه قد صرّفوه إلى حد ويقصر ذا عن حده طولا
في بادىء الرأي يامن لانظير له ومن يرى عن خفايا العلم مستولا
لازات في نعمة تبدى العلوم لمن بالحق يعلم ماتبديه منقولا
الجواب :

الله حمداً أتى بالذكر مشمولا من مخلص لا يرى بالغش معلولا
ثم الصلاة على الهادي وعترته وصحبه الغرِّ والتسليم منقولا
الراح لفظ أتى في النقل مشتركا له معانٍ حكاها ذو يدٍ طُولَى
منها الأراضي ذوات الاستواء بها نبت رأيناها في القاموس منقولا
وقيل صرفه كالمعلوم لاحذر كالكلمتان أيا أهل النهى قِيلا

لازال فضلك منشورا بلا كدر مؤيدا برداء العز مشمولاً
مسألة :

ماقولكم في جواب قول القائل ؟ :

يا بحر علم طافح رأينا مقرونة بالغسل في المنهاج
بالرفع مضبوطاً ، لمنشيه وقد جوز فيه النصب للمحتاج
والقصد توجيه لكل منهما ليرتوى من بحرك العجاج
الجواب :

لله حمد ، والصلاة للذي قد خصّه الوهاب بالمعراج
الرفع وصف نية لأنها نكرة تجرى على المنهاج
والنصب وصف نية محذوفة معمولة المذكور في المنهاج
مسألة :

أيا علماء النحو هل مثل كافر محلى بلام مثل جمع مُنكر
لتحكم فيما بعد إلا له تلت بحر لوصف يا أبا المتفكر
فقد جاء في المنهاج ما هو موهم وإن جاز غير النصب فامتن و ذكر
فأنت لها كهف ، وأنت ملاذنا فحمدا وشكراً للمليك الميسر
ونولى صلاة استدام على الرضا وآل وصحب للنبي المبشر
الجواب :

ألا الحمد لله العلي المقدر وأثنى على الهادي النبي المبشر
محلى بلام الجنس تجرى كجمعهم وتثني بالاستثناء من غير تنكير
فإن كان في نفي فأبدله متبعاً وإن شئت فأنصبه بغير المشهر
وخرج على هذا الذي في عبارة النـواوى في المرتد والحر واذكر
وما صنع في إلانها الوصف ظاهراً فإن شروط الوصف منها هنا عرى

فجر الثمد ، في إعراب أكل الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : سئل شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجي في سنة أربع وسبعين
وثمانمائة عن قول القائل : « الحمد لله أكل الحمد » هل أكل متعين النصب ،
أو يجوز الجر ؟ فإن ثم من قال بجوازه ، فوافقه الشيخ على جوازه ، بل وزاد ترجيحه
وألف في المسألة مؤلفاً قال فيه ماملخصه : إنه وصف سببى لله محوّل ، أصله أكل
حمده ، فحول بالإضافة ، وإنه نظير قولك « مررت بالرجل قائم الأب » فإن أصله
قبل التحويل « مررت برجل قائم أبوه » فحول إلى مآثرى ، فاستتر الضمير في اسم
الفاعل ، وأضيف إلى الأب ، وقولك « مررت بالرجل حسن الوجه » فإن أصله
« مررت برجل حسن وجهه » وعال ترجيحه بأنه لا يحتاج إلى إضمار ، والنصب
يحتاج إلى إضمار ، هذا حاصل ما ذكره الشيخ .

وأقول : المتعين في هذا التركيب النصب ، ولا يجوز الجر ، ووجهه أنه نائب
مناب المصدر المحذوف الذي هو في الأصل وصف له ، تقديره حمداً أكل الحمد ،
وقال النحاة في باب المفعول المطلق ومنهم ابن مالك في شرح الكافية وابن هشام في
التوضيح : يقوم مقام المصدر وصفه مضافاً إليه كسرت أحسن السير ، ومثلاً
غيرها بقولك « ضربته أشدّ الضرب » ومثله في شرح التسهيل بقول ليلي الأخيلي:
نظرت ودوني من عمّاية منكب وبطن رداء أي نظرة ناظر
وبقول الآخر

* وضائع أي جرى ما أردت به *

ونظيره قوله تعالى : (فلا تميلوا كل الميل)^(١) فهذه الأمثلة كلها منصوبة
على النيابة عن المصدر ، والمثال مثلها ، وعلم من ذلك دفع محذورين واردين : أحدهما
الإضمار الذي قرأ منه الشيخ ؛ فإنه إذا كان على وجه النيابة لا إضمار ، بل يكون

(١) من الآية ١٢٩ سورة النساء

المصدر محذوفاً ، وهذا قائمٌ مقامه نيابة عنه . والثاني أنه قد يقال : إن المصدر المقدّر نكرة ، فكيف يوصفُ بالمعرف بالإضافة ، وقد علم أنه لا تقديراً ولا إضماراً ، وإنما حذف أصلاً وأقيم مقامه وصفه مضافاً إليه للبيان ، وكان أصله الحمدُ لله حمداً أكملَ ، بلا إضافة ، هذا توجيهه النصب .

وأما امتناع الجر فيكاد يكون بديهياً لا يقام عليه دليل ؛ فإن أكمل صفة للحمد قطعاً لا لله ، أما أولاً فلأن أوصافه تعالى توقيفية ، ولم يرد هذا الوصف فيها ، وأما ثانياً فلأن الأصل عدم إطلاق أفعال التفضيل في حق الله إلا ماورد مثل أكبر وأحسن الخالقين لما يشعر بالمشاركة ، وأما ثالثاً فلأن المقصود وصفُ الحمد المثبت لله بالأكلمية والبلوغ نهاية التمام ، لا وصف الله بذلك ، وأما رابعاً فلأن العلماء عبّروا بما يدلُّ على أنه وصف للحمد لا لله ، ألا ترى إلى قول النووي في المنهاج : **أحمدُهُ أَبَدَغَ حمداً وأكمله وأزكاه وأشمله ، فاتى بالجميع صفاتٍ للحمد ومصادر له .**

وقولُ الشيخ إنه نظير قولك « **مررت بالرجل قائم الأب** » مخالفٌ لقواعد العربية من أربعة أوجه :

الأول : أن هذا التركيب فاسدٌ لا يقول أحد بصحته ؛ لأن الرجل معرفة ، وقائم الأب نكرة ، فإن إضافته لفظية لا تفيد التعريف ، فلا يصح وصف الرجل به ، وإنما توصف به النكرة كقوله تعالى : (**هَدِيّاً بِالغِ الكعبة**)^(١) وإنما يستقيم أن يقال مثلاً « **برجلٍ قائم الأب** » وحينئذ تستحيل المسألة ، وكذا « **مررت بالرجل حسن الوجه** » .

الثاني : ما قاله من التحويل والإضافة إلى المرفوع لا يجوز في اسم الفاعل إجماعاً ، بل هو من خواص الصفة المشبهة ، وألحق بها في ذلك اسمُ المفعول ، نصَّ عليه ابن مالك في كتبه ، وقال في الألفية : **وَقَدْ يُضَافُ ذَا - أَى اسمُ المفعولِ - إلى اسمِ مُرْتَفِعٍ * معنَى كحمود المقاصد الورع * وقال في شرح الكافية : تفرّد اسمُ**

(١) من الآية ٩٥ من سورة المائدة

المفعول بجواز إضافته إلى ما هو مرفوع معني، نحو «زيد مكسوء العبد ومحمود المقاصد» وقال أبو حيان في شرح التسهيل : انفراد اسم المفعول بجواز إضافته إلى مرفوع ، بخلاف اسم الفاعل فإنه لا يجوز إضافته إلى فاعله ، لا تقول في مررت برجل ضارب أبوه زيدا : مررت برجل ضارب أبيه زيدا ، قال : الصحيح أنها أيضا في اسم المفعول إضافة من منصوب لا من مرفوع .

الثالث : أن قوله أصله أكل حمده يؤدي إلى استعمال أكل مقطوعا عن الإضافة ومن ، وهو أمر لا يعرف في أفعال التفضيل .

الرابع : أن قوله إن الأصل أكل حمده ، وأن الحمد فاعل ، وأنه حوّل عن الفاعلية ، ثم أضيف إليه فاستتر الضمير ، غفلة عظيمة عن قواعد العربية ، فإن أفعال التفضيل لا يرفع الظاهر أصلا إلا في مسألة الكحل ، وهذا المثال ليس من ضابطها بالإجماع ، فبطل هذا القول بلا نزاع ، والله تعالى أعلم .

* * *

ألوية النصر ، في خصيصي بالقصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : قرأ قارئ عليّ في ختم كتاب الشفا بالخانقاه الشيخونية قوله : « وخصصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته » فقرأها بخصيصي بالياء الساكنة آخرها ، على أن الكامة مثناة مضافة لما بعدها ، فرددت عليه ، وقلت له : قل بخصيصي - أعني بألف القصر - وذلك بحضرة شيخنا الإمام العلامة محي الدين الكافيجي ، فقال الشيخ : نعم بخصيصي - يعني بالألف - فقال القارئ المذكور : فيها الوجهان ، فقلت : ليس فيها إلا وجه واحد ، فذهب فكتب صورة سؤال وأخذ عليه خطوط جماعة بتصويب مقاله ، وهم الشيخ أمين الدين الأقصراني ، والشيخ زين الدين قاسم الحنفي ، والشيخ سراج الدين العبادي ، والحافظ فخر الدين الديمي ، والمحدث المؤرخ شمس الدين السخاوي ، فجمعت نقول أئمة العربية واللغة وأرسلتها إلى الجماعة

المذكورين ما عدا السخاوي ، فعرفوا الصواب في ذلك ، ورجعوا عما كتبوه أولاً ، وكتبوا ثانياً بتصويب ما قلته إنها بالألف المقصورة ، فذهب القاريء إلى السخاوي يستنجد به ، فكتب له على سؤال آخر كتابة طويلة عربضة مضمونها أنه لا يرجع كما رجعت هؤلاء ، وأن مستنده في ذلك أن عنده نسخة من الشفا صحيحة قرئت على شيوخ عدة وفيها صورة السكون مرقومة بالقلم على الياء ، فقلت : كفى بهذا الكلام جهلاً ، ومن هذا مبلغ علمه فهو غني عن الرد عليه .

أطبقت أئمة اللغة والعربية على أن «خصيصي» بألف القصر ، وقد تمد شذوذاً فيقال: خصيصاء ، مصدر بمعنى الخصوصية ، يقال: خصَّه بالشيء ، خصوصاً وخصوصيةً وخصيصي وخصيصاء في لغة وخاصة ، نص على ذلك سيبويه في كتابه ، والسيرافي في شرحه ، والقالي في كتابه المقصور والمدود ، والفارابي في ديوان الأدب ، وابن فارس في الجمل ، ونشوان الحميري في شمس العلوم ، وابن دريد في الجهرة ، والجوهري في الصحاح ، وابن سيده في المحكم ، والخفاف في شرح الجمل ، وأبو البقاء العكبري في اللباب ، والزنجشري في كتاب المصادر ، والعبسي في الخلاصة ، والصغاني في العباب ، وابن عصفور في المتع ، والأزدي في الدرر ، وابن مالك في منظومته وشرحها ، وابنه في شرح الألفية وفي شرح لامية الأفعال ، وأبو حيان في شرح التسهيل ، وابن هشام في التوضيح ، وابن جابر في منظومته ، والفيروز باذی في القاموس ، وخلائق . ومن نظائرها: الحثيثي ، والخطيبي ، والدليلي ، والزليلي ، والمكيثي ، في ألفاظ عدة ، ولم يرد خصيص البتة حتى يقال في تثنيته خصيصان ، وقد عقد ابن دريد في الجهرة باباً لفعيل وفعيلي فذكر ما جاء منهما ، ثم قال بعد ذلك : ليس لمولد أن يبنى فعيلاً إلا ما بنت العرب وتكلمت به ، ولو أجز ذلك لقلب أكثر الكلام ، فلا تلتفت إلى ما جاء على فعيل مما لا تسمعه ، إلا أن يجيء به شعر فصيح .

* * *

الزُّنْدُ الْوَرِي ، فِي الْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ السَّكَنْدَرِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

مسألة : ورد من الإسكندرية سؤال صورته : روى في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي أو نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار » قال الشيخ محيي الدين النووي في شرحه لصحيح مسلم : قوله صلى الله عليه وسلم « لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة » أي ممن هو موجود في زَمَنِي وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلامهم ممن يجب عليه الدخولُ في طاعته ، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على مَنْ سواهما ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتاباً فغيرهم ممن لا كتاب له أولى .

قلت : وقد أشكل هذا الحديثُ على بعض الناس من جهة تنزيل المقصود منه على القواعد النحوية ؛ فإن المقصود من الحديث أنه مَنْ سَمِعَ بِنَبِينَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ شَيْئَةٍ بِعَثْتَهُ الْعَامَةَ ثُمَّ مَاتَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ، وفي تنزيل لفظ الحديث على هذا المقصود قلقٌ كما سيأتي ؛ وهذا الإشكال يعرض كثيراً في غير لفظ الحديث أيضاً ، كقولك : ما جاءني زيد إلا أكرمته ، وما أحسنت إلى لثيم إلا أساء إليّ ، وما أنعمت على عمرو إلا شكركَ ، وأمثال ذلك كثيرة في الكتاب والسنة وكلام العرب ، والغرض في الجميع أن يكون الواقع بعدد إلا مرتباً مضمونهُ على مضمون ما بعد حرف النفي : أي مهما جاءني زيد أكرمته ، ومهما أحسنتُ إلى لثيم أساء إليّ ، ومهما أنعمتُ على عمرو شكركَ ، وهكذا في سائر الأمثلة التي بهذه المثابة ، وتطبيق اللفظ على هذا الغرض غير متأت بحسب الظاهر ؛ فإن غاية ما يتخيل في هذا الاستثناء أن يكون مُفْرَغًا باعتبار الأحوال ، فتكون

الجملة الواقعة بعد إلا في محل نصب على أنها حال من الفاعل أو من المفعول المتقدم ذكره ، أى ماجاءني زيد إلا في حال كوني مكرماً له ، وما أحسنت إلى لثيم إلا في حال كونه مُسِيناً إليّ ، وما أنعمت على عمرو إلا في حال كونه شاكراً للنعمة ، وهذا مشكل ؛ فإن الحال مقيدة لعاملها ومقارنة له ، وليس إلا كرام مقيداً بمجىء زيد بحسب المقصود ، ولا مقارناً له في الزمن ، وكذا بقية الأمثلة .

فإن قلت : اجعل الحال مقدره كما في قولهم : مررت برجل معه صقر صائداً به غداً ، أى مرید الصيد به ، فكذا في الأمثلة ، أى ماجاءني زيد إلا في حال كوني مریداً لإكرامه ، وما أحسنت إلى لثيم إلا في حال كونه مریداً للإساءة إليّ ، وما أنعمت على عمرو إلا في حال كونه مُرِيداً الشُّكْرَ ، وعلى هذا تتأني المقارنة والتقييد ولا إشكال .

قلت : هذا وإن كان في نفسه معنى ممكن الاستقامة فهو غير مفيد للغرض المصوغ لهذا الكلام ؛ إذ المقصود كما سبق وقوع مضمون ما بعد حرف الاستثناء مرتباً على مضمون ما بعد حرف النفي ، ولا يلزم من إنعامك على عمرو في حال إرادته للشكر أن يكون الشكر وقع بالفعل مرتباً على الإنعام عليه ؛ لجواز تخلف متعلق الإرادة الحادثة عنها ، وكذا الكلام في بقية الأمثلة ؛ فقد ظهر امتناع جعل ما بعد إلا حالا ، لا من قبيل الحال المحققة ولا من قبيل الحال المقدرة ، ولا مساغ لغير الحال فيه فيما يظهر بباديء الرأي ، فتقرر الإشكال .

فإن قلت : لم لا تجعل التفرغ باعتبار ظرف الزمان ، أى ماجاني زيد في حين من الأحيان إلا في حين أكرمته ؟ فحذف الحين كما في قولهم : جئتكَ صلاة العصر ، أى حين صلاة العصر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

قلت : يمتنع ذلك لفظاً ومعنى ، أما لفظاً فلأن الظرف في مسألتنا على زعمك مضاف إلى الجملة ، ولا يحذف مضاف إلى الجملة وتقوم الجملة مقامه ، وإنما ذلك إذا كان المضاف إليه مفرداً ، كما في « جئتكَ في صلاة العصر » ، وما أجازهُ أبو حيان

فی قوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ)^(١) - من أن الأصل : يوماً يوماً لا تجزى نفس ، فأبدل يوم الثاني من الأول ، ثم حذف المضاف - مردوداً ، قال ابن هشام : لانعلم هذا واقعا في الكلام ، ثم إن ادعى على أن الجملة باقية على محلها من الجر فشاذ ، أو أنها أنيبت عن المضاف فلا تكون الجملة مفعولاً في مثل هذا الموضع ، وأما معنى فيظهر مما أبتلنا به وجهي الحال المحققة والمقدرة ؛ إذ ليس المراد أن زيدا لم يجيء إلا في حال إكرامك له ، أو حال إرادتك لإكرامه ، وإنما المقصود حينئذ ما أسلفناه ، والكلام في تنزيل اللفظ عليه ؛ فالإشكال بحاله .

وفي الحديث إشكال من جهة أخرى ، وهو أنه يقدم الاستثناء الواقع فيه جمل ، فإن أعدته إلى الجميع وبنينا على أن العامل في المستثنى هو ما قبل إلا من فعل أو معناه بواسطة إلا كما يراه البصريون لزم اجتماع عوامل على معمول واحد ، وهو باطل على ما تقرر في علم النحو ، وإن أعدته إلى الجملة الأولى فقط لزم الخلف في الخبر ، وذلك أن التقدير حينئذ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلا كان من أصحاب النار ، وكمن يهودي ونصراني يسمع به بعد البعثة ولا يكون من أصحاب النار : بأن يسلم ويموت على الإسلام ، وإن جعلته راجعا إلى ما بعد الجملة الأولى فقط على ما فيه صارت الجملة الأولى لا تعرض فيها إلى الاستثناء ، فيلزم الخلف أيضا ؛ إذ كثير من اليهود والنصارى يسمع به بعد البعثة - هذا آخر السؤال .

الجواب : قال ابن مالك في التسهيل في تقرير القاعدة التي من أفرادها هذا الحديث « ويلها - أي إلا - في النفي فعل مضارع بلا شرط ، وماضٍ مسبق بفعل أو مقرون بقد » وقال في شرحه : « مثال المضارع : ما كان زيد إلا يفعل كذا ، وما خرج زيد إلا يجرؤ ثوبه ، وما زيد إلا يفعل كذا ، ومثال الماضي مسبوقة بفعل قوله تعالى : (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا)^(٢) ومقرونا بقدر قول الشاعر :

(١) من الآية ٤٨ من سورة البقرة (٢) من الآية ١١ من سورة الحجر

ما المجدُّ إلا قد تبين أنه بندى وحلم لا يزال مؤثلاً
قال : وإنما أغنى اقترانُ الماضي بقدم عن تقدُّم فعل لأن قد تُقرَّب به من الحال ،
فيكون بذلك شبيهاً بالمضارع ، وإنما كان المضارعُ مستغنياً عن شرط لأنه شبيهٌ
بالاسم ، وإنما ساغ بتقديم الفعل مقروناً بالنفي لجعل الكلام بمعنى كما كان كذا ،
فكان فيه فعلاً كما كان مع كما ؛ فلو قلت « ما زيد إلا قائم » لم يجز ؛ لأنه ليس
بما ذكر ، وعلّة ذلك أن المستثنى لا يكون إلا اسماً أو مؤولاً باسم ، والماضي المجردُ
من قد بعيدٌ من شبه الاسم ، وأما قولهم « أنشدك بالله إلا فعلت » فإنه في معنى
النفي كقولهم : شرٌّ أهرَّ ذانابٍ ، أي ما أسألك إلا فعلك ، انتهى .
وقال أبو البقاء في قوله تعالى : (ما يأتهم من رسول إلا كانوا)^(١) : إن
الجملةَ حالٌ من ضمير المفعول في (يأتهم) وهي حال مقدرة ، ويجوز أن تكون صفة
لرسول على اللفظ أو الموضع ، انتهى .

فعلم من ذلك تخريجُ الحديث على الوجهين ، والأرجحُ الحالية لأمرين .
أحدهما : أن وقوع ما بعد إلا وصفاً لما قبلها رأى ضعيف في العربية ، بل قال
ابن مالك : إنه لا يعرف لبصرى ولا لكوفي ، وإن الزمخشري تفرّد بذلك ، وإن
ما أوهم خلاف ذلك فمؤول على الحال ، وكان أبا البقاء تابع في ذلك الزمخشري .
الثاني : أن الحالية تطرد في جميع الأمثلة ، والوصفية لا تطرد ، بل تختص
بما إذا كان الاسم السابق نكرة كالحديث ، أما نحو « ما جاءني زيدٌ
إلا أكرمه » فلا يمكن فيه الوصفية كما لا يخفى ؛ فعلم بذلك ترجيحُ الحالية ،
وكانها مقدرة كما صرح به أبو البقاء .

وما أورد على ذلك من عدم الملازمة وجواز تخلف متعلق الإرادة الحادثة عنها
فهو وإن كان كلاماً صحيحاً في نفسه إلا أنه لا يتقدح في التخريج ، ولو روعى هذا
المعنى لم يكن يصح لنا حال مقدرة ، وكمن قاعدة نحوية قدرت ولم يُبال بمخالفتها

(١) من الآية ١١ من سورة الحجر

للقواعد العقلية ؛ فإن من النحو والفقہ معقول من منقول كما ذكر ذلك ابن جنی ، فتارة يلاحظ فيها الأمر العقلي ، وتارة يلاحظ الأمر النقلی ، على أن ما ذكر من الترتيب وما أورد عليه من عدم الملازمة إنما يتجه لو كان الترتيب المذكور عقليا لا يتخالف ، وليس الأمر كذلك ؛ فإن الترتيب الذي في الحديث شرعي لا عقلي ، والذي في الأمثلة أيضاً ليس بعقلي ، بل عادي خاص ، أي بحسب عادة المتكلم أو من تعاق به فعله ، ومثل ذلك يكفي به في الحال المقدرة .

وأمر آخر ، وهو أن ما ذكر في وجه الترتيب تفسير معني ، وما ذكر في تقرير الحال تفسير إعراب ، وهم يفرقون بين تفسير المعنى وتفسير الإعراب ، ولا يلتزمون توافقهما ، كما وقع ذلك كثيراً لسببويه والزنجشري وغيرها .

وأما الإشكال الثاني ففي غاية السقوط ؛ لأن الجمل السابقة ليست مستقلة ، بل جملة « ثم يموت ولا يؤمن » مرتبطة بالجملة الأولى على أنها قيد فيها ، و « ثم » هنا واقعة موقع الفاء ؛ فإنها مجرد الربط ، لا للتراخي كما في قوله :

* جَرَى فِي الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ اضْطَرَبَ * (١)

وفي بعض طرق الحديث « لا يسمع بي من يهودي ولا نصراني فلم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار » فعلم أن جملة « يؤمن » مرتبطة بالأولى ، وفاء الربط تُصَيِّرُ الجملتين في حكم جملة واحدة كما قرره النحاة في باب العطف في مسألة « الذي يطير فيغضب زيد الذباب » فقوله « إن أعدته إلى الجملة الأولى لزم الخلف » إلى آخره مدفوع بأنه إذا أعيد إليها مقيدة بمضمون ما بعدها لا يلزم ما ذكر ، والله تعالى أعلم .

* * *

(١) هذا عجز بيت من شواهد النحاة على أن ثم بمعنى الفاء للترتيب والتعقيب ، فإن اضطراب الرفع يحصل عقيب اهتزازه بلا مهلة ، وصدر البيت قوله :

* كهز الرديني تحت العجاج *

رفع السنة ، في نصب الزنة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ، ولا يقدر لعرشه زنة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نزل عليه أفصح الحديث وأحسنه ، وبعد فقد سُئِلْتُ عن وجه النصب في قوله صلى الله عليه وسلم : « سبحان الله وبحمده زينة عرشه ، ورضا نفسه ، وعدد خلقه ، ومداد كلماته » والجواب عندي أن هذه الكلمات الأربع منصوبات على تقدير الظرف ، والتقدير قَدَرِ زِنَةَ عَرْشِهِ ، وكذا البواقي ، فلما حذف الظرف قام المضاف إليه مقامه في إعرابه ، فهذا الإعراب هو المتجه المطرد السالم من الانتقاض ، وقد ذكر السائل أنه هل يصح أن يكون منصوباً على المصدر ، أو على الحال ، أو على حذف الخافض .

وأقول : أما النصب على المصدر فقد ذكره المطهرى في شرح المصابيح ، قال : « عدد خلقه » منصوب على المصدر ، أى أعدت تسبيحه وتحميده بعدد خلقه ، وبمقدار ما ترضاه خالصاً ، وبثقل عرشه ومقداره ، وبمقدار كلماته ، وسبقه إلى ذلك الأشرقى في شرحه قال : عدد خلقه وكذلك ما بعده منصوب على المصدر ، أى سبحته تسبيحاً يساوى خلقه عند التعداد وزنة عرشه ومداد كلماته في المقدار ويوجب رضا نفسه ، انتهى .

فإن أراد بذلك أنه نفسه مصدر ، وأنه منصوب على أنه مفعول مطلق ، فلا يخفى ما فيه ، فإنه لا يكون مصدراً للتسبيح كما هو واضح ، بل يكون مصدراً لفعل من الزنة ، ويكون التقدير سبحان الله أزينه زنة عرشه ، ولا يخفى فساد هذا التقدير ؛ لأنه ليس المراد إنشاء وزن التسبيح ، بل المراد إنشاء قول التسبيح ، والمعنى : أقول سبحان الله قولاً كثيراً مقدار زنة عرشه في الكثرة والعظم ، وعلى تقدير فعل الزنة يكون المعنى أزين التسبيح زنة عرشه ، وهو ظاهر

الفساد ، ثم إذا قُدِّرَ في الأخرى أعدّه عَدَدَ خلقه كما أفصح به المظهرى أدّى إلى أن المعنى إنشاء عد التسييح ، وليس مردأ ، بل المراد أقوله قَوْلًا عَدَدَ خلقه ، ثم لا يمكنه ذلك في رضا نفسه .

فإن قيل : يُقَدَّرُ أرضيه رضا نفسه .

قلنا : حينئذٍ يعود الضمير على غير التسييح ، وهو في أَرِنُهُ وأَعُدَّهُ عائد على التسييح ، فيختل التناسق في الكلمات ، ثم لا يمكن ذلك في «مداد كلماته» بلا مَرِيَّة ، ويبقى على [كلام] المظهرى تعقبان :

أحدهما : أن عددا لو كان مصدراً لم يجيء بالفك ؛ لأن مصدر عَدَّ على فَعَلَ - بسكون العين - فيجب أن يدغم فيقال عَدَّ - بالتشديد - كَرَدًا ومدَّةً وشَدَّةً ، قال تعالى : (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُم عَدَا) (١) .

والثاني : أنه قال : منصوبٌ على المصدر ، ثم قال : أى أعد تسييحه بعدد خلقه ، فأدخل عليه الباء ، وليس هذا شأن المصدر الذى هو مفعول مطلق ، لا يقال «ضربت زيدا بضرب» في موضع : ضربته ضرباً ، ثم قال : وبمقدار ما يرضاه وبثقل عَرَشِهِ ، ومقداره ، وبمقدار كلماته .

وهذا كله يبطل القول بأنه منصوب على المصدر ، ويؤول إلى نزع الخافض أو الظرفية ؛ فإن النصب على الظرفية ونزع الخافض متقاربان ، فإن الظرف منصوب على إسقاط الخافض الذى هو فى ، غير أنه باب مطرد ، والنصبُ بنزع الخافض فى غير الظرف غير مطرد ، فأبجته بذلك أنه منصوب على الظرف بتقدير قَدَّرَ .

وقد صرح بذلك الخطابى فى معالم السنن ، [فقال] قوله «ومداد كلماته» أى قَدَّرَ ما يوازنها فى العدد والكثرة .

وقال ابن الأثير فى النهاية «ومداد كلماته» أى مثل عددها ، وقيل : قدر

(١) من الآية ٨٤ من سورة مريم

ما يوازنها في الكثرة - عيار كيل أو وزن أو ما أشبه - وهذا تمثيل يراد به التقريب ، انتهى ؛ فأشار بقوله « مثل » إلى المصدر أو الوصف ، وبقوله « وقيل قدر » إلى الظرف .

وقال الشيخ أكمل الدين في شرح المشارق : قوله « عَدَدَ خَلْقِهِ » أي عدداً كعدد خلقه ، و « زنة عرشه » أي بمقدار وزنه ، و « رضا نفسه » أي غير منقطع ، فأشار إلى أن لكل واحدة إعراباً على حدة ، الأولى مصدر ، والثانية ظرف ، والثالثة حال ، ولا شك أن تساوى الكل في الإعراب حيث أمكن أولى ، وتقدير « قدر » في كل منها صحيح ، فاتَّجَهَ نصب الكل على الظرف بتقدير قدر . فإن قيل : لم يصرح أحد بأن قدر انتصب على الظرف .

قلت : ذلك لعدم اطلّاعك في أمهات الكتب ، وقد صرَّح الخطيبُ التبريزي والمرزوقي كلاهما في شرح الحماسة في قول الشاعر :

* فسأيرته مقدار ميل ، وليتني *

وفي قوله :

هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوْ دَنَا مِنْ الْجَمْرِ قَيْدَ الرَّمْحِ لِأَحْتَرَقَ الْجَمْرُ

بأن نصب مقدار وقيد كلاهما على الظرف ، وقيد : بمعنى قدر .

قال ابن شمعون في شرح الإيضاح في قول الفرزدق :

مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ فَسَمَا فَأَدْرَكَ خَمْسَةَ الْأَشْبَارِ

يجوز نصب « خمسة الأشبار » نصب الظرف بسما بتقدير مضاف ، أي سما مقدار خمسة الأشبار .

وقال جماعة في حديث أن موسى « سأل ربه أن يدنيه من الأرض

المقدسة رميةً بحجر » : إن رمية نصب على الظرف بتقدير قدر ، أي قدر رمية بحجر .

وقال الطيبي في شرح المشكاة في حديث « فضل الصلاة التي يُسْتَأْكَ لها على

الصلاة التي لا يُسْتَأْكُ لها سبعين ضعفاً « قوله « سبعين » مفعولٌ مطلق أو ظرف ،
أى تَفْضُلُ مقدارَ سبعين .

وقال أبو البقاء في حديث « مَنْ فارق الجماعة شبراً » : هو منصوب على
الظرف ، والتقدير قَدَّرَ شبر .

وقال الطَّيْبِيُّ في حديث « مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى شِبْرٍ تَقَرَّبَتْ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ
تَقَرَّبَ إِلَى ذِرَاعٍ تَقَرَّبَتْ مِنْهُ بَاعًا » : شبرا وذراعا وباعا في الشرط والجزاء
منصوبان على الظرفية ، أى من تقرب إلى مقدار شبر .

وقال أيضاً في حديث « مَنْ ظَلَمَ شِبْرًا مِنْ أَرْضٍ » : المفعول به محذوف ، وشبراً
يجوز أن يكون مفعولاً [مطلقاً] أى ظَلَمَ شبر ، ومفعولاً فيه ، أى مقدار شبر .

وقال أيضاً في حديث « أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْطَعَ الزَّيْبِرَ حُضْرَ فَرَسِهِ » :
نصبَ حُضْرَ على حذف المضاف ، أى قدر ما يَعْدُو عَدْوَةً واحدة ، ثم إن المسألة
منصوصة في كتب النحو .

قال ابن مالك في التسهيل : الصالح للظرفية القياسية ما دل على مقدار ،
وقال في الألفية :

وَقَدْ يَنْوِبُ عَنْ مَكَانٍ مَصْدَرٌ وَذَلِكَ فِي ظَرْفِ الزَّمَانِ يَكْثُرُ

وقال ابن هشام في التوضيح : ينوب المصدر عن الظرف إذا كان معينا لمقدار
نحو « انتظر تلك حلب ناقة » .

وقال أبو حيان في شرح التسهيل : قال الصفار في شرح الكتاب : اعلم أن
المصدر إذا استعمل في معنى الظرف جاز أن يضاف إلى الفعل ، تقول « أتيتك
رَيْثَ قِيَامِ زَيْدٍ » أى قدر بَطْءِ قِيَامِهِ ، فلما خرجت إلى الظرف جاز فيها ما جاز
في الظرف .

ثم إن نصب « زنة » بخصوصها على الظرفية منصوصٌ عليه من سيبويه
وأئمة النحو .

قال ابن مالك في شرح التسهيل : من الجارى مجرى ظرف الزمان باطرادٍ
مصادرُ قامت مقام مضاف إليها تقديراً نحو قولهم : هو قُرْبَ الدار ، ووزنَ الجبل
وزِنَتَهُ ، والمرادُ بالاطراد أن لا تختصَّ ظرفيتهُ بعاملٍ ما كاختصاص ظرفية المشتق
من اسم الواقع فيه ، انتهى .

وقال أبو حيان في شرح التسهيل : وذكر سيبويه من المنتصب ظرفاً :
صَدَدَكَ ، وصَقَبَكَ ، ووزن الجبل ، وزنة الجبل ، وأقطارَ البلادِ ، وهذه كلها ينصبها
الفعلُ اللازم لإبهامها ، انتهى .

وقال في الارتشاف : فرَّقَ سيبويه بين وزن الجبل وزنة الجبل ، فمعنى وزن
الجبل ناحية توازنه أى تقابله ، قريبة كانت منه أو بعيدة ، وزنة الجبل حذاؤه
أى متصلة به ، وكلاهما مبهم يصل إليهما الفعلُ وينتصب ظرفاً ، انتهى .

وقد قال التوربشتى شارحُ المصابيح في هذا الحديث : زنة عرشه ما يوازنه في
القدر ، يقال : هو زنة الجبل ، أى حذاؤه في الثقل والوزانة ، انتهى . وهذا منه إيماء
إلى تخريج الحديث على الظرفية .

وقد خرَّجوا على الظرفية ما هو أبلغ من ذلك ، روى أن معاوية استعمل ابن
أخيه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبي سفيان على صدقات كلب ، فاعتدى عليهم ، فقال ابن
العَدَاءِ السُّكَلَبِيِّ :

سَمَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبْدًا

فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَمَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ^(١)

قال ابن الأثير في النهاية : نصب عقالاً على الظرف ، أراد مدة عقال ، والعقال

صدقة عام .

وقال ابن يعيش في شرح المفصل : من المنسوب على الظرف قولهم « سيرَ عليه
ترويحيتين ، وانتظر به نَحَرَ جزورين » والمراد مدة ذلك - والترويحيتان تثنية الترويح

(١) في عامة الأصول « فلم يترك لنا سبداً » وهو ظاهر التحريف .

واحدة التراويح في الصلاة .

وقال أبو البقاء في قوله صلى الله عليه وسلم : « لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ » : إنه منصوب على تقدير الظرف ، أي مدة نشاطه ، فحذفه وأقام المصدر مقامه .

وقال الأشرقي في شرح المصاييح : يجوز أن يكون « نَشَاطَهُ » بمعنى الوقت ، وأن يراد به الصلاة التي نشط لها .

فإن قلت : فما تقول في نصبه على الصفة للمصدر ؟ .

قلت : هذا ذكره طائفة ، وأقول : لا يخلو إما أن يجعل صفة للمصدر المذكور - وهو سبحان - أو لمقدر ؛ فأما الأول فيعكر عليه الفَصْلُ بينه وبين موصوفه بقوله « و بحمده » وذلك ضعيف أو ممنوع ، مع أن عندي في جواز وصف سبحان وقفة ، فإنه غير متصرف ، ولم يستعمل إلا علماً للتسبيح منصوباً ، ولم يتصرف فيه بشيء ، وأما الثاني - وهو أن يجعل التقدير سبحان الله تسبيحاً زنة عرشه - ففيه وقفة من وجوه :

الأول : أنه تقدير ما لا حاجة إليه ؛ لأن المصدر يصرح به في اللفظ ، فأى حاجة إلى تقدير مصدر آخر ؟ .

الثاني : أن المصدر المذكور منصوبٌ بفعل مقدر فإذا قدر مصدر آخر لزم منه تقدير لثلاثة : فعل المصدر الظاهر ، والمصدر المقدر ، وفعل آخر له ، لأن الفعل الواحد لا ينصب مصدرين ، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك .

الثالث : أن الكلام لا يصح إلا بتقدير شيء آخر ؛ لأن التسبيح ليس نفس الزنة فيكون التقدير : مثل زنة عرشه ، وإذا آل الأمر إلى تقدير مثل فالمراد المثلية في المقدار ، فرجع إلى ما قلناه من الظرفية ، خصوصاً أن قوله « رضا نفسه » لا يصح فيه تقدير المثلية .

ولهذا قال الأشرقي : يساوي خلقه عند التعداد وزنة عرشه في المقدار ويوجب رضا نفسه ، فأخرجه عن حيز المساواة ، وتقدير قدر صحيح فيه أي قدراً

يبلغ رضا نفسه .

فإن قلت : بقي وجه إبطال الحال .

قلت : إذا قدر أسبح أو أقول سبحان الله موازناً لعرشه فإن جُعِلَ حالا من الفاعل نأفره [كون زنة عرشه وما بعده جارياً على سبحان لا على قائله ، أو من المفعول نأفره] أن المفعول هنا مطلق ، والمعهود مجيء الحال من المفعول به ، ولا يمكن كونه من المضاف إليه كما لا يخفى ، ولا يطرد التقدير بالمشتق في مدار كلماته كما هو ظاهر ، فبطل الحال .

وبقي من الوجوه الممكنة في إعرابه أربعة :

أحدها : أن يجعل مفعولاً به لفعل أو وصف مقدر ، أي يبلغ زنة عرشه ، أو بالغاً زنة عرشه .

الثاني : أن يكون القول مقدرأ ، وسبحان الله : مفعول أول ، وزنة عرشه : مفعول ثان ، على لغة من يجري القول مجرى ظن بلا شرط .
الثالث : أن يكون خبراً لكان مقدره هي واسمها ضميراً راجعاً إلى التسبيح ، وتقدر إما بصيغة المضارع أو اسم الفاعل .

الرابع : وهو خاص برضا نفسه - أن يجعل مفعولاً له ، على جعل الرضا بمعنى الإرضاء ، كقولك « سَبَّحْتُ ابتغاء وجه الله » وكلها لا يعول عليها ، والعمدة على الأول ، والله أعلم ، آخره والحمد لله .

مسألة : وقع السؤال عن حديث « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ ، إِلا مَرِيضٌ ، أَوْ امْرَأَةٌ ، أَوْ مَسَافِرٌ ، أَوْ صَبِيٌّ ، أَوْ مَمْلُوكٌ » رواه الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله ؛ فإن هذا الاستثناء من كلام تام موجب ؛ فيكون ما بعد إلا واجب النصب ، فما وجه رفعه ؟ وخاض الناس في توجيه ذلك ، والذي عندي في الجواب أن هذه الكلمات الواقعة بعد إلا منصوبة ، وإن كتبت بلا ألف ، وهذا ذكره الأئمة في أحاديث كثيرة .

قال النووى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس فى الإسراء « وأرى مالكا خازن النار » وقع فى أكثر الأصول مالك بالرفع ، وهذا قد ينكر ويقال : هذا لحن لا يجوز فى العربية ، ولكن عندى عنه جواب حسن ، وهو أن لفظه مالك منصوبة ، ولكن أسقطت الألف فى الكتابة ، وهذا يفعله المحدثون كثيراً ، فيكتبون « سمعت أنساً » بغير ألف ، ويقرءونه بالنصب ، فكذلك « مالك » كتبوه بغير ألف ويقرءونه بالنصب ، فهذا - إن شاء الله - من أحسن ما يقال فيه ، هذا كلام النووى .

وقال أيضاً فى باب المحج : وَقَتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة ، ولأهل نجد قرن - هكذا وقع فى أكثر النسخ قرن بغير ألف بعد النون ، وهو مصروف لأنه اسم لجبل ، ويقرأ منوناً ، وإنما حذفوا الألف منه كما جرت عادة بعض المحدثين ، يكتبون سمعت أنس بغير ألف ويقرأ بالتنوين .

وقال القرطبى فى شرح مسلم فى كتاب النكاح فى قول عائشة : كان صداقهُ لأزواجه ثلثى عشرة أوقية ونش ، قوله « ونش » هو معرب منون ، غير أنه وقع هنا نش على لغة مَنْ يقف على المنون بالسكون بغير ألف .

وقال الشيخ ولى الدين العراقى فى شرح سنن أبى داود قوله « سمعت خلاس الهجرى » كذا فى أصلنا بغير ألف ، فقد يتوهم أنه غير مصروف ، وليس كذلك ؛ إذ لا مانع له من الصرف ، وهذا اصطلاح لبعضهم أنه يستغنى عن كتابة الألف بجعل فتحتين فوق آخر الكلمة ، لكن قد يُغفلُ الكاتب تلك الفتحتين فيقع فى الإبهام .

وقال أيضاً فى حديث عمرو بن ميمون « قدم علينا معاذ بن جبل اليمى فسمعت تكبيره مع الفجر رجل أجش الصوت » يجوز فى قوله أجش الصوت النصب على الحال ، والرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وقد ضبطناه فى أصلنا بالوجهين ، قوله

أجش الصوت ، وأما قوله رجل فهو مكتوب في أصلنا بغير ألف ، فيما أن يكون مرفوعاً أو منصوباً وكتبه بغير ألف ، وكثير من النساخ يفعل ذلك ، والله أعلم .

الأجوبة الزكية ، عن الأناز السبكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد على شيخنا الإمام العالم العلامة عبد الرحمن نجل الإمام كمال الدين أبي بكر السيوطي الشافعي عامله الله بلطفه ، ورحم سلفه الكريم ، في سادس شهر رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة أوراق مكتوب فيها ما صورته : الحمد لله رب العالمين ، وبعد فقد وقف العبد كاتب هذه الأحرف فقير رحمة ربه ذي اللطف الخفي محمد بن علي بن سودون الحنفي على سؤال كتب قاضي القضاة شيخ الإسلام تاج الدين أبو نصر السبكي في ثلثي عشر ذي القعدة الحرام سنة إحدى وستين وسبعمائة إلى الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي الشاعر المشهور :

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| والمعضلات إذا ما احتطن بالفكر | والمعضلات إذا ما أظلمن في النظر |
| وكدرت صافي الأكدار عندك يا | أبا الصفاء جلاء القلب والبصر |
| فما سؤالات من وافاك يسأل ما | حرف هو الإسم فعلا غير معتبر |
| وأى شكل به البرهان منتهض | ولا يعد من الأشكال والصور |
| وأى بيت على بحر من منتظم | بيت من الشعر لا بيت من الشعر |
| وأى ميت من الأموات ماطلعت | بوته روحه في ثابت الخبر |
| من عد من أمراء المؤمنين ، ولم | يحكم على الناس من بدو ومن حضر |
| ولم يكن قرشياً حين عد ، ولا | يجوز أن يتولى إمرة البشر |

مَنْ باتفاقِ جميعِ الخلقِ أفضلِ منْ
 ومن عليّ ومن عثمان وهو فتى
 من أبصرت في دمشق عينه صنما
 إن جاع ياكل وإن يعطش تَصَلِّعُ منْ
 من قال إن الزنا والشرب مصلحة
 من قال إن نكاح الأم يقرب منْ
 من قال سفك دماء المسلمين على الصلاة أوجبه الرحمن في الزبر
 وما اللقيفة جاءت ، والسخينة في
 وهات قل لى إبراهيم أربعة
 وهكذا خلف من الرواة كذا
 وعن فتاة لها زوجان ما برحا
 وآخر راح يشرى طعم زوجته
 قالت له أنت عبيد قد وهبتك من
 وخمسة من زناة الناس خامسهم
 والقتل والرجم والجلد الأليم كذا
 أجب فأنت جزاك الله صالحة
 مَنْ لم يُرَعْ عند إشكال ولم يحر
 شيخ الصحاب أبي بكر ومن عمر
 من أمة المصطفى المبعوث من مضر
 مصورا وهو منحوت من الحجر
 مياها غير زلال ثم منهمر
 ولم يقل هو ذنب غير مغتفر
 تقوى الإله مقالا غير مبتكر
 غريب ماصح مما جاء في الأثر
 بعض عن البعض من هم تحظ بالظفر
 محمد في المغازى جاء والسير
 تزوجت ثالثا حلا بلانكر
 فعاد وهو على حال من الغير
 زوج زوجته فاخدمه واعتبر
 ما ناله بالزنا شيء من الضرر
 استغريب وزرع في الباقين فاعتبر
 من لم يرع عند إشكال ولم يحر

فكتب إليه أبياتا يمدحه فيها ، وذكر في أثناءها أنه يجيب عن ذلك نثراً ، ولم
 ير العبد له جواباً عن ذلك لا نظماً ولا نثراً ، والمستول من صدقات سيدنا ومولانا
 أبقاه الله في خير ورحمة الجواب عن ذلك نظماً ونثراً ، فكتب شيخنا ماصورته:

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

الجواب نثراً — أما الحرف الذي يكون أيضاً اسماً وفعلاً فهو « عَلَى » ؛ فإنه
 يكون حرف جر ، واسماً بمعنى فوق ، فيدخل عليه حرف الجر ، كقول الشاعر

* غَدَّتْ مِنْ عَلَيْهِ * (١) وفعلاً من العلوقال تعالى : (إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ) (٢) هكذا ذكر جماعة من العلماء أن « على » استكملت أقسام الكلمة ، ولم يذكرها غيرها ، وقد استدركت عليهم قديماً لفظتين أيضاً .

الأولى : « مِنْ » فإنها تكون حرف جر ، وفعالٍ أمرٍ من مَانَ يَمِينُ ، واسما ، قال الزمخشري في الكشاف في قوله تعالى : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) (٣) إذا كانت من للتبويض فهي في موضع المفعول به ، ورزقاً مفعول من أجله ، ولكم مفعول به لرزقا ؛ لأنه حينئذٍ مصدر ، قال الطيبي : وإذا قدرت من مفعولاً كانت اسماً كَعَنْ في قوله * مِنْ عَنْ يَمِينِي مَرَّةً وَأَمَامِي * .

الثانية : « فِي » فإنها تقع حرف جر ، واسماً بمعنى الفم في حالة الجر كقوله صلى الله عليه وسلم : « حَتَّى مَا تَجْمَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ » وفعالٍ أمرٍ من الوفاء بإشباع . وقوله : « وَأَيُّ شَكْلٍ إِلَى آخِرِهِ » هذا أمر يتعلق بعلم المنطق ، وهو علم حرام خبيث لا أخوض فيه ، وقد سئل الشرف ابن المقرئ بأسئلة نظم فيها .

وَمَا عَكْسَ السُّوَالِبِ يَا مُرْجِي أَي الْجَزْئِيَّ مِنْهَا فِي النِّظَامِ

فَأَجَابَ عَنِ الْأَسْئَلَةِ بَيْتًا بَيْتًا وَقَالَ فِي هَذَا الْبَيْتِ :

وَعَنْ عَكْسِ السُّوَالِبِ لَا تَسَلْنِي فَذَلِكَ مُقَدَّمُ الْعِلْمِ الْحَرَامِ

قوله « وَأَيُّ بَيْتٍ عَلَى بَحْرَيْنِ مُنْتَظَمٍ » هذا نوع معروف من أنواع البديع يسمى التشريع ، أولُ من اخترعه الحريري ، وهو أن يكون البيت مبنياً على بحرین وقافيتين يصح الوقوف على كل منهما كقوله :

يَا طَالِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَا إِنَّمَا شَرِكُ الرَّدَى * وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ فِي يَوْمِهَا أَهْبَكَتْ غَدًا * بَعْدَ لَهَا مِنْ دَارِ

(١) هذه قطعة من بيت لحيد بن ثور يصف قطاة ، وهو بتمامه هكذا :

غدت من عليه بعدما تم ظمؤها تصل ، وعن قبض بزياء مجهل

(٢) من الآية ٤ من سورة القصص (٣) من الآية ٢٢ من سورة البقرة

فإنه يصح أن يقول :

يا طالب الدنيا الدنية ؛ إنها شرك الردى

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً

قوله « وأى ميت » إلى آخره ، الظاهر أنه أراد به ما في قوله تعالى : (وكنتم أمواتاً فأحياكم)^(١) أى نطقاً في الأصلاب ، فأطلق عليها الموت مع عدم وجود روح فيها خرجت منها .

قوله « مَنْ عُدَّ مِنْ أَصْرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ » إلى آخره — هو أسامة بن زيد مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، أمراً على جيش فيه أبو بكر وعمر ، فلم ينفذ حتى توفي صلى الله عليه وسلم ، فبعثه أبو بكر إلى الشام ، وكان الصحابة في ذلك السفر يدعونه أمير المؤمنين ، وروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان إذا رأى أسامة بن زيد قال : السلام عليك أيها الأمير ، فيقول أسامة : غفر الله لك يا أمير المؤمنين ، تقول لى هذا ؟ فيقول : لأزال أدعوك ما عشت الأمير ، مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت على أمير ، ولم يكن أسامة من قريش ، بل من الموالي .

قوله « مَنْ بَاتِفَاقٍ » إلى آخره ، مَنْ فِيهِ اسْتِفْهَامٌ نَفِيٌّ أَوْ إِنْكَارٌ ، وكذا « مَنْ قَالَ : إِنْ الزَّانَا » والبيتان بعده ، أى لم يقل ذلك أحد ، كذا رأيت صاحب النظم الشيخ تاج الدين السبكي فسر في بعض تعاليقه ، وجوز في قوله « مَنْ قَالَ : إِنْ الزَّانَا » مَنْ مَبْتَدَأُ خَبْرَهُ غَيْرَ مَغْتَفَرٍ ، أى لا يغتفر له هذا القول ، بل يؤاخذ به .

قوله « مَنْ أَبْصَرَتْ » إلى آخره ، أراد بهذا ما رواه الحاكم في تاريخ نيسابور بسنده إلى أبي عبد الله البوشنجى عن عبد الله بن يزيد الدمشقى عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، قال : رأيت ببغداد صنماً من نحاس إذا عطش نزل فشرب ، قال البوشنجى : ربما تكلمت العلماء على قدر فهم الحاضرين تأديباً وامتحاناً ؛ فهذا الرجل ابن جابر أحد علماء الشام ، ومعنى كلامه أن الصنم لا يمطش ، ولو عطش نزل

(١) من الآية ٢٨ من سورة البقرة

فشرب ؛ فنفي عنه النزول والعطش .

قوله «وما اللقيف» إلى آخره ، قال ابن الأثير في النهاية : قال معاوية للأحنف ابن قيس - وهو يمازحه - : ما الشيء الملقف في البجاد ؟ قال : هو السخينة يا أمير المؤمنين ، قال ابن الأثير : الملقف في البجاد وَطْبُ اللَّبَنِ يُلَفُّ فِيهِ أَيَحْمَى وَيَدْرِكُ ، وكانت تميمٌ تعبر به ، والسخينة : حِساءٌ يُعْمَلُ مِنْ دَقِيقٍ وَسَمْنٍ ، يُوَكَّلُ فِي الْجُدْبِ ، وكانت قریش تعبر بها ، فلما مازحه معاوية بما يعاب به قومه مازحه الأحنف بمثله .

قوله « وهات قل لي » إلى آخره ، هذا نوعٌ من أنواع علوم الحديث ، وهو من اتفق اسمه واسم شيخه فصاعداً ، والأربعة الذين رَوَوْا بعضهم عن بعض وكل منهم يسمى إبراهيم كثيرٌ ، منهم إبراهيم بن شماس السمرقندي عن إبراهيم بن محمد الفزاري الكوفي عن إبراهيم بن أدهم الزاهد عن إبراهيم بن ميمون الصائغ ، والأربعة الذين كل منهم اسمه خلف وقع ذلك في علوم الحديث للحاكم في إسناده واحد ، بل خمسة ، فقال : ثنا خلف ثنا خلف ثنا خلف ثنا خلف ، الأول الأمير خلف بن أحمد السجزي ، والثاني أبو صالح خلف بن محمد البخاري ، والثالث خلف بن سليمان النَّسَفي ، والرابع خلف بن محمد الواسطي ، والخامس خلف ابن موسى بن خلف ، وأما المحدثون في إسناده واحدٍ ففي صحيح البخاري من ذلك شيء كثير ، وقد وقع لي حديث كل رواته يسمى محمداً من شيخنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله « وعن قتادة » إلى آخره ، رأيت بخط صاحب النظم الشيخ تاج الدين في تذكرته ما صورته : امرأة لها زوجان ، ويجوز أن يتزوجها ثالث ، هذه امرأة لها عبد وأمة زَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا بِالْآخِرِ ، فصدق أنها امرأة لها زوجان ، وإذا جاء ثالث حرٌّ فله نكاحها .

قوله « وآخر راح » إلى آخره ، رأيت بخطه أيضاً أن صورتها : عبدٌ زَوَّجَهُ

(٣٢ - الحاوي ٢)

مولاه بابنته ، ودخل بها ، ثم مات مولاه ووقعت الفرقة ؛ لأنها ملكت زوجها بالإرث ، وكانت حاملا فوضعت فانقضت العدة ، فتزوجت ووهبت ذلك لعبد زوجها .

وقوله « وخمسة » إلى آخره رأيت بخطه أيضاً قيل : إن محمد بن الحسن سأل الشافعي عن خمسة زَنَوْا بامرأة ؛ فوجب على واحد القتل ، وآخر الرجم ، والثالث الجلد ، والرابع نصفه ، ولم يجب على الخامس شيء ، فقال الشافعي : الأول ذمى زنى بمسامة فانقض عهده فيقتل ، والثاني محصن ، والثالث بكر ، والرابع عبد ، والخامس مجنون ، انتهى .

ولم أقف على شيء من أجوبة هذه المسائل اغيري إلا هذه المواضع الثلاثة التي نقلتها عن الشيخ تاج الدين ، والموضع السابق في مَنْ ، وباقي المسائل مما أخذته بالفهم . وقلت في الجواب نظماً :

| | |
|---------------------------------|------------------------------------|
| الحمد لله ربى باري البشر | ثم الصلاة على المختار من مضر |
| هذا جواب سوالات الإمام أبي | نصر عليه همت هطالة الدرر |
| أما الذي هو حرف ثم جاء سماً | أيضاً وفعلاً مقالا غير ذى نكر |
| « على » أتت حرف جر ثم فعل علا | واسماً كفوق ، وزد « من » غير مقتصر |
| ثم الذي هو شكل من علوم ردى | ولا يليق بأهل الشرع والأثر |
| والبيت ينظم من بحرین ناظمه | فذاك تشريعهم ، ما فيه من حصر |
| والميت من غير رُوح منه قد خرجت | ما كان في صلبه من نطفة البشر |
| ثم المسمى أمير المؤمنين ولم | يحكم على الناس من بدو ولا حضر |
| أسامة حين وآه النبي على | سرية ، لقبوه ذاك في السفر |
| و « من » في الأربعة أبيات نافية | أى لم يقل ذاك شخص أى معتبر |
| فصاحب النظم هذا القصد بين في | تعليق تذكرة ، يا طيب مدّكر |
| وبعضهم قال في الأصنام إن عطشت | تنزل ، كلا ذاك لا يليق لمختبر |

ثم الليفة أكل والسخينة في
ثم المسمون إبراهيم أربعة
السمرقندي عن الكوفي عن العجلي
وهكذا خَلَفَ خمس أنت نسقا
ومن محمد يدعى عدة نسقا
ومرأة ملكت زوجين لا ريب
والعبد زَوْجَه مولاہ بابنته
أَلت جنينا فوت عدة نكحت
ثم الذين زَنَوْا ذمی بمسلة
والبكر فاحدُدْ ، وعبدًا نصفه أبدا
تم الجواب ولا لبس يخالطه
وقاله عابد الرحمن نجل أبي بكر

ثم بعد اثنتي عشرة سنة - وذلك في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين - وقفت على
كراسة بخط الإمام علم الدين العراقي قال فيها ما ملخصه : قال مولانا القاضي
الفاضل كريم الدين عبد الله الشافعي : وبعد ، فإن بعض أكابر العلماء السادة المعروفين
بزيادة التحقيق وكثرة الإفادة وضع سبع عشرة مسألة ، من المعاني المحكمة بالسؤالات
المشكلة ، وجعلها نظما ؛ لتكون أعسر فهما ، تحار فيها عقول أولى الألباب ،
ويعجزون عن أن يأتوا لها بجواب ، فلما وقفت عليها أردت أن أجرب ذهني
الكليل ، فأجبت عنها ، غير مسألة تعذر تحقيقها لإشكال معناها ، وهي هذه :

الأولى :

مَنْ باتفاق جميع الخلق أفضل من شيخ الصحاب أبي بكر ومن عمر
ومن علي ومن عثمان وهو فتى من أمة المصطفى المختار من مُضَرٍ
الجواب : إن كان عنى بالفتى عيسى ابن مريم فلا يطلق اسم الفتى على الأنبياء ،

وإنما يسمى بذلك الصبيانُ والعييدُ والخدم والإماء ، وإن كان أراد إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يطلق عليه قتي ، فقد نص الأزهري على أن الصبي لا يسمى قتي حتى يراهق ، وإن كان أراد الحسن فأبو بكر أفضل منه ، فلو قال بدل قتي شخص صحح على عيسى عليه السلام ، وعلى إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى فاطمة رضى الله عنها ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم « فاطمة بضعة مني » قال مالك رضى الله عنه : لا أفضل على بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم أحداً .

الثانية :

مَنْ كَانَ وَالِدَهَا ابْنًا فِي الْبَنِينَ لَهَا وَذَلِكَ غَيْرَ عَجِيبٍ عِنْدَ ذِي نَظَرٍ
الجواب : تلك عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنها أم المؤمنين ، وابنة أبي بكر ؛ فهي أمه وابنته .

الثالثة :

مَنْ الْفَتَاةُ لَهَا زَوْجَانُ مَا بَرِحَا تَزَوَّجَتْ ثَالِثًا حَلَّ بِلَا نُكْرٍ
الجواب : لها زوجان من بقر أو غنم أو غير ذلك ، قال الله تعالى :
(قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين)^(١) (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين)^(٢) .

الرابعة :

مَنْ طَلَّقَتْ فَتَلَّقَتْ أَرْبَعًا عِدْدًا عَنِ الْوَجُوبِ بَدَارَ أَيِّ مُبْتَدِرٍ
الجواب : هذه كانت حاملاً فولدت أربعة من الأولاد ؛ فإن العدة لا تنقضي إلا بانفصال الأربعة ، هذا إن كان قوله « عددا » بفتح العين ، فإن كان بكسرهما فهذه أمة دون البلوغ طلقت ، فاعتدت بالأشهر ، ثم حاضت في أثناء ذلك فانتقلت إلى الأقراء ، ثم عتقت فانتقلت إلى عدة الحرائر ، ثم مات الزوج

(١) من الآية ٤٠ من سورة هود (٢) من الآية ٣ من سورة الرعد

فانتقلت إلى عِدَّة الوفاة .

الخامسة :

من إن يزد جرمه تَنْقُصُ مؤاخِذة ويفتدى بهض ما يجنيه كالمدر
الجواب : إن كان جُرمه - بضم الجيم - فهذا رجل ارتكب صغيرة ثم عزم
على ارتكاب كبيرة ثم تركها خوفاً من الله ، فكان تركه للكبيرة بعد العزمِ عليها
مكفراً لتلك الصغيرة التي ارتكبتها ، وإن كان جِرمه - بكسر الجيم - فهو الميزاب
الخارج عن الحائط والروشن إذا وقع نِصْفُه على إنسان فقتله كان على المالك الدِّية
كاملة ، وإن وقع بجملته كان عليه نصف الدِّية .

السادسة :

من إن تَلَا في صلاةٍ آيةً فيبؤُ بالإثم والصِّمْتُ منه ليس من حصر
الجواب : تلا آية في الصلاة فغلط فيها أو لحن ، وكان معه مَنْ يُصَلِّي ، فردَّ
عليه ، فأَصْرَّ على غلظه الأول وهو يظن ما يقرؤه صحيحاً ، فأعاد ذلك الرادَّ عليه
فتوقف وسكت وبطلت الصلاة ، وكان سكوته لا عن حَصْر - وهو عدم القدرة
على الكلام - وإنما سكت للعجز عن الحفظ والمعاندة ، وأن لا يرجع للغير ، فأبطل
الصلاة ؛ فأثم لأجل ذلك .

قلت : هذا جواب مخبط وكلام طويل ، والجواب عن هذه أنه فاقد الطهورين
وهو جُنُبٌ ، يصلي ولا يقرأ آية زيادة على الفاتحة . وهذا الاستدراك من عندي ،
لا من المجيب ولا العلم العراقي ، ثم قال :

السابعة :

من قال وَسَطُ جُمَادَى : الصومُ مفترض وقد يُصَلِّي لنا العيدان في صفر

الجواب : جمادى عند العرب الشتاء كله ، قال الشاعر :

في ليلة من جُمَادَى ذاتِ أُنْدِيَةِ

لا يُبْصِرُ الكَلْبُ في أرجائها الطُّنْبَا

قال : وقوله « وقد يُصَلِّي لنا العيدان في صفر » الصلاة هنا معناها الدعاء ،
والعيدان مثنى عيد ، وهو الوقت الذي يعود فيه الفرح ، أو ذكر الشوق والمحبة ،
فاللغنى : يُدْعَى لنا بحصول عود الفرح وتجديد الشوق إلى الحبيب .

قلت : ما أدركَ هذا الجواب ، وقد اعترف صاحبه بأنه ما قدرَ على أكثر
من ذلك ، والصواب الذي ظهر لي أن يُصَلِّي بمعنى الانحناء والتقويم والتلين من
قولهم « صَلَّيْتُ العودَ على النار » والعيدان : جمع عود ، وهو آلة اللهو المشهورة ،
والصفر : صفيح القصب ، وهذا الاستدراك من عندي أيضاً ، ثم قال :

النامنة :

وَأَكَلَ وَسَطَ شَهْرِ الصَّوْمِ مِنْفَرِداً عَمداً نهاراً ولم يفطر ولم يزر
الجواب : النهار فرخُ القطاة وولد الخُبَّاري ، كما أن الليل ولد الكروان .
التاسعة :

وَأَكَلَ فِيهِ لَيْلاً لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ بِصَوْمِهِ مِنْ سَرَاةِ الرَّأْيِ وَالْأَثَرِ
تقدم جوابه أن الليل ولد الكروان .
العاشرة :

وواحد قد يُصَلِّي وهو منفرد وقد يؤمُّ ، ولا يأنمُ للقَدَرِ
الجواب : هذا أعمى أصم ، لا يصح اقتداؤه بأحدٍ ؛ لأنه لا يرى أفعال الإمام
ولا يسمع المبلغ .
الحادية عشرة :

وقائل لا قصاص في السيوف بلى إن القصاصَ لفي شعر وفي ظفر
الجواب : لا قصاص في السيوف هو في بعض الجروح كالجائفة ومادون الموضحة ،
وقوله « إن القصاص في شعر » وشعر القصاص هنا من قص الشعر يقصه ، ومنه
حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يسجد على قصاص الشعر » قال
الأزهري : هو بالفتح والكسر منتهى شعر الرأس حيث يؤخذ بالقص .

الثانية عشرة :

ثلاثة فَرَجُ أتى منه ما خرجوا وأوجدَ الروح فيهم خالق الضوَرِ
الجواب : هم آدمُ ، وحواءُ ، وناقَة صالح .

الثالثة عشرة :

وسارقِ هَتَكَ الحِرْزَ الحريزِ ولم يُقَطِّعْ ، بلا شُبْهة ، والمالُ ذو خَطَرِ
الجواب : هو الصبي ، والمجنون ، والحربي .
قلت : مثل هذا ظاهر لا يلغز به .

الرابعة عشرة :

وسارقِ ما حَوَى المسروقِ يقطعه وسارقِ ما حَوَى المسروقِ لم يضر
الجواب : ما الأولى موصولة ، والثانية نافية .
قلت : في كليهما نظر .

الخامسة عشرة :

وسارَ قَبْرَ بمن فيه إلى أمدٍ من الزمان ؛ فلا ينكر لذي الخبر
الجواب : هو يونس عليه السلام لما كان في بطن الحوت ، كان الحوتُ
كالقبر له وهو سائر في البحر .

السادسة عشرة والسابعة عشرة :

وأخرِ راحَ بِشَرِي طعم زوجته فعاد وَهُوَ على حال من الغير
قالت له : أنتَ عَبْدِي قد وَهَبْتُكَ من زوجِ تَزَوَّجْتُهُ ، فأخْذُمهُ واعتبر
وخمسة من زناة الناس خامسهم ما ناله بالزنا شيء من الضرر
والرجم والقتل والضرب الأليم مع التفرغِ وُزِعَ في الباقي فافتكر
والجواب عنها كالذي قدمته ، والله أعلم ، والحمد لله وحده .

الأسئلة المائة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ، صَلَّى ذُو الْجَلَالِ عَلَي
مَنْ أَثْبَتَ اللهُ مَوْلَانَا رَسَالَتَهُ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ قَاطِبَةً
وَيَرْحَمُ اللهُ مَوْلَانَا وَسَيِّدَنَا
أَبَا حَنِيفَةَ نَعْمَانَ بْنَ ثَابِتٍ مَنْ
وَمَالَكَ وَابْنَ إِدْرِيسَ وَأَحْمَدَ مَنْ
الْكَاشِفِينَ بِمَا قَدْ حَرَّرُوهُ لَنَا
مَاضَاءَ بَرْقٍ ، وَمَا ضَاعَ الشَّدَا ، وَشَدَا
أَعْمَةُ الْعِلْمِ لَا زَلَمَ نَجْمٌ هُدَى
مَا حُكِمَ قَوْلِ إِلَهٍ الْعَرَّاشِ خَالِقِنَا
فِي آيَةٍ هِيَ فِي الْأَحْزَابِ تَذَكُّرٌ أَنْ
غُفْرَانَ ذَنبِهِمْ ، مَعَ عَظْمِ أَجْرِهِمْ ،
هَلْ مَا أَعِدَّ لِمَجْمُوعِ الْفَضَائِلِ أَمْ
وَرُؤْيَا اللهِ هَلْ لِنَاسٍ تُخَصُّ بِهَا
وَمُؤْمِنَاتِ الْوَرَى يَشْهَدَنَّ رُؤْيَا
أَمْ لَا تَرَاهُ إِنَاثُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَمَا
أَمْ بَعْضُهُنَّ يَرَى الْمَوْلَى كَقَاطِمَةَ ،
مَا آيَةٌ هِيَ أَرْجَى فِي الْقُرْآنِ ؟ وَمَا
مَتَى اشْتَرَى اللهُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَعَ
وَلَمْ يَخْصُ بِأَمْسِئَالٍ وَأَنْفُسِهِمْ

خَلَاصَةَ الْأَنْبِيَاءِ كَثْرَةَ الْمَسَاكِينِ
قَدَمًا ، وَأَدَمَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
وَالْأَلِّ مَعَ صَحْبِهِ الشَّمِّ الْعَرَّانِينَ
مَنْشَى الْعُلُومِ بِتَحْرِيرِ وَتَدْوِينِ
أَسْتَنْبِطِ الْفِقْهِ إِبْضَاحًا بِتَبْيِينِ
مُحْمُ نَجْمِ الْهُدَى لِلنَّاسِ فِي الدِّينِ
عَنِ الْفَوَادِ حِجَابِ الْجَهْلِ وَالرِّينِ
حَادِرٍ ، وَغَرَدَ طَيْرٌ بِالْأَفَانِينَ
لِلْعَالَمِينَ بِإِظْهَارِ الْبِرَاهِينِ
سَبْحَانَهُ جَلَّ عَنْ كَيْفٍ وَعَنْ أَيْنِ
لِلْمُسْلِمِينَ إِلَى وَعْدِ الْعَظِيمِينَ
يَوْمَ الْجَزَاءِ لَدَى نَشْرِ الدَّوَابِ
لِكُلِّ فَرْدٍ أَمْ الْأَفْرَادِ بِالْدَوْبِ ؟
أَمْ مُؤْمِنُوا الْإِنْسِ وَالْجِنِّ الْفَرِيقِينَ ؟
كَالْمُؤْمِنِينَ الْخَنِيفِينَ التَّقِيِينَ
جَوَابِكُمْ ؟ نَلْتَمُّ عَزَا بَدَارِينَ
وَمَرْيَمَ ، وَحَالِيَاتِ النَّبِيِّينَ ؟
أَشَدُّ خَوْفًا بِهِ عِنْدَ الْمَوَازِينِ ؟
مَنْ كَانَ هَذَا الشَّرَاهِلَ قَبْلَ تَكْوِينِ ؟
دُونَ الْقُلُوبِ ، وَفِيهَا مَعْدَنُ الدِّينِ

أمشركاً فضلوها أم مغرباً ؟ وسماً
 أين السموات والجنات أفضل من
 في الذكر بُورِكَ فيها للأنام بها
 ما السر في طمس نور النيرين غداً ؟
 أين الذهاب لشمس بعد مغربها
 وهل إذا غربت ترقى فتسجد تحت العرش أم لا ؟ وما مقدارها أفتوني
 أيّ البلاد بها المهديّ يظهر والشمس ينزل بالرحمى ؟ أجيبوني
 وأيُّ شهر ويوم ، أيما جبل وأي بحر لهم فضلاً بتعيين
 أي بأفضل : ذو الفقر الصبور ، أم الشكور ذو النعم الموسى المساكين
 ما أول خلقه بدءاً ؟ وأول ما باللوح سطر يا أهل البراهين
 ما حكمة في دخول المؤمنين لنا ، ثم في قسم المولى بطاسين
 والميم تالية ما قدر ذرة من يعمل بمثلها خيراً ، أفتدونى
 ما حدّ علم يقين ، ثم عين يقين ، ثم حق يقين ، يا أولى الدين
 هل أفضل الذكر سرّاً أم علانية ؟ وهل يجوز بأنواع التلاحين ؟
 بحيث تزداد بالتلاحين أحرفه وينتج الحرف بالإشباع حرفين
 ما الأفضل : اللبن المذسّغ أم عسل ، وما زمزم أم ما كوتر ؟ أفتوني
 والخوف أم ضده والليل سادتنا أم النهار ، وما سر لذي الكون
 في خلق آدم من طين ، ولم خلقت ورفع عيسى ولم سُمى المسيح وكم
 كم قد أقام نبي الله يوسف في سجن ، وفي بطن حوت قام ذوالنون ؟
 هل جاز إنشاد مدح الهاشميّ على آلات هو كموصول وقانون ؟
 وهل لإلياس والخضر الوفيّ وإدريس الحياة إلى ذا الوقت والحين
 والسيد الخضر المرضى ، هل ثبتت له النبوة ، ساداتي أفتدونى

ووالدای خیر خلق الله منقذنا
 فی جنۃ اذہما لم یعبدان سوی
 ماتا علی ملة ابراهیم سیدنا
 علیہ والمصطفیٰ خیر الأنام سالا
 هل قائل غیر هذا تعلمون ، وما
 ما شرطکم لوجوبات الوضوء ، وما
 ما قولکم فی امام توبہ نجس
 فهل علیہم یعیبدوا أم امامہم
 وفی خطیبٍ مطیلٍ سَجَّعَ خطبته
 وفیہ ایزاء معذور وذی سقم ،
 فهل تلاوته القرآن أفضل أم
 ما قدر قیراط أجر فی الصلاة علی
 من عندهم لم تغب شمس النهار سوی
 والصوم وافی ؛ فإن صلّوا یفوتہم
 آیا کلون ویقضوا فرض مغربہم
 من فی السفینة صلیٰ وهی راسیة
 هل یفسد الصوم ما تبقیہ مضمضة
 ما حکم بیع علی شرط البراءة من
 وطالب ردّ ذا عیبٍ فأقبضہ
 هل طاب هذا له أم لا ویمنعہ
 ومشتري أمة فی الفور أنکحها
 هل ذاک مسقطٌ استبراءها ولو
 وهل یصح لنا یا سادتی سلم

من الضلال الرسول ابن الذبیحین
 ذی العرش مذ خلق الإنسان من طین
 خایله أمره ذبح القرابین
 م الله ، ثم علی کلّ النبیین
 علیہ إن قال فی حق الحنیفین
 شرط لصحته ؟ جودوا بتبیین
 صلیٰ ولم یدر إلا بعد یومین ؟
 أم کلہم لم یعیدوها ؟ أجیبونی
 وعظا ، وحشوا بأنواع التفانین
 وصاحب الحاجة اللہف المساکین
 صلاة نفل ، وماذا یفت فی ذین
 میت ، وحکمتها : صفا وصفین
 قدر الصلاة ویبدو الفجر فی الحین
 من العشا ما به یقووا لفرضین
 وحکمہم فی العشا ماذا أجیبونی
 بالبر هل صح ؟ أو موحولة الطین
 من بلة بغم ، أم لا ؟ أفیدونی
 کل العیوب بما قد بیع من عین
 عن أرشہ خصمه نقداً من العین
 رداً ، وما الحکم فی ذابین الاثنین
 زوجا وطلقها من قبل تمکین
 لایا الوقاع والاستمتاع فی الحین
 علی الفلوس إذا راجت بنقذین ؟

أم حكمها في رواج والكساد سَوَا
 ومن أقرَّ بألفي درهم ونأى
 من ذا زوج من بعضاها اعتقوا
 ما حكم عقد نكاح الغائبين إذا
 وزوجة أنكرت بعد الدخول بها
 هل قولها أم مقال الزوج معتبر
 وذى الإمام هل له وطء لواحدة
 وهل له وطء إحدى الزوجتين ورا
 وهل يجوز له وطء بحضرة مَنْ
 بحيث لا تدرك العمياء ما فعلا
 وقائل : كلما عادت إلى سعاد
 وقائل : إن تبين منى فقبل تكن
 وبعد ما أصدر التعليق طلقها
 ومن يطلق إكراهاً وفي سُكْرٍ
 عليه عشر مثاقيل ، ثلاث مئى ،
 قرضاً ونودى على المنقال خمس مئى
 وقائل لفتاة كان يأنفها
 لئن وطئتك في ملكي فأنت إذن
 وبعد عادت له ملكاً ، وواقعها ،
 ومراة عتقت من ملكت ولداً
 والحال لا قائل شرعى معتبر
 من أكرهوه على عتق ، أينفذ ذا
 أو أكرهوه على خمر أبشر بها ؟
 وبيعهما أجلا ، هل حكم هذين ؟
 عن البيان فماذا يقض بالدين ؟
 محرر البعض أم غير أفيـدونى
 لم يذكر اسم أب والجد الاثنين
 قبض المعجّل من مهر بتلوين
 جودوا ، وقِيمتِ ، بتوضيح وتبيين
 وهُنَّ بسمعن أو ينظرن بالعين
 ستارة ، ولهم تصغى بأذنين
 قد أذهب الله منها نور عينين
 وما جرى بين الاثنين الحبيبين
 بانث ، ودعها بنار الهجر تكوينى
 من عصمتى بانثاً أولى وثنينين
 ما الحكم فيه ، وسر فيه مكنون
 ما حكمه ، ثم ماذا حكم مديون ؟
 كل من العشر المصرية العينين
 كذا على العكس ، ما حكم فى الاثنين
 من فاتكات اللعاط الخرد العين
 عتيقة ، فأبيعت بيع تمكين
 أحكمها عتقها أم لا ؟ أجيبونى
 لها صغيراً بذاك الوقت والحين
 له ، فما صح من هذين الأمرين
 أم لا ؟ وإكراهه ما حده ؟ أفتونى
 أم لا ؟ ويقضى اصطباراً غير مفتون

هل من مجوز قتل للكلاب لإفساد الطريق بتنجيس الخبيثين
هل فاسق مدّع بضرب منّده جمعا لجنّ للموس ومجنون
وهل من السحر تأليب وتفرقة وكتب حرز وحجب للمجانين
ما ليس بالعربي معناه يفهم هل تحل رُقياً به أم لا؟ أجيوني
ما الحكم في ذاكر الأَشهاد ممتنع عن الأدا طالباً أجراً؟ أفيدوني
وشاهد قال : لم أشهد بذا أبداً وبعده ذاكر الإَشهاد في حين
أمنه تُقبِلُ ، أم تلقى شهادته فيه بذلك ، يا أهل البراهين
وحاكم منكر حكماً به شهدا عليه يقبل ، أم قول الشهيدين؟
فهل لدى الجهل تصحيح الولاية أم شرط القضا علمه الأحكام في الدين
ماذا تقولون في علم له نقلوا عن الإمام أبي الفضل ابن سيرين؟
أعني بذا العلم تعبير المنام ، وإخبار المعبر عن غيبٍ ومكنون
يقول : قد دلت الرؤيا بأن سيكن كذا من الأمر في علمي وتيقيني
هل آثم بالذي يُذني المعبر أم لا إثم فيه؟ أجيوني بتبيين
ما حكمة الله في عودِ النبي رسو ل الله عيسى إلى أرضِ أجيوني
ماذا جوابكم فيمن يمد على همز الجلالة في تكبيره ، افتوني
ومن يمدُّ على لام الجلالة ، أو هاء الجلالة؟ يا أهل البراهين
هل بين هذي السما والأرض سادتنا بحر من الماء ، يقينا ، أو بمظنون؟
وهل به فلك تجرى كواكبه به كشمس وبدر ، ثم باقين
أم سير بدر كما قالوا بأولته كذا برابعة شمس ، أفيدوني
نلتُم ثواباً من المولى ومغفرةً على الدوام ، وأجراً غير ممنون
ثم الصلاة على أعلى الورى شرفاً محمد المصطفى خير النبيين
والآل والصحب ما هبَّ الصبأ وصبأ صبَّ لذكر أحاديث المحبين

تعريف الفئة ، بأجوبة الأسئلة المائة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وبعد ، فإنني رجل حُبِّبَ إليَّ العلم والنظر فيه دقيقه وجليله ، والنَوْصُ على حقايقه ، والتطلع إلى إدراك دقائقه ، والفحصُ عن أصوله ، وجُبِلْتُ على ذلك ، فليس في منبت شعرةٍ إلا وهي مححونة بذلك ، وقد أوديت على ذلك أذى كثيراً من الجاهلين والقاصرين ، وذلك سنة الله في العلماء السالفين فلم يزالوا مبتلين بأسقاط الخلق وأراذلهم ، وبمن هو من طائفتهم ممن لم يرتقِ إلى محلمهم ، ومن المعلوم في كتب الحديث والتاريخ ما قاساه ابن عباس من نافع بن الأزرق ، وما أسمعته من الأذى ، وما تعنته به من الأسئلة ، وأسئلة نافع بن الأزرق لابن عباس مشهورة مروية لنا بالإسناد المتصل مدونة في ثلاث كراريس ، وقد سقتُ غالبها في الإتيان ، وقول نافع لرفيقه لما أراد تعنت ابن عباس : قم بنا إلى هذا الذي نصَّبَ نفسه لتفسير القرآن بغير علم حتى نسأله ، ورد ابن عباس عليه بأبلغ رد .

ومن المعروف في صحيح البخاري وغيره ما قاساه سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة من جهال أهل الكوفة ، وشكواهم إياه لعمر بن الخطاب ، حتى قال له عمر : شكوك في كل شيء حتى قالوا : إنك لا تحسن أن تصلى ، فانظروا بالله الذين أسلموا البارحة يزعمون في صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يسمى ثلث الإسلام أو ربه إنه لا يحسن الصلاة ، وكذلك من المعلوم ما قاساه الإمام مالك من أهل عصره لما برز عليهم ، وما قاساه الإمام الشافعي من أهل مصر لما ألف الردَّ على مالك ، وانضطراب البلد حتى كاد البلد يفتتن ، وما قاساه البخاري من أنداده ، والغزالي من أعدائه ، وغيرهم من المتقدمين والمتأخرين ، وقد اجتمعوا كلهم عند الله ، وظهر لهم الحقُّ من المبطل ، والأرفعُ رتبةً عند الله من غيره ، وظهر لنا مصداقُ ذلك في هذه الدار ببقاء كلام هذه الأئمة وانتشاره وظهوره واضمحلال من

ردّ عليهم وطمس ذلك ودُثوره .

وهذه الأسئلة قد رفعت إلى ، وهي محتاجة إلى تفضّل نظرٍ ، وسعّه اطلاع ، فأجبت عنها أولاً نثراً ثم أعقده نظاماً ، فأقول :

أما السؤال الأول فقد ورد على من مدة ، وأجبت عنه بما نصه : الإعداد في هذه الآية مرتب على المسلمين الموصوفين بكل ما ذكر في الآية من الصفات ، لا على فردٍ فردٍ من الصفات ، والمعطوفات من عطف الصفة لا من عطف الذوات ، والمراد بهم البالغون درجة الكمال من هذه الأمة ، والمراد بالمدّ أكمل ما أعدّ ، بدليل تنكير (مغفرة) الدال على التعظيم وتنكير (أجر) الدال عليه أيضاً ، ووصفه بعظيم ، وإذا قال الله شيء (عظيم) فهو عظيم جداً لا يعبر عنه ، وذلك أبلغ مما أعد للمسلمين الذين لم يتصفوا بكل هذه الصفات أو ببعضها ، فإن أجرم دون ذلك ، هذا من حيث الاستنباط المأخوذ من قواعد العربية والمعاني .

وأما من حيث النقل عن العلماء فقد قال الغزالي في بعض كلامه : إن الموعود في القرآن بالجنة لم يقع مرتباً على مجرد الإسلام أو الإيمان ، بل لم يقع فيه إلا مقروناً باشتراط انضمام الأعمال إليه ، ذَكَرَ ذلك في معرض الحث على الأعمال ؛ فهذا يدل على الأعمال الواقعة في هذه الآية ، كل منها جزء المحكوم عليه ، وليس كل منها محكوماً عليه استقلالاً .

ويؤيده أيضاً من حيث الاستنباط أنه لو كان كل فرد محكوماً عليه استقلالاً لزم الحكم على فردٍ من الأعمال كالصوم أو الصدقة المذكور في الآية مجرداً عن الوصف المصدر به - وهو الإسلام والإيمان - وهو باطل ، وإذا بطل اللازمُ بطل الملزوم .

فإن قال قائل : هذا مستثنى لا بد من اعتباره ، لما دلّ عليه من خارج .

قلت : والباقي أيضاً دلّ على اعتبار مجموعه القواعد العربية والبيانية ، والسياق يرشد إليه ، والأحاديث الواردة في الحساب والوزن والتقاص إذا وقف عليها بلفظها

مع مراعاة قواعد الاستدلال وأساليب البيان وغير ذلك من الأمور المشترطة في الاجتهاد انتجت للمجتهد أن الإعداد مرتَّبٌ على المجموع لاعلى كل فرد فرد ، والله أعلم .
 وأما السؤال الثاني فذكر صاحب « آكام المرجان ، في أحكام الجنان » أن قياس قول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الملائكة أنهم لا يرون ربهم أن الجن أيضاً لا يرون ربهم ، ومستند الشيخ عز الدين في الملائكة قوله تعالى : (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ)^(١) خص من ذلك المؤمنون ، فبقى على عمومهم في الملائكة ، لكن مقاله الشيخ عز الدين في الملائكة ممنوع كما بينته في الكتاب الذي ألفتة في الرؤية وما قاله صاحب الآكام في الجن خالفه فيه البلقيني ، ومال إلى أنهم يرون ، والذي أقوله : إن الجن تحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر الخلق قطعاً ، ويحصل لهم في الجنة في وقتٍ ما ، من غير قطع بذلك ، لكن باحتمال راجح ، وأما أنهم يرون الإنس في الرؤية كل جمعة فالظاهر خلافه .

وأما السؤال الثالث فقد حكى ابن كثير في كتاب « البداية والنهاية » في رؤية النساء ثلاثة مذاهب : أحدها أنهن يرين إدراجاً لهن في عموم الأخبار الواردة في الرؤية . والثاني أنهن لا يرين أصلاً ؛ لعدم التصريح برؤيتهن في الحديث . والثالث أنهن يرين في الأعياد خاصة ، ولا يرين مع الرجال في أيام الجمع ؛ لورود حديث في ذلك ، وهذا القول الثالث هو الراجح ، وبه جزم ابن رجب ، وأنا أستثنى أزواج الأنبياء وبناتهم وسائر الصديقات ، فأقول : إنهن يرين في غير الأعياد أيضاً ، خصوصية لهن ، كما اختص الصديقون من الرجال بمزية في الرؤية ليست لغيرهم ، وقد بسطنا الكلام على هذه المسألة في مؤلف مستقل ، سميناه « إسبال الكساء ، على النساء » وخلصناه في مختصر سميناه « رفع الأسي ، عن النساء » .

وأما السؤال الرابع ، والخامس فذكر صاحب « كشف الأسرار ، عما خفي عن الأفكار » أنه قيل في أرجى آية في القرآن قوله : (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون)^(٢)

(١) من الآية ١٠٣ من سورة الأنعام (٢) من الآية ٣٥ من سورة الأحقاف

وقیل : (أن العذاب علی مَنْ کذب وتولى)^(١) ، وقیل : (لا تَقْنَطُوا من رحمة الله)^(٢) وقیل : (إن تَجْتَذِبُوا کبائر ما تُنْهَوْنَ عنه نکفر عنکم سیئاتکم)^(٣) وقیل : (قل کلّ يعمل علی شا کاته)^(٤) ، وقیل : (الیوم أکلت لکم دینکم)^(٥) ، وقیل : (ولکن یُریدُ لیطهرکم)^(٦) ، وقیل : (الذین آمنوا ، ولم یلبسوا إیمانهم بظلم)^(٧) ، وقیل : (إن الذین قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا)^(٨) ، وقیل : (ولَسَوْفَ یُعْطِیکَ ربک فترضی)^(٩) ، وقال فی أخوف آیه : (ویحذركم الله نفسه)^(١٠) ، وقیل : (سَنَفْرُغُ لکم أیها الثقلان)^(١١) ، وقیل : (فأین تذهبون)^(١٢) ، وقیل : (مَنْ يعمل سوءاً یُجزَ به)^(١٣) وقیل : (أَلْحَسِبْتُمْ أنما خلقناکم عَبَثًا)^(١٤) ، وقیل : (إن بَطْشَ ربک لشدید)^(١٥) ، وقیل : (أم حسب الذین اجترأوا السیئات)^(١٦) الآیه .
وأقول : بقی فی أرجوی آیه أقوال فقیل قوله : (وَهَلْ نِجَازِی إِلَّا الْکُفُور)^(١٧) وقیل قوله : (ولکن لیطمئن قابی)^(١٨) ، وقیل قوله : (وَمَا أَصَابکم من مصیبة فما کسبت أیدیکم ، ویعفو عن کثیر)^(١٩) ، وقیل : (إن الله لا یغفر أن یشرک به)^(٢٠) وقیل : (ولا یأتلِ أولو الفضل منکم والسعة)^(٢١) إلى قوله : (ألا تحبون أن یغفر الله لکم)^(٢٢) ، وقیل : (وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عملاً صالحاً وآخر

- | | |
|------------------------------------|--------------------------------------|
| (١) من الآیه ٤٨ من سورة طه | (٢) من الآیه ٥٣ من سورة الزمر |
| (٣) من الآیه ٣١ من سورة النساء | (٤) من الآیه ٨٤ من سورة الإسراء |
| (٥) من الآیه ٣ من سورة المائدة | (٦) من الآیه ٦ من سورة المائدة |
| (٧) من الآیه ٨٢ من سورة المائدة | (٨) من الآیه ٣٠ من سورة فصلت |
| (٩) من الآیه ٤ من سورة الضحی | (١٠) من الآیه ٢٨ من سورة آل عمران |
| (١١) من الآیه ١١ من سورة الرحمن | (١٢) من الآیه ٢٦ من سورة التکویر |
| (١٣) من الآیه ١٢٣ من سورة النساء | (١٤) من الآیه ١١٥ من سورة المؤمنین |
| (١٥) من الآیه ١٢ من سورة البروج | (١٦) من الآیه ٢١ من سورة الجاثیة |
| (١٧) من الآیه ١٧ من سورة سبأ | (١٨) من الآیه ٢٦٠ من سورة البقرة |
| (١٩) من الآیه ١٥ من سورة المائدة | (٢٠) من الآیه ٤٨ من سورة النساء |
| (٢١) من الآیه ٢٢ من سورة النور | |

سبئاً^(١) ، وقيل : (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم)^(٢) ، وقيل : (يتباً
 ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة)^(٣) ، وقيل : (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على
 من كذب وتولى)^(٤) ، وقيل : (قل للذين كفروا إن يذنبوا يغفر لهم ما قد سلف)^(٥)
 وقيل : آية الدين ، وبقى في أخوف آية أقوال ؛ فمن أبي حنيفة قوله تعالى : (واتقوا
 النار التي أعدت للكافرين)^(٦) ، وعن الشافعي قوله تعالى : (إن الإنسان لفي
 خسر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)^(٧) ، وعن الشبلي قال : أخوف آية في
 القرآن على طالبي أهل الدنيا قوله تعالى : (منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد
 الآخرة)^(٨) ، وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن ابن سيرين قول : لم يكن عندهم شيء
 أخوف من هذه الآية : (ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم
 بمؤمنين)^(٩) .

وأما السؤال السادس فأقول : إن الشراء قد وقع في الأزل بالعلم ، وعند نزول
 الآية بالفعل ، وهذا شأن صفات الأفعال ؛ فإن قوله (اشترى)^(١٠) صفة فعل مسندة إلى
 الله ، وبهذا يحصل الجواب عن السؤال السابع ، وهو أنه لم يكن في الأزل من
 يشتري منه ، ويحتمل أن يجاب عنه بأن ذلك وقع مع المؤمنين وهم في عالم الذر ،
 لكن هذا يحتاج إلى ورود حديث به أو أثر ، ولم نقف عليه .

وأما السؤال الثامن فإنما خص الأموال والأنفس - وهي الأرواح - لأنهما أعز
 الأشياء عند الخلق ، فأعز شيء على الإنسان نفسه التي هي روحه ، والمال عدل الروح ؛
 فاشترى منهم الأنفس ليبدلها للقتل في سبيل الله ، والأموال لينفقوها في الجهاد ،

- | | |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) من آية ١٠٢ من سورة التوبة | (٢) من الآية ٦ من سورة الرعد |
| (٣) الآيتان ١٥١ و ١٤٢ من سورة البلد | (٤) من الآية ٤٨ من سورة طه |
| (٥) من الآية ٣٨ من سورة الأنفال | (٦) من الآية ١٣١ من سورة آل عمران |
| (٧) من الآية ٢ من سورة العصر | (٨) من الآية ١٥٢ من سورة آل عمران |
| (٩) من الآية ٨ من سورة البقرة | (١٠) من الآية ١١١ من سورة التوبة |

ولم یذکر القلوب لأنه إن أريد بالقلب ما هو حال فيه - وهو الروح - فقد ذكر ذلك الحال وهو الأنف، فأغنى عن ذكر المحل الذي هو وعاء كحوض، وإن أريد بالقلب المحل الذي هو الشكل الصنوبري وهو الوعاء فهذا ليس بشيء حتى يذكر، لأنه عبارة عن قطعة لحم وجزء من بدن الإنسان، وقد ذكر ما هو أشرف منه وأعز من كل البدن وهي الأنف، فلم يكن لذكر القلوب معنى.

وأما السؤال التاسع فقال صاحب « كشف الأسرار » قال الطوخي في أسرار التنزيل: اختلف في أي الجهتين أفضل، فقال المشاركة: المشرق أفضل، واحتجوا بوجوه:

الأول: أن الله تعالى لم يذكر الموضوعين في موضع إلا قدم ذكر المشرق.

الثاني: الفضاء يكون مظلمًا، فلا يضيء إلا بطلوع الشمس من المشرق.

الثالث: أن الأئمة الأربعة في الفقه من المشرق.

الرابع: أن الأرض التي بورك فيها بنص القرآن - وهي أرض مصر والشام وأرض الجزيرة - من المشرق؛ لأن الناس اتفقوا على أن أرض مصر حاد ما بين المشرق والمغرب، فما كان من مصر إلى جهة مطلع الشمس فهو مشرق، فيتناول الحجاز والشام واليمن والعراق وما بعدها، والمصر في اللغة: الحد، ولذا سميت مصر بمصر.

واحتج المغاربة بوجوه:

أحدها: أن الله تعالى بدأ بذكر المغرب في قصة ذي القرنين.

والثاني: قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين »،

وفي رواية « لا يزال أهل الغرب ظاهرين » وأجيب بأن الثابت « وهم بالشام » لأن

الشام غربي المدينة، وأما لفظ الغرب فلا يثبت، وإن ثبت فهو محمول على الغرب،

وهو الدلو التي يستقي بها، وأكثرهم باليمن.

الثالث: أن المغرب اختص بظهور الأهلّة التي هي مواقيت للناس والحج،

يرمقها أبصار الناس ، دون المشرق ، وعورض بطلوع الشمس من المشرق ، وبأن القمر يطلع أولاً من المشرق محوقاً ثم يظهر بالمغرب ، و بأن باب التوبة سَعَتُهُ أَرَبَعُونَ عاماً ثم إنه يغلُق بالمغرب .

الرابع : أن المهديّ يظهر بالمغرب ، وأجيب بأن المشهور ظهوره بمكة ، أو اليمن ، أو العراق .

قالت المغاربة : نحن لا يظهر الدجال من عندنا ، ولا يأجوج ومأجوج ، ولا سائر الفتن ، ولا أشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى بلدنا فقال : « الفتنة من ههنا » .

قالت المشاركة : هذا عدول عن تقرير المناقب ، إلى التعريض بالمثالب ، فإن كان الأمر كذلك فيكفيكم أن الشمس آية النهار ، وأنها تغرب عنكم وتظلم الأقطار ، ويغلُق باب التوبة من جهتكم ، فلا تنفع التوبة والاستغفار .

وأقول : لم يترجح عندي تفضيل المشرق على المغرب ، ولا عكسه ؛ لتعارض دليل كل منهما ، وقد أردت أن أفضل المشرق لأن الأنبياء بعثوا منه ، ولم نقف أنه بعث من المغرب نبي ، ثم وقفت عن ذلك ؛ لاحتمال أن يكون بعث منه نبي ، وإن لم يرد به خبر ؛ لأن الأنبياء مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي ، فأى مانع من أن يكون طائفة منهم من المغرب ؟ ولم ترد الأخبار بتفضيل حال خمسين نبياً ، فضلاً عن أكثر من ذلك حتى يؤخذ منها .

وأما السؤال العاشر فقال صاحب « كشف الأسرار » : اختلفوا في ذلك ، والأكثر على تفضيل الأرض على السماء ؛ لأن الأنبياء خلقوا منها ، وعبدوا الله فيها ، ودفنوا فيها .

وأما السؤال الحادي عشر فذكر صاحب « كشف الأسرار » مانصه : في كلام بعضهم : الأرض العليا أفضل مما تحتها ؛ لاستقرار ذرية آدم فيها ، ولانتفاعنا بها ، ودفن الأنبياء بها ، وهي مهبط الوحي وغيره .

قلت : ورد به الأثر عن ابن عباس كما سند كره .

وأما السؤال الثاني عشر ففي « كشف الأسرار » قال بعضهم : السماء الأولى أفضل مما سواها ؛ لقوله تعالى : (وَاقْدُرْ زِينَةَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ)^(١) .

قلت : ورد الأثر بخلافه ، أخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال : سيد السموات السماء التي فيها العرش ، وسيد الأرضين التي نحن عليها .

وأما السؤال الثالث عشر : فأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة » وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الفردوسُ مقصورة الرحمن ، فيها خيار الأشجار والأنهار » .

وأما السؤال الرابع عشر : فأخرج ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب في قوله تعالى : (وَبَجِينَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)^(٢) قال : الشام ، وأخرج أيضاً عن أبي العالمة قال : هي الأرض المقدسة ، برك الله فيها للعالمين ؛ لأن كل ماء في الأرض عذب هو منها يخرج من أصل الصخرة التي في بيت المقدس يهبط من السماء إلى الصخرة ثم يتفرق في الأرض .

وأخرج عن قتادة قال : هي أرض الشام ، وهي أرض المحشر والمنشر ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وبها يهلك مسيخ الضلالة الدجال .

وأخرج عن كعب قال : هي حرّان ، وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : (وَبَجِينَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)^(٢) قال : يعني مكة ، ونزول إسماعيل البيت ، ألا ترى أنه يقول : (إن أول بيت وُضِعَ للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين)^(٣) .

(١) من الآية ٥ من سورة الملك

(٢) من الآية ٧١ من سورة الأنبياء

(٣) من الآية ٩٦ من سورة آل عمران

وأما السؤال الخامس عشر ففي « كشف الأسرار » قيل : الحكمة في أن الشمس والقمر يوم القيامة يطمس نورهما ويلقيان في جهنم ليظهر لعبدة الشمس والقمر أنهما ليسا آلهة ؛ لأنهما لو كانا آلهة لدفعا عن أنفسهما ، ولما ذهب ضوؤهما ، وهذا هو السر في ذهاب ضوئهما في الدنيا بالخسوف ، وإنما ألقيا في جهنم يوم القيامة ليقال : مَنْ كان يعبد شيئاً فليتبعمه ، فيتبعونهم في جهنم .

وأما السؤال السادس عشر ففي « كشف الأسرار » : إن قيل ما هذا السواد الذي في القمر ؟ قيل : سأل ابن الكواء عليّاً رضي الله عنه عن ذلك ، فقيل : إنه أثر مسح جناح جبريل ، وذلك أن الله تعالى خلق نور القمر سبعين جزءاً ، وكذلك نور الشمس ، ثم أتى جبريل فمسح به جناحه ، فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً ، فحوّلها إلى الشمس ، فأذهب عنه الضوء وأبقى فيه النور ؛ فذلك قوله تعالى : (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مُبْصِرَةً) ^(١) وأنت إذا تأملت السواد الذي في القمر وجدتها حروفاً : أولها الجيم ، وثانيها الميم ، وثالثها الياء ، والرابع ألف آخر الكل مكتوب عليه جيلاً ، وقد شاهدت ذلك وقرأته مرات ، فسبعان من خلقه جيلاً .

قلت : أخرج البيهقي في دلائل النبوة عن سعيد المقبري أن عبد الله بن سلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن السواد الذي في القمر ، فقال : كانا شمسين ؟ فقال قال الله تعالى : (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) ^(١) قال : والذي رأيت هو المحو .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند واهٍ عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله خلق شمسين من نور عرشه ، فأما ما كان في سابق علمه أنه يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا على قدرها ما بين مشارقها ومغاربها ، وأما ما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويجعلها قرماً فإنه خلقها دون الشمس في العظم ، ولكن

(١) من الآية ١٢ من سورة الإسراء

إنما يرى صفرها لشدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض ، فلو ترك الشمس كما كان خلقها أول مرة لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ، ولم يدُر الصائم متى يصوم ومتى يفطر ، ولم يدُر المسلمون متى وقت حجهم وكيف عدد الأيام والشهور والسنين والحساب ، فأرسل جبريل فأمر جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ؛ فذلك قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ)^(١) .

وأخرج عبد الرزاق في المصنف عن مجاهد قال : كتب هِرَاقْلُ إلى معاوية يسأله عن ثلاثة أشياء : أي مكان إذا صليت فيه ظننت أنك لم تُصلَّ إلى قبلة ؟ وأي مكان طلعت فيه الشمس مرة لم تطلع فيه قبل ولا بعد ؟ وعن السواد الذي في القمر ، فأرسل معاوية إلى ابن عباس يسأله ، فكتب إليه : أما المكان الأول فهو ظهر الكعبة ، وأما الثاني فالبحر حين فرقه الله لموسى ، وأما السواد الذي في القمر فهو المحو .

وأما السؤال السابع عشر والثامن عشر في « كشف الأسرار » : الشمس إذا غرَبَتْ أين تذهب ؟ .

قال الطرطوشي في شرح الرسالة : اختلف في ذلك ، فقيل : يبتلعها حوت ، وقيل تغرب في عين حَمِيَّة كما قال الله تعالى ، وَالْحَمِيَّةُ بِالْهَمْزِ^(٢) ذات حمأة وطين ، وقرئت (حامية)^(٣) بغير همز أي حارة ساخنة ، قال الطرطوشي : وقيل إنها تطلع من سماء إلى سماء حتى تسجد تحت العرش وتقول : يارب إن قوماً يعصونك ؛ فيقول الله تعالى لها : ارجعي من حيث جئت ، فتنزل من سماء إلى سماء حتى تطلع من المشرق ، وإذا نزلت إلى سماء الدنيا طلع الفجر حينئذ .

وقال إمام الحرمين وغيره : لا خلاف أن الشمس تغرب عند قوم وتطلع على

(١) من الآية ١٢ من سورة الإسراء (٢) من الآية ٨٦ من سورة الكهف

(٣) الحمأة - بفتح الحاء وسكون الهمز - الطين الأسود .

آخرين ، والليل يطول عند قوم ويقصر عند آخرين ، وعند خط الاستواء يكون الليل والنهار مستويين أبداً .

وسئل الشيخ أبو حامد عن بلاد بلغار : كيف يُصلُّون ؟ فإنه ذكر أن الشمس لا تغرب عندهم إلا مقدار ما بين المغرب والعشاء ثم تطلع ، فقال : يعتبر صومهم وصلاتهم بأقرب البلاد إليهم ، والأحسنُ - وبه قال بعض الشيوخ - أنهم يقدرُون ذلك ، ويعتبرون الليل والنهار ، كما قال صلى الله عليه وسلم في يوم الدجال الذي كسنة وكشهر « قَدَّرُوا لَهُ » حين سأله الصحابة عن الصوم والصلاة فيه ، وبلغار - بضم الباء الموحدة وإسكان اللام وبالغين المعجمة و بالراء المهملة في آخره - أقصى بلاد الترك .

وذكر لي بعضهم عن أخبره أن الشمس إذا غربت عندهم من ههنا طلع الفجر وصار يمشى قليلاً ثم تطلع الشمس ، وهذا الجواب المذكور يحصل الجواب عن تردُّدِ أبداء القرافي في قوم لا تغيب الشمس عندهم إلا بمقدار الصلاة ، فهل يشتغلون بصلاة المغرب أو بالأكل حتى يقووا على صوم الغد إذا كان شهر رمضان .

وإذا علمت من هذه القاعدة أن الليل يقصر عند قوم ويطول عند آخرين ظهر لك وجه الجمع بين الروايات الواردة عنه عليه السلام في قوله : « يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَذْهَبُ ثُلُثُ اللَّيْلِ » ، وفي رواية « حِينَ يَذْهَبُ نِصْفُ اللَّيْلِ » ، ويقول : هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ مَنْ يقرض غير عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ » الحديث ، وكذا أجاب بعضُ العلماء بهذا الجواب ، وهو أن نزول الملك يكون دائماً نصف الليل ، قال : ونصف الليل يكون نصفاً عند قوم ، وثلاثاً عند آخرين ، فلا تنافي بين الروايتين ، قال : والمعنى فيه أن الشمس إذا انتصف الليلُ أحدثت في العالم حركة بطبيعتها وحرارتها ، فلا يبقى حيوان نائم إلا وتحرك ؛ لأنها تقرب من الأرض ، فإذا تحرك استيقظ في الغالب ، فإذا استيقظ تاقاه المنادى ونشطه إلى القيام

إلى الطاعة ، فيقول : هل من مستغفر ؟ هل من تائب ؟ هل من طالب حاجة ؟ فهذه أسرار غريبة ومعانٍ لطيفة ، فسبحان مَنْ هذا عطاؤه ، وجَلَّ من هذا قضاؤه .

قلت : الأحاديث والآثار مختلفة في ذهاب الشمس بعد غروبها ، فأخرج البخاري عن أبي ذر قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس ، فقال : يا أبا ذر تَدْرِي أين تغرب الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش ؛ فذلك قوله تعالى : (والشمسُ تجري لمستقر لها) ^(١) وأخرجه النسائي بلفظ « فإنها تذهب حتى تنتهي تحت العرش عند ربها ، ثم تستأذن فيؤذن لها ، ويؤشكُ أن تستأذن فلا يؤذن لها وتطلب ، فإذا كان ذلك قيل لها : اطلعي من مكانك ؛ فذلك قولُ الله : (والشمسُ تجري لمستقر لها ^(١)) . وأخرج عبد الرزاق عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى : (والشمسُ تجري لمستقر لها ^(١)) قال : مستقرها أن تطلع فتردها ذنوبُ بني آدم ، فإذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها ، حتى إذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها ، فتقول : إن السير بعيد ، وإني إن لا يُؤذَن لي لا أبلغ ، فتحبس ماشاء الله ، ثم يقال : اطلعي من حيث غربت .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : لا يخالف بين هذا وبين قوله تعالى : (وجدَّها تغربُ في عين حمئة ^(٢)) فإن المراد به نهاية مدرك البصر إليها حال الغروب ، وسجودها تحت العرش إنما هو بعد الغروب ^(٣) .

وقال الخطابي : يحتمل أن يكون المراد باستقرارها تحت العرش أنها تستقر تحته استقراراً لا تحيط به نحن ، وليس في سجودها كل ليلة تحت العرش ما يعيق عن دورانها في سيرها .

(١) من الآية ٣٨ من سورة يس (٢) من الآية ٨٦ من سورة الكهف

(٣) وقد يكون سجودها تحت العرش كناية عن كمال خضوعها لخالقها وانقيادها

للنظام الذي وضع لها .

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس قال : الشمسُ بمنزلة الساقية ، تجرى بالنهار في السماء في فلَكِها ، فإذا غربت جرَّت الليل في فلَكِها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها ، وكذلك القمر .

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن البصرى قال : إذا غربت الشمسُ دارت في فلَكِ السماء مما يلي دبر القبلة ، حتى ترجع إلى المشرق الذي تطلع منه ، وتجرى في السماء من شرقها إلى غربها ، ثم ترجع إلى الأفق مما يلي دبر القبلة إلى شرقها كذلك ، هي مسخرة في فلَكِها ، وكذلك القمر .

وأخرج أبو الشيخ عن عكرمة قال : إن الشمس إذا غربت دخلت بحراً تحت العرش فتسبح الله ، حتى إذا هي أصبحت استعفت ربَّها من الخروج ، قال : ولم ؟ قالت : إني إذا خرجتُ عُبِدْتُ من دونك .

وأخرج أبو الشيخ بسندٍ واهٍ عن ابن عباس قال : إن الشمس إذا غربت رفع بها إلى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة ، وتجلس تحت العرش ، فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع ، ثم ينطلق بها ما بين السماء السابعة وبين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة ، فتتحدّر حيال المشرق من سماء إلى سماء ، فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذلك حين تطلع الشمس .

وأخرج ابن عساكر عن الزهري أن خزيمه بن حكيم السلمي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حر الماء في الشتاء وبرده في الصيف ؟ فقال : إن الشمس إذا سقطت تحت الأرض سارت حتى تطلع من مكانها ، فإذا طال الليل في الشتاء كثر لُبُّها في الأرض فيسخن الماء لذلك ، فإذا كان الصيف مرت مسرعة لا تلبث تحت الأرض لقصر الليل ، فثبت الماء على حاله بارداً .

هذا مجموع ما وقفت عليه في هذه المسألة من الأحاديث والآثار .

وأما السؤال التاسع عشر فقد تقدم في الحديث المرفوع أن الشمس على قدر الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها .

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن عكرمة قال : الشمس سعة الأرض وزيادة ثلث ، والقمر على قدر سعة الأرض .

وأخرج أيضاً عن قتادة قال : الشمس طولها ثمانون فرسخاً ، في عرض ثمانين فرسخاً .

وأخرج أبو الشيخ من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس أن رجلاً قال له : كم طول الشمس ؟ وكم عرضها ؟ قال : تسعمائة فرسخ في تسعمائة ، وطول الكواكب اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً .

وأما السؤال العشرون فقد ثبت في أحاديث أنه يخرج من قبل المشرق ، وأنه يُباع له بمكة بين الركن والمقام ، وأنه يسكن بيت المقدس .

وأما السؤال الحادي والعشرون فقد صح في مسلم من حديث النّوّاس بن سَمْعَانَ أنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق .

قال ابن كثير : هذا هو الأشهر في موضع نزوله ، وورد في بعض الأحاديث أنه ينزل بيت المقدس ، وجمع بعض العلماء بينهما بأنه ينزل بيت المقدس ، وبيت المقدس هو شرقي دمشق ؛ وفي بعض الروايات أنه ينزل بالأردن ، وفي رواية بعسكر المسلمين .

وأما السؤال الثاني والعشرون والثالث والعشرون فأخرج الطبراني بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الأيام يوم الجمعة ، وأفضل الشهور شهر رمضان ، وأفضل الليالي ليلة القدر » ففي « كشف الأسرار » أن يوم عرفة ويوم الجمعة على خلافٍ فيهما أفضل من سائر الأيام ؛ لما في يوم عرفة من تجلّي الحق عز وجل ومباهاته الملائكة بالحاجّ وقبض عظيم عفوه وفضله ورحمته عليهم بالعتق من النار والمغفرة ، ولما حصل في يوم الجمعة من خلق آدم ، وقبول

توبته ، وإجابة الدعاء فيه في ساعة منه ، والإذن لأهل الجنة في زيارة الرب عز وجل ، انتهى .

وأما السؤال الرابع والعشرون فالذي أقوله استنباطاً أن جبل أحد أفضل الجبال ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : «أحدٌ يحبنا ونحبه» وورد أنه على باب من أبواب الجنة ، ولأنه من جملة أرض المدينة التي هي أفضل البقاع ، ولأنه مذكور في القرآن باسمه في قراءة من قرأ (إذ تُصْعِدُونَ ولا تُلَوِّنُونَ على أحدٍ)^(١) .

وأما السؤال الخامس والعشرون فأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : نيلُ مصر مصر سيد الأنهار ، سَخَّرَ اللهُ له كل نهر من المشرق والمغرب .

وأما السؤال السادس والعشرون فقد اختلف الناس قديماً وحديثاً في ذلك ؛ فمنهم من فضل الفقير الصابر على الغني الشاكر ، ومنهم من عكس ، ومنهم من توسط ففضل الكفاف ، وهو المختار .

قال صاحب الوحيد : ذهب الجنيدُ إلى أن الفقير الصابر أفضل — وهو الذي أراه — وعلة بأن قال : ما من آلم نفسه كمن أراح نفسه .

وذهب ابن عطاء الله إلى أن الغني الشاكر أفضل ، واستدلَّ بأن الغني صفة من صفات الله ، وهذا مشتق منه ، فقال الجنيد : إن غني الله بذاته ، وهذا الغني تمتد إليه يد السارق والغاصب فلا يشتق هذا منه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في القواعد الكبرى : فإن قيل : أيما أفضل حال الأغنياء أم حال الفقراء ؟ فالجواب أن الناس أقسام :

أحدهم : مَنْ يستقيم على الغنى ، ويفسد حاله بالفقر ، ولا خلاف في أن غنى هذا خير له من فقره .

والثاني : أن يستقيم على الفقر ، ويفسده الغنى ، ويحمله على الطغيان ،

(١) الآية ١٥٣ من سورة آل عمران

فلا خلاف أن فقر هذا خير له من غناه .

الثالث : مَنْ إذا افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر ، وإن استغنى قام بجميع وظائف الغنى من البذل والإحسان وشكر الملك الديان .

فقد اختلف الناس في أى حال هذا أفضل ؟ فذهب قوم إلى أن الفقر لهذا أفضل ، وقال آخرون : غناه أفضل ، وهو المختار ؛ لاستعاذته صلى الله عليه وسلم من الفقر ، ولا يجوز حمله على فقر النفس ؛ لأنه خلاف الظاهر بغير دليل ، وقد يستدل لهؤلاء بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أغلب أحواله الفقر ، إلى أن أغناه الله بحصول خيبر وفدك والعوالي وأموال بني النضير ، والجواب عن هذا أن الأنبياء والأولياء لا يأتى عليهم يوم إلا كان أفضل من الذى قبله ، وقد ختم آخر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنى ، ولم يخرج غناه عما كان يتعاطاه في أيام فقره من البذل والإيثار والتقليل ، حتى إنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى على أصع من شعير ، وكيف لا يكون كذلك وهو صلى الله عليه وسلم يقول : « ابن آدم إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسك شركك » أراد بالفضل ما فضل عن الحاجة الماسة ، كما فعل صلى الله عليه وسلم ؛ فمن سلك من الأغنياء هذا الطريق فبذل الفضل كله مقتصراً على عيش مثل عيش النبي صلى الله عليه وسلم فلا امتراء أن غنى هذا خير من فقره ، ويدل على ذلك حديث الصحيحين : « ذهب ذرو الأموال بالدرجات العلى والنعم المقيم — الحديث » وفيه : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم ، وهو خمسمائة عام » وقوله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » فإن ذلك محمول على الغالب من أحوال الأغنياء والفقراء ؛ إذ لا يتصف من الأغنياء بما ذكرناه — من أن يعيش عيش الفقراء ، أو يتقرب إلى الله بما فضل من عيشه مقدماً لأفضل البذل فأفضله — إلا الشذوذ

النادرين الذين لا يكادون يوجدون ، والصابرون على الفقر قليل ما هم ، والراضون أقلُّ من ذلك القليل — هذا كلام الشيخ عز الدين .

وقال ابن بطال في حديث « ذهب ذور الأموال بالدرجات العلى » : في هذا الحديث فضل الغنى نصاً لا تأويلاً ، إذا استوت أعمال الغنى والفقير فيما افترض الله عليهما ، فللغنى حينئذٍ فضلُ عملِ البر ، من الصدقة ونحوها ، مما لا سبيل للفقير إليه .

وقال ابن دقيق العيد : ظاهرُ الحديث القريب من النص أنه فضل الغنى ، وبعض الناس تأوله بتأويل مستكره ، قال : والذي يقتضيه النظر أنهما إن تساويا وفضّلت العبادة المالية أن يكون الغنى أفضل ، وهذا لا شك فيه ، وإنما النظر إذا تساويا وانفرد كل منهما بمصلحة ما هو فيه ، أيهما أفضل ؟ إن فسّرَ الأفضل بزيادة الثواب فالقياسُ يقتضى أن المصالح المتعدّية أفضل من القاصرة ، فيترجح الغنى ، وإن فسّرَ بالأشرف بالنسبة إلى صفات النفس فالذى يحصل لها من التطهير بسبب الفقر أشرفُ ، فيترجح الفقر ، ومن ثم ذهب جمهور الصوفية إلى ترجيح الفقير الصابر .

وقال القرطبي : في هذه المسألة للعلماء خمسة أقوال : ثالثها الأفضل الكفاف ، رابعها يختلف باختلاف الأشخاص ، خامسها التوقف .

وأما السؤال السابع والعشرون ففي « كشف الأسرار » : قال النيسابورى : قال بعضهم : خلق الله أولاً زمردة خضراء ، ويقال اللوح والقلم ، ويقال الوقت والزمان ، ويقال العرش والكرسى ، ويقال : خلق أولاً عاقلاً ؛ لأنه أراد أن ينتفع بعقله غيره ، ويقال : خلق جوهراً متفرقاً من الألوان والأطباع والهيئات ، ثم خلق الهيئات فركبها بين الأطباع والألوان ، وصارت بسيطة مؤلفة مطبوعة ، ويقال : خلق أولاً نقطة ، ثم نظر إليها بالهيبة فتضعضت وتمايلت ، فصيرها الله تعالى ألفاً .

وأما السؤال الثامن والعشرون فأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة

عمرو بن جرير قال : إن أول شيء كتب « أنا التواب ، أتوب على من تاب » .
وأما السؤال التاسع والعشرون ففي « كشف الأسرار » قيل : الحكمة في إدخال
المؤمنين النار ليعرفوا قدر الجنة ، ومقدار ما دفع الله عنهم من عظيم النعمة ؛ لأن
تعظيم النعمة واجب في الحكمة .

وقيل : ليكون المؤمنون دليلاً للكافرين كما أن جبريل كان دليلاً لفرعون
في البحر ؛ لأن عبادة الأصنام يوم القيامة يؤسرون بدخول النار مع أصنامهم فيأبون ،
فيقول الله للمؤمنين : ادخلوا ، فيقولون : لبيك وسعديك إن أمرتنا ، فذلك قوله
تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله)^(١) وحينئذ يتبين للخلق أن بره في النار
للمعارفين أكثر من بره في الجنة للمطيعين .

وقيل : أراد الله تعالى أن يطيب النار كما طيب بطن الحوت بإلقاء يونس عليه
السلام ؛ لأن النار شكت إلى ربها فقالت : يا رب ما عصيتك قط ، فلم جعلتني
مأوى المتكبرين والجبارين ؟ فقال : أريك الأنبياء والمطيعين .

وقيل : ليرى المؤمنون عياناً ما أخبرهم به من نجات إبراهيم من نار نمرود فقال
لإبراهيم : (يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)^(٢) ، وقال للمؤمنين : وردتموها
وهي خامدة .

وقيل : ليرى الكفرة جوداً عن نصر المؤمنين ؛ لأن الجوهر الأصلي لا تعمل
فيه النار ولا تفسده ، فكذلك المؤمن .

وقيل : ليظهر للخلق أنه جامع النور والظلمة ؛ لأنه هو المنجى من الظلمة
والموقع فيها .

وقيل : ليرى الخلق كمال قدرته ، فرقة يستغيثون من النار ، وفرقة تستغيث
النار منهم ، وهذا كما جعل الماء رحمة على موسى ، وعقوبة على قوم فرعون ، كذلك
النار رحمة للمؤمنين نقمة للكافرين .

(١) من الآية ١٦٥ من سورة البقرة (٢) من الآية ٦٩ من سورة الأنبياء

وقيل : لأن الله تعالى وعد النار أن يملأها وهي لا تملأ بالكفرة فتقول : هل من مزيد ؟ فيورد المؤمنون فيها ، فتملاً وتقول : قُطِني .

وأما السؤال الثلاثون ففي « كشف الأسرار » أن طاء شجرة طوبى ، وسين سدرة المنتهى ، وميم محمد صلى الله عليه وسلم ، وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن محمد بن كعب القرظي في قوله : (طسم)^(١) قال : الطاء من ذى الطَّوْلِ ، والسين من القدوس ، والميم من الرحمن ، والأقوالُ في فوائح السور كثيرة مشهورة ، والذي اختاره أنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله ، وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن الشعبي أنه سُئل عن فوائح السور ، فقال : إن لكل كتاب سرّاً ، وإن سر هذا القرآن فوائح السور .

وأما السؤال الحادي والثلاثون ففي « كشف الأسرار » : قال الفيسابوري : سبعمون ذرة تزنُ جناح بعوضة ، وسبعمون جناح بعوضة تزن حبة .

وأما السؤال الثاني والثلاثون : فقال السهروردي في « عرّاف المعارف » : علم اليقين : ما كان من طريق النظر والاستدلال ، وعين اليقين : ما كان من طريق الكشوف والنوال ، وحق اليقين : ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال ، بؤرود رائد الوصال .

قال ابن فارس : علم اليقين لا اضطراب فيه ، وعين اليقين هو العلم الذي أودعه الله للأسرار ، والعلم إذا تفرد من نعت اليقين كان علماً بشبهة ، فإذا انضم إليه عين اليقين كان علماً بلا شبهة ، وحق اليقين هو حقيقة ما يشير إليه علم اليقين وعين اليقين .

قال الجنيد : حق اليقين : ما يتحقق العبد بذلك ، وهو أن يشاهد الغيوب كما يشاهد المرئيات مشاهدّة عيان ، ويحكم في الغيب فيخبر عنه بالصدق ، كما أخبر الصديق حين قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لعِيالك ؟ قال : الله ورسوله . »

وقال بعضهم : علم اليقين حال المعرفة ، وعين اليقين حال الجمع ، وحق اليقين جمع الجمع ، بلسان التوحيد .

وقيل : اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق ، فالاسم والرسم للعوام ، والعلم علم اليقين للأولياء ، وعين اليقين لخواص الأولياء ، وحق اليقين للأنبياء ، وحقية حق اليقين اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم .

وفي « كشف الأسرار » : علم اليقين هو المستفاد من الإخبار ، وعين اليقين مستفاد من المشاهدة ، وحق اليقين يكون بالمعاينة والمباشرة ، قال تعالى في حق الكفار : (ثم لترونها عين اليقين) ^(١) ولما دخلوها وباشروا عذابها قال تعالى : (فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ؛ إن هذا لهُو حق اليقين) ^(٢) .

وقل سيدي محمد السعودي من أصحاب سيدي يوسف العجمي : علم اليقين معرفة الله بك إذ أنت عين الدليل عليه ، وهو إثبات ذات غير مكيفة ولا معلومة الماهية محكوما لها بالألوهية سلطانا وحبنة لا ريب فيه ، عين اليقين : مشاهدة هذه الذات بعينها لا بعينك ، أي بعين الذات فناءا كليا لا يعقل معها نسبة الألوهية إثباتا أو نفيًا بل مشاهدة تفي الأحكام والرسوم وتمحق الآثار ، حق اليقين : نسبة الألوهية إلى هذه الذات بعد المشاهدة لا قبلها ، وهو الفرق بين العلم والحق ليس إلا ، وهنا سكت المحققون ، وبعد هذه حقيقة حق اليقين ، وهو ظهور الانفعالات عن العبد مع غيبته عنها فيه غيبا كليا وفناءا محققا ، وهذه غاية المراتب ؛ فالثلاثة كتابية علم وعين وحق ، والرابعة سنية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك » ؟ فهذه الحقيقة بها يختبر العبد المتحقق نفسه في دعواه في معرفة حقيقة حق اليقين ، فتأمل .

وأما السؤال الثالث والثلاثون : فقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر ، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به ، والجمع بينهما أن ذلك يختلف

(١) من الآية ٧ من سورة التكاثر (٢) الآيات ٩٣ - ٩٥ من سورة الواقعة

باختلاف الأحوال والأشخاص .

قال سيدى يوسف العجمى رضى الله عنه : قد اعترض بعض الفضلاء على الجهر بالذکر مستدلاً بقوله تعالى : (واذكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) ^(١) الآية ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « خير الذکر ما خفى » والجواب أن الله تعالى خاطبَ عامة عباده بمثل قوله : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) ^(٢) وخاطبَ الخاصَّ بمثل قوله : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ^(٣) وخاطبَ سيد أهل الحضرة محمدا صلى الله عليه وسلم بعد أن عرفه بربه ونفسه وأراه كيف مدَّ الظل بمثل قوله : (واذكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) ^(١) وقوله : (ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظلَّ) ^(٤) فمن لا يعرف ربه ولا نفسه ولا أراه كيف مدَّ الظلَّ فكيف يذکر ربه في نفسه ؟ أو كيف يرى مدَّ الظل ؟ بل هم المخاطبون بمثل قوله تعالى : (اذكروا الله ذِكْرًا كَثِيرًا) ^(٥) .

وأما الذکر الخفى فهو ما خفى عن الحَفَظَةِ لا ما يخفض به الصوت ، وهو أيضاً خاص به صلى الله عليه وسلم وبمن له به أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وعن جابر رضى الله عنه « أن رجلاً كان يرفع صوته بالذکر ، فقال رجل : لو أن هذا خَفَضَ من صوته ، فقال صلى الله عليه وسلم : دَعَهُ فَإِنَّهُ أَوْاه » وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قيل : وما رياض الجنة ؟ قال : حَاقُ الذُّكْرِ » وروى أنه صلى الله عليه وسلم « خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، قَالَ : مَا أَجْلَسَكُمْ ؟ قَالُوا : جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَنُحَمِّدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ بِهِ عَلَيْنَا ، قَالَ : آلهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَلِكَ ؟ قَالُوا : آلهِ مَا أَجْلَسْنَا إِلا ذَلِكَ ، قَالَ : أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جَبْرِيلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ » .

(١) من الآية ٢٠٥ من سورة الأعراف (٢) من الآية ١٧ من سورة الغاشية

(٣) من الآية ٢٤ من سورة محمد (٤) من الآية ٤٥ من سورة الفرقان

(٥) من الآية ٤١ من سورة الأحزاب

وعن أبي قتادة رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : مررت بك وأنت تقرأ وأنت تخفض من صوتك ، فقال : إني أسمع من ناجيت ، فقال : ارفع صوتك قليلا ، وقال لعمر : مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك ، فقال : إني أوقف الوَسْمَانَ وأطرد الشيطان ، قال : اخفض قليلا » وروى أن الناس كانوا يذكرون الله تعالى عند غروب الشمس يرفعون أصواتهم بالذكر ، فإذا خفيت أرسل إليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أن تُورُوا بالذكر ، أي ارفعوا أصواتكم .

والجمع بين الآية والحديث السابقين اللذين استدل بهما وبين هذه الأحاديث والأثر أن الذاكرين إذا كانوا مجتمعين على الذكر فالأولى في حقهم رفع الصوت بالذكر والقوة ، وأما إذا كان الذاكر وحده فإن كان من الخاص فالإخفاء في حقه أولى ، وإن كان من العام فالجهر في حقه أفضل .

وقد شبه الغزالي رحمه الله ذكر شخص واحد وذكر جماعة مجتمعين بمؤذن واحد وجماعة مؤذنين ، فكما أن أصوات الجماعة تقطع جرم الهواء أكثر من صوت شخص واحد فكذا ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيراً في رفع الحجب من ذكر شخص واحد ، ومن حيث الثواب فكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع ذكر رفيقائه ، وأما قوله « إنه أكثر تأثيراً في رفع الحجب » فلأن الله تعالى شبه القلوب بالحجارة في قوله : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً)^(١) ومعلوم أن الحجر لا ينكسر إلا بقوة ، فقوة ذكر جماعة مجتمعين على قلب واحد أشد من قوة ذكر شخص واحد ، ولهذا قال الشيخ نجم الدين الكبري رحمه الله عليه : إن القوة في الذكر شرط ، واستدل بهذه الآية ، انتهى .

وأما السؤال الرابع والثلاثون فجوابه أن إحداث الألحان في الذكر بدعة لم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ،

(١) من الآية ٧٤ من سورة البقرة

ولا فَمَلَّهَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا التَّابِعِينَ وَلَا السَّلَفِ الصَّالِحِينَ ، فَإِنْ انضَمَّ إِلَى ذَلِكَ تَمْطِيطُ الْأَحْرُفِ وَالْإِشْبَاعِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَالْإِخْتِلَاسُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَالتَّرْقِيقُ وَالتَّطْرِيبُ وَتَعْوِيجُ الْخِنْكَ وَالرَّأْسُ فَهَذَا مُغْنَى لَأِذَا كَرَّ ، وَأَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَجَابَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ بِاللَّعْنَةِ ، فَإِنْ سَرَّ الذَّاكِرُ إِحْضَارَ عِظَمَةِ اللَّهِ وَهَيْبَتِهِ فِي الْقَلْبِ بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ وَإِعْرَاضٍ عَمَّا سِوَاهُ ، وَالْمَلْحَنُ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَيُعْرَضُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَوْ وَقَفَ شَخْصٌ تَحْتَ بَيْتِهِ وَنَادَى « آه يَا سَيِّدِي فَلَان » وَكَرَّرَ ذَلِكَ بِهَذَا التَّلْحِينِ وَالتَّرْقِيقِ أَمَا كَانَ يَرْضِيهِ ذَلِكَ أَوْ يَمُدُّهُ قَلِيلَ الْأَدَبِ ؟ فَالْتَأَدَّبْ مَعَ اللَّهِ أَوْلَى وَأَحَقُّ .

وَأَمَّا السُّؤَالُ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُونَ فَأَقُولُ : مُقْتَضَى الْأَدَلَّةِ تَفْضِيلُ اللَّبَنِ عَلَى الْعَسَلِ ، لِأُمُورٍ : مِنْهَا أَنَّهُ يَرْتَّبِي بِهِ الطِّفْلُ ، وَلَا يَقُومُ الْعَسَلُ وَلَا غَيْرُهُ مَقَامَهُ فِي ذَلِكَ ، وَمِنْهَا أَنَّهُ يُجْزَىءُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَيْسَ الْعَسَلُ وَلَا غَيْرُهُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ . رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزَىءُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ غَيْرَ اللَّبَنِ » وَمِنْهَا أَنَّهُ لَا يَشْرَقُ بِهِ أَحَدٌ ، وَلَيْسَ الْعَسَلُ وَلَا غَيْرُهُ كَذَلِكَ . رَوَى ابْنُ مَرْدُودِيهِ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي لَيْبَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا شَرِبَ أَحَدٌ لَبَنًا فَشَرِقَ ، إِنْ اللَّهُ يَقُولُ : (لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ) » ^(١) وَمِنْهَا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ « أَتَيْتِ بِنَاءَ مِنْ خَمْرٍ وَبِنَاءَ مِنْ ابْنٍ وَبِنَاءَ مِنْ عَسَلٍ ، فَاخْتَارَ اللَّبَنَ ، فَكَيْفَ : هَذِهِ الْفَطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأَمْتِكَ » رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَغَيْرُهُمَا ، فَاخْتِيَارَهُ اللَّبَنَ عَلَى الْعَسَلِ ظَاهِرٌ فِي تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِ ، وَمِنَ الصَّرِيحِ فِي ذَلِكَ أَيْضًا مَا رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطْعَمَهُ اللَّهُ طَعَامًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَأَطْعَمْنَا خَيْرًا مِنْهُ ، وَمَنْ سَقَاهُ اللَّهُ لَبَنًا فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُجْزَىءُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَّا اللَّبَنَ »

(١) مِنَ الْآيَةِ ٦٦ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ

والحديث أصله في السنن الأربعة فقوله في الأول « وأطعمنا خيراً منه » وفي اللين « وزدنا منه » يعطى أنه لا شيء خير من اللين .

وأما السؤال السادس والثلاثون فقد كنت سُئِلْتُ عنه قديماً ، وأجبت بأنه لم يرد حديث ولا أثر في التفضيل بينهما ، والتفضيل يحتاج إلى توقيف ، وذكر عن حافظ العصر أبي الفضل بن حجر أنه سُئِلَ عن ذلك فأجاب بأن ماء زمزم أفضل مياه الدنيا ، وماء الكوثر أفضل مياه الآخرة . وهذا الجواب كما ترى ليس فيه نص على تفضيل أحدهما على الآخر . وقد يقال لمن خطر بباله تفضيل ماء زمزم : إنه يشهد له أنه صلى الله عليه وسلم غُسل صدره به لما شقه جبريل ، ولكن الذي يظهر تفضيل الكوثر ؛ لأنه عطية الله للنبي صلى الله عليه وسلم وزمزم عطية الله لإسماعيل ، ولأن الكوثر مصرح بذكره في القرآن في مرض الامتنان مُسْتَنْدِماً إلى نون العظمة ، ولم يقع في زمزم مثل ذلك .

وأما السؤال السابع والثلاثون ففي « كشف الأسرار » قال بعضهم : هما سواء لا يفضل أحدهما على الآخر ، ويقال : مادام الرجل صحيحاً فالخوف أفضل ، وما دام مريضاً فالرجاء أفضل ، ويقال : الخوف للمعاصي أفضل ، والرجاء للمطيع أفضل ، ويقال : الخوف قبل الذنب أفضل ، والرجاء بعد الذنب أفضل ، لأربعة أشياء : أحدها : [أن الرجاء يرجع] إلى فضله والخوف من عدله ، والفضل أكرم من العدل . والثاني : الرجاء إلى الوعد والوعد من بحر الرحمة ، والخوف من الوعيد والوعيد من بحر الغضب ، ورحمته سبقت غضبه . الثالث : الرجاء بالطاعة والخوف من المعصية ، ومن الطاعة ما يعلو على المعاصي كالتوحيد . والرابع : الرجاء بالرحمة والخوف من الذنوب ، والذنوب لها نهاية ، والرحمة لا نهاية لها .

ويقال : الخوف أفضل منه ؛ لأنه وَعَدَ بالخوف جنتين^(١) ، ولم يَعِدْ بالرجاء إلا جنة واحدة ، وأيضاً الخوف يمنع من الذنوب ، وترك الذنوب أفضل من فعل الخيرات .

(١) في قوله سبحانه : (ولمن خاف مقام ربه جنتان) .

ويقال : مَنْ عبد الله بالخوف فهو حرُورِي ، وَمَنْ عبد الله بالرجاء فهو مُرْجِيء ، وَمَنْ عبد الله بالحب فهو زنديق ، ومن عبد الله بالثلاثة فهو مستقيم .
وأما السؤال الثامن والثلاثون ففي « كشف الأسرار » قال الفيسابوري : الليل أفضل لوجوه : أحدها أن الليل راحة والراحة من الجنة ، والنهار تعب والتعب من النار ، وأيضاً فالليل حظ الفراش والنهار حظ اللباس ، ولأن الله تعالى سمي ليلة القدر (خير من ألف شهر) ^(١) وليس في الأيام مثلها ، وقيل : النهار أفضل ؛ لأنه نور ، وأيضاً لا يكون في الجنة ليل ، وأيضاً النهار للمعاد والمعاش .
قلت : قد وقفت على تأليف في التفضيل بين الليل والنهار لأبي الحسين بن فارس اللغوي صاحب الجمل ، فذكر فيه وجوها في تفضيل هذا ، ووجوها في تفضيل هذا .

فما ذكره في تفضيل الليل أن الله أنزل فيه سورة مُسمّاة سورة الليل ، ولم ينزل في النهار سورة تسمى سورة النهار ، وأن الله قدّم ذكره على النهار في أكثر الآيات كقوله : (والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلّى) ^(٢) (وجعلنا الليل والنهار آيتين) ^(٣) (جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مُبْصِراً) ^(٤) (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) ^(٥) ، وأن الله خلقه قبل النهار ، وأن ليالي الشهر سابقة على أيامه ، وأن في الليل ليلة خير من ألف شهر ^(٦) ، وليس في الأيام مثلها ، وأن في كل ليلة ساعة إجابة ، وليس ذلك في النهار إلا في يوم الجمعة خاصة ، وأن النهار فيه أوقات تُكْرَهُ فيها الصلاة ، وليس في شيء من ساعات الليل وقت كراهة ، والصلاة من أشرف العبادات ، وأن فيه التهجد والاستغفار بالأسحار ، وهما أفضل من صلاة النهار واستغفاره ، وأنه أصح لتلاوة الذكر ، قال تعالى : (إن ناشئة الليل هي أشدُّ

(١) من الآية ٣ من سورة القدر
(٢) الآيتان ١ و ٢ من سورة الليل
(٣) من الآية ١٢ من سورة الإسراء
(٤) من الآية ٦٧ من سورة يونس
(٥) من الآية ٧١ من سورة القصص
(٦) هي ليلة القدر كما في الآية ٣

وَطَنًا وَأَقْوَمَ قِيْلًا^(١) وقال : (أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آ نَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا)^(٢) وَأَنْ الْإِسْرَاءَ وَقَعَ بِاللَّيْلِ ، قَالَ تَعَالَى : (سَبِّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا)^(٣) ، وَقَالَ تَعَالَى : (فَاسْرِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ)^(٤) .

وقال أهل العلم : في الليل تنقطع الأشغال ، وتجمُّ الأذهان ، ويصح النظر ، وتؤانف الحكم ، وتدر الخواطر ، ويتسع مجال القلب ، ومؤلفو الكتاب يختارونه على النهار ؛ لأن القلب بالنهار طائر ، وبالليل ساكن ، وكذلك مدبرو الملك ، وقديما كان يقال : الليل نهار الأريب ، وقل القائل :

وَلَمْ أَرَ مِثْلَ اللَّيْلِ جُنَّةً فَاتَكَ إِذَا هَمْ أَمْضَى أَوْ غَنِيْمَةً نَاسَكَ

وعارضه صاحب النهار بأن الله قدّم ذكره في قوله : (والنهار إذا جلاها ، والليل إذا يغشاها)^(٥) ، وبأن التقديم لا يدلُّ على أفضليته ، فقد قدّم الله الموت على الحياة ، والجنّ على الإنس ، والأعمى والأصمّ على البصير والسميع ، في قوله : (خلق الموت والحياة)^(٦) ، (وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون)^(٧) ، (مثلُ الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع)^(٨) ، والمتأخر مما ذكر أفضل من المتقدم قطعا ، وبأن النور قبل الظلمة ، قال تعالى : (الله نور السموات والأرض)^(٩) ، وبأن الناس والشعراء ما زالوا يذمّون الليل ويشكونه ، كقول امرئ القيس : * وليل كموج البحر * الأبيات . وقد استعاذوا بالله من الأبهمين ويقال : الأعميين السيل والليل ، وبالليل تدب الهوامّ ، وتثور السباع ، وتنشر اللصوص ، وتشنّ الغارات ، وترتكب المعاصي والفاحشات ، ولذلك قيل : الليل

(١) من الآية ٦ من سورة الزمل

(٢) من الآية ٩ من سورة الزمر

(٣) من الآية ١ من سورة الإسراء

(٤) من الآية ٣ من سورة الشمس

(٥) من الآية ٥٦ من سورة الذاريات

(٦) من الآية ٣٥ من سورة النور

(٧) من الآية ٢٤ من سورة هود

(٨) من الآية ٢ من سورة الملك

(٩) من الآية ١ من سورة الحجر

أخفى للويل ، وقد شبه الله تعالى به وُجُوهَ أعدائه فقال : (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً)^(١) ، وكان الحسنُ يقول : ما خلق الله خلقاً أشد سواداً من الليل ، وقال تعالى : (ومن شرَّ غاسقٍ إذا وقب)^(٢) ، قيل : هو الليل إذا أظلم ، وتقول العرب للمكثار : حَاطِبُ لَيْلٍ ، لما يخشى عليه فيه من نهش أو تنهش ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن جِدَادِ اللَّيْلِ وَصِرَامِ اللَّيْلِ ، وَأَمَرَ بِغَلْقِ الْأَبْوَابِ وَكَفِّ الصَّبِيَّانِ بِاللَّيْلِ ، وقال : « إن للشيطان انتشاراً وخطفة » وافتخرت العربُ بالأيامِ دون الليالي ، فقالوا : يوم ذى قار ، ويوم كذا ، والأسبوع أيامه مَسْمَاةٌ دون الليالي فإنما تذكر بالإضافة إلى الأيام ، فيقال : ليلة الأحد ، وليلة كذا ، وليس المضاف كالمضاف إليه ، والأيام النبوية أكثر من الليالي ، كيوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء والأيام المعلومات والمعدودات ، وليس في الليالي إلا ليلة القدر وليلة نصف شعبان ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ولم يقل ذلك في شيء من الليالي .

وأما السؤال التاسع والثلاثون ففي « كشف الأسرار » إنما خلق آدم من التراب دون غيره ؛ لأنه لم يكن قبل آدم شيء إلا التراب فخلق منه ، ثم خلق حواء من آدم ؛ لأنه أراد أن يكونا من جنس واحد ، وخلقها من الضلع ليعلم أنهم خلقن من العوج ؛ فلا يطمع في تقويمهن .

وأما السؤال الأربعون ففي « كشف الأسرار » سؤال لم رفع عيسى إلى السماء ؟ قيل : لأنه أراد أن يصحب الملائكة ليحصل لهم بركته كما صحبه التائبون في الدنيا ، وأيضاً لما لم يكن دخوله من باب الشهوة وخروجه لم يكن من باب المنية ، بل دخل من باب القدرة وخرج من باب العزة .

وأما السؤال الحادي والأربعون ففي « كشف الأسرار » إنما سمي مسيحاً لأنه كان يسبح في الأرض ، ويقال : ولد ممسوحاً بالدهن ، ويقال : لأنه كان

(١) من الآية ٢٧ من سورة يونس (٢) من الآية ٣ من سورة الفلق

يمسح الضر عن الأعمى والأبرص والأكْمَه ، ويقال : لأنه لم يكن تقدمه
أخمص ، وزاد ابن الأثير في النهاية ما نصه : وقيل المسيح الصديق ، وقيل : هو
بالعبرانية مشيحا ، فعرب .

وأما السؤال الثانى والأربعون ففي صحيح مسلم أنه يُقِيم سَبْعَ سنين ،
وفي مسند أبى داود الطيالسى فى أثناء حديث أنه يُقِيم أربعين سنة ، وجمع بينهما
بأن المراد بالأربعين مجموع لبثه فى الأرض قبل الرفع وبعده ؛ فإنه رفع وله ثلاث
وثلاثون سنة .

وأما السؤال الثالث والأربعون فى « كشف الأسرار » قيل : اثنتى عشرة
سنة بعدد حروف (اذ كرنى عِنْدَ رَبِّكَ)^(١) ، روى أن النبى صلى الله عليه وسلم
قال : « لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن طول ما لبث » .

وأقول : أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق الضحاك عن ابن عباس
فى قوله تعالى : (قَلْبِيَّ فى السجن بضع سنين)^(١) ، قال : اثنتى عشرة سنة .
وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم فى تفسيريهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه
أنه لبث سبع سنين . وأخرج ابن جرير مثله عن قتادة ووهب بن منبه وابن جريج .
وأخرج من طريق ابن جريج عن ابن عباس فى قوله (بضع سنين)^(١) ، قال :
دون العشرة . وأخرج عن مجاهد فى قوله (بضع سنين)^(١) ، قال : ما بين
الثلاث إلى التسع .

وأما السؤال الرابع والأربعون فى « كشف الأسرار » أنه لبث أربعين
يوما . وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال : مكث يونس فى بطن
الحوت أربعين يوما . وأخرج أيضاً عن الشعبى قال : التَّقَمَهُ الحوت ضُحَى
ولفظه عشية .

وأما السؤال الخامس والأربعون فالجواب أن المشهور فى المذاهب الأربعة

(١) من الآية ٤٢ من سورة يوسف

تحريم آلات اللهو ، وأجازها طائفة منهم أهل الظاهر ، والمختار في هذه المسألة ما ذهب إليه محققون منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام بإباحة ذلك للصوفية خاصة وتحريمه على غيرهم ، وبسط ذلك في حواشي الروضة .

وأما السؤال السادس والسابع والثامن والأربعون فالجواب أن الثلاثة أحياء .

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن مجاهد في قوله تعالى : (وَرَفَعْنَا لَهُ مَكَانًا عَلِيًّا)^(١)

قال : رفع إدريس كما رفع عيسى ولم يموت .

وأخرج ابن المنذر في تفسيره من طريق الليث بن سعد عن عمر مولى غفرة

يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن إدريس كان صديقاً لملك الموت ، فقال

له إدريس : أحبُّ أن تديقني الموت وتفرق بين روحي وجسدي حتى أجد طعم

الموت ثم تردَّ روحي ، فقال له ملك الموت : لا أقدر على ذلك ، إلا أن أستاذن فيه

ربي ، فقال له إدريس : فاستأذنه في ذلك ، فمرج ملك الموت إلى ربه ، فأذن له ،

فقبض نفسه وفرق بين روحه وجسده ، فلما سقط إدريس ميتاً ردَّ الله إليه روحه -

الحديث بطوله .

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق داود بن أبي هند عن بعض أصحابه قال : كان

ملك الموت صديقاً لإدريس ، فقال له يوماً : يا ملك الموت أمتني ، فاستأذن ربه ،

فقال له : أمته ، فلما مات ردَّ الله إليه روحه ، فكث ما شاء الله حياً ثم قال :

يا ملك الموت أدخلني الجنة ، فاستأذن ربه ، فقال : أدخله الجنة ، فاحتمله ملك

الموت فأدخله الجنة فكان فيها ما شاء الله ، فقال له ملك الموت : اخرج بنا ، قال :

لا ، قال الله تعالى : (أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى)^(٢) ، وقال : (وما لهم

منها بمخرجين)^(٣) وما أنا بخارج منها ، قال ملك الموت : ياربِّ قد تسمع ما يقول

عبدك إدريس ، قال الله له : صدق ، فاخرج منها ودعه فيها ، وذلك قول الله

(١) من الآية ٥٧ من سورة مريم

(٢) من الآية ٥٨ من سورة الصافات

(٣) من الآية ٤٨ من سورة الحجر

تعالى : (ورفعناه مكاناً علياً) (١) .

قال بعض العلماء : أربعة أنبياء أحياء ، اثنان في السماء إدريس وعيسى ، واثنان في الأرض إلياس والخضر .

وفي حديث رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن أن إلياس يكون مع الدجال ينذر الناس ، فإذا قال الدجال : أنا رب العالمين ، قال له إلياس : كذبت ، وفي حديث رواه ابن عدي في الكامل أن إلياس والخضر يلتقيان في كل عام بالموسم ، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله ، ما شاء الله ، لا يسوق الخير إلا الله ، ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، ما شاء الله ، ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله - كذا أخرجه من حديث ابن عباس مرفوعاً .

وأخرج ابن عساکر في تاريخ دمشق عن ابن أبي رواد قال : إلياس والخضر يصومان شهر رمضان في بيت المقدس ، ويحجان في كل سنة ، ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى مثلها من قابل .

وأما السؤال التاسع والأربعون فجوابه أن فيه ثلاثة أقوال : أحدها أنه نبي ، والثاني أنه رسول ، والثالث أنه ولي وعليه الجمهور .

وأما السؤال الخمسون فالجواب أنهما في الجنة ، وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته « التعظيم والمنة » قررت فيه الأدلة على ذلك وأقربها طرق : أحدها أنهما كانا على ملة إبراهيم الحنيفية كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرها ممن تحنّف في الجاهلية ، والثاني أنهما كانا في الفترة والفترة لا تسكيف فيها ، والثالث أنهما أحييا له صلى الله عليه وسلم وآمنآ به .

وأما السؤال الحادي والخمسون فجوابه أنه من قال من العوام أو من الفقهاء بحضرة العوام في حق أبوي النبي صلى الله عليه وسلم إنها في النار أو إنهما كانا

(١) من الآية ٥٧ من سورة مريم

كافرين أنه يلزمه التعزير البليغ أو أكثر من ذلك . وقد سئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال في حق والد النبي صلى الله عليه وسلم إنه كافر ، فأجاب بأن قائل ذلك ملعون ؛ لأن هذا القول يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى : (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)^(١) .

وأما السؤال الثاني والخمسون فجوابه أن شرط وجوب الوضوء : التكليف ، والحدث ، ودخول وقت الصلاة ؛ وقولنا «التكليف» يجمع ثلاث صفات : البلوغ ، والعقل ، والإسلام .

وأما السؤال الثالث والخمسون فجوابه أنها بضعة عشر شرطاً : الماء الطهور ، والعلم أو الظن بطهوريته ، والإسلام ، والتمييز ، وعدم المنافي ، وفقد المانع ، وطهارة العضو من نجاسته ، والعلم بكيفية ، وتمييز فرائضه من سننه ، وترتيبه على ما جنحت إليه في حواشي الروضة ولم أسبق إليه ، والأصحاب عدواً الترتيب ركناً لا شرطاً ، وتزيد المرأة بشرط وهو النقاء عن الحيض والنفاس ، ويزيد صاحب الضرورة بستة شروط : دخول الوقت ، وتقديم إزالة النجاسة ، والاستنجاء ، وحشو المنفذ ، وإيلاؤه الوضوء ، والموالاته فيه .

وأما السؤال الرابع والخمسون : فجوابه أن الإمام تجب عليه الإعادة ، ولا تجب على المأمومين ، هذا هو الأصح فيهما .

وأما السؤال الخامس والخمسون في إطالة الخطبة فجوابه أنه يكره له ذلك .
وأما السؤال السادس والخمسون فجوابه أن تلاوة القرآن الكثير أفضل من صلاة نفل قليلة ، وصلاة النفل الكثيرة أفضل من تلاوة قليلة ، فإن استوى الزمان المصروف إليهما كنصف يوم مثلاً أراد الإنسان أن يصرفه في أحد النوعين فمقتضى كلام الفقهاء حيث قالوا أفضل عبادات البدن الصلاة ، وقوله صلى الله عليه وسلم :

(١) من الآية ٥٧ من سورة الأحزاب

« [واعلموا] أن خير أعمالكم الصلاة » أن تكون صلاة النفل أفضل من تلاوة القرآن .

وأما السؤال السابع والخمسون ففي « كشف الأسرار » إنما عبر بالقيراط لأنه أول المقادير التي يُوزَنُ بها ، وإنما قال : « أصغرهما مثل أحدٍ » لأنه أكبر جبل عندهم وقيل : هو أكبر جبل في الدنيا ؛ لأنه يبلغ إلى الأرض السفلى ، وأبهم القيراط الآخر لأن عطاء الله واسع فلا يحده . وقيل : ليس القيراط منسوباً إلى أربعة وعشرين قيراطاً ، بل إلى الأعمال التي تتعلق بالميت : من تغميضه ، وتقبيله إلى القبلة ، وشدّ لحية بمصاصة ، ونزع ثيابه التي مات فيها ، ووضعها على سريره ، وتغسيله ، وتكفينه ، وحمله ، والمشى معه ، والصلاة عليه ، وحضور دفنه ، وحفر القبر ، ووضع فيه ، وسدّه عليه ، وإهالة التراب ؛ فهذه خمسة عشر فن أتى بالصلاة فله قيراط من خمسة عشر قيراطاً ، والخمسة عشر هي جملة الأجر ، ومن حضر الدفن فله قيراط آخر^(١) ، وهذه القراريط بعضها أفضل من بعض .

وأما السؤال الثامن والخمسون فجوابه أن الحكمة في ذلك اتباع الحديث ، وقد أشار فيه إلى أنه مُوجِبٌ للمغفرة ، وهو ما رواه أبو داود والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، والبيهقي ، عن مالك بن هبيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يموتُ فيصلى عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أُوجِبَ » ولفظ الحاكم والبيهقي « إلا غفر له » قال النووي : وهو معنى أوجب .

وأما السؤال التاسع والخمسون والستون لجوابه أن البرهان الفزاري أفتى بوجوب صلاة العشاء والحالة هذه . وأفتى معاصروه بأنها لا تجب عليهم ؛ لعدم سبب الوجوب في حقهم وهو الوقت ، ويؤيد الأول الحديث الوارد في أيام الدجال حيث قال فيه : « أقدرُوا له قدره » .

(١) وكل من عمل واحداً من هذه الأعمال فله قيراط من خمسة عشر قيراطاً ، والخمسة عشر هي مجموع ثواب من تولى جميع الأعمال المتعلقة بالميت .

قال الزركشى فى الخادم : وعلى هذا يحكم لهم فى رمضان بأنهم يأكلون بالليل إلى وقت طلوع الفجر فى أقرب البلاد إليهم ثم يسكنون ، ويفطرون بالنهار كذلك قبل غروب الشمس إذا غربت عند غيرهم ، كما يأكل المسلمون ويصومون فى أيام الدجال .

وأما السؤال الحادى والستون فجوابه أن الصلاة صحيحة بلا خلاف عندنا إذا استقبل القبلة وأنتم الأركان .

وأما السؤال الثانى والستون فجوابه أنه لا يفسد الصوم ، قال فى شرح المهذب : قال المتولى وغيره : إذا تضمض الصائمُ لزمه مج الماء ، ولا يلزمه تنشيف فمه بمخرقة ونحوها بلا خلاف ، قال المتولى : لأن فى ذلك مشقة ، قال : ولأنه لا يبقى فى الفم بعد ذلك المجر إلا رطوبة لا تنفصل عن الموضع ، إذ لو انفصلت لخرجت فى المجر .

وأما السؤال الثالث والستون فجوابه أنه يبرأ عن عيب باطن بالحيوان لم يعلمه البائع ، ولا يبرأ من عيب ظاهر ولا باطن بغير الحيوان ، ولا به إذا علمه .

وأما السؤال الرابع والخامس والستون فالجواب أنه لا يحل ، ويمنع الرد .

وأما السؤال السادس والستون فى الروضة : لو اشترى أمة وأراد تزويجها قبل الاستبراء فإن كان البائع وطئها لم يجز إلا أن يزوجه بها ، وإن لم يكن وطئها واستبرأها قبل البيع ، أو كان الانتقال من امرأة أو صبي جاز تزويجها فى الحال على الأصح ، انتهى .

ومقتضى القواعد أنها إذا طلقت - والحالة هذه - لا يطؤها السيد حتى يستبرئها ؛ لئلا يظهر بها حمل فيتعذر عليه نفيه لأنه لا سبيل إلى نفيه إلا بأن يدعى الاستبراء ، وذلك لا يمكن إلا بعد الوطاء .

وأما السؤال السابع والثامن والستون فالجواب أنه يصح السلم فى الفلوس ،

راجت أو لم ترُج ، وكذا بيعها إلى أجل ؛ لأن حكمها حكم العروض وإن راجت رواج النقود .

وأما السؤال التاسع والستون فجوابه أنه يُرْجَعُ فيه إلى العُرف ، فإن كان في بلدٍ الغالبُ فيها إطلاقُ الدراهم على الفلوس حمل عليها ، وإن كان في بلدٍ لا تطلق فيه الدراهم إلا على الفضة حمل عليها ، فإن استوى الإطلاقان في بلدٍ ولم يبين حمل على الفلوس ؛ لأنه الأقل ، وقاعدة الإقرار الحملُ على القدر المتيقن ؛ لأن الأصل براءة الذمه فيما عداه .

وأما السؤال السبعون فجوابه أنه يزوّجها مالك البعض ومعه ولها القريب ، فإن لم يكن فمعتق البعض ، وإلا فالسلطان . هذا هو الأصح من خمسة أوجه ، والثاني أن يكون معه معتق البعض ، والثالث : معه السلطان ، والرابع يستقل مالك البعض ، والخامس : لا يجوز تزويجها أصلاً لضعف الملك والولاية بالتبويض .

وأما السؤال الحادي والسبعون فجوابه أنهما إن كانا معينين عند القاضي الذي عقد والشهود صح النكاح من غير ذكر اسم الأب والجد ، وإلا - بأن قال لو كيل الغائب : زوجت موكلك فاطمة ، ولم يذكر بنت فلان - لم يصح النكاح ، وفي الروضة : لو كان اسمُ ابنته الواحدة فاطمة فقال : زوجتك فاطمة ، ولم يقل « بنتي » فلا يصح النكاح لكثرة القواطم ، لكن لو نَوَّاهَا صحَّ ، كذا قطع به العراقيون والبنغوي ، واعترض ابن الصباغ بأن الشهادة شرطٌ ، والشهود لا يطلعون على النية ، وهذا أقوى ، ولهذا الأصل منعا للنكاح بالكنايات ، انتهى .

وأما السؤال الثاني والسبعون فجوابه أن القول قولها بيمينها ، وعلى الزوج البينة .

وأما السؤال الثالث والرابع والخامس والسبعون فالجواب في الثلاثة الجواز مع الكراهة ، نصَّ عليه في الروضة في مسألة وطء إحدى الزوجتين بحضرة الأخرى .
وأما السؤال السادس والسبعون فجوابه أن هذا التعليق باطل عندنا ، إذا كانت

أجنبية أو مُطَلَّقة في عدة بَيْنُونَة ، فمتى تزوجها صح النكاح ولم تطلق ، فإن كان في عدة رجعية وراجعها في تلك العدة طلقت .

وأما السؤال السابع والسبعون فهذه المسألة الشرعية والحكم فيها وقوع الطلاق المنجز فقط ، هذا هو الأصح عند الشيخين .

وأما السؤال الثامن والتاسع والسبعون فالجواب أن طلاق المكره لا يقع وطلاق السكران يقع .

وأما السؤال الثمانون فجوابه أن عليه المناقيل التي ثبتت في ذمته ، زادت قيمتها أو نقصت .

وأما السؤال الحادي والثمانون فجوابه أن البيع أبطل التعليق ، فإذا وطئها بعد ملكها ثانياً لم تعتق .

وأما السؤال الثاني والثمانون فجوابه أن التملك لم يصح لعدم القبول ، والعتق صادف ملك المرأة المعتقة فيصح .

وأما السؤال الثالث والرابع والثمانون فجوابه أن عتق المكره لا ينفذ ، وحد الإكراه التخويف بأمر يؤثر العاقل الإقدام على ما أكره عليه حذراً مما هدد به .

وأما السؤال الخامس والثمانون فجوابه أنه يباح بالإكراه شرب الخمر ، ولا يجب الحد على الصحيح .

وأما السؤال السادس والثمانون فجوابه أن قتل الكلب غير العقور خلافاً في مذهبنا ، واضطرب ترجيح الشيخين في ذلك ؛ ففي موضع رجحنا الجواز ، وفي موضع رجحنا المنع ، وهو اختياري .

وأما السؤال السابع والثمانون فالجواب أنه لا فسق في هذا الفعل بعينه ، إلا أن يتضمن محرماً من رُقي مخالفة للشرع أو نحو ذلك .

وأما السؤال الثامن والثمانون فالجواب أن التفرقة من السحر ، نص عليه غير

واحد من السلف ، وأما التأليف وكتبُ الحرز والحجاب فليس منه ، وقد سئل بعض السلف عن شيء من ذلك ، فقال للسائل : من استطاع أن ينفع أخاه المسلم فليفعل .

وأما السؤال التاسع والثمانون فالجواب أنه لا يجوز ؛ لاحتمال أن يكون من الكفریات وقرابين الجن التي هي كفر ، كذا أجاب به شيخنا الإمام تقي الدين الشافعي ، وقد سئل عن ذلك وأنا حاضر .

وأما السؤال التسعون فجوابه أنه ليس للشاهد أخذ الأجرة على أداء الشهادة ، وأما على إتيان القاضي والحضور عنده فإن كان معه في البلد فلا يأخذ شيئاً ، وإن كان يأتيه من مسافة العدوى فما فوقها فله طلبُ نفقة المراكب ونفقة الطريق ، قال في الروضة : ولم يتعرض أكثر الأصحاب لما سوى هذا ، لكن في تعليق الشيخ أبي حامد أن الشاهد لو كان فقيراً يكسب قوته يوماً يوماً وكان في صرف الزمان إلى أداء الشهادة ما يشغله عن كسبه لم يلزمه الأداء إلا إذا بذل له المشهود له قدرَ كسبه في ذلك الوقت ، انتهى . وعلى هذا يقال في الممتنع المذكور : إنه لا شيء عليه إذا كان بصفة الفقر .

وأما السؤال الحادي والتسعون فالجوابُ إذا قال « لم أشهد بذلك » ثم شهد لم تقبل شهادته في الجانبين ، وإن قال « لا أذكر » ثم شهد تقبل ، هذا مقتضى القواعد في الجانبين .

وأما السؤال الثاني والتسعون فالجوابُ أنه تقبل شهادة الشاهدين على الحاكم أنه حكم .

وأما السؤال الثالث والتسعون فجوابه أن ولاية الجاهل باطلة .

وأما السؤال الرابع والتسعون فجوابه أن علم تعبير الرؤيا علم معتبر أصله في الكتاب والسنة ، ولا إثم على المعبر إذا لم يتعمد خطأ أو مجازفة .

وأما السؤال الخامس والتسعون فذكر بعض المتأخرين أن العلماء اختلفوا في

حكمة نزوله على ثلاثة أجوبة :

أحدها : يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود هَمَّتْ بقتله وصلبه وجرى أمره معهم على ما نبه الله تعالى في كتابه العزيز ، وهم أبدأ يدعون أنهم قتلوه ، وينسبونه إلى السحر وغيره إلى ما كان الله برأه ونزَّهه عنه ، وقد ضرب الله عليهم الذلة ، فلم تقم لهم [قائمة] منذ أعز الله الإسلام وأظهر رايته ، ولا كان لهم في بقعة من بقاع الأرض سلطان ولا قوة ولا شوكة ، ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة ، فيظهر الدجال وهو أسحر السحرة فتتابعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقررين أنهم ينتقمون به من المسلمين ، فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله عيسى عليه السلام الذي عندهم أنهم قتلوه ، وأبرزه لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين ، ونصره على رئيسهم وكبيرهم الذي ادعى الربوبية ، فقتله وهزم جنده من اليهود لمن معه من المؤمنين ، فلا يجدون مهرباً ، وإن توارى أحد منهم بشجرة أو بحجر أو بجدار ناداه : يا روح الله ههنا يهودى ، حتى يقف عليه ، فإما أن يسلم وإما أن يُقتل ، وكذا كل كافر من كل صنف ، حتى لا يبقى على وجه الأرض كافر ، ويستثنى من الشجر شجر الغرقد ؛ فإنه شجر اليهود فإنه لا يدل على اليهودى إذا توارى به .

والجواب الثاني : يحتمل أن يكون إنزاله لدنو أجله لا لقتال الدجال ؛ لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء ، لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى : (منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة أخرى)^(١) فينزله الله تعالى ليقره في الأرض ، يراه فيها من يقرب منه ، ويسمع به من نأى عنه ، ثم يقبض فيتولى المسلمون أمره ، ويصلون عليه ، ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه من نسلهم ، وهى الأرض المقدسة ، فينشر إذا نشروا نشر معهم ، هذا سبب إنزاله ، غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال الذى قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ولم ينتصب لقتاله أحد من المؤمنين لقتلهم كان هو أحق بالتوجه إليه ،

(١) من الآية ٥٥ من سورة طه

ويجرى قتله على يديه ؛ إذ كان ممن اصطفاه الله لرسالته ، وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية ؛ فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله ، لأنه ينزل لقتال الدجال قصداً .

الثالث : أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم حسبما قاله ، وقوله نحو ذلك : (ذلك، مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل)^(٢) فدعا الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فاستجاب الله دعاءه ورفعه إلى السماء إلى أن ينزل آخر الزمان مجدداً لما درّس من دين الإسلام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيوافق خروج الدجال فيقتله ، ولا يبعد على هذا أن يقال : قتاله الدجال يجوز أن يكون من حيث إنه إذا حصل بين ظهرائى الناس وهم مفتنون قد عمّ فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدهم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره ، فلذلك يقوم به ، وذلك داخل في اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالله التوفيق .

وأما السؤال السادس والسابع والثامن والتسعون فالمد على الهمز والهاء خطأ ، ولا يبطل الصلاة إلا إن قصد الاستفهام ، وأما المدُّ على اللام فحسن .

وأما السؤال التاسع والتسعون والموفى مائة فقد قال ابن المنير في كتابه « شرف المصطفى » : ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحراً يسمى المكفوف ، يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالتقطرة من البحر المحيط ، وأن هذا البحر انفلق لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء حتى جاوزه ، وذلك أعظم من انفلاق البحر لموسى .

وأخرج أبو الشيخ بن حيان في كتاب العظمة عن حسان بن عطية قال : الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والأرض تدور ، وأخرج أيضاً بسندٍ واهٍ جداً عن ابن عباس قال : خلق الله بحراً دون السماء بمقدار ثلاثة فراسخ ، فهو موجٌ مكفوف قائم في الهواء بأمر الله لا يقطر منه قطرة ، جارٍ في سرعة السهم ، يجرى فيه

(١) من الآية ٢٩ من سورة الفتح

القمر والشمس والنجوم ؛ فذلك قوله تعالى : (كل في فلك يسبحون) هذا آخر الأجوبة .

وقد قلت في الجواب نظماً :

سبحان رب العلى مؤتى البراهين وباعث الرسل إرشاداً لمهدين
صلى عليهم إله العرش قاطبة خصوصاً المصطفى خير النبيين
من اجتباه وآتاه خصائص لا تُحصى بعد ولا ترمى بتوهين
ولم يزل شرعه يعلو بمجتهد يقوم حفظاً له في كل ماحين
وكل قرن أتى في رأسه رجل يقيمه الله في التجديد للدين
نعم ، وإني بحمد الله مجتهد الـمصر الأخير على رغم الشياطين
أقول ذلك تحديثاً بنعمته لا أقصد الفخر أو صنع المرائين
نعم ، وإني بحمد الله يصدق بي فتح المغالق مع حل العويصين
إذا بدا مُشكل في العلم أقصد في إيضاحه فأوفيه بتبيين
إن شئت نقلاً فأروى فيه أبحره أو الدليل فآتى بالبراهين
دع ذا وعدّ لعم أو لفائدة واحفظ جواب سوالات بتمكين
كتبها سُرعةً في ساعتين كما كتمتها غيره للعلم والدين
وهذه سردها للناظرين فما يُغبّش الشمس إلا طامس العين
الوعد في آية الأحزاب يرجع للـمجموع لا الفرد للتعظيم في دين
ورؤية الله خذ عنى محررها ودع أولى الجهل والتخبيط والشين
كل الأنام يروه في القيامة من إنس وجن مع الأملاك بالعين
وفي الجنان يراه القوم في جُمع وللنسا رؤية في يوم عيدين
نعم ، ويختص صديقاتنا بزياً داتٍ عليهم^(١) كما ذا للوايين
والجن فيهم خلاف والذي نره بأن لهم رؤية بعض الأحايين

(١) لفظ « عليهم » سقط من بعض النسخ ، وهذا الشعر واه ضعيف جداً

وبضعة مع عشر عندنا نقلوا
 قل يا عبادي تلووا في منتهى زمير
 والخلف أيضاً جرى فيما يصاددها
 قدما شرى الله نفس المؤمنين على
 والروح إذ بذلت للقتل أنفسهم
 والقلب ليس له معنى يخص به
 إذ القلوب محل الروح مسكنها
 فحيث كانت نفوس القوم باذلة
 والخلف في الشرق مع غرب وفضل سما
 وليس عندي ترجيح بدين لما
 خير السموات عليها رويت ، وها
 وخير جناتها الفردوس أرفعها
 والسر في طمس نور النيرين ، وفي
 ثم السواد يرى في بدرنا أثر
 والشمس تغرب تأتي العرش تسجد أو
 وقدرها مثل الدنيا وزد ثلثا
 بمكة يظهر المهدي ثم دمشق الشام فيها يحيى عيسى بتزيين
 والنيل مع رمضان جمعة أحد
 لها شعوف على باقي الأفانين
 وفي فقير صبور مع شكور غني
 خُلفٌ وفضل كفافاً فوق هذين
 وأول الخلق في قول أرجحه
 ولما رووا قلم يجرى بمسنون
 وكتبه أولاً باللوح أسطره
 إلى أنا بعده التواب فادعوني
 وحكمة في ورود النار مؤمنهم
 تعريف قدر نعم غير ممنون
 ومحو طس عندي لا أفسره
 فذاك مخزون علم أي مخزون

وذرة إن تصر سبعين عدتها علم اليقين على الأخبار معتمد
 ها جناح بعوض قدر موزون حق اليقين إذا باشرت تمت مع
 عين اليقين الذي شاهدت بالعين والذكر أفضل سرّاً للأولى كملوا
 ياذاكر الله ذكراه بتلحين وعندى اللبن الأعلى ؛ فليلة الاسـ
 ويجهر المحتشى شرّاً الشياطين ما كوتر خیر ما الأخرى ، وزمزم قل
 را اختاره إذ أتى خيرُ النبيين والخوف أفضل للانسان صحّ كما
 إذ أتى خيرُ النبيين خیر المياه على وجه الأراضين والليل أفضل في قول أرجحه
 خیر المياه على وجه الأراضين لدى الممات الرجا أولى فرجوى كما
 لبقوله جل من ذا فيه يدعوى من التراب الطهور الطاهر الطين
 لوصفها ولتجنيس بزوجين وخلق آدم تشريفا لعنصره
 لقتل دجالهم رأس اليهودين ورفع عيسى ليأتى في أواخرنا
 من غير أخص مسح لرجلين وبالمسيح يسمّى حيث خلقتة
 قد صح في الخبر ، الأشياخ روى يقيم سبع سنين إذ يعود كما
 في الحوت شهرا وثلاثا قيل ذو النون كذا أقام بسجن يوسف وثوى
 سوى ذوى الحال سادات المحبين ولا نبيح لشخص آله سمعت
 إلياس والخضر الأبقا فخيونى إدريس حتى بلاخلف والأرجح في
 له الولاية مشهور بتحسين واخلف في خضر هل بالنبوة أو
 في جنة الخلد علم أى مكنون ووالدا خير خلق الله نزلها
 في ذين فهو كعين أى ملعون ومن يصرح بكفر أو بنار لظى
 عقل بلوغ مع الإسلام والدين شرط الوضوء وجوبا وقته حدث
 علم بإطلاقه ، أو خذ بمظنون وشرط صحته : الماء الطهور ، كذا
 عقل وتمييز مفروض ومسنون دين وفقد مُنافٍ فقد مانعه
 حيض وفي سلس وقت بلامين طهارة العضو ترتيب لدى نقاً

تقديم حَشْوٍ والاستنجا وطهر اذى
ومن يصلي اماما ثوبه نجس
ومن يطل خطبة يكره وفُضِّلَ من
من خمس عشرة جزءا جزءا العلاما
وجاء في خبر تمثله احدا
وحكمة الصف اتباع الحديث ؛ فمن
ومن يطل عندهم شمس النهار ولا
يقدروا الصوم مع فرض العشاء كما
صحت صلاة مصل في السفينة ان
لا يفسد الصوم ما تبقىه مضمضة
من باع بيعة على شرط البراءة من
بباطن من ذوى روح وبائه
ومن يصلح عن عيب بالأرث وها
وليس يسقط الاستبراء ان نكحت
وفي الفلوس يصح البيع مع سلم
ومن أقر بألفى درهم ونأى
ومن تبعض بزوجه المليك مع
عقد النكاح صحيح حيث يعرف من
وزوجة أنكرت قبض الذي نُجِلَتْ
ووطء سرية أو زوجة بهذا
كذا بحضرة عميا غير باصرة
ومن يقل إن تعدلى فهى طالقة
وذات دور بها يلغى المعلق لا

والفوز بعد توال بين عضوين
يعيد من دون مأموم بتبيين
أى الصلاة على كل القرابين
قيراط أجر مصلاه ومدفون
بقدر أصغر قيراط لموزون
صلى عليه صفوف فاز بالين
تغيب إلا كلحظ أو كلحظين
يقدروا زمن الدجال بالحين
سارت وإن ترس أو تنساخ في الطين
من بلة لم تكن مفصولة العين
كل العيوب يخص البرء باثنين
بجهله عالم أو غير مبطون
ويسقط الرد ، هذا غير مغبون
وطلق الزوج حالا قبل تمكين
إلى زمان وإن راجت كنفدين
بالعرف يقضى إذا ماجا بتبيين
القريب أو معتق أو مع سلاطين
يعقد عليها ، وإلا ألغ بالدون
فقولها القول حكم أى مسنون
ضرائر فهو كره بين الاثنين
لا إثم فيه ، ولا تحريم في الدين
يلغى المقال ببعد أو يمينون
منجز ، فليقع هذا بتكوين

ومن يطلق إكراها ويعتق لا
 وحد إلا كراه تهديداً بما سمحت
 والقرض يوفى بوزن مثل ما قبضوا
 وكل تعليق عتق حله أبداً
 ومن تملك لها طفلاً وليس له
 فإن تملكه عبداً ثم تعتقه
 من أكرهوه على خمر تباح له
 وقد جرى الخلف في قتل الكلاب ، ولا

أفتى به أبداً إلا لمؤذنين
 ولا أفسقه في ضرب مندله
 عدواً من السحر تفريقاً وتأخذة
 ولا نبيح بما لم يدر رقيقته
 كذا أجاب به قدما بحضرتنا

شيخنا الشُّمْنِيُّ ذُو التَّقْوَى وَذُو الدِّينِ
 للشاهد الأجر مع بعد المسافة أو
 إن عدَّ في الفقرا ذاً والمساكين
 وشاهد قال لم أشهد فما قبلت
 إن جاء يشهد ، هذا غير مأمون
 وحيث ينكر حكماً حاكم قبات
 عليه فيما نفى قول الشهيدين
 ولا تصح ولايات القضا أبداً
 لجاهل طرق الأحكام في الدين
 وعلم تعبير رؤيا النوم معتبر
 له أصول بمكتوب ومسنون
 ومن يعانیه لا إثم عليه إذا
 راعى القواعد فيه غير مفتون
 تم الجواب بهذا عن مسأله
 فالحمد لله حمداً غير ممنون
 ثم الصلاة على الهادي وعترته
 وصحبه ما أتى شأراً بموزون

الأسئلة الوزيرية ، وأجوبتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجيب السائلين .

مايقول علامة الزمان ، والفائق على سائر الأقران ، فى الجواب عن أسئلة على وجه يرتفع عنها غريب الإشكال ، حتى تهدى الطالب لوجه الحق فيها على أحسن حال .

الأول : هل الوضع فى أسماء الإشارة للمعنى العام ، أو للخصوصيات المشتركة ؟ فإن قلت بالأول وَرَدَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهَا عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَا يُطْلَقُ إِلَّا عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ ، فَلَا يَقَالُ « هَذَا » وَالْمُرَادُ أَحَدٌ مِمَّا يَشَارُ إِلَيْهِ ، وَلَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ لَجَازَ ذَلِكَ كَمَا فِي رَجُلٍ ، مَعَ أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْخُصُوصِيَّاتِ مَجَازًا ، وَلَا قَائِلَ بِهِ . وَإِنْ قُلْتَ « إِنَّهُ مَوْضُوعٌ لِلْخُصُوصِيَّاتِ » لَزِمَكَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى مُشْتَرَكًا لَفْظِيًّا ، وَلَا قَائِلَ بِهِ ، مَعَ أَنَّهُ يَشَارُ بِهِ إِلَى أَمْرٍ كُلِّ مَذْكُورٍ ، وَذَلِكَ يَنَاقِي وَضْعَهُ لِلْخَاصِّ .

الثانى : إطلاق العام وإرادة الخاص ، أحقيقة أم مجاز ؟

فإن قلت بالأول أورد أنه استعمال اللفظ فى غير ماوضع له ؛ فكيف يكون حقيقة ؟ وإن قلت بالثانى وَرَدَ مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ حَقِيقَةً .

الثالث : هل الإنسان بالنسبة إلى الأب والابن مشكك أم متواطىء ؟

الرابع : هل ينطبق على مجاز الزيادة والنقصان تعريف المجاز بأنه اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة أم لا ؟

الخامس : إن العلاقة فى مثل قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ^(١)) ماهى ؟ ومن

أى الأنواع المذكورة فى العلاقة ؟

(١) من الآية ٤٠ من سورة الشورى

السادس : وهو أعظمها إشكالا ، كيف صحَّ التكليفُ بالإيمان مع أن الإيمان في الشرع هو التصديق بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل تصديق فهو كَيْفٌ ؛ فالإيمان كيف ، ولا شيء من الكيف بمكلف به ، فلا شيء من الإيمان بمكلف به ، أما الصغرى فواضحة ، وأما الكبرى فلما تقرر في الأصول من أنه لا تكليف إلا بفعل ؟

والمستول من الأستاذ المحقق ، والمولى المدقق ، كشفُ الحجاب ، عن هذه الأسئلة بإيضاح الصواب .

الجواب : الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وَرَدَّتْ عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ مِنْ مَوَلَى لَا يَخْفَى عَلَى مِثْلِهِ جَوَابُهَا ، وَلَا يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِهِ صَوَابُهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ قَصِدُ بَذَلِكَ تَجْدِيدِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ، وَتَذْكَيرِ الْوَدِّ الْقَوِيمِ ، فَأَقُولُ وَاللَّهِ الْهَادِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ : هَذِهِ الْأَسْئَلَةُ كُلُّهَا مَسْطُورَةٌ ، وَأَجُوبُ بِهَا مَعْرُوفَةٌ مَشْهُورَةٌ .

أما السؤال الأول فقد ذكره وجوابه القرافي علامة المالكية ، لكن في المضمرة ، فقال : اختلف الفضلاء في مُسَمَّى المضمرة حيث وُجِدَ ، هل هو جزئي أو كلي ؟ فقال الأكثرون : مسماه جزئي ، واحتجُّوا بإجماع النحاة على أنه معرفة ، ولو كان مسماه كليا لكان نكرة ، وبأنه لو كان كليا كان دالا على ما هو أعمُّ من الشخص المعين ، والقاعدة العقلية أن الدال على الأعم غير دال على الأخص ؛ فيلزم أن لا يدل المضمرة على شخص خاص البتة ، وليس كذلك ، وهذا معنى قول السائل - حفظه الله - « وإن قلت بالأول وَرَدَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهَا عَلَيْهِ - إِلَى آخِرِهِ » ثم قال القرافي : وذهب الأقلون ، وهو الذي أجزم بصحته ، إلى أن مسماه كلي .

قال : والدليلُ عليه أنه لو كان مسماه جزئيا لما صدَّقَ على شخصٍ آخَرَ إلا بوضع آخر ، كالأعلام فإنها لما كان مسماهها جزئيا لم يصدق على غير مَنْ وَضَعَتْ لَهُ إِلَّا بوضعٍ ثَانٍ ، فإذا قال قائل « أنا » فإن كان اللفظ موضوعا بإزاء

خصوصه من حيث هو هو ، وخصوصه ليس موجوداً في غيره ؛ فيلزم أن لا يصدق على غيره إلا بوضع آخر ، وإن كان موضوعاً لمفهوم المتكلم بها وهو قدر مشترك بينه وبين غيره ، والمشارك كلي ، فيكون لفظ « أنا » حقيقة في كل من قال أنا ؛ لأنه متكلم بهذا الذي هو مسمى اللفظ ، فينطبق ذلك على الواقع .

قال : والجواب عما احتج به الأولون أن دلالة اللفظ على الشخص المعين لها سببان :

أحدهما : وضع اللفظ بإزاء خصوصه ؛ فيفهم الشخص حينئذٍ للوضع بإزاء الخصوص ، وهذا كالتعلم .

والثاني : أن يوضع اللفظ بإزاء معنى عام ، ويدل الواقع على أن مسمى اللفظ محصور في شخص معين ، فيدل اللفظ عليه لأنحصار مسماه فيه ، لا للوضع بإزائه . ومن ذلك المضمرة ، وضعت العرب لفظه « أنا » مثلاً لمفهوم المتكلم بها ، فإذا قال القائل « أنا » فهم هو ؛ لأن الواقع أنه لم يقل هذه اللفظة الآن إلا هو ؛ ففهمناه لأنحصار المسمى فيه ، لا للوضع بإزائه ، وكذلك بقية المضمرة .

قال : وبهذا يحصل الجواب عن القاعدة العقلية أن اللفظ الموضوع لمعنى أعم لا يدل على ما هو أخص منه ؛ فإن الدلالة لم تأت من اللفظ ، وإنما أتت من جهة حضر الواقع المسمى في ذلك الأخص .

هذا كلام القرافي ملخصاً ، وما قاله في المضمرة [بحري] بعينه في اسم الإشارة . وقول السائل حفظه الله « إن قلت بالأول ورد كذا ، وإن قلت بالثاني لزم أن يكون مشتركاً لفظياً ، ولا قائل به ، إلى آخره » جوابه أنه ليس من باب المشترك ، ولا من باب المجاز ، بل من باب الوضع للقدر المشترك ، والوضع للقدر المشترك معروف في الأصول في مواضع ؛ فليس الوضع منحصرأ فيما رده السائل ، فهذا مثلاً وضع لمشار إليه مفرد ذكر حاضر أو في حكمه ، وهو مفهوم كلي ، وأنحصاره في خاص ليس للوضع بإزائه ، بل لأن المتكلم لم يُشِرْ به الآن إلا لزيد مثلاً ، وهذا معنى قول

بعض النحاة المحققين : إن المضمرة واسم الإشارة كلياً وضماً جزئياً استعمالاً ، ونظيره قول بعض الأصوليين : إن الأمر موضوع للقدر المشترك بين الوجوب والندب وهو الطلب - حذراً من المجاز والاشتراك ، فاستعمال صيغة الأمر في الندب وفي الوجوب مثلاً نقول في كل منها : إنه حقيقة غير مجاز وغير مشترك ؛ لأن الوضع على هذا القول ليس لكل منهما ، ولا لواحد منهما ثم استعمل في غيره ، وإنما هو لمعنى صادق على كل منهما وهو الطلب ، وكذا نقول في اسم الإشارة والمضمرة : ليس الوضع فيهما لواحد فقط ، بحيث يستعمل في غيره مجازاً ، ولا لكل واحدٍ بحيث يكون مشتركاً ، بل لمفهوم صادق على كل فرد ، وهو في اسم الإشارة مشاراً إليه مفرد ذكر حاضر كما قلناه ، وفي المضمرة متكلم مفرد أو غيره كما قاله القرافي .

وأما السؤال الثاني — وهو أن العام المراد به الخصوص هل هو حقيقة أو مجاز؟ —

فجوابه أنه مجاز قطعاً ، كما ذكره جماعة منهم ابن السبكي في جمع الجوامع .

وقول السائل حفظه الله : « إن بعض المحققين ذكر أنه قد يكون في هذه الحالة حقيقة » فجوابه أن المحقق المشار إليه هو الشيخ تقي الدين السبكي والدصاحب جمع الجوامع ؛ فإنه ذكر ذلك في بعض تصانيفه ، لكن بحثاً من عنده بعد حكايته الإجماع على خلافه ، وفرّعه على القول بأن دلالة العام على كل فرد من أفراد دلالة مطابقة ؛ لأنه حينئذ ليس استعمالاً للفظ في غير موضوعه ولا في بعض موضوعه بل هو استعمال المشترك في أحد معنياه ، وهو استعمال حقيقي ، هذه عبارته ، وقد عُرِفَ بكلامه هذا توجيه ما ذهب إليه ورد ما أورده السائل على القول بأنه حقيقة .

وأما السؤال الثالث — وهو أن الإنسان بالنسبة إلى الأب والابن مشكك أو متواطىء — فجوابه أنه متواطىء ؛ لأنه متساوي المعنى في ذلك ، ولأن الاختلاف في ذلك ليس بأمورٍ من جنس المسمى كالبياض والنور ، بل بأمورٍ خارجة عنه كالدكورة والأنوثة ، وهذه علامة المتواطىء كما قرره أهل الأصول .

وأما السؤال الرابع — وهو أنه هل ينطبق على مجاز الزيادة والنقصان تعريفُ
المجاز إلى آخره؟ — فجوابه أنا نقول : أولاً اختلف في الزيادة والحذف ، هل هما
من قبيل المجاز؟ فذهب ذاهبون إلى أنهما ليسا من قبيل المجاز ، وعلى هذا لا إيراد ،
وذهب آخرون إلى أنهما من قبيل المجاز ، وأورد عليه أن تعريف المجاز لا يصدق
عليهما ، وفصل آخرون ، منهم صاحب الإيضاح البياني ، فقال : إن كان الحذف
والزيادة يوجبان تغيير الإعراب فمجاز ، وإلا فلا .

وقال القرافي : الحذف أربعة أقسام ليس منها مجاز إلا قسم واحد ، وهو ما
يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الإسناد نحو (وَأَسْأَلُ الْقَرْبَةَ) ^(١) إذ لا يصح
إسناد السؤال إليها ، وبقية الأقسام ليست من أنواع المجاز .

وقال صاحب المعيار : إنما يكون الحذف مجازاً إذا تغير حكمه ، فإن لم يتغير
كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فلا .

فأنت ترى هذه الأقوال كالمتضاربة على عدم انطباق تعريف المجاز عليه ، مع
أننا لو شئنا لتجملنا وجهاً لا انطباقه عليه مطلقاً ، لكن الذي نختاره في هذا ما ذهب
إليه القرافي وصاحب الإيضاح ، وانطباق المجاز على ما ذكرناه واضح .

وأما السؤال الخامس — وهو أن العلاقة في مثل (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ ^(٢))
ماهي؟ — فأقول : ما أحسنَ هذا السؤال والطفه ، ولقد أثلج خاطري بموافقة السائل
حفظه الله تعالى على أن هذا من نوع المجاز ، وإنما قلت ذلك لأني رأيت بعض
متأخري أهل البيان قال في نوع المشاكاة الذي هذه الآية فرُدُّ من أفراد أمثلتها :
إنه واسطة بين الحقيقة والمجاز .

قال : وليس بحقيقة ؛ لأنه استعمال اللفظ فيما لم يوضع له ، ولا مجاز لعدم العلاقة
المعتبرة ، هكذا قال ، وليس بشيء ، وقد نازعته في ذلك قديماً في كتاب شرح ألفية
المعاني ، واخترت أنه مجاز قطعاً ، وأن ما قاله من عدم العلاقة ممنوع .

(١) من الآية ٨٢ من سورة يوسف (٢) من الآية ٤٠ من سورة الشورى

فإن قلت : ما العلاقة ؟

قلت : الشكل والشبه الصوري ، كما يطلق الإنسان والفرس على الصورة المصورة ، وكذا الجزاء أطلق عليه سيئة ؛ لكونه مثل السيئة المبتدأ بها في الصورة ، وكذا قوله : (فاعتدوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)^(١) أطلق على الجزاء اعتداء لشبهه بالاعتداء المبتدأ به في الصورة .

وأما السؤال السادس في الإيمان فهو سؤال مذكور مسطور أجاب عنه جماعة منهم خاتمة المحققين الشيخ جلال الدين المحلي في شرح جمع الجوامع ، فقال : التكليف والتصديق وإن كان من الكيفيات النفسية دون الأفعال الاختيارية المراد منه التكليف بأسبابه كإلقاء الذهن أو صرف النظر وتوجيه الحواس ورفع الموانع ، هذه عبارته .

فهذا ما حضرنا في الجواب عن هذه الأسئلة ، وقد علقتُ هذا الجواب ساعة ورودها على ، فانظروا فيه ، فإن رضيتموه ، وإلا فاتحفوا بجوابكم ، قاله عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي الشافعي يوم السبت العشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ، وسميته « نفح الطيب ، من أسئلة الخطيب » .

فكتب الشيخ شمس الدين الوزيري على هذه الأجوبة ما صورته : الحمد لله رب العالمين ، أقول وبالله العون والتوفيق ، وبيده أزمّة الهدى والتحقيق : لم يظهر مما ذكره العلامة من هذه الأجوبة دفع هذه الأسئلة .

أما الجواب عن السؤال الأول فقوله فيه : « وهذا معنى قول السائل فإن قلت بالأول ورد أنه لا يجوز إلى آخره » مشيراً إلى ما نقله القرآني عن الأكثرين من أنه لو كان مسماة كلياً إلى قوله على خاص البتة ، وليس على خاص ، ليس الأمر كما زعم ؛ فإن اللازم من كون مسماة كلياً على ما ذكره الأكثرين أمران : الأول كونه نكرة ، والثاني عدم دلالة على شخص ، وهما غير ما ألزمه السائل على تقدير

(١) من الآية ١٩٤ من سورة البقرة

كون المسمى كلياً ، حيث قال : فإن قلت بالأول ورد ؛ فإن اللازم على ما ذكره
أمران ، أحدهما جواز إطلاق اللفظ على المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه ، والثاني أن
يكون استعماله في الخصوصيات مجازاً ، هذا مع أن القراني لم يُجيب عن الإلزام الأول
في كلام الأَكْثَرين - وهو قولهم : لو كان مسماه كلياً لكان نكرة - وإنما أجاب
عن الثاني ، كما لا يخفى على من تأمل كلامه ، فقد تبين أنه لا شيء من السؤال
وجوابه بمذكور في كلام القراني كما ذكره العلامة .

وقوله : « جوابه أنه ليس من باب المشترك إلى آخره » صريح في أن ما أجاب
به هو اختيار قسم ثالث غير القسمين اللذين في كلام السائل ، ومحصل جوابه أن
اسم الإشارة كهذا مثلاً وُضِعَ للقدر المشترك ، وهو المفهوم الكلي المعبر عنه بقولنا :
مشار إليه مفرد مذكر حاضر أو في حكمه ، وهو الذي اختاره القراني في المضمرة من
أن مسماه كلي ، كما اعترف به العلامة في آخر جوابه .

وأنت تعلم أن هذا هو القسم الأول في كلام السائل ، أعني قوله « هل الوضع
في أسماء الإشارة للمعنى العام ؟ » والعجب كيف خفي مثل هذا على العلامة ، مع
ظهوره على هذا ؟ فاللازم على القسم الأول باقٍ بحاله ؛ إذ ليس في كلامه حفظه الله
ما يدفعه .

وأما الجواب عن السؤال الثاني فقوله « إنه مجاز » هو اختيار القسم الثاني ،
وقد عرف ما يردُّ عليه من كلام بعض المحققين .

وأما قوله : « إن المحقق المشار إليه هو الشيخ تقي الدين السبكي » فليس كذلك ؛
فإن مقتضى كلام السبكي أنه حقيقة عنده دائماً ، وأما ذلك المحقق فلم يقل بأنه حقيقة
مطلقاً ، بل في بعض الأحوال كما يشعر به قول السائل : ورد ما ذكره بعض المحققين
من أنه قد يكون في هذه الحالة حقيقة .

وحاصل السؤال أن الجواب بأنه مجازٌ إطلاقٌ في محل التقييد ، وأما قول العلامة
السبكي : « إن دلالة العام على كل فرد من أفرادها دلالة مطابقة » فإن أراد أن العام

إذا أطلق وأريد به الخاص كان دالاً عليه مطابقةً فهو خلاف ما أطبق عليه المحققون من أنه لا دلالة للعام على الخاص بإحدى الدلالات الثلاث ، وقد ظهر بهذا أن ما أورده السائل على القول بأنه حقيقة كلام لا غبار عليه .

وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه أنه جمل - حفظه الله - علامة التواطؤ أن لا يختلف بأمور من جنس المسمى ، ومقتضاه أن علامة التشكيك الاختلاف بأمور من جنس المسمى ليست خارجة ، وهذا مما لم نره في كلام أحد ؛ فإن التشكيك يكون بالتقدم والتأخر ، وبالشدت والضعف ، وبالأولوية ، وكلها أمور خارجة عن المسمى .

ثم إن قوله : « لأنه متساوي المعنى » مما يحتاج إلى بيان ، فإن الإنسان متقدم في الأب على الابن ، فقد تفاوت أفراد السكلى بالتقدم والتأخر ، وذلك يقتضى التشكيك .

وأما الجواب عن السؤال الرابع ففيه أنه اختار أنه مجاز بشرط ، ثم ادعى أن انطباق حد المجاز عليه واضح ، وليس كذلك ، بل الواضح عدم الانطباق ، ألا ترى أن قوله تعالى : (وَإِسْئَالَ الْقَرْيَةِ)^(١) ليس فيه لفظ استعمل في غير ما وضع له لعلاقة ؛ فإن لفظ السؤال مستعمل فيما وضع له ، وكذا لفظ القرية ، وقد صرح بذلك جماعة من المحققين منهم النحرير التفتازانى والعلامة الجلال المحلى ، على أنه لم يظهر تضافر الأقوال التي حكاها على عدم انطباق تعريف المجاز عليه ، فإن محصل الأقوال - حاشا الأول - أنه يُطلق عليه المجاز إما مطلقاً وإما بشرط ، وأما أنه هل ينطبق تعريف المجاز عليه أو لا فأمر مسكوت عنه ، على أنها ظاهرة في الانطباق .

وأما الجواب عن السؤال الخامس فتحصيله أن العلاقة في مجاز المشاكلة التي الآية من أفرادها هو الشبه الصورى ، حتى إنه أطلق على جزاء السيئة سيئة لكونها

(١) من الآية ٨٢ من سورة يوسف

مثلها في الصورة ، وفيه أن ذلك يُخْرِج الآية عن باب المشاكلة إلى باب الاستعارة ، فإن المشاكلة - على ما ذكره المحقق التفتازاني - هي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، وقد صرح التفتازاني بذلك في بعض كتبه ، حيث قال : السيئة أستعارة عما يشبه السيئة صورة ، ثم قال : لكن وصف السيئة بقوله (مثلها) يَأْبَى هذه الاستعارة ؛ لأنه بمنزلة أن تقول : زيد أسد مثله ، والحق أن الآية من قبيل المشاكلة ، انتهى .

فأنت ترى كيف جعل الآية باعتبار الشبه الصوري من باب الاستعارة ، لا من باب المشاكلة ، على أن ما ذكره العلامة من أن العلاقة في نوع المشاكلة هو الشبه الصوري لا يتمشى في قوله :

قالوا اقترَحَ شيئاً نُجِدُّكَ طَبَّخَهُ

قلت اطبخوا لي جبة وقميصا

إذ لا مشابهة بين الطبخ والخياطة في الصورة كما لا يخفى .

وأما الجواب عن السؤال السادس فهو كما ذكره أعزه الله تعالى ، وهذا الجواب قد أخذ العلامة المحلّي من كلام المحقق التفتازاني ، ومحصله أن الإيمان لم يكلف به ، وإنما كلف بأسبابه ، وفيه من الإشكال ما لا يخفى .

قال ذلك وكتبه العبد الفقير إلى الله تعالى المنعطي بالزلل والتقصير ، راجي عفو ربه القريب القدير ، محمد بن إبراهيم المسعي بالخطيب ، في ليلة يُسفر صباحها عن اليوم الرابع والعشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمان وسبعين وثمانمائة .

فكتب شيخنا الإمام العالم العلامة البحر الخبر الفهامة خاتمة الحفاظ والمجاهدين جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام والمسلمين كمال الدين بن أبي بكر السيوطي الشافعي أعز الله تعالى به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين ، الأجوبة عن هذه الاعتراضات بما نصه :

الحمد لله ، أقول والله الهادي للصواب ، وإليه المرجع والمآب : وردت على هذه

الاعتراضات ، فتأملتها بعين الإنصاف ، فوجدتها غير واردة ، وها أنا أسوق كلماتها مع الجواب عنها واحدة واحدة .

قوله : « ليس الأمر كما زعم ؛ فإن اللازم من كون مسماه كلياً على ما ذكره الأكترون أمران : كونه نكرة ، وعدم دلالاته على شخص ، وهما غير ما ألزمه السائل عليه ، وذلك أمران : جواز إطلاقه على المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه ، وكون استعماله في الخصوصيات مجازاً » أقول : ليس الأمر كذلك ، بل أحد إلزامي الأكترون هو أحد إلزامي السائل بعينه الذي أشرت إليه في الجواب ، وهو عدم دلالاته على شخص معين ، وبيان ذلك أن الأكترون قالوا : يلزم من كونه وُضع المعنى العام أنه لا يدل إلا عليه ، فبطل الملزوم ، وهو كونه كلياً ، وهذا مؤدى قول السائل : إنه يلزم على كونه كلياً جواز إطلاقه على المعنى العام مع أنه لا يطلق عليه ، أى وإنما يطلق على الخاص ، فمؤدى العبارتين واحد بلا شك ، غاية ما فى الباب أن بينهما قلباً لفظياً ؛ فإن العبارة الثانية هى مقلوب العبارة الأولى ، وفى كل من العبارتين مُقدّرات اقتضاها الإيجاز لأبد من إظهارها ليلم المطلوب من الاستنتاج ، فعند إظهارها وتفكيك الكلام ينحل مؤداهما إلى واحد ، وإذا تقرر أن هذا الإلزام الذى ذكره السائل هو عين الإلزام الذى ذكره الأكترون فقد حصل الجواب عنه بما أجاب به القرافى ، ومحصله أنا لو خُلِينَا ومقتضى الوضع لأطلق على العام ، وإنما منع منه ما عَرَضَ عند الاستعمال من حصر الواقع المسمى فى شخص خاص ، وحاصل هذا الجواب منع التلازم بين الوضع والإطلاق ؛ فقد يوضع الشيء للعام ولا يستعمل إلا خاصاً ، بدليل الشمس فإنها وضعت كلياً ولا تستعمل إلا جزئياً ، وأوضح منه ما ذكره القرافى من تشبيه ذلك بالأعلام الغالبة ؛ فإنها وضعت كلية ، ثم غلب استعمالها فى خاص ، فصارت أعلاماً بالغلبة ، وسنزيد هذا وضوحاً قريباً .

وقوله : « إن القرافى لم يجب عن الإلزام فى كلام الأكترون ، وهو قولهم :

(٣٦ - الحاوى ٢)

« لو كان مسماه كلياً لكان نكرة » وإنما أجاب عن الثانى ، أقول : ممنوع ، فقد صرح القرافى نفسه أن الجواب الذى ذكره جوابٌ عن الإلزامين ، وأنا لم أسقُ كلامه بلفظه ، بل أوردته ملخصاً كما نبهت فى آخره ، ونكتةٌ عدم تعرضى لما يوضح كونه جواباً عن الإلزام الآخر من كونه نكرة أنه لا ذكر له فى كلام السائل البتة ، فاستغنيت عن إيراده ، وعبارة القرافى « وأما تولهم فى الوجهين - يعنى اللذين احتجوا بهما - فالجوابُ عنه واحد ، وهو أن دلالة اللفظ ، وساق ما قدمته عنه - إلى أن قال : فلما كان حَضْرُ مسمى اللفظِ فى شخص معين من الواقع قول النحاة : هى معارف ؛ فإن فهم الجزئى لا يكاد ينفك عنها ، هذا لفظه . فأشار أولاً إلى أن الجواب عن الإلزامين معاً ، وأتى آخرها بهذه الجملة لتقرير الجواب عن لزوم كونه نكرة ، ومتحصل كلامه أنه أجاب عن الإلزامين معاً بجواب واحد ، أما كونه يدل على خاص ولا يدل على العام فلما عرَضَ فى الاستعمال ، لا لأمر فى أصل الوضع ، وأما كونه معرفة لا نكرة فلأن فهمَ الجزئى لا يكاد ينفك عنه ، ومعلوم عندك أن التعريف والتنكير لا تلازم بينهما وبين الوضع ، حتى يقال : إن وضعه كلياً يستلزم كونه نكرة ، ووضع جزئياً يستلزم كونه معرفة ، لأن التعريف يحدث بعد الوضع لما يعرض فى الاستعمال ، ألا ترى أن رجلاً وضع نكرة ، وإذا نودى مع القصد صار معرفة ، وليس لك أن تقول : إن التعريف حصل من الوضع أيضاً ؛ لأن (يا) وضعت لتعريف المنادى ؛ لأننا نقول ذلك مردود بوجهين :

أحدهما : أن (يا) قد توجد ولا تعريف فى نداء غير المقصود .

والثانى : قولُ النحاة إن تعريف المنادى المقصود إنما هو بالقصد والمواجهة

كاسم الإشارة ، وجعلوه فى مرتبته .

فهذا أول دليل على أن التعريف فى الإشارة إنما حصل بالمواجهة ونحوها ،

دون أصل الوضع ؛ فهو أمر طارىء عليه وحادث بعده ، فلا تنافى بين وضع الإشارة

والمضمر كلياً وكونه معرفة مستعملاً فى الجزئى .

ومما يدل على أن التعريف والتنكير لا تعلق لهما بالوضع وإنما هما من الاستعمال قولُ خلائق من النحاة : إن المضمرة قد يكون نكرة ، وذلك في الضمير المجرور برب ، وقول آخرين : إن الضمير العائد على النكرة نكرة مطلقاً ، وقول آخرين : إن العائد على واجب التنكير كالتمييز نكرة ، فإن تخيلت أن التنكير والتعريف في المضمرة من أصل الوضع لزمك الاشتراك اللفظي وتعدُّدُ الوضع ، ولا قائل به ، وإن سلمت أنه حادث في الاستعمال فهو المدعى ، وبه يحصل الانفصال عن الإلزام ، وإن قلت إنه وضع معرفة واستعماله نكرة عارضٌ من الاستعمال فبعيدٌ مع أنه يُثبِتُ مدعانا أيضاً بطريق قياس العكس ؛ إذ لا فارق ، فثبت بهذا كله أن الضمير واسم الإشارة وضعاً للمعنى العام ، وعدم إطلاقهما عليه إنما هو لما عرَّضَ في الاستعمال ، لا لأمر في أصل الوضع ، وهذا تحقيقُ القول بأنه كليٌ وضعاً جزئياً استعمالاً ، وهو من أحسن ما قيل ، واندفع أحد الإلزامين اللذين أوردهما السائلُ ، ثم بتقرير كونه وضع للمعنى العام الذي هو القدر المشترك والمفهوم الكلي يكون استعماله في آحاد ما يصدق عليه حقيقة لا مجازاً كما هو شأن الوضع للقدر المشترك ، فاندفع الإلزام الثاني كما لا يخفى .

وقوله : « إن ما في جوابنا من كونه ليس من باب المشترك إلى آخره صريحٌ في أنه اختيار قسم ثالث غير القسمين اللذين في كلام السائل - إلى أن قال : وأنت تعلم أن هذا هو القسم الأول في كلام السائل » .

أقول : كأن المعترض - حفظه الله - يشير إلى أنه وقع في كلامنا تناقض ، ثم جزم بذلك وادعى أنه خفى علينا ، وليس كذلك ، وهذه غفلة عظيمة من المعترض - أعزه الله - أحاسبه بها ، وبيان ذلك أن القسمين اللذين في كلام السائل اللذين ما اخترنا في التوجيه غيرهما ليسا بالقسمين اللذين ما اخترنا في التعيين أحدهما ، فالقسمان الأولان هما الإلزامان الواردان ، والآخران هما الملزوم عنهما الموردُ عليهما ؛ فلا تناقض ؛ لاختلاف مورد القسمة .

والحاصل أن السائل أورد قسمين وطلب تعيين أحدهما - وهما : هل هو للعام أو الخاص ؟ - فعيّننا الأول ، ثم أورد على القسمين ثلاث إزامات ، على الأول اثنان وعلى الثاني واحد ، فأجبنا عن أول إزاميّه بمنع التلازم بين الوضع والإطلاق ، وعن الثاني بتقرير كونه وُضع للقدر المشترك ، فاندفع الحجاز كما اندفع الاشتراك اللفظي وهو الثالث ، ضرورة ، فتقريرنا كونه للقدر المشترك هو عين القسم الأول من القسمين المطلوب تعيين أحدهما - وهو كونه للعام - وغير الحجاز والاشتراك الموردين على القسم الأول والثاني ، فأى تناقض في هذا ؟

وقوله « فاللازم على القسم الأول باقٍ بحاله » قولٌ ممنوع ، بل ذهب في الغابرين ، وانقطع في الداحضين ، أما الإطلاق فبمنع التلازم ، وأما الحجاز فبكونه للقدر المشترك ، وسندُهما ما تقدم واضحا ، وبهذا يتم الجواب ، ويتضح الصواب ، وينكشف الحجاب ، وتطلع الشمس المنيرة ليس دونها سحاب .

قوله « وأما الجواب عن السؤال الثاني فقوله إنه مجاز هو اختيار القسم الثاني وقد عرف ما يرد عليه من كلام بعض المحققين - إلى آخره » أقول : قصارى ما ذكره السائل عن بعض المحققين أنه ذهب إلى قول مفصل في مقابلة قطع الجمهور بأنه مجاز ، ومعلوم عندك أن المسألة ذات الأقوال لا يكون قول منها وارداً على القول الآخر ، وإنما يصلح للإيراد تقرير شبهة أو إزام أمر فاسد ، والسائل قال : ورد ما ذكره بعض المحققين من أنه قد يكون حقيقة فلم يورد إلا القول ، لا الإزام ولا الشبهة ، وهذا مالا يصلح إيراده ، رأنا لم أر في المسألة - بعد قطع الناس بأنه مجاز - إلا بحث السبكي ، فلنذكر شبهة هذا المحقق الآخر لينظر في جوابها ودفعها أو في التوفيق بينها وبين كلام الجمهور .

وقوله « إن ما قاله السبكي من أن دلالة العام دلالة مطابقة خلاف ما أطبق عليه المحققون » يقال عليه : وهو أولا من المحققين إن كانوا من المتأخرين كالعصّد ونحوه ؛ فكلامهم لا يصلح أن يعارض به المنقول عن الجهم الفغير ، وإنما يذكر على

سبيل البحث والتخمية ، والتعبيرُ بلفظ « أطبق » تهويلٌ وليس صحيحاً في نفسه ، كيف والمجزوم به في كتب الأصول ذلك ؟ أعني أن دلالة المطابقة ، ولم أف على مَنْ نازع في ذلك إلا القرافي ، وقد ردَّ عليه الأصفهاني في شرح المحصول فَشَفَى وكفى .

وقوله « وأما الجواب عن السؤال الثالث ففيه أنه جعل علامة المتواطىء أن لا يختلف بأمرٍ من جنس المسمى ، ومقتضاه أن علامة التشكيك الاختلافُ بأمرٍ من جنس المسمى ليست خارجة ، وهذا مما لم نره في كلام أحد » أقول : نحن قد رأينا في كلام القرافي ، جَزَمَ بذلك بهذا اللفظ في الجانبين ، ونقله عنه غير واحد ، وإلا فانظروه تجدوه ، والمذركم في هذا وأمثاله أنكم تقتصرون في كتب الأصول والبيان على نحو العضد والحاشية والمطول وحاشيته فتجدون فيها أبحاثاً فتظنون أنها منقولات أهل الفن أو المجزوم بها فتعتمدونها وتدعون أن المحققين عليها وتُشَرِّبُها قلوبكم وتضربون عن غيرها صَفْحاً ، ولو تجاوزتم إلى كتب المتقدمين والمتأخرين والمعلم بما حوته من الأقوال المختلفة والمباحث المتفرقة والتفريعات لعلمت حقيقة الأمر في ذلك ، وأنا لا أعتد في الأصول على أناس قُصَّارى أمرهم الرجوعُ إلى القواعد المنطقية ، وتنزيل القواعد الأصلية عليها أبداً ، إنما أعتد على أئمة جامعين للأصول والفقه ، متضلعين منهما ، محيطين بقواعدهما ، عارفين بتركيب الفروع على الأصول ، قد خالطت علومُ الشرع والسنن لحومهم ودماءهم ، فأين أنت من رسالة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه مبتكرِ هذا الفن وما عليها من الشروح المطبوعة وما تلا ذلك إلى كتب إمام الحرمين والكميا الهراسي وحبجة الإسلام الغزالي والإمام فخر الدين الرازي والسيف الأمدى وهلم جرا .

وبعد ، فالإنسان بالنسبة إلى الأب والابن متواطىء قطعاً ؛ لأن معناه مستوفى النسبة إليهما بلا شبهة ، كيف ومعنى الإنسان الحيوان الناطق ، وهذا المعنى لا يتفاوت بالنسبة إلى الأب والابن كما لا يتفاوت بالنسبة إلى الذكر والأنثى ،

والعالم والجاهل ، والطويل والقصير ؟ رتفاوته بالتقدم والتأخر كتفاوته بالنسبة إلى المذكورات ، وليس بالنسبة لمساهمة الإنسان التي هي الحيوانية والناطقية ، بخلاف تفاوت النور في الشمس والسراج ؛ فإنه بالنظر إلى جنس المسمى وماهيته ، هذا أمر لا شبهة فيه .

قوله « وأما الجواب عن السؤال الرابع إلى آخره » أقول : ما أعاده من كون لفظ القبيح مستعملاً فيما وضع له وإن صرّح به جماعة جوابه المنع ، ومن صرح بذلك لم يقله على قول الجمهور إنه مجاز لغوي ، إنما قاله بناء على قول من قال إنه مجاز عقلي ، فجعل القرية مستعملة في حقيقتها كما سُئل ، والمجاز في إسناد السؤال إليها ؛ فهو على هذا مجاز تركيب لا مجاز أفراد ، وليس الكلام فيه ، وأما على القول بأنه مجاز أفراد ، فالقرية قطعاً مستعملة في غير ما وضعت له ، وهو الأهل ، فإنها قائمة مقامه في المعنى كما قامت مقامه في الإعراب ، وبهذا يظهر انطباق حدّ المجاز على مثل هذا .

وقوله « لم يظهر تضافر الأقوال التي حكها على عدم الانطباق » جوابه أني لم أدع التضافر ، وإنما قلت كالتضافرة ، وشتان ما بين العبارتين عند البلغاء ، ووجه ذلك أن اختلافهم في كونه مجازاً بين نافي مطلقاً وتفصيلاً دليل على أن آراءهم اقتضت عدم دخوله في حدّ المجاز ، حتى اضطربوا فيه ، فقال بعضهم : إنه ليس منه مطلقاً ، ورأى بعضهم أن منه نوعاً قريباً الدخول فيه فأدخله فيه ، وأنواعاً بعيدة فلم يدخلها فيه ، فكل لبيب يفهم بالقوة من هذا الاختلاف والاضطراب أنه إنما نشأ عن اقتضاء آرائهم بُعداً عن الدخول في حدّ المجاز ، وأنا لم أقل إنها بصرحة بذلك ، بل عبرت بعبارة تشعر بخلاف ذلك ؛ فقوله « إن الانطباق وعدمه أمر مسكوت عنه » غير وارد حينئذ ؛ لأنني لم أدع التصريح به ، بل أتيت بما يدل على أنه يؤخذ منه بالقوة .

وقوله « على أنها ظاهرة في الانطباق » إن أراد أنها ظاهرة في انطباق حدّ

المجاز على كل حذف فمنوع إلا القول الثاني ، كيف والمفصلون يأبون تسمية بعض أنواعه مجازا ، والنافى مطلقا واضح ، وإن أراد أنها ظاهرة في الانطباق على ما يسمونه مجازا فصحيح ، وهو ما ادعينا في الجواب حيث قلنا : إن الانطباق على ما ذكره القرافي وصاحب الايضاح واضح ، وبه يندفع قول الممترض أولا : إنه غير واضح ، والمعجب كيف ادعى عدم وضوحه أولا وظهوره آخرا .

قوله « وأما الجواب عن السؤال الخامس - إلى آخره » أقول : ما ادعاه من أن كون العلاقة في الآية المشابهة يُخْرِجُهَا عن باب المشاكلة إلى باب الاستعارة ممنوع ؛ فإنه لا تلازم بين المشابهة والاستعارة ، وإن كان كل استعارة علاقتها المشابهة فليس كل ما علاقتها المشابهة استعارة ، بدليل أن المحققين على أن التشبيه المقدر فيه الأداة نحو (صم بكم عمى)^(١) يسمى تشبيهاً بليغاً ، لا استعارة ، وهو ظاهر بلا شك ، وإذا كان هذا فيما قدرت فيه الأداة فما ظنك بما صرح فيه بلفظ مثلها ؟ فالآية لذلك خارجة عن باب الاستعارة داخلية في باب المشاكلة ، والعلاقة المشابهة ؛ لما تقرر من منع الملازمة .

وقوله « فإن المشاكلة على ما ذكره التفتازاني هي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته » هذا من نمط ما قدّمته من أنكم تقتصرون في هذه الأمور على كتب مثل التفتازاني ، وتضربون عن غيرها صفحاً ، وإلا فما وجه نقل مثل هذا الكلام عنه وهو في متن التلخيص الذي التفتازاني شارح كلامه ، بل وفي كلام السكاكي من قبله [بل] وأطبق عليه أهل البديع قاطبة ، ومثل هذا حقه أن يقال فيه : قال أهل البديع ، وإلا فالنقل عن التفتازاني يشعر بأنه قاله من عنده ولم يسبق إليه ، ويشعر أيضاً بغيريته ، فإن النقل لكلام عن متأخر مع وجوده في كلام المتقدمين عيبٌ ، فما ظنك إذا كان في كلام أهل الفن قاطبة ؟ وإنما ينقل عن المتأخر ما قاله من عنده بحثاً مخالفاً لما قبله ، أو تحقيقاً لكلام من تقدمه ، أو نحو ذلك .

(١) من الآية ١٨ من سورة البقرة

وقوله : « إن ما ذكره العلامة من أن العلاقة في نوع المشا دلة هو الشبهه الصوري لا يتمشى في قوله * اطلبخوا الى جبة * » صحيح ، وهو اعتراض حسن ، وليس في هذه الاعتراضات أقعد منه .

وجوابه أن لم ادع أن الشبهه علاقة نوع المشا كلمة من حيث هو حتى يلزمنى تمشيتها في جميع أفرادها ، إنما ادعيت أنه علاقة الآية لظهورها فيها .
وأما علاقة أصل المشا كلمة فقد ذكرتها قديماً في كتابي شرح ألفية المعاني استخراجاً بفسكري ، ثم ظهر لي أخذها من قول صاحب التلخيص حيث قال : « المشا كلمة هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته » فقوله : ذكر الشيء بلفظ غيره صريح في أنها من باب المجاز ، وقوله « وقوعه في صحبته » إشارة إلى العلاقة وهي الصحبة والمجاورة في اللفظ ، كما سميت القرية « راوية » لمجاورتها للجمل المسمى بها حقيقة ؛ فهذه هي علاقة أصل المشا كلمة .

وقوله : « وأما الجواب عن السؤال السادس - فهو كما ذكره » - أقول : إن كان هذا تسليماً لصحة الجواب فهو المقصود ، وإن كان تسليماً لعزوه - وهو الظاهر بقرينة ما عقبه من الإشكال - فجوابه أنه لا إشكال عند التأمل ، واللمحة المشيرة إليه أن دقائق أهل المعقول لا يعبأ بها أهل الفقه وحمله الشرع الدين مرجع التكليف إليهم ، والله أعلم .

وكتبته يوم الاثنين التاسع والعشرين من رجب سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ،
وسميته « الجواب المصيب ، عن أسئلة اعتراضات الخطيب » .
مسألة :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| أيا علما أضحي به الدهر باسمها | يُسبَّه بالدهر القديم وبالصدْر |
| تأمل رعاك الله قولي ؛ فإنني | جهول به لكنه جال في فكري |
| فلم أجد الشافي لدائي فلم أزل | أفتش في أهل الفضائل والذكر |
| فدائني العقل السليم عليكم | لأنكم أهل المآثر والفخر |

وفضلكم في الناس أشهر من «قفا»
 فجردته كي تسعدوني تفضلا
 وأنشره في الناس من بعض فضلكم
 فقد ورد التصحيح في كل مسند
 ولم ير في الدنيا، فما القول ههنا
 وقد ينزل المهدي عيسى لأرضنا
 فهل ثم صائبان وفي الأرض عصابة
 وهل صح أن المصطفى سيد الوري
 يقول بأن الخير فيّ وأمتي
 وما رُسُلُ الجن الذي جاء ذكرها
 وهل لنبيّ الله هرون حيةٌ
 وهل في جنان الخلد قوم تماشروا
 وتشرب من أنهارها هل مساعد
 ومن هو بعد الختم يدعو لميت
 وما الحين إن قال امرؤ في يمينه
 وما جاء في التحذير من ضرب أوجه
 وما شرحه ما القول فيه محققا
 وهل إن تبكر مرأة ببنيّة
 وإن ماتت الأولاد من أهل ذمة
 أفي النار أو في جنة فاز أهلها
 تفضل وجد ياسيد آفاق عصره
 لكان قليلا، طال عمرك للورى
 وصلى إله العرش جل جلاله
 وخيركم عمّ البوادي مع الحضرة
 على لتحظوا في القيامة بالأجر
 مضافا إلى ما كان في سالف العمر
 بأن إله العرش يُنظر في الحشر
 وما حكمة في المنع يا عالم العصر
 فيكسر صلبانا كما صح في الذكر
 تقوم على حق إلى آخر الدهر
 رسول إله العرش خصص بالفخر
 ليوم قيام الخلق في موقف الحشر
 صريحا بنص القول في محكم الذكر
 تُرى في جنان إذ به النص في الذكر
 جمالا وترعى في مراتعها الخضرة
 لناقل هذا أو يقابل بالسكر
 بتسمية هل في المقالة من نكر
 لزوجته : لاجئت حيننا من الدهر
 على صورة مخلوقة صح في الأثر
 لعلكم تنجوا من النار والوزر
 من اليمين قول ناقلوه ذور خبر
 قبيل بلوغ، ما يكونون في الحشر
 بمقعد صدق مع كثير من الأجر
 بكل جواب لو يوازن بالتبر
 تبث علوما ما حبيت مدى الدهر
 على أحمد المبعوث بالفتح والنصر

وأصحابه وآل ماطر طائر
على فنن أو حن وحش إلى وكر
الجواب :

ألا الحمد لله المنزل للذكر
وصلى إليه العرش ملاح كوكب
سألت عن الباري يرى في قيامه
وحكمته ضفف القوي لأولى الدنا
ولم يكن الباري القديم يرى بما
ولما يكون البعث تعظم قوة
وأقدر رب العرش حقا نبيه
وصابان كفر في البلاد كثيرة
وكم بلد فيها كائنات جمة
وأما حديث « الخير في أمتي »
ولكن بمعناه حديث بعصبة
وفي الجن رسل أرسل الرسل عنهم
وما في جنان الخلد ذو لحية يرى
رما جاء في هرون فالذهبي قد
ولم أر في أمر الجبال مخبرا
ومطلق حين لحظة، ثم من دعا
وعن ضرب وجه صح نهي لفضله
على أوجه شتى حكاه محققو
فأسلمها إذ لا تكون مفوضا
كما قيل بيت الله أو ناقة له
وأما حديث اليمن في اللأئي بكرت

وأتابع حمدي بالثناء وبالشكر
على المصطفى المختار ذي الجود والفخر
ولم ير في الدنيا سوى للذي أسرى
فغير مطيق رؤية الواحد البر
دث بصر قد قال بعض أولى الخبر
بجعل إلهي فاستطاع ذرو القدر
على رؤية الباري فناهيك من فخر
بعقبا عيسى إذا جاء بالكسر
وصلبان كفر في بلاد أولى الكفر
فلم يأت هذا اللفظ في سند ندرى
تقوم على حق إلى آخر الدهر
لأقوامهم وهي السماء بالنذر
سوى آدم فيما روينا في الأثر
رأى ذلك موضوعا فكن صئقل الفكر
من النقل، والآثار ليست مدى حصر
لميته في الختم ليس بذي نكر
وفي الصورة التأويل غير أولى الخبر
أولى السنة الغراء أيدت بالنصر
إضافة تشریف كروحي ومايجرى
أضيفت؛ ففي هذا مقنع ذي ذكر
بأننى فواء لا يصح فطب وادري

وأولاد أهل الكفر قبل بلوغهم
فأمرهم الله فهو الذي يدرى
فذا القول صححه وصحح بعضهم
بأنهم في جنة مع أولى البر
فهذا جواب ابن السيوطي راجياً
نوالا من الرحمن في موقف الحشر
مسألة :

أيا عالما قد فاز بالرشد سائله
جوابك في قول بمختصر نبي
بأن سليمان النبي بدأ له
وتجتمع الأجناس فيها بجمعهم
وإن بوقت قد هدت فيه نملة
فقلت بكسر القلب تبغى قبولها
على المرء حق فهو لا بد فاعله
لم ترنا نهدي إلى الله ماله
ولو كان يُهدى للجليل بقدره
وإن نبي الله أوحى له إذن
لأهل السما والأرض هذا مقالة
فهل في اعتراض في مقالة قائل
وهل تحتل لو للغنى أو لغيره
ووالد خضر في الوري يعلم اسمه
وهل من يقين جازم في حياته
لكم جنة المأوى تباغت قصورها
الجواب :

بحمد إلهي أبتدى ما أحاوله
وأتابع هذا بالصلاة على الذي
وأتبعه شكراً تزيد نوافله
بتخصيصه عم الأنام رسائله

محمد الهادي النبي وآله
نعم قول « لو » فيه اعتراض موجه
ووالد حضر إن تسائل عن اسمه
ف قيل ابن ملكان ، وقيل ابن مالك
وقيل ابن فرعون ، وقيل ابن آدم
وأكثرهم يختار فيه حياته
فهذا كلام فيه تحرير مقصد
فخذها عروسا من محب ومهرها
وإن ابن الأسيوطي قد خطه على
مسألة :

ما النول للحجر والبحر المحيط ، ومن
في مشتري يوسف الصديق حين له
هل يملكون الذين الآن يبيع لهم
وفي قضية يحيى حيث مات وقد
وكان من قبل يدعو ربه طلبا
من آل يعقوب ميراثا بذاك أبي
والحكم في الدين أن الإرث يأخذه
ما الشأن في ذاك يا مفتي الأنام ومن
وهل تصحح للراوي روايته
من لا إمام له إن شاعرت كذا
أولا ، وإن صح هذا القول مرجعه
للمؤمنين أمير وهو سيدنا

زان الوجود به الخلاق للبشر
باعوه إخوته بالبخس في الذكر
ما ذلك الأمر يا مخصوص بالأثر
صحت حياة أبيه الطهر في الخبر
نجلا يورثه في مدة العمر
نص المهيمن بالأخبار في الزبر
مخلف بعد مقبول بلا نكر
أبدى الفوائد حتى صار كالقمر
فيما روى عن رسول الله في أثر
يهود أو غيره من عصبة الكفر
إلى إمام الهدى المعروف للبشر
سلطاننا لا برحنا^(١) منه في خفر

(١) في بعض النسخ « لا يرضى » بدل « لا برحنا » وهو تصحيف

أو غيره أفنتنا أنت الإمام لنا
أثابك الله جنات النعيم بما
بجاه خير الوري الهادي لأمته
الجواب :

الحمد لله باري الخلق والبشر
لم يملك المشتري الصديق قَطُّ، ولا
وإرث يحبي لعلم، لا لمال أب
وبعضهم وهو الطيبي قال بأن
وفي الإمام أحاديث بهذا وردت
ثم الصلاة على المختار من مضر
بظن هذا ببيع الحر فاعتبر
فالأنبيا إرثهم حَظُرَ على البشر
قد أخرجت دعوة فيه بلا ضرر
وهو الخليفة فافهمه ولا تحرير^(١)

الأوج، في خبر عوج

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال ورد من الشام صورته : ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وعلماء المسلمين
وفقهم الله لطاعته أجمعين في عوج بن عنق ، هل كان له وجود في الخارج في الزمن
الماضي أم لا ؟ فإن لم يكن له وجود في الخارج أصلاً فما الجواب عما وقع في غالب
التفسير كتفسير القرطبي والبعوي ؟ فإنه ذكره في أربعة مواضع متفرقة على ما اطلعتُ
عليه والكرمانى وابن الخازن والنعماني وابن عطية وغيرهم من المفسرين من التنويه
بذكره وتكرار قصته في مكان بعد آخر ، على أن القرطبي والنعماني نقلًا ذلك عن
ابن عمر ، والكرمانى في تفسيره نقله عن ابن عباس ، وإن كان له وجود فهل بقي
إلى زمن موسى عليه السلام وهلك على يده ، أو هلك في الطوفان مع مَنْ
هلك ؟ فإن قلت ببقائه إلى زمن موسى عليه السلام فما الجواب عن قوله تعالى
حكايةً عن نوح عليه السلام : (رب لا تذرْ على الأرض من الكافرين

(١) هذه الأبيات كلها ركيكة سواء في ذلك أسئلتها وأجوبتها

ديارا) (١) فإنها عامة؟ أو بهلاكه مع مَنْ هلك بدعاء نوح عليه السلام من الكافرين فما هذا الذي وقع للبغوي في تفسيره من ادعائه اتفاق العلماء على هلاكه على يد موسى عليه السلام، عند تفسير قوله تعالى: (قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة) (٢) الآية؟ ولغيره كالثعالبى من ادعاء الإجماع على ذلك، وهل كان طولُه هذا الطول العظيم الذي ذكره المفسرون وهو ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة ذراع وثلثائة وثلثون ذراعاً وثلث ذراع؟ أو كان كما حداد بنى آدم؟ فإن كان طولُه ما ذكر فما الجواب عن حديث «إن الله خلق آدم على صورته ستون ذراعاً، ثم لم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن» وهل وجد من البشر من قوم عاد أو غيرهم مَنْ كان طولُه أكثر من ستين ذراعاً أو لم يوجد أحد؟ فإن بعض الناس تمسك بالحديث المذكور، وقال: لا يمكن أن يوجد من البشر خلق أطول من آدم عليه السلام، ونفى وجود ابن عنق من الأصل، وقال: لم يوجد في العالم شخص اسمه هذا الاسم، وادعى أن جميع ما وقع للمفسرين في تفاسيرهم من ذلك كذب واختلاق.

والمستول بسطُ الجواب، والكلام على الحديث المذكور والآية المذكورة أولاً، وهل الآية والحديث من العام الذي لم يخص وبقى على عمومته لعدم التخصيص أم لا؟ وذكر ما وقع للمفسرين في ذلك على طريق البسط والإيضاح، وذكر الصواب في ذلك كله، وهل تعرّض أحد لضبطه وضبط اسمه؟ أفنونا ماجورين أثابكم الله الجنة بمنه وكرمه.

الجواب: الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، قال العلامة شمس الدين ابن القيم في كتابه المسمى بـ «المنار المنيف، في الصحيح والضعيف»: من الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً أن يكون مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل الذي قصد واضعُه الطعن في أخبار الأنبياء،

(١) من الآية ٢٦ من سورة نوح (٢) من الآية ٢٦ من سورة المائدة

فإنهم يخبرون على هذه الأخبار ، فإن في هذا الحديث أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين وثلاثا ، وأن نوحاً عليه السلام لما خَوَّفَهُ الغرق قال له : احمِئني في قصعتك هذه ، وأن الطوفان لم يصل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر فوصل إلى حُجْرَتِهِ ، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس ، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى وأراد أن يرصعهم بها فقوَّرها الله في عنقه مثل الطوق .

وليس العجب من جرأة مثل هذا الكذاب على الله ، إنما العجب ممن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره ، وهذا عندهم ليس من ذرية نوح ، وقد قال تعالى : (وجعلنا ذريته هم الباقين)^(١) فأخبر أن كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح ، فلو كان لعوج وجود لم يبق بعد نوح ، وأيضاً فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خلق الله آدم وطوله في السماء ستون ذراعاً ، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » وأيضاً فإن بين السماء والأرض خمسمائة عام ، وسمكها كذلك ، وإذا كانت الشمس في السماء الرابعة بيننا وبينها هذه المسافة العظيمة فكيف يصل إليها من طوله ثلاثة آلاف ذراع حتى يشوى في عينها الحوت .

ولا ريب أن هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل الكتاب الذين قصدوا الاستهزاء والسخرية بالرسول وأتباعهم . انتهى كلام بن القيم .

وتابعه على ذلك الحافظ عماد الدين بن كثير ، فقال في كتابه البداية والنهاية : قصة عوج بن عنق وجميع ما يحكون عنه هذيان لا أصل له ، وهو من مختلفات زنادقة أهل الكتاب ، ولم يكن قط على عهد نوح ، ولم يسلم من الغرق من الكفار أحد .

قلت : وقد أخرج ابن المنذر في تفسيره بسنده عن ابن عمرو قال : طول

(١) من الآية ٧٧ سورة الصافات

عوج ثلاثة عشر ألف ذراع ، وعوج رجل من قوم عاد يغدو مع الشمس ويروح معها .

وقد أورد بعضُ المصنفين هذا في تأليفه ، ثم قال : وهذا مما يَسْتَحْيِي الشخصُ أن ينسبه إلى ابن عمرو لضعفه عنه ، قال : وردَّ ذلك آخرون بما ثبت في الصحيح أن الله تعالى خلق آدم ستين ذراعاً ، ثم ما زال الناسُ ينقصون حتى اليوم ، قال : وأجاب بعضهم عن هذا بأنه على الغالب والأكثر ، وغير منكر أن يطول الأولاد عن آبائهم .

وقال صاحب القاموس : عوج بن عنق بضمهما : رجل ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى ، وذكر من عظم خلقه بشاعة .

وقال الطبرانی في المعجم الكبير : حدثنا أبو مسلم الكجی ثنا معمر بن عبد الله الأنصاري ثنا السعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود قال : كان طول موسى عليه السلام اثني عشر ذراعاً ، وعصاه اثني عشر ، ووثبته اثني عشر ، فضرب عوج بن عنق فما أصاب منه إلا كعبه .

وقال أبو الشيخ بن حيان في كتاب العظمة : حدثنا إسحاق بن جميل ثنا أبو هشام الرفاعي ثنا أبو بكر بن عياش ثنا الكجی عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان أقصر قوم عاد سبعين ذراعاً ، وأطولهم مائة ذراع ، وكان طول موسى سبع أذرع ، وطول عصاه سبع أذرع ، ووثب في السماء سبع أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله .

وقال : أنا أحمد بن الحسن الصوفي ثنا علي بن الجعد أنا أبو خيثمة زهير عن أبي إسحاق الهمداني عن نوف قال : إن سرير عوج الذي قتله موسى طوله ثمانمائة ذراع ، وعرضه أربعمائة ذراع ، وكان موسى عشر أذرع ، وعصاه عشر أذرع ، ووثبته حين وثب عشر أذرع ؛ فأصاب عقبه فخر على نيل مصر فخره للناس عاماً يبرون على صلبه وأضلاعه .

وقال : ثنا أحمد بن محمد المصاحفي ثنا محمد بن أحمد بن البراء ثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال : ذكر وهب بأن عوج بن عنق كانت أمه من بنات آدم عليه السلام ، وكانت من أحسنهن وأجملهن ، وكان عوج ممن ولد في دار آدم ، وكان جبّاراً خلقه الله كما شاء أن يخلقه ، ولا يوصف عظماً وطولاً وعمراً ، فعمر ثلاثة آلاف سنة وستمائة سنة ، وكان طوله ثمانمائة ذراع ، وعرضه أربعمائة ذراع ، حتى أدرك زمان موسى عليه السلام ، وكان قد سأل نوحاً أن يحمّله مع السفينة ، فقال له نوح : لم أؤمر بذلك ، أي عدوّ الله أغرب عني ، فكان الماء زمان الفرق إلى حُجْرَتِهِ ، وكان يتناول الحوت من البحر فيرفعه بيده في الهواء فينضجه بحرّ الشمس ثم يأكله ، وكان سبب هلاكه أنه طلع على بني إسرائيل وهم في عسكرهم فحزّره حتى عرف قدره ، وكان عسكرهم فرسخين في فرسخين ، فعمد إلى جبل فسلب منه حجراً على قدر العسكر ، ثم احتمله على رأسه يريد أن يطبقه عليهم ، فأرسل الله هدهداً ليريهم قدرته ، فأقبل وفي منقاره خط من السامور ، فجاءه [فقور] الحجر على قدر رأس عوج ، وهو لا يدري ، ثم ضرب بجناحه ضربة فوق في عنقه ، فأخبر موسى خبره ، فخرج إليه ومعه العصا ، فلما نظر إليه موسى حمل عليه ، فكان قامة موسى وبسطته سبع أذرع ، وطول العصا سبع أذرع ، ووثبته إلى السماء سبع أذرع ، فضربه بالعصا أسفل من كعبه ققتله ، فمكث زماناً بين ظهرائي بني إسرائيل ميتاً .

قلت : هذا الخبر باطل كذب ، آفته عبد المنعم بن إدريس ، قال الذهبي في الميزان : قصاص ليس يعتمد عليه ، ترّكّه غير واحد ، وأفصح أحمد بن حنبل فقال : كان يكذب على وهب بن منبه ، وقال البخاري : ذاهب الحديث ، وقال ابن حبان : يضع الحديث على أبيه وعلى غيره ، وقال الحافظ ابن حجر في اللسان : نقل ابن أبي حاتم عن إسماعيل بن عبد الكريم قال : مات إدريس وعبد المنعم رضيع ، وكذا قال أحمد إذ سئل عنه : لم يسمع من أبيه شيئاً ، وقال ابن معين : كذاب خبيث ، وقال الفلاس : متروك ، وقال أبو زرعة : واهي الحديث ، (٣٧ - الحاوي ٢)

وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث ، وقال ابن المدینی والنسائی : ليس بثقة ، انتهى .

وما رأيتهم أوردوا حديثاً من روايته إلا حكموا عليه بالبطلان ، وفي كتاب الموضوعات لابن الجوزي من ذلك شيء كثير ، بل ذكر ابن الجوزي أن أباه إدريس أيضاً متروك ، فسقط هذا الخبر بالكلية ، والأقرب في أمره أنه كان من بقية عاد ، وأنه كان له طول في الجملة مائة ذراع أو شبه ذلك ، لا هذا القدر المذكور ، وأن موسى عليه السلام قتله بعصاه ، هذا القدر الذي يحتمل قبوله ، والله أعلم .

مسألة :

| | |
|----------------------------------|---------------------------|
| عبيد جاء مغترفا وفاء | من البحر الذي هو جبر كسرى |
| إمام عالم حَبْر ، وبحر | سما فضلا على زيد وعمرو |
| خلق الله لم يسمح زمان | بمثل علومه بدوام دَهْرٍ |
| وما في العصر مجتهد سواء | تفرد كم له ثان بشكر |
| بنعليه على أرقاب قوم | هم الحساد قد ماتوا بقهر |
| فوتوا حاسديه ، أما تروه | بخير علومه ، صرتم بشر |
| جلا مرآة فقري من جلاها | جلال الدين أنت فريد عصرى |
| فيا عين الزمان فكم غريب | أتيت به تقرره وتقرى |
| بفضلك جُدُّ وسُدُّ وازقَ المعالى | فكم أبرزت من طى ونشر |
| رثيت بحرقة يا بحر نجلى | ورحبي ضاق من ضيقان صدرى |
| وقلبى بالنسوى أضحى حريقا | وبحر الدمع من عيني يجرى |
| لنجلى كان لى مالى سواء | عليه يا إمام ضاع صبرى |
| قضى بفنائيه الباقى دواما | وقد سلمت للأحكام أمرى |
| رثيت إذا وفكرى فى اشتغال | برقم عاجل سطرأ بسطر |
| فغاب رثاه ما أبديت شخص | لشعر لم يكن يا حبر يدرى |

لقولى إربسم الأفراح فيه
فكتكته الأسي فغدا مُشاقاً
فدار به على النظام لنا
فمن حَسَدٍ له أبدوا هجاء
لأهل الفضل جئت به أجابوا
وهام خَطَّأوا من قال هجوا
ومنهم من أجاب عليه نظماً
فلو أبصرت هَجُوم وهَجُوى
لهم قد جئت ميداناً لحرب
فجد بنفيس دُرِّكَ لى بشيء
ففهمى مثل رَشَح السكوز أضحى
وبجل البرد دار يكون منكم
فَدُمُ واسلم وعش مادام بدر
بجاء محمد خير البرايا
عليه وآله والصحب جمعاً
وما غَنَّتْ على الأوراق وُرُقُ
الجواب :

مرحت أفكاري والعلم راق
في بيت شعري قاله شاعر
إربسم الأفراح من بعده
وقول من أنكر ألفاظه
لا وجه للانكار في هذه
وقد أتى في خبر المصطفى
والجهل بالأشياء مر المذاق
يجرى مع الحلبة عند السباق
كتكته الحزن فأضحى مشاق
وأنها معدودة في النعاق
فكلها بالاستعمارات راق
لفظ مشاق عربي انبثاق

ونص أهل العلم في كتبهم وأودعوه في بطن البطاق
مسألة الكتان والشعر مع إبريسم تدعى المشاق المشاق
وقوله «كتكته» وجهه أهزله صيره في الرقاق
فذاك معنى لغوي ، له نقل أتى في الكتب بين الرقاق
وفيه معنى آخر رقيقٌ يدركه ذو العلم بالاشتقاق
تصريف فعل عربي أتى من لفظ تركي إليه استباق
من كت بمعنى رح فتأويله أذهبه صيره في أنماق
فذاك حُسن بعد حسن غدا يشاق للألباب لما يساق
وحق من ذلك من شعره أن يلحظوه بالخدق الخدق
وقد أتى مسترفداً طالبا إجازة تدرجه في الطباق
أجزته بالشعر فهو الذي يحق أن يقضى له باللحاق
بشرط تقوى الله في شعره وتركه الهجوة ومالا يطاق
والحمد لله على نعمة يضيق عن شكرى فيها النطاق
ثم صلاة الله تهدي إلى أفضل من أهدى إليه البراق
مسألة :

يا حاوی اللطف والمعاني بديعه بهجة وظرفُ
ويا سنى الجمد في المباني منطقه معرب ولفظ
أمن بكشف عن اسم طير النصف ظرف والنصف حرف^(١)
الجواب :

يا من أتى نُغزّه المعنى يبتغى للأنام كشف
هو اسم طير إن صحَّفه فثمر بالندي يحف
أو حَشَفٌ يابس تراه مرادفا بالثرى يحف

(١) اللغز في «باشق» نصفه «با» ونصفه «شق» وهو في نحو «شق الدار» ظرف

- وإن يكن في ابتداء عين فمغرم للمنام يحفو^(۱)
 أو أبدلوا باءه بواو فذاك كلب وفيه عرف^(۲)
 أو أبدلوا باءه براء فإنه في القلوب طرف^(۳)
 أو أبدلوا باءه بنون فإنه قد عراه عرف^(۴)
 وإن ترخّضه فهو راش للترك كل إليه يقفو^(۵)
 وذيله دائر محيط يضمه في الكتاب صحف
 هذا جوابي غزير معنى وفيه لطف وفيه ظرف
 والله سبحانه وتعالى أعلم .

- (۱) يكون « عاشق » وهو لا ينام .
 (۲) يصير « واشق » وهو علم على كلب .
 (۳) يصير « راشق » وتقول « رشقني بلحظه » أو « رشقني بطرفه »
 (۴) هو حينئذ « ناشق » .
 (۵) هو حينئذ « باش » وهي كلمة تركية

انتهى كتاب « الحاوي للفتاوى » لحافظ مصر ومفتيها في عصره جلال الدين
 السيوطي ، والحمد لله أولاً وآخراً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أطيب الخلق
 عنصراً ، وعلى آله وصحبه .

فهرست

الجزء الثانى من كتاب « الحاوى للفتاوى » للإمام السيوطى ، رضى الله تعالى عنه

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٤٥ | ٣ |
| « أعذب المناهل ، فى حديث من قال أنا عالم فهو جاهل » وهو سؤال ورد على المؤلف رحمه الله تعالى عن حديث « من قال أنا عالم » ، إلخ هل هو صحيح؟ وهل يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ والجواب عنه | معنى أفعل فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حياتى خير لكم » « قطف الثمر ، فى موافقات عمر » مسألة فى قوله تعالى (ثلة من الأولين) كلام الغزالي فى فتنه الموت مسألة فى تفسير « ولا ينفع ذا الجذ منك الجذ » |
| ٤٨ | ٢٠ |
| « حسن التسليك ، فى حكم التشبيك » وهى رسالة فى الكلام على تشبيك الأصابع فى المسجد وغيره ، هل هو مشروع أم لا؟ وجوابه | « إعمال الفكر ، فى فضل الذكر » ذكر الأحاديث الدالة على استحباب الجمهور بالذكر تصرحا أو التزاما ، وقد ذكر المصنف خمسة وعشرين حديثا |
| ٥٢ | ٣١ |
| ذكر الحديث المسلسل بالتشبيك | « الدر المنظم ، فى الاسم الأعظم » |
| ٥٣ | — |
| مسألة فى أن الأموات فى قبورهم يسمعون كلام الخلق | اختلاف العلماء فى تعيين الاسم الأعظم وبيان أقوالهم |
| ٥٣ | ٣٦ |
| « شد الأثواب ، فى سد الأبواب » وهى رسالة فى الكلام على حديث « لا ييقين باب إلا سد إلا باب أبى بكر » وتخرجه من طرق ، وكلام العلماء فى ذلك | « المنحة ، فى السبحة » وهو سؤال ورد على المؤلف فى أن السبحة هل ورد فيها شيء من السنة؟ فأجاب ، وأورد مآجاء فيها من الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين والعلماء الصالحين. |
| ٥٧ | ٤٢ |
| بيات ما ورد فى بعض الروايات « سدوا الأبواب إلا باب على » وذكر الجمع بينه وبين الحديث السابق | مسألة فى أن النبي صلى الله عليه وسلم هل تداوى أم لا؟ وجوابها |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ٨٤ | ٥٩ |
| بيان أن اسم «الشريف» كان يطلق في الصدر الأول على كل من كان من أهل البيت، سواء كان حسنيا أم حسينيا أم علويا من ذرية محمد بن الحنفية وغيره من أولاد علي بن أبي طالب الخ | بيان ثبوت منع الشارع من فتح باب شارع إلى مسجد مطلقا، إلا لعلى رضى الله عنه وكرم الله وجهه، ومنع أيضا من فتح خوذة صغيرة أو طاقة أو كوة إلا لأبي بكر الصديق رضى الله عنه، وهذه أحكام خاصة بهما لا يقاس فيها عليهما غيرها |
| ٨٥ | ٦١ |
| بيان أن العلامة الحضراء التي يلبسها الأشراف ليس لها أصل في الشرع ولا في السنة، ولا كانت في الزمن القديم، وإنما حدثت سنة ٧٧٣ بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين | فصل في بيان أن جماعة من مفتى عصر المؤلف أفتوا بجواز فتح الباب والكوة والشباك من دار ملاصقة للمسجد الشريف، واستدلوا على ذلك بشبه قامت بأذهانهم واهية، وقد رد المصنف عليهم من وجوه كثيرة تقرب من ثلاثين وجها |
| ٨٦ | ٦٩ |
| آخر «العجاجة الزرنبية» وهي رسالة نقلها بعض الناس من كتاب «نزها المجالس» للصفورى تتعلق بحكايات وفوائد واطائف عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وسئل عنها المؤلف فأجاب | أقوال علماء الشافعية المتأخرين في ذلك |
| ٨٧ | ٧٤ |
| ما ورد من الآثار في فضل الغريب وإكرامه | كلام العلامة الزركشى في كتابه «أحكام المساجد» فيما يتعلق بالمسألة |
| ٨٨ | ٧٥ |
| حكاية تتعلق بسليمان لما تولى الملك وجاءه جميع الحيوانات يهنئونه، إلا نملة واحدة جاءت تعزیه | فائدة ختم بها المؤلف رسالته المقدمة في بيان بناء مسجد المدينة وكيف كان، وما حدث فيه بعد |
| ٨٩ | ٨١ |
| بيان كيف أمطر الله على أيوب جرادا من الذهب | خاتمة في بيان أول من كسا الحجر الشريف |
| ٨٩ | ٨١ |
| فائدة في ذكر ما ورد في التوكؤ على العصا | «العجاجة الزرنبية»، في السلالة الزينبية» وهي رسالة في أولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه |
| ٨٩ | ٨٢ |
| لطيفة وقعت من الرسول عليه الصلاة والسلام وأنس معه | بيان أولاد زينب رضى الله عنها |

| صفحة | صفحة |
|---------------------------------------|--------------------------------------|
| ١٥٨ | ٩٠ |
| ذكر آثار أوردها أبو عمرو والدانى | موعظة تتعلق بالزنا واللواط |
| في سننه وابن الجوزى تتعلق بذلك | ٩١ |
| ١٦٦ | إذ قامت بحقوق الزوجية |
| تنبيهات تتعلق بالمهدى | ٩٢ |
| ١٦٨ | روايات في مسائل شتى |
| «الكشف» عن مجاوزة هذه | ٩٣ |
| «الأمة الألف» | بيان ماورد في فضل على بن أبى طالب |
| ١٦٨ | ٩٣ |
| ذكر ماورد أن مدة الدنيا سبعة | فائدة تتعلق بفضائل الخلفاء الراشدين |
| آلاف سنة، وأن النبي صلى الله عليه | ١٠٧ |
| وسلم بعث في أواخر الألف السادسة | «الدرة التاجية، على الأسئلة الناجية» |
| ١٧١ | وهي أجوبة على الرسالة المتقدم |
| ذكر ماورد أن الدجال يخرج على | ذكرها السهامة «آخر العجاجة |
| رأس مائة، وينزل عيسى عليه السلام | الزرنبية» وذكر المؤلف رحمه |
| فيقتله، ثم يمكث في الأرض أربعين | الله تعالى الأحاديث المتقدم ذكرها |
| سنة | ونبه على من خرجها من أئمة علماء |
| ١٧٣ | الحديث، ثم بين صحيحها من ضعيفها |
| ذكر مدة مكث الناس بعد طلوع | وهي أربعون حديثاً |
| الشمس من مغربها | ١١٧ |
| ١٧٤ | «رفع الحدر، عن قطع الصدر» وهي |
| ذكر مدة ما بين النفختين | رسالة ذكر فيها ماورد في قطع |
| ١٧٩ | الصدر - وهو شجر النبق - من |
| «كشف الريب، عن الجيب» وهو | الأحاديث والآثار |
| سؤال مثل عنه المصنف هل كان | ١٢٣ |
| جيب قميص النبي على صدره كما هو | «العرف الوردى، في أخبار المهدي» |
| المعتاد الآن في مصر وغيرها أو | وهي رسالة في ذكر الأحاديث |
| على كتفه كما يفعله المغاربة الخ وأجاب | والآثار الواردة في أخبار المهدي |
| عن ذلك | لخص المصنف فيها الأربعين التي جمعها |
| كتاب البعث | الحافظ أبو نعيم وزاد عليها ما فاته |
| ١٧٩ | ورمز عليه صورة «ك» كما |
| مسألة هل ورد أن الزامر يأتي | ذكر المؤلف آثاراً كثيرة لحصها |
| يوم القيامة بمزماره وأن السكران | من كتاب الفتن لنعيم بن حماد أحد |
| يأتي بقدحه وأن المؤذن يأتي يؤذن؟ | شيوخ البخارى |
| وجواب ذلك | |
| ١٨٠ | |
| مسألة في أول ما يأكله أهل الجنة | |
| وجوابها | |

| صفحة | صفحة |
|---|--|
| ١٨٧ مسألة فى أن إبراهيم ولد الرسول صلى الله عليه وسلم لو عاش لكان نبيا، هل هذا صحيح؟ وجواب ذلك | ١٨٠ مسألة حديث الطبرانى « أخبرنى عن قول الله تعالى : (حور عين) قال حور بيض » إلخ ، وجواب ذلك |
| ١٨٩ فصل فى أن إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم مات وهو ابن ثمانية عشر شهرا ولم يصل عليه | ١٨٠ مسألة هل ورد أن عدد درج الجنة بعد آى القرآن ؟ وجوابها |
| ١٨٩ فصل فى كلام السبكي على حديث « كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد » واستشكال ذلك، وجوابه | ١٨١ « رفع الصوت، بفتح الموت » وهى رسالة فى حديث « إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يؤتى بالموت » إلخ ، وجواب ذلك، وبيان أنه اشتمل على ثلاثة أسئلة وذكرها مفصلة |
| ١٩٠ مسألة فى بيان ذكر أولاد البتول | ١٨٣ مسألة فى ثعلبة الذى نزل فيه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله هل هو ثعلبة بن حاطب أحد من شهد بدر أم لا ؟ |
| ١٩١ « إتحاف الفرقة، برفو الحرقه » وهى سؤال عن ثبوت لبس الحسن البصرى الحرقه عن على بن أبى طالب ذكر ما وقع للمصنف من رواية الحسن البصرى عن على كرم الله وجهه | ١٨٤ مسألة أبو ثعلبة الحشى ما اسمه واسم أبيه ؟ وجوابها |
| ١٩٦ مسألة فى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، هل لبس عمامة صفراء أم لا؟ وجواب ذلك | ١٨٤ مسألة أبو عبيدة بن الجراح هل له عقب ؟ وجواب ذلك |
| ١٩٧ فصل فى عدد أبواب الجنة | ١٨٤ مسألة فى رحل عاصر المؤلف وادعى أن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ستة أنفس ، وأنه روى حديثا عن معمر الصحابى ، والجواب عن ذلك |
| ٢٠٠ مسألة فيما هو جار على السنة العامة وفى المدائح النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم لان له الصخر وأثرت قدمه فيه ، وأنه إذا مشى على التراب لا تؤثر فيه قدمه ، وجواب ذلك | ١٨٦ مسألة ماسن عائشة وفاطمة رضى الله عنهما ؟ وكم عاشت كل واحدة منهما بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وأيها أفضل ؟ وجوابها |
| ٢٠٢ مسألة فى قول بعضهم إن أكثر قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة كانت بقراءة نافع ، وجوابها | |

| صحيفة | صحيفة |
|--------------------------------------|--|
| ٢٣١ فصول تتعلق ببحث الباب | ٢٠٤ « بلوغ المأمول، في خدمة الرسول » |
| ٢٣٥ مسألة في حقيقة التوحيد | ٢٠٤ مسألة في حديث « من وجدتموه |
| ٢٣٦ « تنزيه الاعتقاد، عن الحلول | يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل |
| والآحاد » وهو بحث عما يعتقدونه | والمفعول به » |
| النصارى من الحلول والآحاد، | ٢٠٦ تنبيه في بيان احتياج الحاكم في |
| وأقوال العلماء في ذلك | تصحيح هذا الحديث إلى شاهد |
| ٢٤٦ كلام العلامة شمس الدين ابن قيم | ٢٠٩ تنبيه في أن الحافظ ابن حجر ذكر |
| الجوزية في معنى الآحاد | في تخريج أحاديث الرافعى أن |
| ٢٤٨ مسألة في قول أهل السنة: إن العبد | حديث الباب مختلف في ثبوته، وفيه |
| له في فعله نوع اختيار، هل هو | التنبيه على فائدة مهمة من فن |
| معارض لقوله تعالى: (وربك | مصطلح الحديث |
| يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم | الفتاوى الأصولية |
| الخيرة)؟ وجواب ذلك | ٢١٣ مبحث الإلهيات |
| ٢٤٩ مسألة هل العقل أفضل من العلم | ٢١٣ مسألة في تعريف الإيمان وركنه |
| الحادث أم لا؟ وجواب ذلك | وشروطه وسببه ومحلّه، وهل يزيد |
| مبحث النبوات | وينقص؟ وما الدليل على ذلك؟ |
| ٢٤٩ مسألة كم عدد الأنبياء والرسل؟ | وجوابها |
| ٢٥٠ مسألة في موت الحضرة | ٢١٣ « إتمام النعمة، في اختصاص الإسلام |
| ٢٥٠ مسألة كم بين موسى وعيسى وبين | بهذه الأمة » |
| عيسى وخير الخلق محمد صلى الله | ٢١٦ ذكر الأدلة للقول الراجح وهى |
| عليه وسلم؟ | عشرون |
| ٢٥١ « تزوين الأرائك، في إرسال النبي | ٢٢٣ ذكر الأدلة التي احتج بها للقول الآخر |
| صلى الله عليه وسلم إلى الملائكة » | ٢٢٥ فصل في قول قائل إن قوله تعالى |
| ٢٥٣ ذكر الأدلة التي أخذ منها المؤلف | « شرع لكم من الدين ما وصى به |
| إرساله إلى الملائكة | نوحا » من الأدلة على ذلك، وجوابه |
| ٢٦٣ خاتمة في أن آدم عليه السلام أرسل | ٢٢٨ ذكر دليلين آخرين للقول الراجح |
| إلى الملائكة | ٢٢٩ تحقيق في تحرير المعنى في التخصيص |
| | بالتسمية |

| صحيفة | صحيفة |
|---|---|
| ٣٠٢ مسألة هل تعلم الأموات بزيارة الأحياء وبما هم فيه؟ وهل يسمع الميت كلام الناس؟ وأين مقر الأرواح وهل تجتمع؟ وهل يسأل الشهيد والطفل؟ وجواب هذه الأسئلة جواباً مبسوطاً تستروح إليه النفس | ٢٦٤ « إنباء الأذكياء ، بحياة الأنبياء » |
| ٣١١ مسألة سؤال منكر ونكير في القبر هل هو عام لجميع الخلق أو يستثنى منه أحد؟ وهل تسأل الأطفال والسقط؟ وجواب ذلك | ٢٧١ كلام الشيخ تقي الدين السبكي في حياة الأنبياء والشهداء |
| ٣١١ « الاحتفال ، بالأطفال » وهي رسالة تبحث عن افتتاح الأطفال في القبور ، وهل يسألهم منكر ونكير؟ وكلام العلماء في ذلك | ٢٧٥ تنبيه في وقوع غلط في كلام الشيخ تاج الدين |
| ٣١٦ « طلوع الثريا ، بإظهار ما كان خنيا » وهي رسالة في بيان فتنة الموتى في قبورهم سبعة أيام ودليل ذلك، وأقوال علماء المذاهب في ذلك | ٢٧٥ فصل في كلام الراغب في أن من معانى الرد التفويض |
| ٣٣٤ الوجه العاشر في بيان الحكمة في تحديد هذا العدد بخصوصه | ٢٧٧ « كتاب الإعلام ، بحكم عيسى عليه السلام » وهو سؤال عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، وبأى شىء يحكم؟ وجواب ذلك |
| ٣٤١ ختم الكتاب بلطائف طريقة أحوال البعث | ٢٨٠ بيان كيف يعرف عيسى عليه السلام أحكام هذه الشريعة للحكم بها ، ولم يسبق له اطلاع عليها من قبل؟ |
| ٣٤٤ مسألة هل يمر إبليس وكفار الإنس والجن على الصراط؟ وجواب ذلك | ٢٩٤ خاتمة في أن ما اشتهر على السنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم غير صحيح ولا أصل له . |
| ٣٤٤ مسألة في قوله صلى الله عليه وسلم : « يحشر الناس حفاة عراة » هل هو على عمومته أو هو مخصوص؟ وجواب ذلك | ٢٩٩ « لبس اليبس ، في الجواب عن إيراد حلب » وهي رسالة في الجواب عن اعتراض بعض العلماء على المصنف في الرسالة المتقدمة « أن جبريل هو السفير بين الله وبين أنبيائه ، ولا يعرف ذلك لغيره من الملائكة » |
| | مبحث المعاد |
| | ٣٠٢ أحوال البرزخ |
| | ٣٠٢ « اللمة ، في أجوبة الأسئلة السبعة » |

| صحيفة | صحيفة |
|--|---|
| ٣٧٧ | ٣٤٥ |
| ثبوت أن آباء النبي من عهد إبراهيم إلى زمان عمرو بن عامر الحزاعي كلهم مؤمنون بيقين | مسألة في أن أحاديث الحشر عراة عارضها أحاديث آخر ، واختلاف العلماء في ذلك ، وجوابه |
| ٣٩٧ | ٣٤٦ |
| نصب ميدان جدلي لذلك | مسألة في أن الإيمان هل يوزن يوم الحشر بميزان أم لا ؟ وجواب ذلك |
| ٢٩٩ | ٣٤٧ |
| حديث متعلق بأبوي الرسول صلى الله عليه وسلم ذكره السهيلي | مسألة في أن الطفل إذا مات صغيرا فهل يحشر في الآخرة على عمره؟ وجوابها |
| ٤٠٤ | ٣٤٨ |
| فوائد تتعلق بالباب | «تحفة الجلساء ، برؤية الله للنساء» |
| الفتاوى المتعلقة بالتصوف | وهو بحث في أن الرؤية تحصل للرجال المؤمنين والنساء المؤمنات يوم القيامة في الموقف ، وسرد أقوال العلماء في تفاصيل هذه المسألة ، وحكم من عدا هؤلاء |
| ٤٠٥ | ٣٥٢ |
| مسألة فيمن قال : من اكتفى بالفقهاء دون الزهد يفسق : وجوابها | بحث في حديث « إن الله ليتجلى للناس عامة ، ويتجلى لأبي بكر خاصة » |
| ٤٠٥ | ٣٥٣ |
| مسألة في جماعة صوفية اجتمعوا في مجلس ذكر ، ثم إن شخصا من الجماعة قام من المجلس ذاكرا ، واستمر على ذلك لوارد حصل له ، فهل له فعل ذلك سواء كان باختياره أم لا ؟ وهل لأحد منعه؟ وجواب ذلك | «مسالك الحنفاء في والدي المصطفى» |
| ٤٠٦ | ٣٥٣ |
| مسألة في قول الشيخ أبي العباس المرسي في حزبه : إلهي معصيتك نادتي بالطاعة وطاعتك نادتي بالمعصية ففي أيهما أخافك وفي أيهما أرجوك ؟ إلخ وجواب ذلك | مسألة الحكم في أبوي النبي صلى الله عليه وسلم أنهما ناجيان ، وليسا في النار ، وفيها مسالك |
| ٤١٢ | ٣٥٥ |
| «القول الأشبه ، في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه» وقد أشبع المؤلف الكلام عليه ، وحصره في مقالين ، وذكر له وجوها كثيرة | ذكر الآيات المشيرة إلى ذلك |
| ٤١٧ | ٣٥٦ |
| الخبر الدال على وجود القطب والأوناد والنجباء والأبدال ، وقد ذكر المؤلف رحمه الله تعالى الأخبار والآثار في ذلك ، وسرد أقوال المؤلفين والعلماء الأقدمين | ذكر الأحاديث الواردة في أن أهل الفترة يمتحنون يوم القيامة فمن أطاع منهم أدخل الجنة ومن عصى أدخل النار |
| | ٣٦٥ |
| | بيان أن أهل الفترة على ثلاثة أقسام وبيانها مفصلة ، وحكم كل قسم منها |
| | ٣٦٧ |
| | دليل استنبطه المؤلف يتعلق بالبحث مركب من مقدمتين وبيانهما |
| | ٣٦٨ |
| | ذكر أدلة المقدمة الأولى |
| | ٣٧٠ |
| | ذكر أدلة المقدمة الثانية |

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٤٦٢ مسألة فى قوله صلى الله عليه وسلم فما رواه البخارى «لو كان ذاك وأنا حتى فأستغفر لك» هل لفظ فأستغفر بالنصب أو بالرفع؟ وجوابه | ٤٣٦ فائدتان تتعلقان بالمبحث : الأولى فى أن الأبدال لم صارت أبداً ، والثانية لم سميت الأبدال أبداً ؟ |
| ٤٦٣ مسألة فى إعراب تركيب وقع فى بعض الكتب نصه : ولا يمكن الوارث أخذها، هل الوارث مرفوع على الفاعلية وأخذها بالنصب على المفعولية أو بالعكس؟ وجواب ذلك | ٤٣٧ « تنوير الحلك ، فى إمكان رؤية النبي والملك » وقد أورد المصنف ما جاء فى ذلك من الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء الأخيار ، والمؤلفين الأبرار الفتاوى النحوية وما ضم إليها |
| ٤٦٦ مسألة ما الفرق بين المثل والشبه والنظير؟ وجوابه | ٤٦١ مسألة فى حد النحو فى اصطلاح النجاة ، وجوابه |
| ٤٦٧ مسألة قول الداعى « اللهم أرنا وجه نبينا وأوردنا حوضه » هل صوابه وأوردنا أو أردنا؟ وهل بينهما فرق من المادة والنقل والمعنى؟ وجواب ذلك | ٤٦١ مسألة فى ضبط قوله صلى الله عليه وسلم « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والجنة حق » إلخ ، هل الجنة بالرفع أو بالنصب ؟ |
| ٤٦٧ مسألة فى قوله صلى الله عليه وسلم « أو مخرجى هم » كيف عطف وهو إنشاء على قول ورقة إذ يخرجك قومك وهو خبر؟ إلخ ، وجوابه | ٤٦١ مسألة ما إعراب قوله صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم ثلاث » ؟ وجوابه |
| ٤٧١ مسألة فى إعراب تركيب وقع فى بعض الكتب نصه « يقضى بالشفعة دافعا عهدتها الدفع إلى ذى اليد » هل دافعا حال من الفاعل وهو الدفع أو أو من النائب عنه وهو بالشفعة ؟ وجواب ذلك | ٤٦٢ مسألة قوله صلى الله عليه وسلم للجارية التى دعته لحاجتها : « اجلسى فى أى سكك المدينة شئت أجلس إليك » هل أجلس بالجزم أم بالرفع أو يصح الوجهان ؟ وجوابه |
| ٤٧٣ مسألة فى تعريف اللفظ بالصوت المشتمل على بعض الحروف ، وجوابه | ٤٦٢ مسألة قول صاحب الخزرجية : « عروض وضرب ثم إلخ » * علام رفع قوله عروض ؟ وجواب ذلك |
| ٤٧٦ « فجر الحمد ، فى إعراب أكمل الحمد » | |

| صفحة | صفحة |
|---|---|
| ٥٥٧ اعتراضات من السائل - وهو شمس الدين الوزيرى - على الأجوبة التى بعث بها المصنف إليه . | ٤٧٨ «ألوية النصر ، فى خصيصى بالقصر» |
| ٥٦٠ رد المؤلف السيوطى على كل اعتراضات شمس الدين الوزيرى | ٤٨٠ «الزند الورى ، فى الجواب عن السؤال السكندرى» |
| ٥٦٨ مسألة فى ذكر أسئلة منظومة تتعلق برؤية الإله فى الآخرة ، وفى نزول المهدي ، وفى حديث «الخير فى وفى أمتى إلى يوم القيامة» إلخ والجواب عنها | ٤٨٥ «رفع السنة ، فى نصب الزنة» وهو سؤال ورد على المصنف عن وجه نصب سؤال ورد على المصنف عن وجه نصب |
| ٥٧٢ مسألة تتعلق ببيع يوسف وشرائه ، والجواب عنها | فى قوله صلى الله عليه وسلم « سبحان الله وبحمده ، زنة عرشه ، ورضا نفسه » وجوابه |
| ٥٧٣ «الأوج ، فى خبر عوج» وهو سؤال ورد من الشام يستفتون به الشيخ جلال الدين السيوطى عن وجود عوج بن عنق وطوله وعرضه وعمله وأنه عاش بعد الطوفان ، إلخ ، فأجاب بما يكفى ويشفى | ٤٩٣ «الأجوبة الزكية، عن الألفاظ السبكية» وهى منظومة مشتملة على ألفاظ من نظم تاج الدين السبكي ، أرسلها إلى صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى الشاعر المشهور ليحيب عنها، ثم أجاب عنها الحافظ السيوطى مؤلف الكتاب |
| ٥٧٨ مسألة تتضمن السؤال عن قوله « ابن يسلم الأفرح فيه وكتان فكنته الأسى » والجواب عن ذلك | ٥٠٤ الأسئلة المائة، وهى منظومة تشتمل على مائة سؤال فى مسائل شتى |
| ٥٨١ خاتمة الكتاب | ٥٠٩ «تعريف الفئمة، بأجوبة الأسئلة المائة» وهو جواب مائة السؤال المتقدم ذكرها قبل منظومة |
| ٥٨٣ فهرست الكتاب | ٥٤٧ الجواب عن الأسئلة المائة نظماً |
| | ٥٥٢ «الأسئلة الوزيرية ، وأجوبتها» وهى تتضمن ستة أسئلة غامضة ، والجواب عنها مفصلاً |

تمت فهرست الجزء الثانى من كتاب « الحاوى للفتاوى » للامام المفتى الحجة والحافظ الجليل : جلال الدين السيوطى والحمد لله ذى الجلال والإكرام ، وعلى نبيه أفضل الصلاة والسلام

